كتاب

المجلد الأول

غذاء الالباب لشرح منظومة الآداب

﴿ تأليف الشيخ الامام والحبر البحر الهمام ﴾
(شيخنا واستاذنا الشيخ محمد السفاريني الحنبلي)
(عامله الله بلطفه الخفي)
(والجلي بجاه سيد المرسلين)
(وآله وصحبه اجمعين)
(بمنه وكرمه آمين)

(لمؤلفه رضي الله عنه)

لعَمْرِي لقد أنفقتُ في العلم قوتي ... ولم آلُ جهداً في اقتناصي العواليا
وطُفتُ وفتَّشتُ الطروسَ وليتني ... خلصتُ كفافاً لا عليَّ ولا ليا

طبع على نسخة المؤلف رحمه الله تعالى بعد الاستئذان من أحفاده
على ذمة ملتزم طبعه الفاضل الشيخ عبد الفتاح الحجاوى النابلسي

﴿ طبع بمطبعة النجاح بمحروسة مصر ــ لصاحبها محمد حسين التبرزى ﴾
سنة ١٣٢٤ هجريه

ترجمة المؤلف رحمه الله تعالى رحمة واسعة كما في سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر للعالم الفاضل النبيل المؤرخ محمد خليل المرادي الدمشقي

﴿ محمد السفاريني ﴾

ابن احمد بن سالم بن سليمان السفاريني الشهرة والمولد النابلسي الحنبلي الشيخ الامام والحبر البحر النحرير الكامل الهمام الاوحد العلامة . والعالم العامل الفهامة . صاحب التآليف الكثيرة والتصانيف الشهيرة أبو العون شمس الدين ولد بقرية سفارين من قرى نابلس سنة أربع عشرة ومائة وألف ونشأ بها وتلا القرآن العظيم ثم رحل الى دمشق لطلب العلم فأخذ بها عن الاستاذ الشيخ عبد الغني بن اسماعيل النابلسي وشيخ الاسلام الشمس محمد بن عبد الرحمن الغزي وابي الفرج عبد الرحمن ابن محيي الدين المجلد وابي المجد مصطفى بن مصطفى السواري والشهاب احمد بن على المنيني واخذ الفقه عن ابي التقي عبد القادر بن عمر التغلبي وابي الفضائل عواد ابن عبيدالله الكورى ومصطفى بن عبد الحق اللبدى وغيرهم وحصل لصاحب الترجمة في طلب العلم ملاحظة ربانية حتى حصل في الزمن اليسير مالم يحصله غيره في الزمن الكثير ورجع الى بلده ثم توطن نابلس واشتهر بالفضل والذكاء ودرس وافتى واجاد والف تآليف عديدة فمن تآليفه شرح ثلاثيات مسند الامام احمد في مجلد ضخم وشرح نونية الصرصري سماها معارج الانوار في سيرة النبي المختار في مجلدين وتحبير الوفا في سيرة المصطفى وغذاء الألباب في شرح منظومة الآداب والبحور الزاخرة في علوم الآخرة وكشف اللثام في شرح عمدة الاحكام ونتائج الافكار في شرح حديث سيد الاستغفار والجواب المحرر في الكشف عن حال الخضر والاسكندر وعرف الزرنب في شرح السيدة زينب والقول العلى في شرح اثر امير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه وشرح منظومة الكبائر الواقعة في الاقناع ونظم الخصائص الواقعة فيه ايضا والدر المنظم في فضل شهر الله المحرم وقرع السياط في قمع اهل اللواط والمنح الغرامية في شرح منظومة ابن فرح اللامية والتحقيق في بطلان التلفيق ولوائح الافكار السنية في شرح منظومة الامام الحافظ ابي بكر بن ابي داود الحائية مجلد

وتحفة النساك في فضل السواك والدرة المضية في عقد اهل الفرقة المرضية وشرحها المسمي بسواطع الآثار الأثرية بشرح منظومتنا المسماة للدرة المضية وتناضل العمال بشرح حديث فضائل الاعمال والدرر المصنوعات في الاحاديث الموضوعات ورسالة في بيان الثلاث والسبعين فرقة والكلام عليها واللمعة في فضائل الجمعة والاجوبة النجدية عن الأسئلة النجديه والأسئلة الوهبية عن الأسئلة الزعبية وشرح على دليل الطالب لم يكمل وتعزية اللبيب بأحب حبيب وغير ذلك واما الفتاوي التي كتب عليها الكراس والاقل والاكثر فكثيرة ولو جمعت لبلغت مجلدات وله رحمه الله تعالى من الاشعار في المراسلات والغزليات والوعظيات والمرثيات شيء كثير وبالجملة فقد كان غرة عصره وشامة مصره لم يظهر في بلاده بعده مثله وكان يدعي للملمات ويقصد لتفريج المهمات ذا رأى صائب وفهم ثاقب جسورا على ردع الظالمين وزجر المفترين اذا رأى منكرا اخذته رعدة وعلا صوته من شدة الحدة واذا سكن غيظه وبرد قيظه يقطر رقة ولطافة وحلاوة وظرافة وله الباع الطويل في علم التاريخ وحفظ وقائع الملوك والعلماء والامراء والادباء وما وقع في الازمان السالفة وكان يحفظ من اشعار العرب العرباء والمولدين شيئاً كثيرا وله شعر لطيف منه قوله

من لى بأن انظر الى | خشف بليل معتكر
وأضمه من غير شغـ | ـف كالضمير المستتر

وقوله

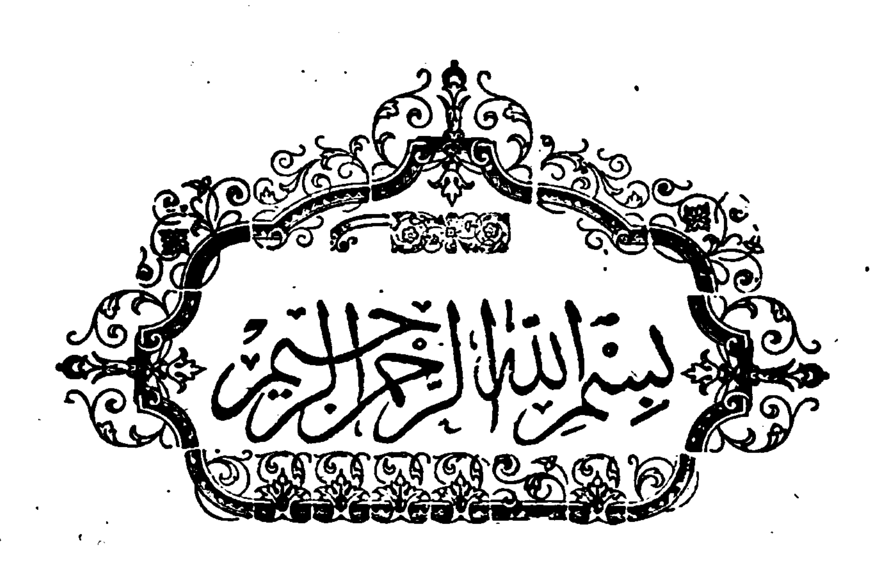
الصبر عيل من القلا | والنفس امست في بلا
والجفن جف من البكا | والقلب في الشجوى غلا
وشكي اللسان فقال في | شكواه لاحول ولا

وقوله

احبة قلبي تزعموا ان حبكم | صحيح فأن كنتم كما تزعموا زوروا
واحيوا فتى فت الغرام فؤاده | والا فدعوي حبكم كلها زور

وله غير ذلك من الاشعار والنظام والنثار مما هو مشهور في ايدى الناس وكانت وفاته في شوال سنة ثمان وثمانين ومائة والف ودفن بتربتها الشمالية

وقد ترجمه ايضا جمع من الاعيان منهم الشيخ عبد الرحمن الجبرتي في عجائب الآثار في التراجم والاخبار والله اعلم



وبه ثقتي وعليه توكلي

الحمد لله الذي خلق الانسان علمه البيان . وخلق له السمع والبصر والقوى والجوارح والبنان . وشرفه بمعرفته واهله لخدمته وفضله على سائر الحيوان . واختصه بالنهي والامر والوزر والاجر والطاعة والعصيان . ومنحه الحلم والحزم والفكر والفهم والذكر والعلم والتحقق والعرفان . ونحله الرضى والغضب والتودد والادب والتلطف والارب والرقة والجشب والراحة واللغب والتذكر والنسيان . سبحانه من اله خلق فسوى . وقدر فهدى . وامات واحيا . واعطى ومنع . وخفض ورفع . واتم الدين واعلن البرهان . حد الحدود وعم بالفضل الوجود و بين الاحكام من مباح وحلال وحرام ومكروه ومندوب . فاندرج فيها الادب المطلوب . ففضل هذا الدين على سائر الاديان . واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا ضد ولا ند ولا وزير ولا مشير ولا اعوان . بل هو الواحد الاحد الفرد الصمد المنزه عن الصاحبة والولد فهو القادر المقتدر الحكيم الديان . واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله وحبيبه وخليله وامينه علي وحيه وشهيده على امره ونهيه خلاصة الاكوان .

وسيد ولد عدنان. الذي اكمل خلقه وعظم خلقه ووضع عنه وزره ورفع له ذكره وادبه فاحسن تأديبه فكان خلقه القرآن . وايده بالوحي والتنزيل والفضل والتفضيل والبيان. والتفصيل والحكمة والتأويل والحسن والاحسان . اللهم صل وسلم وشرف وعظم وبجل وكرم وضاعف ذلك على هذا النبي الكريم . المنعوت في الكتاب القديم . باعظم نعت واتم تفخيم . بقولك جل ثناؤك وانك لعلى خلق عظيم . فيالها من مزية ساد بها على الملائكة والانس والجان . وعلى اله واصحابه وانصاره واحزابه واصهاره واحبابه المتخلقين بخلقه والمتأدبين بآدابه في السر والاعلان . الذين بذلوا نفوسهم النفيسة في اظهار دينه القويم . وجاهدوا بسمر القنا و بيض الظبا من حاد عن صراطه المستقيم ونشروا السنة والكتاب واظهروا الفروض والاداب باسلم قلب وافصح لسان . وعلى التابعين وتابعيهم والائمة المجتهدين ومقلديهم ما نقلت اخبارهم ودونت آثارهم وكر الجديدان . وتعاقب الملوان . (اما بعد) فقد كان سألني بعض الاخوان . والاحبة والاخدان ممن له في العلم رغبة ولديه من خوف التقصير رهبة . ان اشرح منظومة الآداب نظم الامام العلامة الاوحد والقدوة الفهامة الامجد سيبويه زمانه بل قس عصره وسحبان اوانه ومخجل الدر بنظمه والضحى ببيانه والبحر بفيض علمه والمزن بسيل بنانه الامام القدوة شمس الدين ابو عبد الله محمد ابن عبد القوي المرداوي الفقيه المحدث النحوي الحنبلي الأثري رضوان الله عليه شرحاً يحل مبانيها ويظهر معانيها ويكشف وجوه مخدراتها ويوضح دلائل اياتها ويكون لابناء زماننا في معرفة الآداب كالاقناع والمنتهى في الفقه عند ذوي الالباب فتعللت بان خاتمة المحققين الشيخ موسى الحجاوي قد شرحها وقبله اوحد المجتهدين القاضي علاء الدين المرداوي قد اوضحها فمن انا حتى اتجرأ على شرح هذه الرسالة وادخل بين البحر والنهر بهذه البلالة ومن لي باطلاع المرداوي وتحقيق الحجاوي وهل انا حينئذ الا كمن ذهب الى جماعة فيهم بقراط وجالينوس وقال انا الطبيب المداوي فقال السائل اما شرح المرداوي فلا يكاد يوجد واما شرح الحجاوي فقد اقتصر على الاحكام باوجز عبارة وازهد . مع حذفه لاكثر ابيات المنظومة او كثير منها مع الحاجة اليها وعدم الغنى عنها ونحن نقترح عليك بسط العبارة في الاخبار وضبط

الاشارة في الآثار ليكون من احرز هذه الفوائد الغزيرة من الصحة والبيان والتعليل والدليل على بصيرة فمنيت الذي الى بضاعتي المزجاة يرغب. ووعدته بذلك والوعد عند الحر دين يطلب. وقلت لابد من اسعاف هذا السائل. ولو بالتطفل على الكتب المدونة والرسائل. ونقل الاخبار وجمع المسائل. فانا في هذا الزمان نقول كما نقل الناقل لم تدع الاوائل كلمة لقائل والمظهر في زماننا الامامة والعلم والبلاغة والفهم بالنسبة للصدر الاول مثل ان يحاجي سحبان باقل ثم اخذت في تحصيل المواد المعينة والكتب الصحيحة المتينة و بعد الوعد بمدة تزيد على ثلاث سنين شرعت في الشرح والتبيين هذا مع كوني في بلدة قفرا. أرجاؤها من ظلمة الجهل غبرا. وعلماؤها من العلوم فقرا. والفتن في ضواحيها تترا. وعزت المواد في قطر تأليفها وفقد الخل المواد في مخاليفها غير ان العبد ابتهل الى الله ورمى نفسه بين يديه وطرق بابه وطلب منه المعونة على شيء سهل اسبابه فقد حصل لدينا من المادة التي لنيل المطلوب مساعدة عدة اسفار اذا قابلت ليل الجهل انقشع لما فيها من الاسرار والانوار مثل الآداب الكبرى لابن مفلح ومختصرها لليونيني وشرح هذه المنظومة للحجاوي والاقناع والمنتهى وشروحهما وحواشيهما وفروع بن مفلح وتصحيحه للمرداوي وحاشيته لابن قندس والانصاف للمرداوي والتنقيح له وحاشيته للحجاوي وغاية المطلب للجراعي والشرح الكبير لابن أبي عمر المقدسي والمحرر للمجد وعدة من كتب فقه المذهب ومن كتب الآثار سيرة ابن هشام وسيرة الحلبي وسيرة الشمس الشامي والمواهب اللدنية وتحبير الوفا لنا وزاد المعاد في هدى خير العباد للامام المحقق بن القيم واغاثة اللهفان ومفتاح دار السعادة والروح وحادى الارواح وشرح منازل السائرين والكلم الطيب والعمل الصالح وأعلام الموقعين والداء والدواء وروضة المحبين ونزهة المشتاقين والاحكام الشرعية وتحفة الودود وجلاء الافهام وغير هذه المذكورات من كتبه ومن كتب ابن الجوزى التبصرة والمنهل المورود ومنتخب المنتخب ومواسم العمر والموضوعات وصيد الخاطر وآداب النساء ومن كتب الحافظ ابن رجب لطايف المعارف وشرح الاربعين النووية واختيار الأولى واستنشاق نسيم الأنس والذل والانكسار وغيرها من كتبه المفيدة وأجزائه العديدة ومن كتب ابن تيمية طيب الله ثراه الفتاوي

المصرية والرسالة الحموية والجواب الصحيح ورفع الملام عن أئمة الاسلام والوابل الصيب في الكلم الطيب والسياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية وقواعد ورسائل له يكثر ذكرها ومن كتب التفسير البغوي والثعلبي والبيضاوي والجلالين والواحدي وغيرها ومن كتب اللغة القاموس وجمهرة ابن دُريد ونهاية ابن الأثير ومطالع الانوار وغريب ابي عبيد وغريب لغة الاقناع والمطلع ومن الكتب المختصة بالحديث الترغيب والترهيب للحافظ المنذري وتنبيه الغافلين للسمرقندي والجامع الصغير للجلال السيوطي وشروحه والهيئة السنية في الهيئة السنية له والاوائل له وأوائل على دده والتمييز لابن الديبع تلميذ السخاوي اختصره من المقاصد الحسنة فيما يدور من الاحاديث على الالسنة وتسهيل السبيل لغرس الدين وموضوعات علي القاري ومسند الامام أحمد والصحيحين وبقية الصحاح والسنن وفضائل الاعمال للضياء المقدسي وغير ما ذكرنا فقد جمعته من أكثر من ثلثمائة كتاب التي نقلت منها وبحسب مواد أصلها تزيد على الالوف والله الموفق { وسميته غذاء الالباب لشرح منظومة الآداب) (وصدرته) بمقدمة تشتمل على أمرين (الامر الاول) هذه القصيدة من بحر الطويل من الضرب الثاني وله عروض واحدة مقبوضة والقبض حذف خامس الجزء واضربه ثلاثة (الاول) صحيح وبيته

(أبا منذر كانت غرورا صحيفتي * ولم أعطكم بالطوع مالي ولا عرضي)

(الثاني) مثلها وبيته

(ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود)

(والثالث) محذوف وبيته كقول الشاعر

(أقيموا بني النعمان عنا صدوركم * والا تقيموا صاغرين الرؤوسا)

والحذف هو ذهاب سبب خفيف كما في البيت وأجزاء الطويل ثمانية فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن » ولنقطع البيت الاول من قصيدة الناظم رحمه الله تعالى ورضي عنه ليقاس عليه نظائره (بحمد) فعول دخله القبض وهو حذف خامس الجزء ساكنا كما هنا (كذا الاكرا) مفاعيلن (م مارم) فعولن (تابتدي) مفاعلن بحذف خامسه ساكنا لان عروضه لا تكون الا كذلك

(كثيرا) فعولن (كما ترضى) مفاعيلن (بغير) فعول بحذف ساكن السبب الخفيف وهو قبض لانه خامس الجزء كما علمت (تحدد) مفاعلن والحرف المشدد بحرفين والعروض مؤنثة وهي آخر المصراع الاول والضرب مذكر وهو آخر المصراع الثاني وأما القافية فهي من آخر البيت الى أول متحرك قبل ساكن بينهما وتكون بعض كلمة كما في قول امرىء القيس

وقوفا بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجمل

هي من الحاء الى الياء وتكون كلمة كقوله

ففاضت دموع العين مني صبابة على النحر حتى بل دمعي محملي

وفي منظومة الناظم آخر البيت الياء الساكنة في جميع القصيدة والمتحرك الذي قبل ساكن هو الدال المهملة والله تعالى أعلم (الثاني في ذكر ترجمة الناظم) رحمه الله تعالى ورضي عنه هو محمد بن عبد القوي بن بدران بن عبد الله المقدسي المرداوي الفقيه المحدث النحوي شمس الدين ابو عبد الله ولد سنة ثلاثين وستمائة بمردا وسمع الحديث من خطيب مردا وعثمان بن خطيب القرافة وابن عبد الهادي وابراهيم بن خليل وغيرهم وطلب وقرأ بنفسه وتفقه علي الشيخ الامام شمس الدين بن ابي عمر وغيره و برع في العربية واللغة واشتغل ودرس وافتى وصنف (وقال) الذهبي كان حسن الديانة دمث الاخلاق كثير الافادة مطرحا للتكليف ولى تدريس الصالحية مدة وكان يحضر دار الحديث ويشتغل بها و بالجبل يعني صالحية دمشق وله حكايات ونوادر وكان من محاسن الشيوخ قال الذهبي وجلست عنده وسمعت كلامه ولى منه اجازة (قال) الحافظ بن رجب في الطبقات درس بالمدرسة الصالحية بعد ابن الواسطي وتخرج به جماعة من الفضلاء وممن قرأ عليه العربية الشيخ الامام شيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية قدس الله روحه وله تصانيف منها في الفقه القصيدة الطويلة الدالية وكتاب مجمع البحرين لم يتمه وكتاب الفروق وعمل طبقات للاصحاب وحدث وروي عنه اسماعيل ابن الخباز في مشيخته قال وتوفي ثاني عشر ربيع الاول سنة تسع وتسعين وستماية ودفن بسفح قاسيون رحمه الله ورضى عنه امين (قال) الشيخ موسى بن احمد بن موسي بن

سالم الحجاوي صاحب الاقناع ولما نظم يعني ابن عبد القوي القصيدة الطويلة في الفقه أتبعها بهذه القصيدة في الآداب اقتداء بطريقة جماعة من الاصحاب كابن ابي موسى والقاضي وابن حمدان في رعايته وصاحب المستوعب وغيرهم في اتباع الكتاب بخاتمة في الآداب فأتبع كتابه بهذه القصيدة قلت وممن سلك هذا الاسلوب من المتاخرين الامام ابو بكر بن زيد الجراعي في كتابه غاية المطلب (قال) الامام العلامة شيخ الاسلام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مفلح في صدر آدابه الكبرى وقد صنف في هذا المعنى يعني الآداب كثير من أصحابنا كأبي داود الامام السجستاني صاحب السنن وأبي بكر الخلال وأبي بكر عبد العزيز وأبي حفص وأبي علي بن أبي موسى والقاضي أبي يعلى وابن عقيل وغيرهم قال وصنف في بعض ما يتعلق به كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعاء والطب واللباس وغير ذلك أبو بكر الاجري وأبو محمد الخلال والقاضي أبو يعلى وابنه أبو الحسين وابن الجوزي وغيرهم انتهى (واعلم) أن البسملة ساقطة من أول النظم وكان ذلك لكون المنظومة تتمة للقصيدة الطويلة أو أن الناظم رحمه الله تعالى أتى بها لفظاً أو لفظا وخطا كما هو موجود في بعض النسخ وأسقطها بعض النساخ ونحن نأتي بها فنقول (بسم الله الرحمن الرحيم) انما بدأ المصنفون كتبهم بالبسملة تأسياً بالكتاب القديم واقتداء بالرسول الكريم في مكاتباته الى الملوك وغيرهم وعملا بحديث كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر أي ذاهب البركة رواه الخطيب في كتابه الجامع فالباء للمصاحبة أو الاستعانة متعلقة بمحذوف وتقديره فعلا خاصا مؤخرا أولى أما كونه فعلا فلأن أصل العمل للافعال وأما كونه خاصا فلأنه أنسب وأما كونه مؤخرا ليكون الابتداء بالبسملة حقيقة والاسم مشتق من السمو وهو العلو أو السمة وهي العلامة والله علم للذات الواجب الوجود لذاته المستحق لجميع الكمالات وهو مشتق عند سيبويه واشتقاقه من اله كعلم اذا تحير لتحير الخلق في كنه ذاته تعالى وتقدس وقيل من لاه يليه اذا علا او من لاه يلوه اذا احتجب وهو عربي عند الاكثر وزعم البلخي من المعتزلة انه معرب فقيل عربي وقيل سرياني ولكن القول بانه معرب ساقط لا يلتفت اليه وهو الاسم الاعظم عند اكثر اهل العلم وعدم

الاجابة لاكثر الناس مع الدعاء به لتخلف بعض شروطه التي من اهمها الاخلاص واكل الحلال (وقال) الامام ابن القيم وجمع الاسم الاعظم الحي القيوم قال في نونيته

اسم الاله الاعظم اشتملا على اسـ ... ـم الحي والقيوم مقترنان

فالكل مرجعها الى الاسمين يد ... ري ذاك ذو بصر بهذا الشان

والرحمن صفة في الاصل بمعني كثير الرحمة جدا ثم غلب علي البالغ في الرحمة غايتها وهو الله تعالى والرحيم ذو الرحمة الكثيرة فالرحمن ابلغ منه واتي به اشارة الي ان مادل عليه من دقائق الرحمة وان ذكر بعد مادل على جلائلها الذي هو المقصود الاعظم مقصود ايضاً لئلا يتوهم انه غيرملتفت اليه وانما قدم الله على الرحمن الرحيم لانه اسم ذات في الاصل وهما اسما صفة في الاصل والذات متقدمة على الصفة وانما قدم الرحمن على الرحيم لان الرحمن خاص بالله تعالي فلا يقال لغير الله جل شأنه واما قول بني حنيفة في مسيلمة الكذاب رحمان اليمامة وقول شاعرهم . وأنت غيث الوري لازلت رحمانا . فقال الزمخشري من تعنتهم في كفرهم والا فهو كالله خاص بالله لغة وشرعاً قال ومن ثم اخر عن الله بخلاف الرحيم فليس خاصاً به تعالى بل عام به وبغيره تعالي لمن قام به معناه. واعترض بما خرجه ابن ابي حاتم عن الحسن البصري انه قال الرحيم لا يستطيع احد ان ينتحله وحمله الحافظ السيوطي على المعرف بال دون المنكر والمضاف والخاص مقدم على العام ولانه ابلغ من الرحيم كما اشرنا لزيادة بنائه على الرحيم وزيادة البناء تدل على زيادة المعني غالبا كما في قطع وقطع فان قيل العادة تقديم غير الابلغ ليترقي منه الى الابلغ كما في قولهم عالم نحرير وجواد فياض فالجواب قد قيل ان الرحيم ابلغ وقيل هما سواء غير انه قد خص كل منهما بشيء فقيل رحمن الدنيا ورحيم الاخرة وقيل عكسه وقيل الرحمن امدح والرحيم الطف وقيل انما خولفت العادة لانه أريد ان يردف الرحمن الذى تناول جلائل النعم واصولها بالرحيم ليكون كالتتمة والرديف لتناوله مادق منها ولطف كما اشرنا اليه وقد قال ابن هشام في المغني الحق قول الاعلم وابن مالك ان الرحمن ليس بصفة بل علم قال وبهذا لايتجه السؤال وينبني على علميته انه في البسملة ونحوها بدل لانعت وان الرحيم بعده نعت له لانعت لاسم الله اذلا يقدم البدل على النعت قال ومما يوضح انه غير صفة

مجيئه كثيراً غير تابع نحو الرحمن علم القرآن قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن واذا قيل
لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انتهى واعترض بان مجيئه كثيرا غير تابع
لا يدل على عدم الصفة لان الموصوف اذا علم جاز حذفه وابقاء صفته كقوله تعالى ومن
الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك اي نوع مختلف الوانه كاختلاف
السموات والجبال وعلى المشهور انه صفة كالرحيم بحسب الاصل فمشتقان من رحم
بجعله لازما بنقله الى باب فعل بضم العين او بتنزيله منزلة اللازم اذ هما صفتان
مشبهتان وهي لا تشتق من متعد ورحمته تعالى صفة قديمة قائمة بذاته تعالى تقتضي
التفضل والانعام واما تفسيرها برقة في القلب تقتضي الانعام كما في الكشاف وغيره
انما يليق برحمة المخلوق ونظير ذلك العلم فان حقيقته المتصف بها تعالى ليست مثل
الحقيقة القائمة بالمخلوق بل نفس الارادة التي يردون الرحمة اليها هي في حقه تعالى
مخالفة لارادة المخلوق اذ هي ميل قلبه الى الفعل او الترك وارادته تعالى بخلاف ذلك وكذا
رد الزمخشري لها في حقه تعالى الى الفعل بمعنى الانعام مع ان فعل العبد الاختياري انما
يكون لجلب نفع للفاعل او دفع ضرر عنه وفعله تعالى بخلاف ذلك فما فروا اليه فيه
من المحذور نظير الذي فروا منه وبهذا يظهر انه لا حاجة الى دعوى المجاز في رحمته
تعالى اذ هو خلاف الاصل المقتضي لصحة نفيها عنه وضعف المقصود منها فيه كما هو شان
المجاز اذ يصح ان تقول لمن قال زيد اسد ليس باسد وليست جراءته كجراءته
والحاصل ان الصفة تارة تعتبر من حيث هي هي وتارة من حيث قيامها به تعالى وتارة من
حيث قيامها بغيره تعالى وليست الاعتبارات الثلاثة متماثلة اذ ليس كمثله تعالى شيء لا في
ذاته ولا في شيء من صفاته ولا في شيء من أفعاله ذكر ذلك الامام العلامة ابن القيم
في كتابه بدائع الفوائد (واعلم) ان الحديث الذي قدمناه وهو كل امر ذي بال لا يبدا
فيه بيسم الله الرحمن الرحيم فهو ابتر قدروي بلفظ كل أمر ذي بال لا يبدا فيه
بالحمد لله فهو اقطع رواه ابو داود وابن ماجه من حديث ابي هريرة مرفوعاً قال
المناوي باسناد حسن وفي رواية عند البغوي بحمد الله والكل بلفظ اقطع وفي
رواية اجذم وفي رواية كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بيسم الله الرحمن الرحيم
فهو أقطع ايضا وفي رواية لا يبدا فيه بذكر الله فتكون الروايات بيسم الله الرحمن

الرحيم و بالحمد لله و بحمد الله و بذكر الله واقطع وهو اكثر الروايات وابتر واجذم ومعنى ذي بال اي صاحب حال وشان يهتم به شرعاً فيخرج المحرم والمكروه ومعني الابتر والاقطع والاجذم ناقص البركة فان البتر قطع الذنب والقطع اعم من ذلك والجذم قطع الاطراف او فسادها ولكن في المعنوى ناقص البركة بجامع ان كلا منهما ناقص وللاحظة الناظم رحمه الله تعالى رواية كل امرذي بال لايبدأ فيه بحمد الله بدأ منظومته بذلك فقال

بِحَمْدِكَ ذِي الإِكْرَامِ مَارُمْتُ أَبْتَدِي ... كَثِيرًا كَمَا تَرْضَى بِغَيْرِ تَحَدُّدِ

(بحمدك) اي بوصفك الجميل الاختياري على قصد التعظيم والتبجيل وهذا معنى قولهم الحمد لغة هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري على جهة التعظيم والتبجيل والحمد عرفا فعل ينبيء عن تعظيم المنعم من حيث انه منعم على الحامد او غيره واما الشكر لغة فهو الحمد العرفي وعرفا صرف العبد جميع ماانعم الله به عليه الى ما خلق لاجله فبين الحمد اللغوي والعرفي عموم وخصوص من وجه فيجتمعان فيما اذا كان باللسان في مقابلة نعمة وينفرد اللغوى فيما اذا كان باللسان لا في مقابلة نعمة وينفرد العرفي بصدقه بغير اللسان في مقابلة نعمة فورد الحمد العرفي اعم وهو اللسان والاركان ومتعلقه اخص وهو كونه في مقابلة نعمة والحمد اللغوي عكسه والحمد اللغوي مع الشكر اللغوي كذلك اذ الشكر اللغوي هو الحمد العرفي كما علم وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يفتتح خطبه بالحمد لله والثناء عليه ولذا جعلت فاتحة الكتاب في اول المصحف لافتتاحها بالحمد لله وتضمنها الثناء عليه سبحانه وتعالى ونقيض الحمد الذم ونقيض الشكر الكفر (ذى) اي صاحب (الاكرام) فذى بدل من الكاف في بحمدك والاكرام مضاف اليه أى مكرم انبيائه واوليائه بلطفه ومنته وفي القرآن ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وفي الحديث الشريف عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم من صلاته لم يقعد الا مقدار مايقول اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام رواه مسلم (ما) موصول حرفي (رمت) من الروم وهو الطلب كالمرام (ابتدى) اى آتي في ابتداء كلامي اى روم

ابتدائي كأن بحمدك اوموصول اسمي اي الذي رمت ابتداءه كأن بحمدك فبحمدك
متعلق بمحذوف خبر مقدم وروم ابتدائي مبتدا موخر يقال ابتدأ الشيء فعله ابتداء كابداه
وابتداه (كثيراً) صفة لمصدر محذوف اي ابتدى بحمدك حمداً كثيراً (كما) اى كالذي
(ترضاه) ياذا الجلال والاكرام (بغير تحدد) بل مطلق عن التحديد والتقييد لان العبد
ولو افنى عمره في الثناء على ربه جل شانه ما أدى عشر معشار ما له عليه سبحانه ولكنه
جل شانه لعظيم لطفه ورحمته يرضى من عباده باليسير مع الاعتراف بالعجز والتقصير
(وفي) السنن عن رفاعة بن رافع رضي الله عنه قال صليت خلف رسول الله صلى الله عليه
وسلم فعطست فقلت الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى فلما صلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف فقال من المتكلم في الصلاة فلم يجبه احد ثم قالها
الثانية من المتكلم في الصلاة فقال رفاعة بن رافع انا يا رسول الله قال كيف قلت
قال قلت الحمد لله حمدا كثيراً طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى فقال والذى
نفسى بيده لقد ابتدرها بضعة وثلاثون ملكا ايهم يصعدها قال الترمذى حديث
حسن (وفي) سنن ابى داود عن عامر بن ربيعة قال عطس شاب من الانصار خلف
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الصلاة فقال الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركا فيه حتى
يرضى ربنا وبعدما يرضى من أمر الدنيا والآخرة فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من القائل الكلمة فسكت الشاب ثم قال من القائل الكلمة فانه لم يقل بأساً فقال يارسول
الله أنا قلتها لم أرد بها الاخيرا قال ما تناهت دون عرش الرحمن جل ذكره (وفي)
مسند الامام احمد رضي الله عنه عن وائل بن حجر رضي الله عنه قال صليت مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال رجل الحمد لله كثيرا طيبا مباركا فيه فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من القائل قال الرجل أنا يا رسول الله وما أردت الا خيرا فقال لقد فتحت لها
أبواب السماء فلم ينهها شيء دون العرش (فائدة) ذكر بعض الناس أن أفضل صيغ
الحمد الحمد لله رب العالمين حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده ورفع ذلك للامام المحقق
شمس الدين ابن القيم طيب الله ثراه فانكر على قائله غاية الانكار بان ذلك لم يرد
في الصحاح ولا السنن ولا يعرف في شيء من كتب الحديث المعتمدة ولا له اسناد
معروف وانما يروى عن ابي نصر التمار عن سيدنا آدم ابي البشر عليه الصلاة والسلام

قال ولا يدرى كم بين آدم وابي نصر الا الله تعالى قال ابو نصر قال آدم يا رب شغلتني بكسب يدى فعلمني شيئاً من مجامع الحمد والتسبيح فاوحى الله اليه يا آدم اذا اصبحت فقل ثلاثا واذا امسيت فقل ثلاثا الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ويكافىء مزيده فذلك مجامع الحمد والتسبيح قال ابن القيم فهذا لو رواه ابو نصر التمار عن سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم لما قبلت روايته لانقطاع الحديث فيما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف بروايته له عن آدم قال وبني على هذا بعض الناس مسئلة فقهية فقال لو حلف انسان ليحمدن الله تعالى بمجامع الحمد واجل المحامد فطريقه في بر يمينه ان يقول الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافىء مزيده قال ومعنى يوافي نعمه اى يلاقيها فتحصل النعم معه ويكافىء مهموز اى يساوى مزيد نعمه والمعنى انه يقوم بشكر مازاد من النعم والاحسان ثم رد هذا بما يطول والحاصل ان العبد لا يحصى ثناء على ربه ولو اجتهد في الثناء طول عمره (روى) الامام احمد في الزهد عن الحسن قال قال داود الهي لوان لكل شعرة مني لسانين يسبحانك الليل والنهار والدهر كله ما قضيت حق نعمة واحدة وروى فيه ايضا عن المغيرة بن عتبة قال لما انزل الله على داود اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور قال يا رب كيف اطيق شكرك وانت الذى تنعم علي ثم ترزقني على النعمة الشكر ثم تزيدني نعمة بعد نعمة فالنعمة منك يا رب فكيف اطيق شكرك قال الآن عرفتني يا داود انتهى فلا يطمع العبد في اداء شكر أقل نعمة الا بالاعتراف بالعجز

وَصَلِّ عَلَى خَيْرِ الْأَنَامِ وَآلِهِ ‏ ‏ ‏ وَأَصْحَابِهِ مِنْ كُلِّ هَادٍ وَمُهْتَدِ

(وصل) يحتمل ان يكون صنيع الناظم رحمه الله على طريق الالتفات للمخاطب وتكون الواو عاطفة على جملة مقدرة اى احمد ربك ذا الاكرام وصل ويحتمل انه اراد وصل يا الله فان صل فعل دعاء وكنت رايت في بعض النسخ ما هذا صورته . بحمدك ذى الاكرام مارمت ابتدى . كذاك كما ترضى بغير تحدد . اصلي الخ فيكون المعنى كما ان روم ابتدائي بحمدك كذلك اى مثله كما ترضاه بغير تحدد اصلي وبغير تحدد متعلق باصلي ويكون شطر البيت الاول متعلقاً بالثاني والصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة

الاستغفار ومن الآدميين التضرع والدعاء بخير قال الضحاك صلاة الله رحمته وصلاة الملائكة الدعاء وقال المبرد اصل الدعاء الرحم فهو من الله رحمة ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة من الله وقيل صلاة الله مغفرته وهو مروي عن الضحاك ايضا نقله الامام ابن القيم في كتابه جلاء الافهام في فضل الصلاة والسلام على خير الانام ولم يرض ذلك وانما اختار كون الصلاة من الله تعالى ثناؤه جل شأنه عليه وارادته لرفع ذكره وتقريبه وكذلك ثناء ملائكته عليه صلى الله عليه وسلم وذكر البخاري في صحيحه عن ابي العالية قال صلاة الله على رسوله ثناؤه عليه عند ملائكته انتهى واما صلاة الملائكة والآدميين فهي سؤالهم الله تعالى ان يفعل ذلك به ويكون تسمية العبد مصليا لوجود حقيقة الصلاة منه فان حقيقتها الثناء وارادة الاكرام والتقريب واعلاء المنزلة والانعام فهو حاصل من العبد غير انه يريد ذلك من الله عز وجل والله جل شأنه يريد ذلك من نفسه أن يفعله برسوله وأطال الكلام على ذلك والحاصل أن المشهور في تفسير الصلاة ما ذكرناه أولا غير أن كلام ابن القيم في غاية التحقيق والله ولي التوفيق (على خير الانام) كسحاب والآنام بالمد والانيم كأمير الخلق أو الانس والجن أو جميع ما على وجه الارض كما في القاموس ولا شك أنه صلى الله عليه وسلم خير الخلائق تفصيلا وجملا قال ابن عباس رضي الله عنهما ما خلق الله خلقا ولا برأه أحب اليه من محمد صلى الله عليه وسلم وفي أبي نعيم عن عبد الله بن سلام أنه صلى الله عليه وسلم قال أنا أول من تنشق عنه الارض ولا فخر وروى البغوي وغيره عن أبي سعيد مرفوعا قال أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من تنشق عنه الارض يوم القيامة ولا فخر وأنا أول شافع يوم القيامة ولا فخر ونحوه عن أبي هريرة والاحاديث في ذلك كثيرة معلومة وانما أتبع الناظم الحمدلة بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لما ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله والصلاة علي فهو أقطع أبتر ممحوق البركة قال في تسهيل السبيل وهو ضعيف قلت وظاهر كلام الامام ابن القيم عدم ضعفه قال في كتابه جلاء الافهام الموطن الاربعون من مواطن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند كل ذي بال فانه يبتدأ بحمد الله تعالى والثناء عليه ثم بالصلاة على رسوله صلى الله عليه

وسلم ثم يذكر كلامه بعد ذلك أما ابتداؤه بالحمد فلما في مسند الامام احمد وسنن
أبي داوود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه
قال كل كلام لا يذكر الله فيه فيبدأ به وبالصلاة علي فهو أقطع ممحوق من كل
بركة انتهي وفي صحيح مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا (وعن) أنس رضي الله
عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ذكرت عنده فليصل علي ومن صلى علي
مرة صلى الله عليه عشرا وفي رواية من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر
صلوات وحط عنه عشر خطيآت رواه الطبراني في الصغير والاوسط وأخرج الامام
احمد باسناد حسن عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال من صلى
على النبي صلى الله عليه وسلم واحدة صلى الله عليه وملائكته سبعين صلاة
(وعن) أبيّ ابن كعب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
ذهب ربع الليل قام فقال يا أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة
تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه قال أبيّ بن كعب فقلت يا رسول
الله اني أكثر الصلاة فكم أجعل لك من صلاتي قال ما شئت قلت الربع قال
ما شئت وان زدت فهو خير لك قلت النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير لك
قلت أجعل لك صلاتي كلها قال اذن تكفي همك ويغفر ذنبك رواه الامام احمد
والترمذي والحاكم وصححه وقال الترمذي حديث حسن صحيح (وفي) رواية
للامام احمد باسناد جيد عنه قال قال رجل يا رسول الله أرأيت ان جعلت صلاتي
كلها عليك قال اذن يكفيك الله تبارك وتعالى همك من دنياك وآخرتك قال الحافظ
المنذري قوله يعني أبيّ بن كعب أكثر الصلاة فكم أجعل لك من صلاتي معناه أكثر
الدعاء فكم أجعل لك من دعائي قال في جلاء الافهام وسئل شيخنا أبو العباس عن
تفسير هذا الحديث فقال كان لأبيّ بن كعب دعاء يدعو به لنفسه فسأل النبي صلى الله
عليه وسلم هل يجعل له منه ربعه صلاة عليه صلى الله عليه وسلم فقال ان زدت فهو
خير لك فقال له النصف فقال ان زدت فهو خير لك الى أن قال أجعل لك صلاتي
كلها أي أجعل دعائي كله صلاة عليك قال اذن تكفى همك ويغفر لك ذنبك لان من

صلى على النبي صلى الله عليه وسلم صلاة صلى الله عليه بها عشرا ومن صلى الله عليه كفاه همه وغفرله ذنبه انتهى كلامه رضي الله عنه (وعن) علي كرم الله وجهه قال كل دعاء محجوب حتى يصلي على محمد صلى الله عليه وسلم رواه الطبراني في الاوسط موقوفا ورواته ثقاة ورفعه بعضهم والموقوف أصح ورواه الترمذي عن أبى قرة الاسدي عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب به موقوفا قال ان الدعاء موقوف بين السماء والارض لا يصعد منه شيء حتى يصلي علي نبيك محمد صلى الله عليه وسلم قال الامام ابن القيم في جلاء الافهام الموطن السابع من مواطن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند الدعاء وله ثلاث مراتب احداها أن يصلي قبل الدعاء و بعد حمد الله الثانية أن يصلي عليه في أول الدعاء وأوسطه وآخره الثالثة أن يصلي عليه في أوله وآخره ويجعل حاجته متوسطة بينها أما دليل المرتبة الاولى فحديث فضالة بن عبيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى احدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه ثم يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو بعد بما شاء رواه الامام احمد وابو داود والنسائي والترمذى وقال حديث صحيح واما الثانية فحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوني كقدح الراكب فذكر الحديث وقال اجعلوني في وسط الدعاء وفي اوله وفي آخره رواه الطبراني واما الثالثة فقال في جلاء الافهام عن احمد بن ابي الحوارى سمعت ابا سليمان الداراني رحمه الله يقول من اراد ان يسأل الله حاجته فليبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وليسال حاجته وليختم بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مقبولة والله سبحانه وتعالى اكرم ان يرد مابينهما انتهى وروى ابو الشيخ عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ما دام اسمي في ذلك الكتاب قال في جلاء الافهام رواه غير واحد عن اسيد كذلك ورواه اسحق بن وهب العلاف عن بشر ابن عبيد فقال عن حازم بن بكر عن يزيد بن عياض عن الاعرج عن ابى هريرة قال وفي الباب عن ابى بكر الصديق وابن عباس وعائشة رضي الله عنهم وروى سليمان بن الربيع عن ابن عباس رضي الله عنهما قال

مطلب في مراتب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند الدعاء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الصلاة جارية له ما دام اسمي في ذلك الكتاب وذكر الامام ابن القيم في جلاء الافهام من طريق جعفر بن علي الزعفراني قال سمعت خالي الحسن بن محمد يقول رايت احمد بن حنبل رضي الله عنه في النوم فقال يا ابا علي لو رايت صلاتنا على النبي صلى الله عليه وسلم في الكتب كيف تزهو بين يدينا ولذا قال سفيان الثوري لو لم يكن لصاحب الحديث فائدة الا الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يصلى عليه ما دام اسمه في ذلك الكتاب صلى الله عليه وسلم وقال عبد الله بن عبد الحكم رايت الشافعي رضى الله عنه في النوم فقلت ما فعل الله بك فقال رحمني وغفر لي وزفني الى الجنة كما تزف العروس ونثر علي كما ينثر على العروس فقلت بما ذا بلغت هذه الحالة فقال لي قائل بقولك في كتاب الرسالة من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم قلت فكيف ذلك قال وصلى الله على محمد عدد ما ذكره الذاكرون وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون فلما اصبحت نظرت الى الرسالة فوجدت الامر كما رايت صلى الله عليه وسلم وذكر في جلاء الافهام من هذا اشياء كثيرة وفي حديث ابن عباس مرفوعاً جاءني جبريل عليه السلام فقال انه من ذكرت عنده فلم يصل عليك فابعده الله واسحقه فقلت آمين رواه الترمذي وحسنه ومن حديث كعب بن عجرة رضى الله عنه مرفوعاً ان جبريل عرض لي فقال بعد من ذكرت عنده فلم يصل عليك فقلت آمين رواه الحاكم (وقال) صحيح الاسناد والترمذى وحسنه عن ابي هريرة مرفوعاً رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وعن الحسين بن علي رضوان الله عليهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي رواه النسائى وابن حبان فى صحيحه والحاكم وصححه والترمذي وزاد في سنده على ابن ابي طالب وقال حديث حسن صحيح غريب وما احسن قول الامام الصرصرى في ذلك

من لم يصل عليه ان ذكر اسمه	فهو البخيل وُزده وصف جبان
واذا الفتي في العمر صلى مرة	في سائر الاقطار والبلدان
صلى عليه الله عشرا فليزد	عبـد ولا يجنح الى نقصان

واخرج النسائي عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع قوم ثم تفرقوا عن غير ذكر الله عز وجل وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الا قاموا عن انتن من جيفة ورواه ابوداود الطيالسى الا انه قال الا قاموا عن انتن جيفة قال الامام ابو عبد الله المقدسى هذا على شرط مسلم وفضل الصلاة على النبي صلي الله عليه وسلم ومواطنها ومتعلقات ذلك اكثر من ان تذكر في مثل هذا المختصر وانما ذكرنا طرفا من ذلك ليكون كالانموذج ومالا يدرك كله لا يترك بعضه (وآله) اي اتباعه علي دينه قال الامام ابن القيم في جلاء الافهام قالت طائفة يقال آل الرجل له نفسه وآله لمن تبعه وآله لاهله واقاربه فمن الاول قول النبي صلى الله عليه وسلم لما جاءه ابو أوفي بصدقته اللهم صل علي آل ابي أوفي وقوله تعالى سلام على آل يس وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على محمد وعلي آل محمد كما صليت على آل ابراهيم فآل ابراهيم هو ابراهيم لان الصلاة المطلوبة للنبي صلي الله عليه وسلم هي الصلاة على ابراهيم نفسه وآله تبع له فيها ونازعهم في ذلك آخرون وقالوا لا يكون الآل الا الاتباع والاقارب وقالوا وما ذكروا من الأدلة المراد بها الاقارب ثم اختار من القولين ان الآل ان افرد دخل فيه المضاف اليه كقوله تعالى أدخلوا آل فرعون أشد العذاب واما ان ذكر الرجل ثم ذكر آله لم يدخل فيهم واختلف في آل النبي صلي الله عليه وسلم على اربعة اقوال فقيل هم الذين حرمت عليهم الصدقة وفيهم ثلاثة اقوال احدها انهم بنو هاشم و بنو المطلب وهذا مذهب الشافعي واحمد في رواية عنه والثاني انهم بنوا هاشم خاصة وهذا مذهب ابي حنيفة والرواية الثانية عن الامام احمد وهي المذهب الذي لا يفتي بغيره كما في الاقناع والمنتهي وغيرهما الثالث انهم بنو هاشم ومن فوقهم الى غالب فيدخل فيهم بنو المطلب و بنو امية و بنونوفل ومن فوقهم الى بني غالب وهذا اختيار اشهب من اصحاب مالك القول الثاني ان آل النبي صلى الله عليه وسلم هم ذريته وازواجه خاصة حكاه ابن عبد البر في التمهيد والقول الثالث ان آله صلى الله عليه وسلم اتباعه الى يوم القيامة حكاه ابن عبد البر عن بعض اهل العلم واقدم من روي عنه هذا القول جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ذكره البيهقي واختاره بعض الشافعية قلت وغالب

علمائنا المتأخرين في مقام الدعاء خاصة والقول الرابع ان آله صلى الله عليه وسلم هم الا تقيا من امته حكاه القاضي حسين والراغب وجماعة وهل اصله اهل ثم قلبت الهاهمزة فقيل أأل ثم سهلت على قياس امثالها فقيل آل بدليل تصغيره على أهيل او اول من آل يؤول اذا رجع فآل الرجل هم الذين يرجعون اليه ويضافون ويؤولهم اي يسوسهم فيكون مآلهم اليه ظاهر كلامه في جلاء الافهام ترجيح الثاني وفي القاموس آله اهل الرجم واتباعه واولياؤه ولا يستعمل الا فيما فيه شرف غالبا فلا يقال آل الاسكاف كما يقال اهله قال واصله أهل ابدلت الهاء همزة فصارت أأل توالت همزتان فابدلت الثانية الفا تصغيره اويل واهيل انتهى قال في جلاء الافهام قال أصحاب القول الثاني والتزمت العرب اضافته فلا يستعمل مفرداً الا نادراً كقوله الشاعر .

نحن آل الله في بلدتنا • لم نزل آلا على عهد أرم

والتزموا ايضا اضافته الى الظاهر فلا يضاف الى مضمر الا قليلا وعند بعض العلماء اضافته الى المضمر لحن قال ابن مالك والصحيح ليس بلحن بل هو من كلام العرب لكنه قليل قال تلميذه في كتابه المطلع والصواب جواز أضافته الي المضمر ومنه قول الشاعر .

انا الفارس الحامي حقيقة والدى وآلى فما تحمي حقيقة آلكا

وقال عبد المطلب في الفيل واصحابه .

وانصر على آل الصليـ ـب وعابديه اليوم آلك

فاضافه الى آلياء والكاف وزعم بعض النحاة انه لا يضاف الا الى علم من يعقل وفى كلام العرب خلافه قال الشاعر

نجوت ولم يمنن عليك طلاقة سوي زيد التقريب من آل اعوجا

واعوج علم فرس وانما تبع الناظم الآل لرسول الملك المتعال لما تظافرت به الاخبار وصحت به الآثار من قوله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم الى مالا نحصيه عدا الا بالاطالة (وأصحابه) جمع صاحب قال ابن الاثير في النهاية ولم يجمع فاعل على فعالة الا هذا قال في القاموس صحبه كسمعه صحابة

ويكسر وصحبه عاشره وهم اصحاب واصحاحيب وصحبان وصحاب وصحابة وصحابة وصحب واستصحبه دعاه الى الصحبة ولازمه والصحابي من اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم ولو لحظة وان لم يره ولم يرو عنه مؤمنا ومات على ذلك ولو تخلله ردة وقسم الامام الحافظ بن الجوزى الصحبة الى ثلاث مراتب الأولى من كثرت مخالطته ومعاشرته للنبي صلى الله عليه وسلم بحيث لا يعرف صاحبها الا بها فيقال هذا صاحب فلان وخادم فلان لمن تكررت خدمته لا لمن خدمه مرة او ساعة او يوما الثانية من اجتمع به صلى الله عليه وسلم مؤمنا ولو مرة واحدة لانه يصدق عليه انه صحبه ولكنه لم ينته الى الاشتهار به حتى يصير يعرف الثالثة من رآه صلى الله عليه وسلم رؤية ولم يجالسه ولم يماشه فهذا الحقوه بالصحبة الحاقا وان كانت حقيقة الصحبة لم توجد في حقه ولكن صحبة الحاقية حكمية لشرف قدر النبي صلى الله عليه وسلم لاستواء الكل في انطباع طلعة المصطفى صلى الله عليه وسلم فيهم برؤيته اياهم او رؤيتهم اياه مؤمنين بما جاء به وان تفاوتت رتبهم رضوان الله عليهم (من كل صحابي (هاد) لغيره اى مرشد ودال ومن كل (مهتدي) فى نفسه يقال هداه هدى وهديا وهداية وهدية بكسرهما ارشده فهدى واهتدى وهداه الله الطريق دله والهدى بضم الهاء وفتح الدال الرشاد كما في القاموس قال ابن القيم في كتابه بدائع الفوائد الهداية اربعة انواع (احدها) الهداية العامة المشتركة بين الخلق المذكورة في قوله تعالى الذي اعطي كل شيء خلقه ثم هدى اي اعطي كل شيء صورته التى لا يشتبه فيها بغيره واعطي كل عضو شكله وهيئته واعطي كل موجود خلقه المختص به ثم هداه ماخلقه له من الاعمال قال وهذه الهداية تعم الحيوان المتحرك بارادته الى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره قال وللجماد ايضا هداية تليق به كما ان لكل نوع من الحيوان هداية تليق به وان اختلفت انواعها وصورها وكذلك لكل عضو هداية تليق به فهدى الرجلين للمشى واللسان للكلام والعين لكشف المرئيات وهلم جرا وكذا هدي الزوجين من كل حيوان الى الأزدواج والتناسل وتربية الولد والولد الى التقام الثدي عند وضعه ومراتب هدايته سبحانه لايحصيها الاهو الثانى هداية البيان والدلالة والتعريف لنجدى الخير والشر وطريقي النجاة والهلاك وهذه الهدية لا تستلزم الهدي التام

مطلب الصحبة ثلاث مراتب

مطلب الهداية اربعة انواع

فأنها سبب وشرط لا موجب ولهذا ينتفي الهدي معها كقوله تعالى واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى علي الهدى اى بينا لهم وارشدناهم ودللناهم فلم يهتدوا ومنها قوله تعالى وانك لتهدي الى صراط مستقيم (الثالث) هداية التوفيق والالهام وهي الهداية المستلزمة للاهتداء فلا تخلف عنها وهي المذكورة في قوله تعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء وفي قوله تعالى ان تحرص على هداهم فأن الله لا يهدي من يضل وفي قوله صلى الله عليه وسلم من يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادي له وفي قوله تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء فنفى عنه هذه الهداية واثبت له هداية الدعوة والبيان في قوله وانك لتهدي الى صراط مستقيم (الرابع) غاية هذه الهداية وهي الهداية الى الجنة او النار اذا سيق اهلها اليها قال تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بأيمانهم تجرى من تحتهم الأنهار في جنات النعيم وقال اهل الجنة فيها الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لو لا ان هدانا الله وقال في حق اهل النار احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم انتهى وفي البيضاوى الهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير وقوله فاهدوهم الى صراط الجحيم على التهكم ثم قال وهداية الله تتنوع انواعا لا يحصيها عد لكنها تنحصر في اجناس مترتبة الاول افاضة القوى التي بها يتمكن المؤمن الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقليه والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه اشار حيث قال وهديناه النجدين وقال فهديناهم فاستحبوا العمي على الهدى والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب أواياها عني بقوله وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وقوله ان هذا القرآن يهدي للتى هي أقوم والرابع أن يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هي بالوحي أوالالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنيله الانبياء والاولياء واياه عني بقوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا انتهى فالصحابة رضي الله عنهم هداة مهديون وفي صحيح مسلم عن أبي موسى رضي الله عنه مرفوعاً النجوم أمنة للسماء فاذا ذهبت النجوم أتى السماء

ماتوعد وأنا أمنة لاصحابي فاذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنة لامتي فاذا ذهبت أصحابي أتى أمتي ما يوعدون وروي من حديث عمر وابن عباس وجابر رضي الله عنهم مرفوعا أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم رواه الدارمي وغيره وأسانيده ضعيفة وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه والنصيف أحد اللغات الأربع في النصف فانه يقال نصف بكسر النون وفتحها وضمها ونصيف بفتح النون وزيادة الياء والمعنى لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ ثوابه في ذلك نفقة أصحابي مدا ولا نصف مد لأن انفاقهم كان في نصرته صلى الله عليه وسلم وحمايته وذلك معدوم بعده فتضمن ذلك أفضليتهم على غيرهم مطلقا وأن فضيلة نفقتهم على نفقة غيرهم باعتبار فضيلة ذواتهم وفضل الصحابة مشهور وسعيهم مع النبي صلى الله عليه وسلم وبذلهم أنفسهم النفيسة مأثور وصدقهم ومواساتهم وحسن صحبتهم له صلى الله عليه وسلم مشكور (فائدة) ذكر أبو زرعة الرازي واسمه عبد الله بن عبد الكريم شيخ مسلم بن الحجاج أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يزيدون على المائة ألف قال البرماوي في شرح الزهر البسام هذا على الأصح في النقل عنه كما رواه ابن المديني في ذيله على كتاب الصحابة وروي أنهم مائة الف وأربعة وعشرون الفا ممن روي عنه صلى الله عليه وسلم وسمع منه واستبعده البرماوي قلت جزم بهذا العدد الجلال السيوطي في الخصائص الصغرى وأشار اليه شيخنا الشهاب المنيني في نظمها بقوله

مطلب عدد الصحابة الكرام

وصحبه أفضل خلق الله * بعد النبيين بلا اشتباه
هم كالنجوم كلهم مجتهد * ياويل أقوام بهم لم يهتدوا
والفضل فيما بينهم مراتب * وعدهم للأنبيا يقارب

مطلب هل تجوز الصلاة والسلام على غير الانبياء استقلالا أم لا

(تنبيهات) الاول اختلف العلماء في الصلاة على غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام هل تجوز استقلالا أم لا فقال ابن القيم في جلاء الافهام هذه المسألة على نوعين أحدهما أن يقال اللهم صل على آل محمد فهذا يجوز ويكون صلى الله عليه وسلم

داخلا في آله فالافرادعنه وقع في اللفظ لا في المعنى (الثاني) أن يفرد واحدا بالذكر كقوله اللهم صل على علي أو حسن أو أبي بكر أو غيرهم من الصحابة ومن بعدهم فكره ذلك مالك قال لم يكن ذلك من عمل من مضى وهو مذهب أبي حنيفة وسفيان بن عيينة وسفيان الثوري و به قال طاووس وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا تنبغي الصلاة الا على النبي صلى الله عليه وسلم ولكن يدعى للمسلمين والمسلمات بالاستغفار وهذا مذهب عمر بن عبد العزيز روى ابن أبي شيبة عن جعفر بن برقان قال كتب عمر ابن عبد العزيز أما بعد فان ناسا من الناس قد التمسوا الدنيا بعمل الآخرة وان من القصاص قد أحدثوا في الصلاة على خلفائهم وأمرائهم عدل صلاتهم على النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء كتابي فمرهم أن تكون صلاتهم على النبيين ودعاؤهم للمسلمين عامة وهذا مذهب أصحاب الشافعي ولهم ثلاثة أوجه أنه ممنع تحريم أو كراهة تنزيه أو من باب ترك الاولى وليس بمكروه حكاها النووي في الاذكار (وقالت) طائفة من العلماء تجوز الصلاة على غير النبي استقلالا قال القاضي أبو حسين الفرا من أئمة أصحابنا في رؤس مسائله و بذلك قال الحسن البصرى وحصيف ومجاهد ومقاتل بن سليمان ومقاتل بن حيان وكثير من أهل التفسير وهو قول الامام احمد رضي الله عنه مضى عليه في رواية أبي داوود وقد سئل أينبغي أن يصلي على أحد الا على النبي صلى الله عليه وسلم قال أليس قال علي لعمر صلي الله عليك قال القاضي و به قال اسحاق بن راهوية وأبو ثور ومحمد بن جرير الطبرى واحتج هؤلاء بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم على جماعة من أصحابه ممن كان يأتيه بالصدقة واختار ابن القيم الجواز ما لم يتخذه شعارا أو يخص به واحدا اذا ذكر دون غيره ولو كان افضل منه كفعل الرافضة مع علي دون غيره من الصحابة فيكره ولو قيل حينئذ بالتحريم لكان له وجه هذا ملخص كلامه الثاني هل السلام كالصلاه خلافا ومذهبا او ليس الا الاباحة فيجوز ان يقول السلام على فلان وفلان عليه السلام اما مذهبنا فقد علمت جوازه من جواز الصلاة على غير النبى صلى الله عليه وسلم استقلالا بالأولى واما الشافعية فكرهه منهم ابو محمد الجويني فمنع ان يقال فلان عليه السلام وفرق آخرون بينه و بين الصلاة فقالوا

السلام يشرع في حق كل مؤمن حي وميت حاضر وغائب فانك تقول بلغ فلانا مني السلام وهو تحية اهل الاسلام بخلاف الصلاة فانها من حقوق الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا يقول المصلي السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين الثالث الصلاة علي غير النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء والمرسلين والملائكة جائزة بطريق التبعية بلا خلاف مثل أن يقول اللهم صل على سيدنا محمد وعلى صاحبه في الغار. وعلى الفاروق ممصر الأمصار. وعلى عثمان ذي النورين الذي بايع عنه النبي صلى الله عليه وسلم باليسار. وعلي علي الكرار. وعلى السبطين خلاصة الانوار. وعلى العمين لا سيما اسد الله من فرج الكرب عن وجه النبي المختار. الرابع ذكر ابن كثير أنه قد غلب كثير في عبارة كثير من النساخ للكتب ان يفرد علي رضي الله عنه بأن يقال عليه السلام من دون الصحابة او كرم الله وجهه وهذا وان كان معناه صحيحاً لكن ينبغي أن يسوي بين الصحابة في ذلك فان هـذا من باب التعظيم والتكريم والشيخان وامير المؤمنين عثمان اولى بذلك منه انتهي قلت قد ذاع ذلك وشاع وملأ الطروس والأسماع قال الاشياخ وانما خص علي رضي الله عنه بقول كرم الله وجهه لانه ما سجد الى صنم قط وهـذا ان شاء الله تعالى لا بأس به والله الموفق

مطلب اختصاص سيدنا علي بكرم الله وجهه

وبعدُ فإنّي سوفَ أنظمُ جملةً مِنَ الأدبِ المأثورِ عنْ خيرِ مُرْشِدِ

(وبعد) الواو نائبة عن أما وأما نائبة عن مهما وبعد كلمة يؤتي بها عند ارادة الانتقال من اسلوب الى غيره اي بعد حمد الله والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه رضوان الله عليهم ويستحب الاتيان بها في الخطب والمكاتبات لانه صلي الله عليه وسلم كان يقولها في خطبه ومكاتباته الى الملوك وغيرهم كما هو معروف مثل كتابه الى قيصر عظيم الروم وكسرى عظيم الفرس والمقوقس صاحب مصر وغيرهم وذكر الامام القاضي علي بن سليمان علاء الدين المرداوي في شرح التحرير انه نقل اتيانه صلى الله عليه وسلم باما بعد في خطبه ونحوها خمسة وثلاثون صحابياً والمشهور أنها ظرف زمان وربما استعملت ظرف مكان وتقطع

عن الاضافة فتبني اذا نوى معنى المضـاف اليه كقوله تعالى لله الأمر من قبل ومن بعد واذا قطعت عن الاضافة رأسا اعربت كقول الشاعر

وساغ لي الشراب وكنت قبلاً ... اكاد اغص بالماء الفرات

فان بعد كقبل وان ذكر المضاف اليه اعربت كما اذا حذف ونوى ثبوت لفظه كما في قول الشاعر

ومن قبل نادي كل مولى قرابة ... فما عطفت مولى عليه العواطف

بجر قبل لانه نوى ثبوت لفظة ذلك واختلف في اول من نطق بها فقيل داود عليه السلام وعن الشعبي أنها فصل الخطاب الذي اوتيه داود وقيل يعقوب عليه السـلام وقيل يعرب بن قحطان وقيل كعب بن لؤي وقيل قس بن ساعدة وقيل سحبان بن وائل والأول اشـبه كما قاله الحافظ ابن حجر والجمع ممكن ونظم ذلك الشمس الميداني فقال

مطلب أول من نطق بأما بعد

جرى الخلف أما بعد من كان بادئاً ... بها عد اقوالاً وداود اقرب

ويعقوب ايوب الصبور وآدم ... وقس وسحبان وكعب ويعرب

(فاني) الفاء واقعة في جواب مهما النائبة عنها أما النائبة عنها الواو (سوف) حرف تنفيس واستقبال (أنظم) فعل مضارع من النظم وهو التأليف وضم الشيء الى آخر كما في القاموس ونظم اللؤلؤ ينظمه نظما ونظاما ونظمه ألفه وجمعه في سلك فانتظم وتنظم والنظام كل خيط ينظم به لؤلؤ ونحوه انتهى وفي نهاية ابن الأثير في أشراط الساعة وآيات تتابع كنظام بال قطع سلكه قال النظام العقد من الجوهر والخرز ونحوها وسلكه خيطه (جملة) بضم الجيم وسكون الميم جماعة الشيء اي طرفا صالحا (من الادب) وهو في اللغة الظرف وحسن التناول يقال ادب كحسن فهو اديب وجمعه أدباء وأدبه علمه فتأدب قاله في القاموس وفي المطلع الأدب بفتح الهمزة والدال مصدر ادب الرجل بكسر الدال وضمها لغة اذا صار اديبا في خلق او علم والخلق بضم الخاء واللام صورة الانسان الباطنة و بفتح الخاء صورته الظاهرة وقال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري الأدب استعمال ما يحمد قولا وفعلا وعبر بعضهم عنه بأنه الاخذ بمكارم الأخلاق وقيل الوقوف مع

مطالب الناس في الادب على طبقات

المستحسنات وقيل هو تعظيم من فوقك والرفق بمن دونك انتهى وقال السهروردي الناس على طبقات اهل الدنيا واهل الدين واهل الخصوص فأدب اهل الدنيا الفصاحة والبلاغة وتحصيل العلوم وأخبار الملوك وأشعار العرب وأدب اهل الدين مع العلم رياضة النفس وتأديب الجوارح وتهذيب الطباع وحفظ الحدود وترك الشهوات وتجنب الشبهات وأدب اهل الخصوص حفظ القلوب ورعاية الأسرار واستواء السر والعلانية وقال ابن فارس الادب دعاء الناس الى الطعام والمأدبة الطعام لسبب او غيره والآدب بالمد الداعي واشتقاق الأدب من ذلك كانه امر قد جمع على استحسانه وفي الحديث القرآن مأدبة الله في الارض يعني مدعاته شبه القرآن بصنيع صنعه الناس لهم فيه خير ومنافع وفي العرف مادعا الخلق الى المحامد ومكارم الاخلاق وتهذيبها (المأثور) اي المنقول والمروي يقال حديث مأثور اي يأثره بمعنى ينقله عدل عن مثله كما قاله أبو عبيد (عن خير) أي أفضل وأكرم (مرشد) بضم الميم وكسر الشين المعجمة اسم فاعل من أرشد يقال رشد كنصر وفرح رشدا ورشدا ورشادا اهتدى كاسترشد واسترشده طلبه والرشدي كجمزى اسم منه وأرشده الله هداه والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه والرشيد من الاسماء الحسنى اى الهادي الى سواء الصراط والذي حسن تقديره فيما قدر والمراد بالمرشد هنا النبي صلى الله عليه وسلم فانه خير من دعا الى الله وهدى الى سواء سبيله بقاله وحاله (واعلم) أن تعلم الآداب وحسن السمت والقصد والحياء والسيرة مطلوب شرعا وعرفا . وروى الامام احمد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الهدى الصالح والسمت والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزأ من النبوة وقال النخعي كانوا اذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا الى سمته وصلاته والى حاله ثم ياخذون عنه وقال عمر رضي الله عنه تأدبوا ثم تعلموا . وقال ابن عباس اطلب الادب فانه زيادة في العقل ودليل على المروءة مؤنس في الوحدة وصاحب في الغربة ومال عند القلة رواه الاصبهاني في منتخبه وقال أبو عبد الله البلخي أدب العلم أكثر من العلم وقال الامام عبد الله بن المبارك لا ينبل الرجل بنوع من العلم ما لم يزين علمه بالأدب ذكره الحاكم في تاريخه و يروى عنه أيضا أنه قال طلبت العلم فأصبت منه

شيئاً وطلبت الأدب فاذا أهله قد بادوا وقال بعض الحكماء لاأدب الا بعقل ولا عقل الا بأدب وكان يقال العون لمن لا عون له الأدب وقال الأحنف بن قيس الادب نور العقل كما أن النار نور البصر وقال الحجاوي في شرحه يقال مثل الايمان كمثل بلدة لها خمس حصون الاول من ذهب والثاني من فضة والثالث من حديد والرابع من آجر والخامس من لبن فما زال أهل الحصن متعاهدين حصن اللبن لا يطمع العدو في الثاني فاذا أهملوا ذلك طمعوا في الحصن الثاني ثم الثالث حتى تخرب الحصون كلها فكذلك الايمان في خمس حصون اليقين ثم الاخلاص ثم أداء الفرائض ثم السنن ثم حفظ الآداب فما دام يحفظ الآداب ويتعاهدها فالشيطان لا يطمع فيه واذا ترك الآداب طمع الشيطان في السنن ثم في الفرائض ثم في الاخلاص ثم في اليقين

مطلب مثل الايمان كبلدة لها خمس حصون

مِنَ السُّنَّةِ الغَرَّاءِ أَوْ مِنْ كِتَابِ مَنْ ... تَقَدَّسَ عَنْ قَوْلِ الغُوَاةِ وَجُحَّدِ

وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ العِلْمِ مِنْ عُلَمَائِنَا ... أَئِمَّةِ أَهْلِ السِّلْمِ مِنْ كُلِّ أَمْجَدِ

(من السنة) وهي في اللغة الطريقة الحسنة وفي العرف ما أضيف الى النبي صلى الله عليه وسلم من قول كقوله انما الاعمال بالنيات أو فعل كلبسه المغفر وظاهرته بين درعين ولبسه الازار والرداء والعمامة أو تقرير كقول الصحابي كنا نفعل كذا وكذا والنبي صلى الله عليه وسلم ينظر الينا أو في حياته ولم ينكره علينا او صفة كما في أوصافه وحليته صلى الله عليه وسلم من كونه أكحل العينين أزج الحاجبين ضخم الكراديس (الغراء) أي البيضاء الشريفة قال الجوهري الاغر الابيض ورجل أغر أي شريف وفي القاموس الغرة بياض في الجبهة وفرس أغر وغراء والاغر الابيض من كل شيء والكريم الافعال الواضحها والشريف انتهى وفي الحديث تركتكم على بيضاء نقية ليلها كنهارها وفيه غر محجلون من آثار الوضوء يريد بياض وجوههم بنور الوضوء يوم القيامة ومنه الحديث في صوم الايام الغر أي البيض الليالي بالقمر وهي ثالث عشر ورابع عشر وخامس عشر كما في النهاية (أو) منقول ومأثور (من كتاب من)

أي الذي أو رب (تقدس) أي تنزه وتعالى وتطهر وتبارك قال في القاموس التقديس التطهير ومنه الارض المقدسة و بيت المقدس وفي الاسماء الحسنى القدوس قال في النهاية هو الطاهر المنزه عن العيوب والنقائص قال في القاموس كل فعول مفتوح غير قدوس وسبوح ودروح وفروح قال في النهاية وهو من أبنية المبالغة وقد تفتح القاف وليس بالكثير ولذا قال في القاموس و يفتحان يعني قدوس وسبوح (عن قول) النصارى وأضرابهم ممن قال بالتثليث أو الزوجية أوكون له ولدا أو شريكا كمشركي العرب (الغواة) جمع غاو وهم الضلال قال في النهاية في قوله صلى الله عليه وسلم من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى يقال غوى يغوى غيا وغواية فهو غاوأي ضل وأضل والغي الضلال والانهماك في الباطل وانما وصفهم بالغي فى النظم لزعمهم أن المسيح ابن الله أو مريم زوجته أو هو ثالث ثلاثة تعالى الله عن مقالتهم (و) تقدس وتنزه الرب أيضاً عن قول (جحد) جمع جاحد أي منكر مع علمه يقال جحده حقه كمنعه جحدا وجحودا أنكره مع علمه قاله في القاموس يعني تعالى الرب وتقدس عن قول منكري الربوبية أو وجوده تعالى أو صفة من صفاته أو اسم من أسمائه التي نطق بها القرآن أوصح بها الأثر أو أول ذلك على خلاف ما ورد أو شبهه سبحانه بشيء من خلقه المنفي في قوله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير بل الواجب الاثبات بلا تمثيل والتنزيه بلا تعطيل فالمشبه يعبد صنما والمعطل يعبد عدما والمسلم يعبد رب الارض والسماء جل شأنه وتعالى سلطانه وحاصل ما ذكره رحمه الله تعالى أن نظمه مستنده ثلاثة أشياء الاول الكتاب العزيز والثانى السنة الغراء (و) المأثور الثالث ما نظمه (من قول) أي مقال (أهل الفضل) ضد النقص يقال فضل كنصر وعلم وأما فضل كعلم يفضل كينصر فمركبة منهما كما في القاموس (من علمائنا) معشر الحنابلة من أصحاب الامام احمد رضي الله عنه فما دونه ممن دأب في تهذيب مذهبه واستخرج الأقوال واستنبط الاوجه فان التخريج في اصطلاح فقهائنا نقل حكم مسألة الى ما يشبهها والتسوية بينهما فيه والوجه استنباط الحكم من مفهوم كلام الامام أو نحو ذلك ثم ان الناظم وصف هؤلاء الفضلاء من علماء مذهبنا بقوله (أئمة) جمع

امام وهو المتقدم على غيره والمراد هنا من اشتهر بالامامة فصار يقتدى بأقواله وأفعاله وصلح أن يكون متبوعا ولك أن تقرأ أئمة بالجر صفة لمن قبله وبالرفع على القطع أى هم أئمة (أهل السلم) بكسر السين المهملة وفتحها ويؤنث كما في القاموس أى الصلح وأراد أهل الطاعة والصلاح ظاهرا وباطنا والامن من فرث أهل التشبيه والتمثيل وذم أهل الالحاد والتعطيل (من كل) امام (أمجد) من غيره والمجد الشرف في كلام العرب أو الشرف الواسع يقال ماجد مفضال كثير الخير وفي كلام علي رضي الله عنه أما نحن بنو هاشم فأنجاد أمجاد أي أشراف كرام جمع مجيد أو ماجد كاشهاد في شهيد أو شاهد قاله في النهاية كأن الناظم رحمه الله (قال) ان في ما منظومتي من الاحكام والآداب من الكتاب والسنة وأقاويل الأئمة من أهل المذهب فليس ما فيها من قبل نفسي بل هو مأثور ومشهور وانما لي من ذلك النظم والتأليف والضم والتصريف ليسهل تناوله ويظهر تداوله

لَعَلَّ اِلٰهَ الْعَرْشِ يَنْفَعُنَا بِهَا ۞ وَيُنْزِلُنَا فِي الْحَشْرِ فِي خَيْرِ مَقْعَدِ

(لعل) هو حرف يصلح للترجي وطلب المحبوب المستقرب حصوله (اله) أي رب (العرش) قال في القاموس ومنه لفظ الجلالة واختلف فيه على عشرين قولا أصحها علم غير مشتق يقال اله كفعال بمعنى مألوه وكل متخذ معبودا اله عند متخذه ولكن ليس هو اله في نفس الامر فلا اله معبود بحق الا الله الغني عن كل ما سواه المفتقر اليه كل ما عداه والعرش جسم عظيم وهو سقف الجنة فهو فوق السماء السابعة وفوق الجنة وضوء الجنة من نور العرش والاخبار والآثار في في العرش كثيرة جدا وقد قال وهب بن منبه أول ما خلق الله العرش ثم خلق الكرسي من نوره يتلألأ وقيل أول ما خلق الماء ولعل المراد بعد نور النبي صلى الله عليه وسلم واضافته الى الاله في كلام الناظم كما في الاحاديث الصحاح لا اله الا الله رب العرش العظيم اضافة مزيد تعظيم وتفخيم والا فلله ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما دون ذلك مافوق السموات وتحت الارض (ينفعنا) يحتمل أنه أراد نفسه واخوانه من المسلمين لا سيما أهل مذهبه فتكون الكلمة

على حقيقتها أو أراد نفسه فتكون نا للتعظيم والاول أليق بقاله وحاله والنفع ضد الضر والاسم المنفعة والنفع بها يكون بالعمل والاشتغال بها و يكون بما يحصل له من الثواب من أجل من قرأها وانتفع بها فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث علم ينتفع به من بعده أو ولد صالح يدعو له أو صدقة جارية رواه مسلم في صحيحه وقد أوصل السيوطي من يجرى عمله عليه بعد موته الى عشر وزاد شيخ مشايخنا العلامة عبد الباقي الأثري الحنبلي عليها ثلاثة ونظمها السيوطي في أبيات فغير بعضها شيخ مشايخنا وزاد الأخيرين فقال

(اذا مات ابن آدم جاء يجري * عليه الاجر عد ثلاث عشر)
(علوم بثها ودعاء نجل * وغرس النخل والصدقات تجرى)
(وراثة مصحف ورباط ثغر * وحفر البئر أو اجراء نهر)
(وتعليم لقرآن كريم * شهيد في القتال لاجل بر)
(كذا من سن صالحة ليقفى * فخذها من أحاديث بشعر)

وقد ذكرت في كتابي القول العلي في شرح أثر الامام علي من فضل العلم وتعلمه وتعليمه مايكفي ويشفي (بها) أي بالجملة التي ينظمها من الأدب المأثور وامل الهالعرش (ينزلنا) معشر المسلمين سيا المعتنين بهذه الآداب المأثورة قراءة وكتابة وحفظا واقراء وغير ذلك (في) يوم (الحشر) اي الجمع يعني حشر الخلائق من قبورهم الى الموقف حفاة عراة غرلا كما بدأهم الله سبحانه وتعالى اول مرة وتدنو الشمس منهم بقدر ميل ويشتد الزحام وتشخص الأبصار وتذهل كل والدة عن ولدها وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكاري ولكن عذاب الله شديد ففي مثل تلك الحالة المتحققة الوقوع لامحالة تظهر المزايا وتعظم الرزايا فطلب الناظم أن يكون هو واخوانه (في خير مقعد) اي مكان القعود سالمين من هول الموقف وشدة الحساب منتظرين الاذن لدخول الجنة وفتح الأبواب فقد روى حرب في مسائله وهو من أجلاء اصحاب امامنا رضى الله عنه مرفوعاً الى النبي صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله تعالى العلماء يوم القيامة ثم يقول يامعشر العلماء اني لم أضع علمي فيكم الا لعلمي بكم

ولم أضع علمي فيكم لأعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم قال الامام ابن القيم في مفتاح دار السعادة وهذا وان كان غريبا فله شواهد حسان فقد ذكر ابن عبد البر عن عبد الله بن داوود قال اذا كان يوم القيامة عزل الله سبحانه العلماء عن الحساب فيقول ادخلوا الجنة على ما فيكم انى لم أجعل علمي فيكم الا لخير اردته بكم قال ابن عبد البر وزاد غيره فى هذا الخبر ان الله يحبس العلماء يوم القيامة في زمرة واحدة حتى يقضي بين الناس ويدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار ثم يدعو العلماء فيقول يامعشر العلماء انى لم اضع حكمتي فيكم وانا اريد أن اعذبكم قد علمت أنكم تخلطون من المعاصى ما يخلط غيركم فسترتها عليكم وغفرتها لكم وانما كنت اعبد بفتياكم وتعليمكم عبادي ادخلوا الجنة بغير حساب ثم قال لا معطي لما منع الله ولا مانع لما اعطى الله قال ابن عبد البر وروي نحو هذا المعنى باسناد متصل مرفوع وقال ابن القيم عن بعض السلف قال بلغني أنه اذا كان يوم القيامة توضع حسنات الرجل في كفة وسيآته في كفة فتسيل سيآته فاذا أيس وظن انها النار جاء شيء مثل السحاب حتى يقع مع حسناته فتسيل حسناته قال فيقال له أتعرف هذا من عملك فيقول لا فيقال هذا ما علمت الناس من الخير فعمل به من بعدك

أَلَا مَنْ لَهُ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ رَغْبَةٌ　　لِيَصْغَ بِقَلْبٍ حَاضِرٍ مُتَرَصِّدِ

(ألا) يحتمل أن تكون للتمني كقول الشاعر

ألا عمر ولي مستطاع رجوعه　　فيرأب ما أثأت يد الغفلات

ويحتمل أن تكون للعرض والتحضيض قال الامام العلامة يوسف بن هشام النحوي الحنبلى طيب الله ثراه ومعنى العرض والتحضيض طلب الشيء ولكن العرض طلب بلين والتحضيض طلب بحث وتختص الا هذه بالجملة الفعلية نحو ألا تحبون أن يغفر الله لكم ومنه عند الخليل قول الشاعر

ألا رجلا جزاه الله خيراً　　يدل على محصلة تبيت

والتقدير ألا ترونى رجلا هذه صفته فحذف الفعل مدلولا عليه بالمعنى وهكذا في كلام الناظم رحمه الله فالمعنى ألا يوجد (من) أي انسان أو الذي (له في) استماع (العلم) وطلبه وتحصيله وهو صفة يميز المتصف بها تميزا جازما مطابقا للواقع

مطلب مراتب العلم ثلاث

وله ثلاث مراتب المرتبة الاولى علم اليقين وهو انكشاف المعلوم للقلب بحيث يشاهده ولا يشك فيه كانكشاف المرئي للبصر ثم يليها المرتبة الثانية وهي مرتبة عين اليقين ونسبتها الى العين كنسبة الاولى للقلب ثم تليها المرتبة الثالثة وهي حق اليقين وهي مباشرة المعلوم وادراكه الادراك التام فالاولي كعلمك أن في هذا الوادى ماء والثانية كرؤيته والثالثة كالشرب منه ومن هذا قول حارثة أصبحت مؤمنا حقا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك قال عزفت نفسي عن الدنيا وشهواتها فاسهرت ليلي وأظمأت نهاري وكأني أنظر الى عرش ربي بارزا وكأني أنظر الي أهل الجنة يتزاورون فيها والى أهل النار يتعاوونه فيها فقال النبي صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم عبد نور الله الايمان في قلبه ذكره ابن رجب في استنشاق نسيم الأنس وقال ضعيف والامام ابن القيم في مفتاح دار السعادة محتجا به والله أعلم (و) في حفظ آداب (الدين) والتخلق بها (رغبة) اي ارادة وطلب يقال رغب فيه كسمع رغبا و يضم ورغبة أراده كارتغب كما في القاموس ورغب عنه لم يرده ورغب اليه ابتهل اليه أو هو الضراعة والمسئلة . والدين لغة الجزاء ومنه قول الحماسة

ولم يبق سوي العدوا ... ن دناهم كما دانوا

والانقياد والخضوع والحساب والعادة والعمل والحكم والحال والخلق والطاعة والقهر والملة والشريعة والورع والسياسة وشواهد ذلك يطول ذكرها . وفي العرف وضع الهي سائق لذوي العقول المحمودة باختيارها الى ماهو خير لها بالذات من امري المعاش والمعاد وذلك الوضع باعتبار كونه طريقا موصلا الى النجاة يسمي شريعة وهي في اللغة الطريقة للماء وباعتبار كونه مجتمعا عليه يسمى ملة وهي في اللغة الجماعة وباعتبار كونه منقادا اليه يسمي دينا (ليصغ) اللام للامر ويصغ فعل مضارع مجزوم بحذف حرف العلة يقال أصغى استمع واليه مال بسمعه وأصغي الأناء أماله وصغى يصغو و يصغي صغوا وصغي يصغي صغا وصغيا مال أو مال جنبه (بقلب) متعلق بيصغى والقلب الشكل الصنوبري في الجوف والمراد العقل واللب من اطلاق المحل وارادة الحال وقد جاء في القرآن لمن كان له قلب والآيات والاحاديث مملوءة

من ذلك (حاضر) متيقظ غير غائب فان من ألقي سمعه وغاب قلبه لم ينتفع بما يلقى اليه من العلوم والمعارف ومن ثم قال سيدنا علي رضي الله عنه لكميل بن زياد النخعي يا كميل القلوب أوعية فخيرها أوعاها للخير انتهي فاذا كان القلب حاضرا وعي ما يلقى اليه وفي حديث جابر رضي الله عنه في المثل الذى ضربته الملائكة للنبي صلي الله عليه وسلم ولأمته وقول الملك له اسمع سمعت أذنك ووعى قلبك . وانما سمي العقل عقلا لعقله ما يلقي اليه ومنه عقل البعير والدابة ولانه يعقله عن اتباع الغي والهلاك ولذا اسمي حجرا ايضا لانه يمنع صاحبه كما يمنع الحجر ما حواه فعقل الشيء اخص من علمه ومعرفته لان صاحبه يعقل ما علمه فلا يدعه يذهب . وللادراك مراتب بعضها اقوى من بعض فأولها الشعور فالفهم فالمعرفة فالعلم ثم العقل (مترصد) أى مترقب حافظ قال في القاموس رصده رصدا ورصدا رقبه كترصده فاذا كان القلب حاضرا مترقبا مايلقي اليه متهيئا مستعدا كان أقرب لانتفاعه وضبطه لما يبديه اليه الشيخ بخلاف شارد القلب ذاهل اللب فلا عنده استعداد . لانه في واد وقلبه في واد . واعلم أن للتعلم ست مراتب أولها حسن السؤال . ثانيها حسن الانصات والاستماع . ثالثها حسن الفهم . رابعها الحفظ . خامسها التعليم . سادسها وهي الثمرة العمل به ومراعاة حدوده . وحرمان العلم يكون بستة اوجه احدها ترك السؤال . الثاني سوء الانصات وعدم القاء السمع . الثالث سوء الفهم . الرابع عدم الحفظ . الخامس عدم نشره وتعليمه فمن خزن علمه ولم ينشره ابتلاه الله بنسيانه جزاء وفاقا . السادس عدم العمل به فان العمل به يوجب تذكره وتدبره ومراعاته والنظر فيه فاذا أهمل العمل به نسيه قال بعض السلف كنا نستعين على حفظ العلم بالعمل به وقال بعضهم العلم يهتف بالعمل فان أجابه والا ارتحل فما استدر العلم واستجلب بمثل العمل به . فان قلت قول الناظم ليصغ ان كان من صغي بمعنى مال بقلبه فهذا ظاهر وان كان من أصغي بمعني استمع فكيف يكون الاستماع بالقلب مع ان السمع والاستماع انما يكون بالأذن . والجواب أن الاستماع القاء السمع والالقاء الذي هو قصد الاستماع انما يكون بالقلب وايضا فبين الأذن والقلب تمام الارتباط فالعلم يدخل من الاذن الى القلب فهي بابه والرسول الموصل اليه العلم كما

مطلب مراتب التعلم ستة وحرمان العلم بستة

أن اللسان رسوله المؤدى عنه ومن عرف ارتباط الجوارح بالقلب علم أن الأذن أحقها بالارتباط من جهة الايصال الى القلب به فجائز أن يقال للقلب استمع والله اعلم

وَيَقْبَلُ نُصْحًا مِنْ شَفِيقٍ عَلَى الْوَرَى ... حَرِيصٍ عَلَى زَجْرِ الأَنَامِ عَنِ الرَّدِي

(ويقبل) قبول طاعة واذعان وانقياد وعرفان (نصحا) مفعول يقبل وهو عبارة عن ارادة الخير للمنصوح له . قال الحافظ ابن رجب النصيحة تشمل خصال الاسلام والايمان والاحسان وفي صحيح مسلم عن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدين النصيحة ثلاثا قلنا لمن قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المؤمنين وعامتهم وذكر الامام الحافظ في شرح الأربعين النووية عن ابي داود صاحب السنن أن حديث النصيحة احد الأحاديث التي يدور عليها الفقه وقال الحافظ أبو نعيم هذا حديث له شان ذكر محمد بن أسلم الطوسي أنه احد أرباع الدين وخرج الطبراني عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ومن لم يمس ويصبح ناصحاً لله ولرسوله ولكتابه ولامامه ولعامة المسلمين فليس منهم وخرج الامام أحمد عن أبي أمامة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل أحب ما تعبدني به عبدى الى أن نصح لي . وفي الصحيحين عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على اقام الصلاة وايتاء الزكاة والنصح لكل مسلم وفي صحيح مسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حق المؤمن علي المؤمن ست فذكر منها واذا استنصحك فانصح له . قال الخطابي النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة هي ارادة الخير للمنصوح له قال وأصل النصح في اللغة الخلوص يقال نصحت العسل اذا خلصته من الشمع . فمعنى النصيحة لله سبحانه صحة الاعتقاد في وحدانيته واخلاص النية في عبادته . والنصيحة لكتابه الايمان به والعمل بما فيه . والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته و بذل الطاعة له فيما أمر به ونهى عنه . والنصيحة لعامة المسلمين ارشاده لهم الى مصالحهم انتهي فالناظم بذل النصح

مطلب النصيحة وما يتعلق بها

لمن يقبله خروجا من عهدة الكتمان قال الامام الحافظ ابن رجب وقد حكي ابو عبد الله محمد بن نصر المروذى في كتاب تعظيم قدر الصلاة عن بعض أهل العلم أنه فسر حديث الدين النصيحة بما لا مزيد عليه وحاصله أن النصيحة عناية القلب للمنصوح له كائنا من كان وهي علي وجهين أحدهما فرض وهي لله شدة العناية من الناصح باتباع محبة الله في أداء ما افترض ومجانبة ما حرم والثاني نفل وهي ايثار محبته على محبة نفسه وذلك أن يعرض أمران أحدهما لنفسه والآخر لربه فيبدأ بما كان لربه ويؤخر ما كان لنفسه فهذه جملة تفسير النصيحة لله الفرض منه والنافلة وايضاح ذلك ان الفرض من النصيحة مجانبة نهيه واقامة فرضه بجميع جوارحه ما كان مطيقا له فان عجز عن الاقامة لفرضه لآفة حلت به من مرض أوحبس أوغير ذلك عزم على أداء ما افترض عليه متى زالت العلة المانعة له قال تعالى ليس على الضعفاء ولا على المرضي الى قوله اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل فسماهم محسنين لنصحهم لله بقلوبهم لما منعوا من الجهاد بأنفسهم وقد ترفع الأعمال كلها عن العبد في بعض الحالات ولا ترفع عنه النصيحة لله فلو كان مريضا لا يمكنه عمل شيء من جوارحه من لسان ولا غيره غير أن عقله ثابت لم يسقط عنه النصح لله بقلبه وهو أن يندم على ذنوبه وأن ينوي اذا صح أن يقوم بما افترض الله عليه ويجتنب ما نهاه عنه والا كان غير ناصح لله بقلبه وكذلك النصح لرسوله فيما أوجبه على الناس عن أمر ربه. قال الامام الحافظ ابن رجب ومن النصح الواجب أن لا يرضى بمعصية العاصى ويحب طاعة من اطاع الله ورسوله قلت ولو كان هو العاصى يجب عليه كراهية المعصية وهذا معني قول بعضهم يجب على من بيده الكاس أن ينكر على الجلاس الى أن قال وأما النصيحة للمسلمين فبأن يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه ويشفق عليهم ويرحم صغيرهم ويوقر كبيرهم ويحزن لحزنهم ويفرح لفرحهم وان ضره ذلك في دنياه كرخص أسعارهم وان كان فيه فوات ربح مايبيع من تجارة وكذلك جميع مايضرهم عامة ويحب صلاحهم ألفتهم ودوام النعم عليهم ونصرتهم علي عدوهم ودفع كل أذي ومكروه عنهم وقال ابن الصلاح النصيحة كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير ارادة وفعلا

مطلب النصيحة لله فرض ونافلة

مطلب بيان النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم

(فالنصيحة لله) توحيده ووصفه بصفات الكمال والجلال وتنزيهه عما يضادها ويخالفها ويجتنب معاصيه ويقوم بطاعته ومحابه بوصف الاخلاص والحب فيه والبغض فيه وجهاد من كفر به وما ضاهي ذلك والدعاء الى ذلك والحث عليه (والنصيحة لكتابه) الايمان به وتعظيمه وتنزيهه وتلاوته حق تلاوته والوقوف مع أوامره ونواهيه وتفهم علومه وأمثاله وتدبر آياته والدعاء اليه وذب تحريف الضالين وطعن الملحدين عنه (والنصيحة لرسوله) صلى الله عليه وسلم قريب من ذلك الايمان به وبما جاء به وتوقيره وتبجيله والتمسك بطاعته واحياء سنته واستنشاره علومها ونشرها ومعاداة من عاداه وعاداها وموالاة من والاهما والتخلق باخلاقه والتأدب بآدابه ومحبة آله وصحابته ونحو ذلك (والنصيحة لأئمة المسلمين) معاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وتذكيرهم ونهيهم في رفق ولطف ومجانبة الوثوب عليهم والدعاء لهم بالتوفيق (والنصيحة لعامة المسلمين) ارشادهم الى مصالحهم وتعليمهم أمور دينهم ودنياهم وستر عوراتهم وسد خلاتهم وبيد ر وعاتهم ومجانبة الغش والحسد لهم قال الحافظ ابن رجب ومن أنواع نصحهم تعليم جاهلهم ورد من زاغ منهم عن الحق في قول أو عمل بالتلطف في ردهم الى الحق والرفق بهم في الامر بالمعروف والنهى عن المنكر محبة لازالة فسادهم ولو بحصول ضرر له في دنياه كما قال بعض السلف وددت أن هذا الخلق أطاعوا الله وأن لحمي قرض بالمقاريض . وكان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يقول ياليتني عملت فيكم بكتاب الله وعملتم به فكلما عملت فيكم بسنة وقع مني عضو حتى يكون آخر شيء منها خروج نفسي . وقال بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والذى نفسي بيده ان شئتم لأقسمن لكم بالله أن أحب عباد الله الى الله الذين يحببون الله الي عباده ويحببون عباد الله الى الله ويسعون في الارض بالنصيحة . وقال ابن علية في قول بكر المزني ما فاق ابو بكر رضى الله عنه أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بصوم ولا صلاة ولكن بشيء كان في قلبه قال الذى كان في قلبه الحب لله عز وجل والنصيحة في خلقه ورفعه بعضهم بلفظ ما فضل ابو بكر بفضل صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في قلبه ذكره الغزالي في الاحياء قال العراقي لم أجده مرفوعا وهو عند الحكيم الترمذى في النوادر من كلام بكر بن عبد

الله المزني وفي لفظ ما فاتكم أو فضلكم أبو بكر بكثير صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره وكل ذلك لم يصح مرفوعا والله الموفق . وقال الفضيل بن عياض ما ادرك عندنا من أدرك بكثرة الصلاة والصيام وانما أدرك عندنا بسخاء الأنفس وسلامة الصدور والنصح للامة . وقال معمر كان يقال أنصح الناس لك من خاف الله فيك فلهذه الآثار وأمثالها بذل الناظم نصحه وحث على قبوله بما وصف نفسه به من كون النصح صادراً (من) اخ (شفيق) متعلق بنصحا أومتعلق بيقبل اي يقبل من شفيق والشفيق ذو الشفقة قال في القاموس هي حرص الناصح على صلاح المنصوح (على الورى) متعلق بشفيق قال في القاموس الورى كفتى الخلق (حريص على زجر) أي منع (الأنام) كسحاب و بالمد والأنيم كأمير الخلق أو الجن والانس أو جميع ما على وجه الارض كما تقدم (عن) الفعل (الردي) متعلق بزجر والمراد بالفعل الردي الحرام أوما يعم المكروه فان المكروه منهي عنه شرعا وان كان هو ليس بممتنع من حيث كونه لا يعاقب على فعله وذلك لما قدمنا من قول عمر بن عبد العزيز وغيره وكل هذا وأمثاله منتزع من قوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم ولذا قيل يراد للعالم عشرة اشياء الخشية والنصيحة و الشفقة والاحتمال والصبر والحلم والتواضع والعفة عن اموال الناس والدوام على النظر في الكتب وترك الحجاب بل يكون بابه للشريف والوضيع ولذا قيل اذا منع العلم عن العامة لم تنتفع به الخاصة وما ذكرنا من أن الناظم وصف نفسه بهذه الأوصاف هوالظاهر ويحتمل أن يكون اراد بالشفيق النبي صلى الله عليه وسلم لانه مادة كلامه وأس نظامه

مطلب يراد للعالم عشرة أشياء

فَعِنْدِيَ مِنْ عِلْمِ الْحَدِيثِ أَمَانَةٌ سَأَبْذُلُهَا جُهْدِي فَأَهْدِي وَأَهْتَدِي

(فعندي) مستقر وثابت (مما) اي من الآداب الثابتة (في الحديث) الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم من اقواله صلى الله عليه وسلم وافعاله وتقريراته وصفته (أمانة) يجب علي حفظها والقيام بأودها ومراعاتها الى أن أبذلها لاهلها وأنشرها

في محلها فأدخل في دعوته صلى الله عليه وسلم نضر الله وجه امرئ سمع مقالتي فحفظها ووعاها و بلغها من لم يسمعها فرب حامل فقه لا فقه له ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه الحديث رواه الطبراني في الأوسط ولذا قال (سأبذلها) اي أعطيها وأجود بها وأنشرها وأجتهد في بذلها (جهدي) وطاقتي وأفرغ في ذلك وسعى وقوتي (فأهدي) أي أرشد ضالا وأعلم جاهلا وأدل تائها فأفوز بالاجر العظيم والثواب الجسيم كما في الصحيحين عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلى رضي الله عنه لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم فهذا يدل على فضل العلم والتعليم وشرف منزلة اهله بحيث اذا اهتدى رجل واحد بالعالم كان ذلك خيرا له من حمر النعم وهي جيادها وأشرفها عند أهلها فما الظن بمن يهتدي كل يوم به طوائف من الناس . وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا الي هدي كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيئا ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا فأخبر صلى الله عليه وسلم أن المتسبب الى الهدي بدعوته له من الاجر مثل أجر من اهتدي به وكذا المتسبب الى الضلالة عليه من الوزر مثل وزر من ضل به لأن الاول بذل وسعه وقدرته في هداية الناس والثاني بذل قدرته في ضلالتهم فنزل كل واحد منهما منزلة الفاعل التام (وأهتدي) أنا في نفسي بسبب بذلي للعلم فان العلم يزكو على الانفاق كما قاله سيدنا الامام علي رضي الله عنه فالعالم كلما بذل علمه للناس وأنفق منه تفجرت ينابيعه وازداد كثرة وقوة وظهورا فيكسب بتعليمه حفظ ماعلمه ويحصل له علم ما لم يكن عنده وربما تكون المسألة في نفسه غير مكشوفة ولا خارجة من حيز الاشكال فاذا تكلم بها وعلمها اتضحت له وأضاءت وانفتح له منها علوم أخر وأيضا فان الجزاء من جنس العمل فكما علم الخلق وهداهم من جهالتهم جازاه الله بأن علمه وهداه من جهالته . وفي صحيح مسلم عن عياض بن حماد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في حديث طويل وان الله قال لى أنفق أنفق عليك واعلم أن لزكاة العلم ونحوه طريقين احدهما تعليمه للعالم فان

مطلب لزكاة العلم طريقان

الله سبحانه وتعالي ينمي علمه بذلك و يزكيه والثاني العمل به فان العمل به ايضا ينميه و يكثره و يفتح لصاحبه ابوابه وخباياه. وذكر الحافظ ابن رجب في شرح الاربعين النووية في قوله صلي الله عليه وسلم ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة قال سلوك الطريق لالتماس العلم يدخل فيه سلوك الطريق الحقيقي وهو المشي بالاقدام الى مجالس العلماء و يدخل فيه سلوك الطريق المعنوية المؤدية الى حصول العلم مثل حفظه ودراسته ومذاكرته ومطالعته وكتابته والتفهم له ونحو ذلك من الطريق المعنوية التي يتوصل بها الي العلم وقوله سهل الله له به طريقا الى الجنة قد يراد بذلك أن الله يسهل له العلم الذي طلبه وسلك طريقه و ييسره عليه فان العلم طريق موصل الى الجنة وهذا كقوله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر قاله بعض السلف فهل من طالب علم فيعان عليه وقد يراد أيضا أن الله ييسر لطالب العلم اذا قصد بطلبه وجه الله الانتفاع به والعمل بمقتضاه فيكون سببا لهدايته ولدخول الجنة بذلك وقد ييسر لطالب العلم علوما أخر ينتفع بها وتكون موصلة الى الجنة كما قيل من عمل بما علم أورثه الله علم مالم يعلم وكما قيل ثواب الحسنة الحسنة بعدها وقد دل على ذلك قوله تعالى ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم وقد يدخل في ذلك أيضا تسهيل طريق الجنة الحسى يوم القيامة وهو الصراط وماقبله وما بعده من الاهوال فييسر ذلك علي طالب العلم للانتفاع به فان العلم يدل علي الله من اقرب الطرق اليه فمن سلك طريقه ولم يعرج عنه وصل الى الله والى الجنة من أقرب الطرق واسهلها فسهلت عليه الطرق الموصلة الى الجنة كلها في الدنيا والآخرة انتهي وقد علمنا من قول الحافظ كما قيل من عمل بما علم الخ أنه ليس بحديث وقد ذكره بعض العلماء علي أنه من كلام النبي صلي الله عليه وسلم كما في البيضاوي وغيره وفي الآداب الكبرى الامام العلامة ابن مفلح أن الامام احمد طيب الله ثراه ذكر عن يزيد بن هارون عن حميد الطويل عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من عمل بما يعلم ورثه الله تعالى علم مالم يعلم قال أبو نعيم عقب ذلك ذكر احمد بن حنبل هذا الكلام عن بعض التابعين عن عيسى بن مريم عليه السلام فوهم بعض

الرواة انه ذكره النبي صلي الله عليه وسلم وقول الناظم سأبذلها جهدي يحتمل أنه أراد سأبذل الامانة جهدي كما قدمنا وجهدي مفعول مطلق معمول عامل محذوف أي بالغافي بذلها جهدى ويحتمل على بعد أنه أراد سأبذل لها أى للامانة في الحفظ والصيانة ووضعها في مواضعها جهدى فعلى الاول يكون الجهد في بذلها وعلي الثاني الجهد مفعولا ثانيا ولكنه غير مراد وبذل لا يتعدي الى مفعولين بل الوجه الاول والجهد الطاقة ويضم والمشقة واجهد جهدك ابلغ غايتك وجهد كمنع جد كاجتهد وأفاد كلامه رحمه الله أن العلم عند العالم وديعة ومثل كلامه مافي ديباجة الارشاد للامام ابن أبي موسى اعاننا الله وإياك على رعاية ودائعه وحفظ شرائعه وقد علم ضرورة أن الوديعة يجب علي المودع حفظها ومن جملة حفظ العلم الذى أودعه الله عند حامله أن يمتثل امر الله فيه فان الله تعالى أودع العلم من شاء من عباده وأمرهم ببذله للناس وتوعدهم على كتمانه فقال ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وقال ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب الآية وقال فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار رواه ابو داود والترمذي وحسنه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه والبيهقي ورواه الحاكم بنحوه وقال صحيح علي شرط الشيخين . وفي رواية ابن ماجه مامن رجل يحفظ علما فيكتمه الا أتى يوم القيامة ملجوما بلجام من نار وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ناصحوا في العلم فان خيانة احدكم في علمه أشد من خيانته في ماله وان الله سائلكم رواه الطبراني في الكبير قال الحافظ المنذرى ورواته ثقات الا أن أبا سعيد البقال واسمه سعيد بن المرزبان فيه خلاف وقال في باب ذكر الرواة سعيد بن المرزبان ابو سعد البقال قال القلاس متروك الحديث وقال البخاري منكر الحديث وقال ابو زرعة صدوق مدلس . واعلم أن الامانة تضمن بالتعدى أو التفريط والتعدى في العلم يشمل كتمانه عن من يستحقه فيلجمه الله بلجام من نار ويشمل أن يتخذه سلما يتوصل به الى تناول الدنيا وشبكة يصطاد بها حطامها ويشمل عدم

الاخلاص فيه فأما كتمانه فقد ذكرنا دليله وأما اتخاذه آلة يصطاد بها الدنيا فعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما مما يبتغي به وجه الله عز وجل لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعني ريحها رواه أبو داوود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه (وأخرج) الامام احمد وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه والبيهقي عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر هذه الأمة بالسنا والدين والرفعة أو الرفعة والتمكين في الارض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب وفي رواية عن البيهقي قال قال رسول صلى الله عليه وسلم بشر هذه الامة بالتيسير والسنا بالدين والتمكين في البلاد والنصر فمن عمل منهم بعمل الآخرة للدنيا فليس له في الآخرة من نصيب. وروى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا من تزين بعمل الآخرة وهو لا يريدها ولا يطلبها لعن في السموات والارض وروى في الكبير عن الجارود رضي الله عنه يرفعه من طلب للدنيا بعمل الآخرة طمس وجهه ومحق ذكره وأثبت اسمه في النار (وأخرج) الترمذي من رواية يحيى بن عبيد سمعت أبي يقول سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين يلبسون للناس جلود الضأن من اللين ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم قلوب الذئاب يقول الله عز وجل أبي تغترون أم علي تجترئون اني حلفت لأبعثن على أولئك فتنة تدع الحليم حيران ورواه الترمذي أيضا مختصرا منه حديث ابن عمر وقال حديث حسن. وقال ابن المبارك رضي الله عنه ما شيء أفضل من طلب العلم لله وما شيء أبغض الى الله من طلب العلم لغير الله (وأخرج) الترمذي وقال حسن غريب عن ابن عمر مرفوعا من تعلم علما لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار وسئل الحسن ما عقوبة العالم قال موت القلب قيل وما موت القلب قال طلب الدنيا بعمل الآخرة وأما قول بعض المتأخرين

خذ من علومي ولا تنظر الى عملي ... واقصد بذلك وجه الواحد الباري

وان مررت بأشجار لها ثمر　　فاجن الثمار وخلي العود للنار

فالمراد اذا كان أهلا للأخذ عنه ولكنه مقصر في العمل والا كان مردودا على قائله كما في الآداب الكبرى قال ولما حج سالم الخواص لقي سفيان بن عيينة رضي الله عنه في السوق فأنكر عليه كونه في السوق فأنشد ابن عيينة

خذ من علومي وان قصرت في عملي　　ينفعك علمي ولا يضررك تقصيري

فلعل مراد سفيان بن عيينة بذلك هضم نفسه فانه ممن اشتهر فضله وحسن علمه وعمله وهو من أعيان أتباع التابعين أخذ عنه الأئمة منهم الامام أحمد رضي الله عنه وأكثر ثلاثيات المسند عنه عن ابن دينار عن ابن عمر رضي الله عنهما وما أحسن قول القاضي أبي الحسن الجرجاني لنفسه

يقولون لي فيك انقباض وانما　　رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما

أرى الناس من داناهمو هان عندهم　　ومن أكرمته عزة النفس أكرما

ولم أقض حق العلم ان كان كلما　　بدا طمع صيرته لي سلما

اذا قيل هذا منهل قلت قد أرى　　ولكن نفس الحر تحتمل الظما

ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي　　لأخدم من لاقيت لكن لأخدما

أأشقى به غرسا وأجنيه ذلة　　اذا فاتباع الجهل قد كان أحزما

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم　　ولو عظموه في النفوس لعظما

ولكن أذلوه فهانوا ودنسوا　　محياه بالأطماع حتى تجهما

وفي الآداب الكبرى أرسل محمد بن سليمان أمير البصرة الى حماد بن سلمة يطلب منه الحضور اليه لأجل مسئلة وقعت له فأرسل اليه حماد انا أدركنا العلماء وهم لا يأتون أحدا فان وقعت لك مسئلة فأتنا فسلنا عما بدا لك قال والقصة مشهورة وفيها أن محمد بن سليمان جاء فجلس بين يديه ثم ابتدأ فقال ما لي اذا نظرت اليك امتلأت رعبا فقال حماد سمعت ثابتا البناني يقول سمعت أنس بن مالك يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان العالم اذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء واذا أراد أن يكثر به الكنوز هاب من كل شيء . وأما عدم الاخلاص فيه ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال ماعملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت ولكنك قاتلت حتى يقال جرىء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب علي وجهه حتى ألقي في النار ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها الا أنفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ولما بلغ معاوية رضى الله عنه هذا الحديث بكى حتى غشي عليه فلما أفاق قال صدق الله ورسوله قال الله عز وجل من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار (وخرج) الترمذي عن كعب بن مالك رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من طلب العلم ليماري به السفهاء أو يجاري به العلماء أو يصرف به وجوه الناس اليه أدخله الله النار وخرجه ابن ماجه بمعناه من حديث ابن عمر وحذيفة وجابر عن النبي صلى الله عليه وسلم ولفظ حديث جابر لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولا لتماروا به السفهاء ولا تخيروا به المجالس فمن فعل ذلك فالنار النار وروى الطبراني باسناد لا بأس به عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما ابتغى به وجه الله ولو لم يكن في الرياء الا تسميته بالشرك لكفى والله تعالى أعلم . وأما التفريط في العلم فيشمل الكذب فيه وعدم العمل به وتعليمه لمن ليس بأهل له وعدم صيانة ناموسه فيه . فأما الكذب فقد قال الله تعالى فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا والآيات في ذلك كثيرة وفي البخاري ومسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار هذا روي عن عدة من الصحابة حتى بلغ مبلغ التواتر (وفي صحيح مسلم) عن سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبي

صلى الله عليه وسلم قال من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين الكاذبين وأما عدم العمل به فقد قال تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها رواه مسلم والترمذي والنسائي (وفي) الصحيحين عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار برحاه فتجتمع أهل النار عليه فيقولون يافلان ما شأنك أليس كنت تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر فيقول كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن الشر وآتيه (وفي الصحيحين) عنه صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسري بي بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء يا جبريل قال خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون . وروي عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الزبانية أسرع الى فسقة القراء منهم الى عبدة الأوثان فيقولون يبدأ بنا قبل عبدة الاوثان فيقال لهم ليس من يعلم كمن لا يعلم رواه الطبراني وأبو نعيم وقال غريب قال الحافظ المنذري ولهذا الحديث مع غرابته شواهدا . وعن صهيب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما آمن بالقرآن من استحل محارمه رواه الترمذي وقال ليس بالقوي وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه وعن علمه فيم فعل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال صلى الله عليه وسلم رب حامل فقه غير فقيه ومن لم ينفعه علمه ضره جهله اقرأ القرآن ما نهاك فان لم ينهك فلست تقرؤه رواه الطبراني في الكبير من حديث ابن عمر وفيه شهر بن حوشب وثقه الامام احمد وابن معين والعجلي والنسوى وروى له مسلم مقرونا واحتج به غير واحد وجرحه آخرون .
وأما تعليم العلم لغير اهله فقد قال الامام علي رضي الله عنه ان ههنا علما وأشار بيده الى صدره لوا صبت له حملة . وقد أنهيت عليه الكلام في كتابي القول العلي لشرح

أثر الامام علي رضي الله عنه وقد قال الامام ابن عقيل في فنونه حرام على عالم قوي الجوهر ادرك بجوهريته وصفاء خاطره علما أطاقه فحمله أن يرشح به الى ضعيف لا يحمله ولا يحتمله فانه يفسده ولهذا قال عليه الصلاة والسلام نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم رواه ابو الحسن التميمي من اصحابنا في كتاب العقل له باسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم وخرجه الحافظ الضياء في المختارة من رواية احمد بن زياد العتكي عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أمرنا معشر الانبياء أن نكلم الناس على قدر عقولهم . وقال الامام البخارى قال علي رضي الله عنه حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون أتحبون أن يكذب الله ورسوله . وفي الآداب الكبري قال ابن عقيل واكداه من مخافة الاغيار . واحسرتاه من أجل اسماع ذي جهالة للحق والانكار . والله ما زال خواص عباد الله يتطلبون لنزوحهم بمناجاتهم رؤس الجبال والبراري والقفار . لما يرونه من المنكرين لشأنهم من الأغمار . وقال شعبة أتاني الاعمش وانا أحدث قوماً فقال ويحك تعلق اللؤلؤ في أعناق الخنازير قال مهنا للامام أحمد رضي الله عنه ما معنى قوله قال لا ينبغي أن يحدث من لا يستأهل وقال عيسى بن مريم عليه السلام للحكمة اهل فان وضعتها في غير اهلها ضيعت وان منعتها من أهلها ضيعت كن كالطبيب يضع الدواء حيث ينبغى وقال عليه السلام لا تطرح اللؤلؤ الى الخنزير فان الخنزير لا يصنع باللؤلؤ شيئا ولا تعط الحكمة من لا يريدها فان الحكمة خير من اللؤلؤ ومن لا يريدها شر من الخنزير وقال مالك ذل واهانة للعلم أن تتكلم به عند من يضيعه . ومن كلام الامام الشافعي رضي الله عنه

أأنثر درا بين سارحة النعم ... أأنظم منثوراً لراعية الغنم

الى أن قال فمن منح الجهال علما أضاعه ... ومن منع المستوجبين فقد ظلم

فعلى العالم كتم علمه عمن لا يقوم بنا موسه أو من يتخذه سلما لتناول مالا يحل تناوله أو من يحمله على غير محامله وآخر من رأينا من الأئمة من يتحرج من سماع من لا يصلح شيخنا الامام التقي الهمام النقي عبد القادر التغلبي فانه امتنع ان يقرئ جماعة المحكمة والحكام فقلت له في ذلك فقال ان هؤلاء يتخذون العلم وسيلة

لاصطياد الدنيا و يتعلمون مسائل الخلاف ليحكموا فيها بالتشهي أو كلاما هذا معناه وقد قال اصحابنا من تتبع الاقوال الضعيفة ومسائل الاختلاف وحكم فيها بالتشهى فهو مضل وفي كلام بعضهم انه زندقة كما في طبقات العليمي والله الموفق. والحاصل أن العلم كالسيف ان أعطيته لتقي قاتلَ به في سبيل الله وان ألقيته لشقى قطع به الطريق وأضر عباد الله وهذا مستثني من عموم قوله من سئل عن علم فكتمه ألجه الله يوم القيامة بلجام من نار وأما عدم صيانة ناموس العلم ففي الصحيحين أن ابن عباس رضى الله عنهما قال للامام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان الموسم يجمع الرعاع والغوغا فامهل حتى تقدم المدينة فتخلص بأهل الفقه فقدمنا المدينة فقبل عمر مشورة ابن عباس فلم يتكلم بذلك حتى قدم المدينة. قال الامام ابن الجوزى وفي هذا تنبيه على أن لا يودع العلم عند غير أهله ولا يحدث لقليل الفهم ما لا يحتمله فهمه والرعاع السفلة والغوغاء نحو ذلك وأصل الغوغا صغار الجراد وفي تاريخ ابن النجار عن ابن المبارك رضى الله عنه قال قدمت على سفيان الثورى بمكة فوجدته مريضا شاربا دواء فقلت له اني اريد أن أسألك عن اشياء قال فقل فقلت أخبرني من الناس قال الفقهاء قلت فمن الملوك قال الزهاد قلت فمن الأشراف قال الأتقياء قلت فمن الغوغاء قال الذين يكتبون الاحاديث يريدون أن يأكلوا أموال الناس قلت فمن السفلة قال الظلمة ولو أخذنا نتكلم على متعلقات العلم لطال الكتاب وأدى ذلك الى الاطناب. وهو وان كان غزير الفوائد كبير الفرائد كثير العوائد غير أن أبناء الزمان لا يألفون التطويل وقد تركه الناس منذ أزمان ثم أخذ الناظم رحمه الله تعالى ورضى عنه يتكلم على مقاصده فقال

أَلاَ كُلُّ مَنْ رَامَ السَّلاَمَةَ فَلْيَصُنْ ... جَوَارِحَهُ عَنْ مَا نَهَى اللهُ يَهْتَدِي

(ألا) حرف استفتاح و يأتي على خمسة اوجه للتنبيه كقوله تعالى ألا انهم هم السفهاء وتفيد التحقيق لتركبها من الهمزة ولا وهمزة الاستفهام اذا دخلت على النفي أفادت التحقيق وتأتي للتوبيخ والانكار كقول الشاعر

ألا ارعواء لمن ولت شبيبته ... وآذنت بمشيب بعده هرم

وللاستفهام عن النفي كقول الشاعر

ألا اصطبار لسلمي أم لها جلد　　اذا ألاقي الذي لاقاه أمثالي

وللعرض والتحضيض وتقدم معنا هما ومعناها هنا التحقيق (كل من) اي انسان (رام) قصد وطلب (السلامة) اى البراءة من العيوب كما في القاموس وهي من الكلمات الجوامع فان من سلم نجا فهى قريبة من العافية ولذا يكون كلام الرسل عند مرور الناس على الصراط اللهم سلم سلم وما احسن قول من قال

وقائلة مالى اراك مجانبـــا　　اموراً وفيها للتجارة مربح

فقلت لها كفي ملامك واسمعي　　فنحن أناس بالسلامة نفرح

(فليصن) أي فليحفظ يقال صنته أي حفظته في صوانة صونا وصيانا وصيانة فهو مصون والصوان بضم الصاد وكسرها والصـيانة بالكسر مع الياء لغة هو ما يصان فيه الشيء كما في لغـة الاقناع لمؤلفه رحمه الله تعالى (جوارحه) جمع جارحة سميت بذلك لانها تكتسب وتتصرف (عن ما) اي عن الاشياء التي (نهى الله) سبحانه وتعالى عنها نهيا مؤكدا جازما مقتضيا للوعيد على الفعل فانه يكون للتحريم كقوله جل شأنه لا تأكلوا الربا لا تقربوا الزنا وان كان النهى ليس معه جزم فهي كراهة كقوله صلى الله عليه وسلم اذا توضأ احدكم فأحسن وضوءه ثم خرج عامدا الى المسجد فلا يشبك بين اصابعه فانه في صلاة رواه الترمذي وابن ماجه وصون الانسان جوارحه وقلبه عن الاول واجب وعن الثاني مستحب كما يأتي فمن صانها عن الاشياء المنهي عنها فانه يهتدي للصراط المستقيم والطريق السالك القويم الهداية التامة ويفوز بالنجاة والدرجات العلى يوم القيامة ويسلم من القيود والاغلال ويكون له في ميدان الصالحين مجال ومفهوم نظامه أن من لم يصن جوارحه عن ما نهى الله عنه من المحظورات يكون عن السلامة بمعزل لانه لم يتق الله ولم يراقبه فيما نهى وأمر وقد أوصي الله بتقواه فالتقوي وصية الله للاولين والآخرين قال تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله وقال تعالى اتقوا الله حق تقاته قال ابن مسعود يطاع فلا يعصي ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر وخرجه الحاكم مرفوعا قال ابن رجب والموقوف اصح قال الحافظ ابن رجب وشكره يدخل فيه جميع فعل الطاعات ومعني ذكره فلا ينسى ذكر العبد بقلبه

لأوامر الله في حركاته وسكناته وكلماته فيمتثلها ولنواهيه في ذلك كله فيجتنبها قال
الشيخ الامام القدوة الزاهد العابد العارف عماد الدين ابو العباس احمد بن ابراهيم
ابن عبد الرحمن الواسطي الذي قال في حقه شيخ الاسلام ابن تيمية انه جنيد وقته
وكان من أصحاب ابن تيمية المعتبرين في رسالته التي كتبها لجماعة شيخ الاسلام
يحثهم على متابعته ويعظمه في نفوسهم ويذكر لهم من حقه ما يجب قال في
أول الرسالة وأبدأ من ذلك بأني أوصي نفسي وايا كم بتقوى الله وهي وصية الله
تعالى الينا والى الامم من قبلنا كما بين سبحانه وتعالى قائلا وموصيا ولقد وصينا الذين
أوتوا الكتاب من قبلكم وايا كم أن اتقوا الله وقد علمتم تفاصيل التقوى على
الجوارح والقلوب بحسب الاوقات والاحوال من الاقوال والاعمال والارادات
والنيات وينبغي لنا جميعا أن لا نقنع من الاعمال بصورها حتى نطالب قلوبنا بين
يدي الله تعالى بحقائقها ومع ذلك فليكن لنا همة علوية تترامي الى أوطان القرب
ونفحات المحبوبية والحب فالسعيد من حظى من ذلك بنصيب وكان سيده ومولاه
منه على سائر الاحوال قريبا الى ان قال وليكن لنا جميعا من الليل والنهار ساعة نخلو
فيها بربنا جل اسمه. وتعالى قدسه. نجمع بين يديه في تلك الساعة همومنا. ونطرح أشغال
الدنيا عن قلوبنا. فنزهد فيما سوى الله ساعة من نهار فبذلك يعرف الانسان حاله مع
ربه فمن كان له معربه حال تحركت في تلك الساعة عزائمه. وابتهجت بالمحبة
والتعظيم سرائره. وطالت الى العلا زفراته وكوامنه. وتلك الساعة أنموذج لحالة العبد
في قبره حين خلوه عن ماله وولده فمن لم يخل قلبه لله ساعة من نهار. لما احتوشته من
الهموم الدنيوية ذوات الآصار. فليعلم أنه ليس له ثم رابطة علوية. ولا نصيب من
المحبة ولا المحبوبية. فليبك على نفسه. ولا يرض منها الا بنصيب من قرب ربه وانسه.
فاذا خلصت لله تلك الساعة أمكن ايقاع الصلوات الخمس على نمطها من الحضور
والخشية والهيبة للرب العظيم فى السجود والركوع فلا ينبغي أن نبخل على أنفسنا في
اليوم والليلة من اربع وعشرين ساعة بساعة لله الواحد القهار نعبده فيها حق عبادته
ثم نجتهد على ايقاع الصلوات على ذلك النهج. وقال في محل آخر في غير الرسالة
ويحاسب الانسان نفسه في حركات جوارحه السبع من حين تطلع الشمس الى أن تغيب

ومن غر و بها الى أن تطلع وهي العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل وسيأتي الكلام عليها وأصل الجميع القلب بشهادة قوله صلى الله عليه وسلم ألا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب رواه البخاري ومسلم فاصلاح حركات العبد بجوارحه واجتنابه للمحرمات واتقائه للشبهات بحسب صلاح حركة قلبه فان كان قلبه سليما ليس فيه الا محبة ربه ومحبة ما يحبه وخشيته وخشية الوقوع فيما يكرهه صلحت حركات جوارحه كلها ونشأ عن ذلك اجتناب المحرمات كلها وتوقي المشتبهات . حذرا من الوقوع في المحرمات . وحصلت له السلامة من جميع الآفات . والعافية من كل المهلكات . وان كان القلب فاسداً قد استولى عليه اتباع هواه . وطلب ما يحبه ولو كرهه مولاه . فسدت حركات الجوارح . وانبعث الى كل المعاصي والقبائح . ولذا يقال القلب ملك الاعضاء وهي جنوده الطائعة . وحركتها كلها لحركته تابعة . فان كان الملك صالحا كانت الجنود صالحة . وان كان فاسداً كانت جنوده بهذه الحالة الفاضحة . وقد نص القرآن الحكيم . أنه لا ينفع عند الله الا القلب السليم . وكان عليه الصلاة والسلام يقول في دعائه وأسألك قلبا سليما فالقلب السليم هو الذي ليس فيه سوى ما يحبه الرب الحكيم . وفي مسند سيدنا الامام أحمد طيب الله مثواه عن أنس بن مالك خادم رسول الله رضي الله عنه وأرضاه عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه قال الحافظ ابن رجب عليه رحمة ربه المراد باستقامة ايمانه استقامة اعمال جوارحه في طاعة ربه فان اعمالها لا تستقيم الا باستقامة قلبه ومعني استقامة القلب أن يكون ممتلئا من تعظيم الله وحبه . وحب طاعته وكراهة معصيته وغضبه . قال الحسن لرجل داو قلبك فان حاجة الله الى العباد صلاح قلوبهم يعني أن مطلوب الرب من العباد . صلاح قلوبهم من المحن والفساد . ولا اصلاح للقلوب . حتى تستقر فيها معرفة علام الغيوب . وتمتلئ من خوفه وخشيته ومحبته وعظمته والتوكل عليه ومهابته والالتجاء اليه وهذا حقيقة التوحيد لله تعالى وهو معني لااله الا الله فلا صلاح للقلوب حتي تفرد محبة المحبوب وروى الليث عن مجاهد في قوله تعالى لا تشركوا بي شيئا لا تحبوا غيري . وفي صحيح

الحاكم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلي الله عليه وسلم قال الشرك أخفي من دبيب الذر على الصفا في الليلة الظلما وأدناه أن يحب على شيء من الجور وان يبغض على شيء من العدل وهل الدين الا الحب والبغض قال تعالي قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فهذا يدل على أن محبة مايكرهه الله وبغض مايحبه متابعة للهوى والموالاة على ذلك والمعاداة عليه من الشرك الخفي ويدل على ذلك قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أعطي لله ومنع لله وأحب لله وأبغض لله فقد استكمل الايمان . قال الحافظ ابن رجب ومعنى هذا أن حركات القلب والجوارح اذا كانت كلها لله فقد كمل ايمان العبد بذلك ظاهراً وباطنا ويلزم من صلاح حركات القلب صلاح حركات الجوارح فاذا كان القلب صالحا ليس فيه الا ارادة الله وارادة ما يريده لم تنبعث الجوارح الا فيما يريده الله فسارعت الى ما فيه رضاه وكفت عما يكرهه قال الحسن ماضربت ببصري ولا نطقت بلساني ولا بطشت بيدي ولا نهضت على قدمي حتي أنظر أعلى طاعة أو على معصية فان كانت طاعة تقدمت وان كانت معصية تأخرت . وقال محمد ابن الفضيل البلخي ما خطوت منذ اربعين سنة خطوة لغير الله عزوجل . وقيل لداود الطائي لو تنحيت من الظل الى الشمس فقال هذه خطا لا أدرى كيف تكتب فهؤلاء القوم لما صلحت قلوبهم فلم يبق فيها ارادة لغير الله صلحت جوارحهم فلم تحرك الا لله عز وجل بما فيه رضاه (واعلم) أن القلوب ثلاثة قلب خال من الايمان وجميع الخير فذلك قلب مظلم قد استراح الشيطان من القاء الوساوس اليه لانه قد اتخذه بيتاً ووطنا وتحكم فيه بما يريد وتمكن منه غاية التمكن . الثاني قد استنار بنور الايمان وأوقد فيه مصباحه لكن عليه ظلمة الشهوات وعواصف الاهوية فللشيطان هناك اقبال وادبار ومجاولات ومطامع فالحرب دول وسجال وتختلف احوال هذا الصنف بالقلة والكثرة فمنهم من أوقات غلبته لعدوه أكثر ومنهم من اوقات غلبة عدوه له اكثر ومنهم من هو تارة وتارة . الثالث قلب محشو بالايمان قد استنار بنور الايمان وانقشعت عنه حجب الشهوات وأقلعت عنه تلك الظلمات فلنوره في صدره اشراق . وايقاد لودنا منه الوسواس لادركه الاحتراق . فهو كالسماء المحروسة بالنجوم .

مطلب القلوب ثلاثة

فليس للشيطان عليه سلطان ولا هجوم . وليست السماء باعظم حرمة من المؤمن التي حرسها بالنجوم المؤمن المهيمن فكما أن السماء متعبد الملائكة الكرام ومستقر الوحي السديد . فقلب المؤمن مستقر التوحيد . والايمان والمحبة ومعرفة المجيد . فهو حري أن يحرس و يحفظ و يبعد عنه الشيطان و يدحض قد امتلأ من جلال الله وعظمته . ومراقبته ومحبته . فأي شيطان يجتري على هذا القلب وان اراد سرقة شيء منه رشقته الحرس بنبل اليقين وسهام الدعاء ومنجنيق الالتجاء وسيوف المحبة والقرب وربما ظفر منه بخطفة يخطفها او شبهة يقذفها على غفلة من العبد وغيرة فيه فيشبه له وتكون له عليه الكرة لأنه بشر وأحكام البشرية جارية عليه . فلا حول له ولا قوة الا بالتوكل على الله والالتجاء اليه . قال الامام ابن القيم في الكلم الطيب وقد ذكر عن وهب بن منبه أنه قال في بعض الكتب لست أسكن البيوت ولا تسعني واي شيء يسعني واي بيت يسعني والسموات حشو كرسي ولكن انا في قلب الوادع التارك لكل شيء سواي قال ابن القيم وهذا معنى الاثر الآخر ما وسعني سمواتي ولا ارضي ووسعني قلب عبدي المؤمن . وقال الشيخ عماد الدين الواسطي في بعض رسائله اذا اراد الله بعبده خيراً أقام في قلبه شاهداً من ذكر الآخرة يريه فناء الدنيا وزوالها . وبقاء الآخرة ودوامها . فيزهد في الفاني و يرغب في الباقي فيبدأ بالسير والسلوك في طريق الآخرة وأول السير فيها تصحيح التوبة والتوبة لا تتم الا بالمحاسبة ورعاية الجوارح السبعة العين والأذن الخ وكفها عن جميع المحارم والمكاره والفضول هذا احد شطري الدين ويبقي الشطر الآخر وهو القيام بالأوامر فتحقيق الشطر الاول وهو ترك المناهي من قلبه وقالبه أما القالب فلا يعصى الله بجارحة من جوارحه ومتى زال أو أخطأ تاب . وأما القلب فينقي منه الموبقات المهلكات مثل الرياء والعجب والكبر والحسد والبغض لغير الله وحب الدنيا ورد الحق واستثقاله والازدراء بالخلق ومقتهم وغير ذلك من الكبائر القلبية التي هي في مقابلة الكبائر القالبية من شرب الخمر والزنا والقذف وغير ذلك فهذه كبائر ظاهرة وتلك كبائر باطنة قال فمن انطوى على شيء من الكبائر الباطنية ولم يتب حبط عمله بدليل لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر وجاء أن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل

النار الحطب . وجاء يقول الله تعالى انا أغني الشركاء عن الشرك من عمل عملا فأشرك معي فيه غيري تركته وشركه . وقال تعالى فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه احداً فمتى تنقي القلب من مثل هذه الخبائث والرذائل ظهر وسكنت فيه الرحمة في مكان البغض . والتواضع في مقابلة الكبر . والنصيحة في مقابلة الغش . والاخلاص في مقابلة الرياء . ورؤية المنة في مقابلة العجب ورؤية النفس . فعند ذلك تزكو الاعمال وتصعد الى الله تعالى ويطهر القلب ويبقي محلا لنظر الحق بمشيئة الله ومعونته فهذا احد شطري الدين وهو رعاية الجوارح السبعة عن المآثم والمحارم وانما تصلح وتطهر برعاية القلب وطهارته من الموبقات والجرائم ومعني الموبقات المهلكات (أخرج) البخارى ومسلم وابو داود والنسائي عن ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يارسول الله وماهن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق وأكل مال اليتيم وأكل الربا والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات وسيأتي الكلام على بعض ما يتعلق من الآفات كالكبر والحسد وغيرهما ان شاء الله تعالى . ولما ذكر الناظم أن من طلب السلامة فعليه بحفظ جوارحه السبع عما نهي الله بدأ رحمه الله تعالى بذكر آفات أسرعها حركة وهو اللسان فقال

مطلب الموبقات السبع

يُكِبُّ الفَتَى فِي النَّارِ حَصْدُ لِسَانِهِ ... وَارسَالُ طَرْفِ المَرْءِ أَنْكَى فَقَيِّدِ

(يكب) أي يقلب ويصرع يقال كبه صرعه كأكبه وكبكبه فأكب وهو لازم ومتعد (الفتي) قال في القاموس الفتي الشاب والسخي الكريم جمعه فتيان وفتوة والمراد هنا يكب الانسان (في النار) المعهودة المعلومة وهي نار جهنم التي وقودها الناس والحجارة التي من دخلها خسر خسارة عظيمة وخابت منه الصفقة والتجارة وهي احدي العظيمتين اللتين امر النبي صلى الله عليه وسلم أن لا ينسيا (أخرج) ابو يعلى عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خطب فقال لا تنسوا العظيمتين الجنة والنار ثم بكي حتى جري أو بل دموعه جانبي لحيته ثم قال والذي نفس محمد بيده لو تعلمون ما أعلم من الآخرة لمشيتم الى الصعيد ولحثيتم على رؤسكم التراب . وروي عن انس

رضي الله عنه قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وقودها الناس والحجارة فقال أوقد عليها الف عام حتى احمرت والف عام حتى ابيضت والف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يطفأ لهبها رواه البيهقي والأصبهاني (وأخرج) مسلم والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالنار يوم القيامة لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها (وأخرج) البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ناركم هذه ما يوقد بنو آدم جزء واحد من سبعين جزأ من نار جهنم قالوا والله ان كانت لكافية قال انها فضلت عليها بتسعة وستين جزأ كلهن مثل حرها ورواه الامام احمد وابن حبان في صحيحه والبيهقي وزادوا فيه وضربت بالبحر مرتين ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد. وصفات النار وأوديتها وجبالها وآبارها وحياتها وعقاربها وشررها وزقومها وزمهريرها وسائر ما فيها من الذي ذكره لنا النبي صلى الله عليه وسلم ودونه العلماء معلوم مفرد في كتب له وقد ذكرنا طرفا من ذلك شافيا وقسما وافيا في كتابنا البحور الزاخرة في علوم الآخرة وهو كتاب جليل المقدار. اشتمل على الموت والبرزخ والحشر والموقف والجنة والنار. وغير ذلك من أحوال الآخرة. وفيه من نفائس العلوم. وجواهر المنطوق والمفهوم. درر فاخرة ومن ثم سميناه بالبحور الزاخرة. فانه اسم يوافق مسماه. ولفظه يطابق معناه. وقد ألف الامام ابن القيم في صفة الجنة كتابه حادي الارواح. الى منازل الافراح وألف الامام الحافظ ابن رجب تلميذه كتابه صفة النار. والتحذير من دار البوار وجل مقاصد كتابي البحور في البابين من الكتابين. والنار أعظم من أن تذكر. وأفخم من أن تحصر. ولكن ذكرناهذا ليحذر. وأ كثر ما يكب الانسان فيها على وجهه ومنخريه (حصد لسانه) بمعنى محصوده شبه ما يمسكه من الكلام الحرام كالكفر والقذف بحصاد الزرع استعارة تحقيقية بعد تشبيه الألسنة بحصاد الزرع استعارة مكنية وأشار الناظم بهذا الى حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة و يباعدني من النار قال لقد سألت عن عظيم وأنه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي

الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النار وصلاة الرجل من جوف الليل ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون ثم قال ألا أخبرك برأس الامر وعموده وذروة سنامه قلت بلى يا رسول الله قال رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يا رسول الله فأخذ بلسانه قال كف عليك هذا قلت يا نبي الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح . قال الحافظ ابن رجب وخرجه الامام احمد والنسائي وابن ماجه ثم قال هذا يدل على أن كف اللسان وضبطه وحبسه هو أصل الخير كله وأن من ملك لسانه فقد ملك أمره وأحكمه وضبطه . وخرج البزار من حديث أبي يسر أن رجلا قال يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال أمسك هذا وأشار الى لسانه فأعادها عليه وقال ثكلتك أمك هل يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصائد ألسنتهم وقال اسناد حسن قال الحافظ ابن رجب والمراد بحصائد الالسنة جزاء الكلام المحرم وعقوباته فان الانسان يزرع بقوله وعمله الحسنات والسيئات ثم يحصد يوم القيامة مازرع فمن زرع خيرا من قول أو عمل حصد الكرامة ومن زرع شرا من قول أو عمل حصد الندامة وظاهر حديث معاذ أن أكثر ما يدخل به الناس النار النطق بألسنتهم فان معصية النطق يدخل فيها الشرك وهو أعظم الذنوب عند الله عز وجل ويدخل فيها القول على الله بغير علم وهو قرين الشرك وشهادة الزور التي عدلت الشرك بالله والسحر والقذف وغير ذلك من الكبائر والصغائر كالكذب والنميمة والغيبة وسائر المعاصي القولية وكذا الفعلية لا يخلو غالبا من قول يقترن بها يكون معينا عليها . وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أكثر ما يدخل الناس النار الأجوفان الفم والفرج رواه الامام احمد والترمذي (وأخرج) البخاري والترمذي عن سهل ابن سعد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة . وعند الامام أحمد والطبراني وابو يعلي

ورواته ثقات عن ابي موسى مرفوعا من حفظ مابين فقمية وفرجه دخل الجنة والفقمان هما اللحيان والترمذي وحسنه وابن حبان في صحيحه عن ابي هريرة مرفوعا من وقاه الله شرما بين لحييه وشرما بين رجليه دخل الجنة والطبراني في الاوسط عن انس مرفوعا من حفظ لسانه ستر الله عورته ورواه ابو يعلى بلفظ من خزن لسانه ستر الله عورته والطبراني في الصغير والاوسط عنه مرفوعا لا يبلغ المؤمن حقيقة الايمان حتى يخزن من لسانه . وفي الصحيحين عن ابي هريرة ايضا رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليتكلم بالكلمة مايتبين مافيها يزل بها في النار أبعد مابين المشرق والمغرب وخرجه الترمذي ولفظه ان الرجل ليتكلم بالكلمة لايري بها بأسايهوي بهاسبعين خريفافي النار . وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت رواه البخاري ومسلم . وروي الطبراني من حديث اسود بن اصرم المحاربي قال قلت يارسول الله أوصني قال هل تملك لسانك قلت ماأملك اذا لم املك لساني قال فهل تملك يدك قلت ماأملك اذالم أملك يدي قال فلا تقل بلسانك الا معروفا . ولا تبسط يدك الاالى خير . وفي مسند الامام احمد رضى الله عنه عن انس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لايستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه والطبراني عن معاذ مرفوعا انك لن تزال سالما ما سكت فاذا تكلمت كتب لك أو عليك . وفي المسند عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً من صمت نجا وخرج الامام احمد من حديث سليمان بن سحيم عن امه قالت سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل ليدنو من الجنة حتى ما يكون بينه و بينها الاذراع فيتكلم بالكلمة فيتباعد منها أبعد من صنعاء . وخرج ايضا الترمذي والنسائي عن بلال بن الحارث مرفوعاً ان احدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ مابلغت فيكتب الله بها رضوانه الى يوم يلقاه وان احدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله مايظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه الى يوم يلقاه . وقال صلى الله عليه وسلم كلام ابن آدم عليه لا له الا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وذكر الله عز وجل اذا

مطلب في ذكر طرف من آفات اللسان

علمت ما ذكرنا. وفهمت مضمون ماحررنا. تيقنت عظم شأن اللسان. ومايعود به على الانسان. ولنتكلم على آفات اللسان وشؤونه في مقامات (المقام الاول) في ذكر طرف من آفات اللسان وهي كثيرة جدا منها الكلام فيما لا يعني ومعنى الذي لايعنيه لاتتعلق عنايته به ولا يكون من مقصده ومطلوبه . والعناية شدة الاهتمام بالشيء يقال عناه يعنيه اهتم به وطلبه وقد روى الترمذى عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه قال الحافظ ابن رجب وليس المراد انه يترك ما لا عناية له ولا ارادة بحكم الهوى وطلب النفس بل بحكم الشرع والاسلام ولذا جعله من حسن الاسلام فاذا حسن اسلام المرء ترك ما لا يعنيه في الاسلام من الاقوال والافعال فان الاسلام يقتضى فعل الواجبات وكذا يندب الى فعل المندوبات فالمراد بتركه مالا يعني من المحرمات والمشتبهات والمكروهات وفضول المباحات التى لايحتاج اليها فان هذا كله لا يعنى المسلم اذا كمل اسلامه وبلغ درجة الاحسان وهو أن يعبد الله كانه يراه فان لم يكن يراه فان الله يراه فمن عبد الله على استحضار قربه ومشاهدته بقلبه أو على استحضار قرب الله منه واطلاعه عليه فقد أحسن اسلامه ولزم من ذلك أن يترك كل ما يستحيي منه وفي مسند الامام احمد والترمذي عن ابن مسعود مرفوعا الاستحياء من الله أن يحفظ الرأس وماحوي ويحفظ البطن وماوعي ولتذكر الموت والبلى فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء. وفي المسند من حديث الحسين رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من حسن اسلام المرء قلة الكلام فيما لا يعنيه . وأخرج الخرائطي عن ابن مسعود رضى الله عنه قال اتي النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يارسول الله اني مطاع في قومى فما آمرهم قال له مرهم بافشاء السلام وقلة الكلام الا فيما يعنيهم . وفي صحيح ابن حبان عن أبي ذر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان في صحف ابراهيم عليه السلام وعلى العاقل مالم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر فيها في صنع الله وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب . وعلى العاقل أن لايكون ظاعنا الا لثلاث تزود لمعاد أو مرمة لمعاش أو لذة في غير محرم . وعلى

العاقل أن يكون بصيرا بزمانه . مقبلا على شانه . حافظا للسانه . ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه . وكذا قال عمر بن عبد العزيز من عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه (وخرج) الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال توفي رجل من أصحابه يعني النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل يعني أبشر بالجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا تدرى فلعله تكلم بما لا يعنيه أو بخل بما لا يغنيه وفي بعضها ان الصحابي قتل شهيدا (وأخرج) العقيلي عن أبي هريرة مرفوعاً أكثر الناس ذنو با أكثرهم كلاما فيما لا يعنيه قال الحافظ ابن رجب دخلوا على بعض الصحابة في مرضه و وجهه يتهلل فسألوه عن سبب تهلل وجهه فقال مامن عمل أوثق عندي من خصلتين كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني وكان قلبي سليما للمسلمين . وقال الحسن من علامة اعراض الله عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه . وقال سهل التستري من تكلم فيما لا يعنيه حرم الصدق . وقال معروف كلام العبد فيما لا يعنيه خذلان من الله عز وجل ومر رجل بلقمان الحكيم والناس عنده فقال له ألست عبد بني فلان قال بلى قال الذي كنت ترعي عند جبل كذا وكذا قال بلى قال فما بلغ بك ما أرى قال صدق الحديث وطول السكوت عما لا يعنيني . ومنها كثرة الكلام وقد ذكرنا أن من علم أن كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه . وقد قال النخعي يهلك الناس في فضول الكلام والمال . وفي الترمذي عن ابن عمر مرفوعاً لا تكثر الكلام بغير ذكر الله فان كثرة الكلام بغير ذكر الله تقسي القلب وان أبعد الناس عن الله القلب القاسي . وقال عمر من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار اولى به وخرجه العقيلي من حديث ابن عمر مرفوعا باسناد ضعيف . وكان سيدنا أبو بكر الصديق رضوان الله عليه يأخذ بلسانه ويقول هذا الذي أوردني الموارد فقد روى مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر رضي الله عنه دخل على أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو يجبذ لسانه فقال عمر مه غفر الله لك فقال أبو بكر هذا أوردني الموارد وفي رواية للبيهقي هذا أوردني شر الموارد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شيء من

الجسد الا يشكو ذرب اللسان على حدته . وذرب اللسان بفتح الذال المعجمة والراء جميعا هو حدته وشره وفحشه . وقال ابن بريدة رأيت ابن عباس رضي الله عنهما أخذ بلسانه وهو يقول ويحك قل خيرا تغنم أو اسكت عن شر تسلم والا فاعلم أنك ستندم قال فقيل له يا أبا عباس لم تقول هذا قال انه بلغني أن الانسان أراه قال ليس على شيء من جسده أشد حنقا أو غيظا يوم القيامة منه على لسانه الا قال به خيرا أو أملى به خيرا . وكان ابن مسعود يحلف بالله الذي لا اله الا هو ماعلى الارض شيء أحوج الى طول سجن من لسان . وقال الحسن اللسان أمير البدن اذا جنى على الاعضاء شيئا جنت واذا عف عفت . وسئل ابن المبارك عن قول لقمان لابنه ان كان الكلام من فضة فان الصمت من ذهب فقال لو كان الكلام بطاعة الله من فضة فان الصمت عن معصية الله من ذهب (وأخرج) ابن أبي الدنيا والبزار والطبراني وابو يعلى ورواته ثقات عن أنس رضي الله عنه قال لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا ذر فقال يا أبا ذر ألا أدلك على خصلتين هما خفيفتان على الظهر وأثقل في الميزان من غيرهما قال بلى يارسول الله قال عليك بحسن الخلق وطول الصمت فوالذي نفسي بيده ماعمل الخلائق بمثلها وروى ابن أبي الدنيا وأبو يعلى عن أنس مرفوعا من سره أن يسلم فليلزم الصمت (وأخرج) البخارى ومسلم وأبو داود وغيرهم عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله كره لكم ثلاثا قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال . وقال بعض السلف لو كنتم تشترون الكاغد للحفظة لسكتم عن كثير من الكلام . وقيل لبعضهم لم لزمت السكوت قال اني لم أندم على السكوت قط وقد ندمت على الكلام مراراً وفيما قيل جرح اللسان كجرح اليد وقيل اللسان كلب عقور ان خلي عنه عقر وروي عن سيدنا الامام علي رضي الله عنه أنه أنشد بلسانه

(يموت الفتى من عثرة من لسانه ... وليس يموت المرء من عثرة الرجل)
(فعثرته من فيه ترمي برأسه ... وعثرته بالرجل تبرى على مهل)

ومما قيل (قد أفلح الساكت الصموت ... كلامه قد يعد قوت)

(ما كل نطق له جواب جواب ما تكره السكوت)
(وأعجب الأمر من ظلوم مستيقن أنه يموت).

وأنشد بعضهم

(عجبت لادلال الغبي بنفسه وصمت الذي قد كان بالعلم أعلما)
(وفي الصمت ستر للغبي وانما صحيفة لب المرء أن يتكلما)

قال الامام ابن مفلح في الآداب الكبرى كان الامام مالك يعيب كثرة الكلام ويقول لا يوجد الا في النساء والضعفاء . وفي خبر مأثور الخير كله في ثلاث السكوت والكلام والنظر فطوبى لمن كان سكوته فكرة وكلامه حكمة ونظره عبرة والله أعلم . ومنها الكذب وهو من الآفات العظام والذنوب الجسام والبذاذة وشهادة الزور وقول الفجور وسيأتي الكلام عليها في محالها إن شاء الله تعالى . ومنها القذف وتقدم حديث ابي هريرة في الموبقات عند الشيخين وغيرهما . وروي الطبراني باسناد جيد عن ابي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ذكر امرأ بشئ ليس فيه ليغيبه به حبسه الله في نار جهنم حتى يأتي بنفاذ ما قال فيه . وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قذف مملوكه بالزنا يقام عليه الحد يوم القيامة الا أن يكون كما قال (المقام الثاني) في بعض شؤون ما يتعلق باللسان من الأحكام وهي كثيرة جدا . منها الشهادتان وتكبيرة الاحرام وأذكار الصلوات وأذكار الحج والاذان وأداء الشهادات والاقرار بالحقوق والعتق والتدبير وقراءة القرآن والعلوم الى غير ذلك مما هو معلوم فان الشريعة مدارها على خمسة احكام الواجب والمندوب والمباح والمكروه والحرام وكلها ترجع الى ترك محظور وفعل مأمور وذلك اما قول وإما عمل والنية من عمل القلب فرجعت أحكام الشريعة الى أقوال وأفعال وجميع الأقوال متعلقة أحكامها باللسان وقل أن يخلو فعل عن قول فاللسان من اعظم جوارح الانسان ومن ثم قيل المرء بأصغريه قلبه ولسانه وقال الشاعر

(احفظ لسانك أيها الانسان لا يلدغنك انه ثعبان)
(كم في المقابر من صريع لسانه كانت تهاب لقاءه الشجعان).

ولما طلب من لقمان أو غيره أطيب ما في الحيوان أتي بقلبه ولسانه ثم طلب منه أخبث ما فيه فأتى بهما فقيل له في ذلك فقال هما أطيبا الحيوان اذا طابا وأخبثه اذا خبثا والله تعالى الموفق (المقام الثالث) في مسائل تتعلق بما ذكرنا المسئلة الاولى هل الكلام افضل من السكوت أم عكسه افضل المعتمد أن الكلام أفضل لانه من باب التحلية والسكوت من التخلية والتحلية افضل ولان المتكلم حصل له ما حصل للساكت وزيادة وذلك أن غاية ما يحصل للساكت السلامة وهي حاصلة لمن يتكلم بالخير مع ثواب الخير قال الامام الحافظ ابن رجب تذاكروا عند الاحنف بن قيس أيما افضل الصمت أو النطق فقال قوم الصمت افضل فقال الاحنف النطق افضل لان فضل الصمت لا يعدو صاحبه والمنطق الحسن ينتفع به من سمعه . وقال رجل من العلماء عند عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الصامت على علم كالمتكلم على علم فقال عمر اني لأرجو أن يكون المتكلم على علم أفضلهما يوم القيامة حالا وذلك أن منفعته للناس وهذا صمته لنفسه قال يا أمير المؤمنين وكيف بفتنة المنطق فبكي عمر عند ذلك بكاء شديدا قال الحافظ ولقد خطب عمر بن عبد العزيز يوما فرق الناس وبكوا فقطع خطبته فقيل له لو أتممت كلامك رجونا أن ينفع الله به فقال عمر ان القول فتنة والفعل أولى بالمؤمن من القول قال الحافظ رحمه الله تعالى وكنت من مدة قد رأيت عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في المنام وسمعته يتكلم في هذه المسئلة وأظن اني فاوضته فيها وفهمت من كلامه أن التكلم بالخير أفضل من السكوت وأظن أنه وقع في أثناء الكلام ذكر سليمان بن عبد الملك وأن عمر قال ذلك له وقد روى أن سليمان بن عبد الملك قال الصمت منام العقل والمنطق يقظته ولا يتم حال الا بحال يعنى لا بد من الصمت والكلام وما أحسن قول عبيد الله بن أبي جعفر وكان أحد الحكماء يقول اذا كان المرء يحدث في مجلس فاعجبه الحديث فليسكت واذا كان ساكتا فأعجبه السكوت فليحدث قال الحافظ وهذا حسن فان من كان كذلك كان سكوته وحديثه بمخالفة هواه واعجابه بنفسه ومن كان كذلك كان جديرا بتوفيق الله اياه وتسديده في نطقه وسكوته لان كلامه وسكوته يكون لله عز وجل . وفي مراسيل الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه

مطلب هل الكلام افضل من السكوت أم العكس

عن ربه عز و جل قال علامة الطهران أن يكون قلب العبد عندي معلقا فاذا كان كذلك لم ينسني على حال واذا كان كذلك مننت عليه بالاشتغال بي لا ينساني فاذا نسيني حركت قلبه فان تكلم تكلم لى وان سكت سكت لى فذلك الذي يأتيه المعونة من عندى رواه ابراهيم بن الجنيد ثم قال الحافظ و بكل حال فالتزام الصمت واعتقاده قربة اما مطلقا أوفي بعض العبادات كالحج والاعتكاف والصيام منهي عنه وفي حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهي عن صيام الصمت. وخرج الاسماعيلي عن علي رضي الله عنه قال نهانا رسول الله صلي الله عليه وسلم عن الصمت في العكوف. وفي سنن أبي داود عن علي رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصمات يوم الى الليل وقال أبو بكر رضي الله عنه لامرأة حجت مصمتة ان هذا لايحل هذا من عمل الجاهلية و روي عن على بن الحسين زين العابدين رضى الله عنه وعن آبائه أنه قال صوم الصمت حرام والله تعالي أعلم. المسئلة الثانية أي الجارحتين أفضل اللسان أم العينان لاشك أن أشرف مافي الانسان محل العلم منه وهو قلبه ولسانه وسمعه و بصره ولما كان القلب هو محل العلم والسمع رسوله الذي يأتي به والعين طليعته كان ملكا علي سائر الاعضاء يأمرها فتأتمر بأمره ويصرفها فتنقاد له طائعة بما خص به من العلم دونها فلذلك كان ملكها والمطاع فيها قال الامام المحقق ابن القيم في مفتاح دار السعادة اللسان أحد آيات الله الدالة عليه وهو ترجمان ملك الاعضاء يبين عنه و يبلغ عن مقاصده ومراداته فجعله سبحانه ترجمانا للملك الاعضاء الذي هو القلب مبينا عنه كما جعل الاذن رسولا مؤديا مبلغا اليه فهي رسوله و بريده الذى يؤدي اليه الاخبار واللسان رسوله و بريده الذي يؤدي عنه ما يريد واقتضت حكمته سبحانه أن جعل هذا الرسول مصونا محفوظا مستورا غير بارز مكشوف كالاذن والعين والانف لأن تلك الاعضاء لما كانت تؤدى من الخارج اليه جعلت بارزة ظاهرة ولما كان اللسان مؤديا منه الى الخارج جعل مستورا مصونا لعدم الفائدة في اخراجه لأنه لايأخذ من خارج الى القلب قال وأيضا فانه لما كان أشرف الأعضاء بعد القلب ومنزلته منه منزلة ترجمانه ووزيره

مطلب أى الجارحتين أفضل اللسان أم العينان

ضرب عليه سرادق يستره و يصونه و جعل في ذلك السرادق كالقلب في الصدر فعلم من كلامه أن أشرف الاعضاء بعد القلب اللسان وهو كذلك وقال في موضع آخر ولما كان للسمع والبصر من الادراك ما ليس لغيرهما من الاعضاء كانا في أشرف جزء من الانسان وهو وجهه واختلف في الافضل منهما فقالت طائفة منهم ابو المعالي وغيره السمع افضل من البصر قالوا لانه به تنال سعادة الدنيا والآخرة فانها انما تحصل بمتابعة الرسل وقبول رسالاتهم و بالسمع عرف ذلك فان من لا سمع له لا يعلم ما جاؤا به وايضا فان السمع يدرك به أجل شيء وافضله وهو كلام الله الذي فضله على الكلام كفضل الله على خلقه وايضا انما تنال العلوم بالتفاهم والتخاطب ولا يحصل ذلك الا بالسمع ومدرك السمع اعم من مدرك البصر فانه يدرك الكليات والجزئيات والشاهد والغائب والموجود والمعدوم بخلاف البصر فانه انما يدرك بعض المشاهدات والسمع يسمع كل علم فأين احدهما من الآخر ولو فرضنا شخصين احدهما يسمع كلام الرسول ولا يرى شخصه والآخر بصير يراه ولا يسمع كلامه لصممه هل كانا سواء وايضا ففاقد البصر انما يفقد ادراك بعض الامور الجزئية المشاهدة و يمكنه معرفتها بالصفة ولو تقريبا بخلاف فاقد السمع فان الذي فاته من العلم لا يمكن حصوله بحاسة البصر ولا قريبا منه وقد ذم الله سبحانه الكفار بعدم السمع في القرآن أكثر من ذمه لهم بعدم البصر بل انما يذمهم بعدم البصر تبعا لعدم العقل والسمع وأيضا الذي يورده السمع على القلب من العلوم لا يلحقه فيه كلال ولا سآمة ولا تعب مع كثرته وعظمه بخلاف الذي يورده البصر عليه فانه يلحقه فيه الكلال والضعف والنقص وربما خشي صاحبه على ذهابه مع قلته بالنسبة الى السمع . وقالت طائفة منهم ابن قتيبة بل البصر افضل فان أعلى النعيم لذة وأفضله منزلة النظر الى الله تعالى في دار الآخرة وهذا انما ينال بالبصر وهذه وحدها كافية في تفضيله قالوا وهو مقدمة القلب وطليعته ورائده فمنزلته عنده أقرب من منزلة السمع ولهذا كثيرا يقرن بينهما في الذكر كقوله فاعتبروا يا أولي الابصار فالاعتبار بالقلب والبصر بالعين وقوله ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ولم يقل وأسماعهم وقال تعالى فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى

مطلب هل السمع أفضل أم البصر

القلوب التي في الصدور وقال يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وهذا وأمثاله يدل على شدة الوصلة والارتباط بين القلب والبصر ولما كان القلب أشرف الاعضاء كان أشدها ارتباطا به أشرف من غيره ولهذا يأمنه القلب على ما لا يأمن السمع عليه بل اذا ارتاب من جهة عرض ما يأتيه به على البصر ليزكيه أو يرده فالبصر حاكم مؤتمن عليه قالوا ومن هذا الحديث المشهور الذي رواه الامام احمد في مسنده مرفوعا ليس الخبر كالمعاين ولذا أخبر الله سبحانه موسى بأن قومه افتتنوا من بعده وعبدوا العجل فلم يلحقه في ذلك ما لحقه عند رؤية ذلك ومعاينته من القاء الالواح وكسرها لقوة المعاينة على الخبر وهذا ابراهيم خليل الله سأل ربه يريه كيف يحيي الموتى وقد علم ذلك بخبر الله له ولكن طلب افضل المنازل وهي طمأنينة القلب قالوا ولليقين ثلاث مراتب أولها السمع وثانيها العين وهي المسماة بعين اليقين وهي افضل من المرتبة الاولى واكمل وتقدم بيانها قالوا وايضا فالبصر يؤدي الى القلب ويؤدي عنه فان العين مرآة القلب يظهر فيها ما يجنه من البغض والمحبة والموالاة والمعاداة والسرور والحزن وأما الاذن فلا تؤدي عن القلب شيئا البتة وانما مرتبتها الايصال اليه حسب فالعين اشد تعلقا به قال والصواب أن كلا منهما له خاصية فضل بها الآخر فالمدرك بالسمع أعم وأشمل والمدرك بالبصر أتم وأكمل فالسمع له العموم والشمول والبصر له الظهور والتمام وكمال الادراك وأما نعيم الجنة فشيئان احدهما النظر الى الله والثاني سماع خطابه وكلامه كما رواه الامام ابن الامام عبد الله ابن الامام احمد في السنة وغيره كأن الناس يوم القيامة لم يسمعوا القرآن اذا سمعوه من الرحمن عز وجل قال ومعلوم أن سلامه عليهم وخطابه لهم ومحاضرته اياهم كما في الترمذي وغيره لا يشبهها شيء قط ولا يكون أطيب عندهم منها ولهذا يذكر سبحانه في وعيد أعدائه أنه لا يكلمهم كما يذكر أصحابه عنهم ولا يرونه فكلامه ورؤيته أعلى نعيم أهل الجنة وقال في موضع آخر من كتاب مفتاح دار السعادة واختلف النظار في الضرير والأطرش أيهما أقرب الى الكمال وأقل اختلالا لأموره وهذا مبني على أصل وهو أي الصفتين أكمل صفة السمع أو صفة البصر ثم أشار الى ما قدمنا وأنه أي الصفتين كان أكمل

فالضرر بعدهما أقوى ثم قال والذي يليق بهـذا الموضع أن يقال عادم البصر أشدهما ضررا وأسلمهما دينا وأحمدهما عاقبة وعادم السمع أقلهما ضررا في دنياه وأجهلها بدينه وأسوأ عاقبة فانه اذا عدم السمع عـدم المواعظ والنصائح وانسدت عليه أبواب العلوم النافعة وانفتح له طرق الشهوات التي يدركها البصر ولا يناله من العلم ما يكفه عنها فضرره في دينه أكثر وضرر الأعمى في دنياه أكثر ولهذا لم يكن في الصحابة رضي الله عنهم أطرش وكان فيهم جماعة أضراء وقل أن يبتلي الله أولياءه بالطرش و يبتلي كثيرا منهم بالعمى فهـذا فصل الخطاب في هذه المسئلة فمضرة الطرش في الدين ومضرة العمى في الدنيا والمعافي من عافاه الله منهما ومتعه بسمعه وبصره وجعله الوارث منه انتهى والحاصل أن القلب أفضل الجوارح اذ هو الملك ثم اللسان ثم السمع لسعة ادراكه ثم البصر على اختلاف في الأخيرين كما ذكرنا وأما الأولان فلا خلاف فيهما فيما علمنا ولذا يلحق من عدم البيانين بيان اللسان و بيان الجنان بالحيوانات البهيمية بل هي أحسن حالا منه وان عدم بيان اللسان وحده عدم خاصية الانسان وهي النطق واشتدت المؤنة به وعليه وعظمت حسرته فطال تأسفه على رد الجواب ورجع الخطاب فهو كالمقعد الذي يرى ما هو محتاج اليه ولا تمتد يده اليه فجل شأن الله كم له من نعمة على عباده سابغة في هذه الأعضاء والقوى والمنافع فحكمته سبحانه بالغة وهذه مسئلة شريفة قل أن تعثر عليها في كتاب والله أعلم بالصواب

(المسئلة الثالثة) هل الملكان الكريمان الكاتبان يكتبان كل ما يتكلم به الانسان أو لا يكتبان الا ما فيه ثواب وعقاب اختلف العلماء في ذلك على قولين مشهورين قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما يكتب الملك كلما يتكلم به من خير أو شر حتى أنه ليكتب قول أكلت وشربت وذهبت وجئت حتى اذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله فأقر منه ما كان فيه خير أو شر وألغي سائره فذلك قوله تعالى يمحوا الله ما يشاء و يثبت وعنـده أم الكتاب وقد قال تعالى اذ يتلقى المتلقيان عن اليمـين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد . قال الحافظ ابن رجب وقد أجمع السلف الصالح على أن الذي عن

مطلب هل الملكان يكتبان كل ما يتكلم به الانسان

يمينه يكتب الحسنات والذي عن شماله يكتب السيئات وقد روي ذلك مرفوعا
من حديث أبي أمامة باسناد ضعيف وفي الصحيح اذا كان أحدكم يصلي فانه يناجي
ربه والملك عن يمينه . وروي من حديث حذيفة مرفوعا أن عن يمينه كاتب
الحسنات وعن يحيى بن أبي كثير قال ركب رجل حمارا فعثر به فقال تعس الحمار
فقال صاحب اليمين ما هي حسنة أ كتبها .وقال صاحب اليسار ما هي سيئة
فأ كتبها فأوحى الله الى صاحب الشمال ما ترك صاحب اليمين من شيئ .فأ كتبه
فأثبت في السيئات تعس الحمار قال الحافظ وظاهر هذا أن لما ليس بحسنة فهو
سيئة وان كان لا يعاقب عليها فان بعض السيئات قد لا يعاقب عليها وقد تقع
مكفرة باجتناب الكبائر ولكن زمانها قد خسره صاحبها حيث ذهب باطلا
فيحصل له بذلك حسرة في القيامة وأسف عليه وهو نوع عقوبة والله تعالى أعلم
(وارسال) أي اطلاق وتسليط (طرف) أي عين (المرء) بتثليث الميم الانسان
أو الرجل ولا جمع له من لفظه وما قيل انه سمع مرون فشاذ والانثى مرأة ويقال مرة
والامرأة وفي امرئ مع ألف الوصل ثلاث لغات فتح الراء دائما وضمها دائما
واعرابها دائما ذكره في القاموس قال ونقول هذا امرؤ ومرو ورأيت امرأ ومرأ ومررت
بامرئ معربا من مكانين انتهي والطرف لا يجمع لانه في الاصل مصدر أو اسم
جامع للبصر لا يثني ولا يجمع وقيل أطراف والمراد اطلاق بصر الانسان بالنظر
في المحرمات (أنكي) اي أشد نكاية قال في الصحاح والقاموس نكيت في العدو
نكاية اذا قتل فيهم وجرح يعني أن ارسال الطرف اشد نكاية من حصد اللسان .
فيكب صاحبه في قعر النيران . ان لم يقيده عما لا يحل اليه من الجواري والغلمان . ولذا
قال (فقيد) اي احبسه ولا ترسله وتتركه مهملا فانه يوردك موارد العطب . و يترك
بك الوصب والنصب . وانما قدم ذكر اللسان وأتبعه بالبصر لما بينهما من الاشتراك
والدنو من القلب كما أشرنا الى ذلك فيما تقدم ولأن اكثر المعاصي انما تتولد من
فضول الكلام وارسال النظر وهما أوسع مداخل الشيطان فان جارحتهما لا تملآن
بخلاف البطن فانه متي امتلأ لم يبق له في الطعام ارادة وأما العين واللسان فلو تركا
لم يفترا من النظر والكلام ابدا كما قيل اربع لا تشبع من اربع عين من نظر واذن

من خبر وأرض من مطر وأنى من ذكر و بعض الناس يقول عالم من أثر ثم ان فضول النظر هو أصل البلاء لانه رسول الفرج فمن ثم قال الناظم رحمه الله تعالى

وَطَرْفُ الفَتَى يَاصَاحِ رَائِدُ فَرْجِهِ   وَمُتْعِبُهُ فَاغْضُضْهُ مَا اسْطَعْتَ تَهْتَدِ

(وطرف الفتي) اي بصره ونظره (ياصاح) مرخم صاحب وترخيمه شاذ لأنه ليس بعلم ولكنه لما كثر نداؤه واستفاض تداوله ساغ ترخيمه اذالانسان لا ينفك في سفره واقامته من صاحب يعينه فيناديه عند الحاجة اليه (رائد) اي رسول (فرجه) اي فرج الفتي واشتقاقه من الرود قال في القاموس الرائد المرسل في طلب الكلأ انتهي وفي الحديث الحمي رائد الموت رواه ابن ابي الدنيا وغيره من وجوه متعددة ذكره الامام الحافظ ابن رجب في كتابه البشارة العظمى في أن حظ المؤمن من النار الحمي والفرج العورة كما في القاموس وقال الحجاوي في لغة اقناعه والفرج من الانسان يطلق على القبل والدبر لان كل واحد منهما منفرج اي منفتح واكثر استعماله عرفا في القبل (و) طرف الفتي (متعبه) اي سبب تعبه وسلبه الاستراحة متى أرسله ولم يغضضه ومن ثم قال (فاغضضه) اي اخفضه واحتمل المكروه منه قال في النهاية غض طرفه اي كسره وأطرق ولم يفتح عينه وفي قصيدة كعب

(وماسعاد غداة البين اذرحلوا   الا أغن غضيض الطرف مكحول)

قال الامام ابن هشام في شرحه لقصيدة كعب غض الطرف عبارة عن ترك التحديق واستيفاء النظر فتارة يكون ذلك لأن في الطرف كسرا وفتورا خلقيين وهو المراد في كلام كعب وتارة يكون لقصد الكف عن التأمل حياء من الله تعالى وهو المراد في كلام الناظم فان مراده رحمه الله تعالى فاغضض طرفك امتثالا لقوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ولما سنذكره من الاخبار النبوية والآثار المروية (ما اسطعت) اي مدة استطاعتك يقال استطاع واسطاع بحذف التاء تخفيفا لأنهم يستثقلونها مع الطاء و يكرهون ادغام التاء فيها فتحرك السين وهي لا تحرك ابدا وقرأ حمزة فما استطاعوا بالادغام فجمع بين الساكنين و بعض العرب تقول استاع يستيع وبعضهم يقول اسطاع يسطيع بقطع الهمزة بمعني أطاع يطيع ومعنى ذلك طاق (تهتد)

مطلب في غض الطرف

اى ترشد بغض طرفك لامتثال امر ربك واتباع سنة نبيك وتسلم من غائلة النظر وتعبه وجرمه ووصبه (أخرج) الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني عن ربه عز وجل النظرة سهم مسموم من سهام ابليس من تركها من مخافتي أبدلته ايمانا يجد حلاوته في قلبه ورواه الحاكم من حديث حذيفة وقال صحيح الاسناد وفيه نظر (وأخرج) الامام احمد عن ابي امامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم ينظر الى محاسن امرأة ثم يغض بصره الا احدث الله له عبادة يجد حلاوتها في قلبه رواه الطبراني الا أنه قال ينظر الى امرأة اول رمقة والبيهقي قال انما اراد ان صح والله اعلم ان يقع بصره عليها من غير قصد فيصرف بصره عنها تورعا . وروي الاصبهاني عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه سلم كل عين باكية يوم القيامة الا عين غضت عن محارم الله وعين سهرت في سبيل الله وعين خرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله (وأخرج) الطبراني باسناد رجاله ثقات الا ابا حبيب العبقرى ويقال له الغنوى فقال المنذرى لم اقف عليه عن معاوية بن حيدرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا ترى اعينهم النار عين حرست في سبيل الله وعين بكت من خشية الله وعين كفت عن محارم الله (وأخرج)الامام احمد وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الاسناد واعترضه المنذري عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي صلي الله عليه وسلم قال اضمنوا لى ستا من انفسكم أضمن لكم الجنة اصدقوا اذا حدثتم وأوفوا اذا وعدتم وأدوا اذا ائتمنتم واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم وكفوا ايديكم (وأخرج) الامام احمد والترمذي عن على بن ابي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له ياعلي ان لك كنزا في الجنة وانك ذوقرنيها فلا تتبع النظرة النظرة فانما لك الاولى وليست لك الاخرى ورواه ابو داود من حديث بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى ياعلى لاتتبع النظرة النظرة فانما لك الاولى وليست لك الآخرة وحسنه الترمذى فقوله صلى الله عليه وسلم لعلى انك ذوقرنيها اى ذوقرني هذه الامة وذلك لانه كان له شجتان في قرني رأسه احدهما من ابن ملجم لعنه الله والاخرى من عمرو

ابن عبد ود قاله المنذرى . وقال الامام الحافظ ابن الجوزى في التبصرة في قوله صلى الله عليه وسلم لعلي وانك ذو قرنيها وفي الضمير وجهان احدهما انه كناية عن هذه الامة من غير ذكر تقدم لها كقوله تعالى حتي توارت بالحجاب يعني الشمس . الثاني عن الجنة وأما تسميته بذى القرنين ففيه وجهان ان قلنا ان الكناية عن الامة فان عليا رضي الله عنه ضرب على رأسه في الله تعالى ضربتين الاولى ضربه اياها عمرو بن عبد ود الثانية ابن ملجم كما ضرب ذو القرنين ضربة بعد ضربة وان قلنا الكناية عن الجنة فقرناها جانباها ذكره ابن الانبارى وقال الحافظ المنذرى وقيل معناه انك ذو قرني الجنة اى ذو طرفيها وملكها الممكن فيها الذي يسلك جميع نواحيها كما سلك الاسكندر جميع نواحي الارض شرقا وغربا فسمي ذا القرنين على احد الاقوال وقد بينت ذلك في كتابي الجواب المحرر في الكشف عن الخضر والاسكندر قال ابن الجوزى قوله صلى الله عليه وسلم فلا تتبع النظرة النظرة الخ ربما تخايل احد جواز القصد للاولى وليس كذلك وانما الاولى التى لم يقصدها وفي افراد مسلم من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النظرة الفجأة قال اصرف نظرك قال ابن الجوزي وهذا لان الاولى لم يحضرها القلب ولا يتأمل بها المحاسن ولا يقع الالتذاذ بها فمتى استدامها مقدار حضور الذهن كانت كالثانية في الأثم (وأخرج) البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كتب علي ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى و يتمني و يصدق ذلك الفرج و يكذبه . وفي رواية لمسلم وابي داود واليدان تزنيان و زناهما البطش والرجلان تزنيان فزناهما المشي والفم يزني فزناه القبل (وأخرج) الامام احمد بأسناد صحيح والبزار وابو يعلى عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال العينان تزنيان والرجلان تزنيان والفرج يزني (وأخرج) البيهقي عن ابن مسعود مرفوعاً الأثم حوّاز القلوب وما من نظرة الا وللشيطان فيها مطمع ومعنى حواز بفتح الحاء المهملة وتشديد الواو وهو ما يحوزها ويغلب عليها حتى ترتكب ما لا يحسن وقيل بتخفيف الواو وتشديد الزاي جمع حازة وهي الامور التي

تحز في القلوب وتحك وتؤثر وتخالج في القلوب فتكون معاصي وهذا أشهر ومنه الاثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس وروى عن أبي أمامة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لتغضن أبصاركم ولتحفظن فروجكم أوليكسفن الله وجوهكم . وفي صحيح الحاكم عن ابن مسعود مرفوعاً ما من صباح الا وملكان يناديان ويل للرجال من النساء وويل للنساء من الرجال . وفي التبصرة كان عيسى ابن مريم عليه السلام يقول النظرة تزرع في القلب الشهوة وكفى بها خطيئة . وقال الحسن رضي الله عنه من أطلق طرفه كثر أسفه . وقال الامام المحقق ابن القيم في كتابه الداء والدواء اما اللحظات فهي رائدة الشهوة ورسولها وحفظها اصل حفظ الفرج فمن أطلق بصره أورده موارد المهلكات . وذكر فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اياكم والجلوس على الطرقات قالوا يارسول الله مجالسنا مالنا منها بد قال فان كنتم لابد فاعلين فأعطوا الطريق حقه قالوا وما حقه قال غض البصر وكف الاذى ورد السلام . وقد نظم الحافظ ابن حجر آداب الجلوس على الطريق في قوله

جمعت آداب من رام الجلوس على الـطـريق من قول خير الخلق انسانا
أفش السلام وأحسن في الكلام وشـ ـمت عاطساً وسلاما زاد احسانا
في الحمل عاون ومظلوماً أعن وأغث لهفان وارشد سبيلاً واهد حيرانا
بالعرف مر وانه عن نكر وكف أذى وغض طرفاً وأكثر ذكر مولانا

وزاد شيخ مشايخنا العلامة عبد الباقي الحنبلي والد أبي المواهب على ابن حجر بيتاً وهو

والصم والعمي أبلغ ثم دل على الـ ـحاجات والاغبيا كن صاح فطانا

قال الامام المحقق ابن القيم في الداء والدواء والنظر أصل عامة الحوادث التي تصيب الانسان فان النظرة تولد خطرة ثم تولد الخطرة فكرة ثم تولد الفكرة شهوة ثم تولد الشهوة ارادة ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة فيقع الفعل ولا بد مالم يمنع منه مانع وفي هذا قيل الصبر على غض الطرف أيسر من الصبر على الم بعده وقال الشاعر

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت فى قلب صاحبها فتك السهام بلا قوس ولا وتر
والعبد ما دام ذا عين يقلبها في أعين الغيد موقوف على خطر

يسر ناظره ماضر خاطره　　لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

وقال الحجاوي فضول النظر أصل البلاء لانه رسول الفرج أعني أنه الآفة العظمى والبلية الكبرى والزنا انما يكون سببه في الغالب النظر فانه يدعو الى الاستحسان ووقوع صورة المنظور اليه في القلب والفكرة فهذه الفتنة من فضول النظر وهو من الابواب التي تفتح للشيطان على ابن آدم وما أحسن قول الامام الصرصري رحمه الله ورضي عنه

وغض عن المحارم منك طرفاً　　طموحا يفتن الرجل اللبيبا

فخائنة العيون كاسد غاب　　اذا ما أهملت وثبت وثوبا

ومن يغضض فضول الطرف عنها　　يجد في قلبه روحاً وطيبا

ومن آفات النظر انك ترى مالا قدرة لك عليه ولا صبر لك عنه وكفى بهذا فتنة كما قيل

وكنت متى أرسلت طرفك رائداً　　لقلبك يوماً أتعبتك المناظر

رأيت الذي لا كله أنت قادر　　عليه ولا عن بعضه أنت صابر

وأنشد الامام ابن القيم في الداء والدواء لنفسه

مل السلامة فاغتدت لحظاته　　وقفا على طلل يظن جميلا

مازال يتبع اثره لحظاته　　حتي تشحط بينهن قتيلا

﴿ وله قصيدة ذكرها برمتها في بدائع الفوائد ﴾

يا رامياً بسهام اللحظ مجتهداً　　انت القتيل بما ترمي فلا تصب

وباعث الطرف ترتاد الشفاء له　　توقه انه يرتد بالعطب

ترجو الشفاء بأحداق بها مرض　　فهل سمعت ببرء جاء من عطب

ومفنياً نفسه في اثر أقبحهم　　وصفاً للطخ جمال فيه مكتسب

وواهباً عمره من مثل ذا سفها　　لو كنت تعرف قدر العمر لم تهب

وبائعاً طيب عيش ماله خطر　　بطيف عيش من الايام منتهب

غبنت والله غبناً فاحشاً فلو اس　　ترجعت ذا العقد لم تغبن ولم تخب

الى أن قال

شاب الصبا والتصابي لم يشب سفها ... وضاع وقتك بين اللهو واللعب
وشمس عمرك قد حان الغروب لها ... والغي في الأفق الشرقي لم يغب

﴿ ومما أنشد لنفسه في الداء والدواء ﴾

ما زلت تتبع نظرة في نظرة ... في اثر كل مليحة ومليح
وتظن ذاك دواء جرحك وهو في التـحقيق تجريح على تجريح
فذبحت طرفك باللحاظ و بالبكا ... فالقلب منك ذبيح ابن ذبيح

فاذا علمت ما ذكرنا لك وتحققت عظم ما جمعناه وفخامة قدر ما نالك فلنذكر الكلام على فوائد غض الطرف وآفاته وأحكامه ونكباته في مقامات (المقام الاول) في فوائد غض البصر (احداها) تخليص القلب من الحسرة فان من أطلق نظره دامت حسرته فأضر شيء على القلب ارسال البصر فانه يريه مالا سبيل الى وصوله ولا صبر له عنه وذلك غاية الامل قال الفرزدق

مطلب في فوائد غض البصر

تزود منها نظرة لم تدع له ... فؤادا ولم يشعر بما قد تزودا
فلم أر مقتولا ولم أر قاتلا ... بغير سلاح مثلها حين أقصدا

وقال آخر

ومن كان يؤتى من عدو وحاسد ... فاني من عيني أتيت ومن قلبي
هما اعتوراني نظرة ثم فكرة ... فما أبقيالي من رقاد ولا اب

وقال ابن المعتز

متيم يرعي نجوم الدجـا ... يبكي عليه رحمـة عاذله
عيني أشاطت بدمي في الهوى ... فابكوا قتيلا بعضـه قاتله

ولابن القيم

ألم اقل لك لا تسرق ملاحظه ... فسارق اللحظ لا ينجو من الدرك
نصبت طرفي له لما بدا شركاً ... فكان قلبي أولى منه بالشرك

(الثانية) أن غض الطرف يورث القلب نورا واشراقا يظهر في العين وفي الوجه وفي الجوارح كما أن اطلاق البصر يورث ذلك ظلمة وكآبة . قال ابن القيم في كتابه روضة المحبين ونزهة المشتاقين لما ذكر هذه الفائدة ولهذا والله اعلم ذكر سبحانه آية النور في قوله الله

نور السموات والارض عقب قوله قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم وتقدم حديث النظر سهم مسموم من سهام ابليس وفي بعض رواياته فمن غض بصره عن محاسن امرأة أورث الله قلبه نورا (الثالثة) أنه يورث صحة الفراسة فانها من النور وثمراته فاذا استنار القلب صحت الفراسة فانه يصير بمنزلة المرآة المجلوة تظهر فيها المعلومات كما هي والنظر بمنزلة التنفس فيها فاذا أطلق العبد نظرة تنفست نفسه الصعدا في مرآة قلبه فطمست نورها كما قيل في ذلك

مرآة قلبك لا تريك صلاحه والنفس فيها دائما تتنفس

وقال شجاع الكرماني رحمه الله تعالى من عمر ظاهره باتباع السنة وباطنه بدوام المراقبة وغض بصره عن المحارم وكف نفسه عن الشهوات وأكل من الحلال لم تخطئ فراسته وكان شجاع لا تخطئ له فراسة فان الله سبحانه يجزي العبد من جنس عمله فمن غض بصره عن المحارم عوضه الله سبحانه اطلاق نور بصيرته فلما حبس بصره له تعالى أطلق له بصيرته جزاء وفاقا (الرابعة) أنه يفتح له طرق العلم وأبوابه ويسهل عليه اسبابه وذلك سبب نور القلب فانه اذا استنار ظهرت فيه حقائق المعلومات وانكشف له بسرعة ونفذ من بعضها الى بعض ومن أرسل بصره تكدر عليه قلبه واظلم وانسد عليه باب العلم واحجم (الخامسة) أنه يورث قوة القلب وثباته وشجاعته فيجعل الله له سلطان البصيرة مع سلطان الحجة وفي أثر ان الذي يخالف هواه يفرق الشيطان من ظله ولذا يوجد في المتبع لهواه من ذل القلب وضعفه ومهانة النفس وحقارتها ما جعله الله لمؤثر هواه على رضاه بخلاف من آثر رضا مولاه على هواه فانه في عز الطاعة وحصن التقوى بخلاف أهل المعاصي والاهواء قال الحسن أنهم وان هملجت بهم البغال وطقطقت بهم البراذين ان ذل المعصية لفي قلوبهم ابى الله الا أن يذل من عصاه وقال بعض المشايخ الناس يطلبون العز في ابواب الملوك ولا يجدونه الا في طاعة الله فمن أطاع الله فقد والاه فيما أطاعه فيه ومن عصاه عاداه فيما عصاه فيه . وفي دعاء القنوت انه لا يذل من واليت . ولا يعز من عاديت (السادسة) أنه يورث القلب سرورا وفرحة اعظم من الالتذاذ بالنظر وذلك لقهره عدوه وقمع شهوته ونصرته على نفسه فانه لما كف لذته وحبس شهوته

لله تعالى وفيها مضرة نفسه الامارة بالسوء أعاضه الله سبحانه مسرة ولذة أ كمل منها كما قال بعضهم والله اللذة العفة أعظم من لذة الذنب ولا ريب أن النفس اذا خالفت هواها أعقبها ذلك فرحا وسرورا ولذة أ كمل من لذة موافقة الهوى بما لا نسبة بينهما وهنا يمتاز العقل من الهوى (السابعة)أنه يخلص القلب من أسر الشهوة فلا أسر أشد من أسر الشهوة والهوى قد سلب الحول والقوة وعز عليه الدواء فهو كما قيل

كعصفورة في كف طفل يسومها   حياض الردا والطفل يلهو ويلعب

(الثامنة) أنه يسد عنه بابا من أبواب جهنم فان النظر باب الشهوة الحاملة على مواقعة الفعـل وتحريم الرب تعالى وشرعه حجاب مانع من الوصول فمتى هتك الحجاب تجرأ على المحظور ولم تقف نفسه منه عند غاية لأن النفس في هذا الباب لا تقنع بغاية تقف عندها وذلك أن لذته في الشيء الجديد . فصاحب الطارف لا يقنعه التليد. وان كان أحسن منه منظرا أو أطيب مخـبرا . فغض البصر يسد عنه هذا الباب. الذي عجزت الملوك عن استيفاء أغراضهم فيه وفيه غضب رب الأرباب .

(التاسعة) أنه يقوى عقله ويثبته ويزيده فارسال البصر لا يحصل الا من قلة في العقل وطيش في اللب وخور في القلب وعدم ملاحظة للعواقب فان خاصة العقل ملاحظة العواقب ومرسل الطرف لو علم ما تجني عواقب طرفه عليه لما أطلق بصره ولذا قال بعضهم

وأعقل الناس من لم يرتكب سببا   حتى يفكر ما تجـني عواقبه

(العاشرة) أنه يخلص القلب من سكرة الشهوة ورقدة الغفلة فان اطلاق البصر يوجب استحكام الغفلة عن الله والدار الآخرة ويوقع في سكرة العشق كما قال تعالى في عشاق الصور. لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون . فالنظرة كأس من خمر والعشق سكر ذلك الشراب . وآفات العشق تكاد تقارب الشرك فان العشق يتعبد القلب الذي هو بيت الرب للمعشوق. وفوائد غض البصر وآفات اطلاقه أ كثر من أن تذكر وفيما ذكرنا كفاية. وقد علمت الفوائد والآفات في ضمنها فما من فائدة الا تركها آفة ومفسدة وقال المروذي قلت لأحمد رضي الله عنه

الرجل ينظر الى المملوكة قال أخاف عليه الفتنة كم نظرة ألقت في قلب صاحبها البلابل وقال ابن عباس رضي الله عنهما الشيطان من الرجل في ثلاثة في بصره وقلبه وذكره وهو من المرأة في ثلاثة في بصرها وقلبها وعجزها والله أعلم .
(المقام الثاني) في بعض عقوبات من أطلق نظره في الدنيا ممن أراد الله به خيرا ليزجره عن المعصية بارسال ذلك روى ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه رجل يتشلشل دما فقال له مالك قال مرت بي امرأة فنظرت اليها فلم أزل أتبعها بصري فاستقبلني جدار فضربني فصنع بي ماترى فقال ان الله تعالى اذا أراد بعبد خيرا عجل له عقوبته . وروى الامام الحافظ ابن الجوزى في تبصرته بسنده عن أبي يعقوب النهرجوري قال رأيت في الطواف رجلا بفرد عين وهو يقول في طوافه أعوذ بك منك فقلت له ما هذا الدعاء فقال اني مجاور منذ خمسين سنة فنظرت الى شخص يوما فاستحسنته فاذا بلطمة وقعت على عيني فسالت على خدي فقلت آه فوقعت اخرى وقائل يقول لو زدت لزدناك . وروى بسنده عن عبد الرحمن بن أحمد بن عيسى بن أبي الاذان قال كنت مع أستاذي أبي بكر الدقاق فمر حدث فنظرت اليه فرآني أستاذي أنظر اليه فقال يا بني لتجدن غبها ولو بعد حين فبقيت عشرين سنة وأنا أراعي ذلك الغب فنمت ليلة وأنا متفكر فيه فأصبحت وقد نسيت القرآن كله . وفي تاريخ مكة للازرقي قال أبو بكر بن أحمد بن نصر الدقاق الكبير قدس الله سره جاورت بمكة عشر سنين فكنت أشتهي اللبن فغلبتني نفسي فخرجت الى عسفان واستضفت حيا من أحياء العرب فنظرت الى جارية حسناء بعيني اليمني فاخذت بقلبي فقلت لها قد أخذ كلك بكلي فمالي لغيرك مطمع قالت تفتح بك الدواي الغالية(٣) لو كنت صادقا لذهبت عنك شهوة اللبن قال فقلعت عيني اليمنى التي نظرت بها اليها فقالت مثلك من نظر لله تعالى فرجعت الى مكة وطفت أسبوعا ثم نمت فرأيت في منامي يوسف الصديق عليه السلام فقلت يانبي الله أقر الله عينيك لسلامتك من زليخا فقال لي يا مبارك بل أنت أقر الله عينيك بالسلامة من العسفا ثم تلا عليه السلام ولمن خاف مقام ربه جنتان فصحت من طيب تلاوته ورخامة صوته وانتبهت واذا بعيني المقلوعة صحيحة . وفي تبصرة ابن

الجوزي بسنده الى أبي بكر الكتاني قال رأيت بعض أصحابنا في المنام فقلت ما فعل الله بك قال عرض علي سيئاتي فقال فعلت كذا وكذا فقلت نعم قال وفعلت كذا وكذا فاستحييت أن أقر فقلت فما كان ذلك الذنب قال مر بي غلام حسن الوجه فنظرت اليه قال ابن الجوزي وقد روى عن ابي عبد الله الزراد أنه رؤى في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لى كل ذنب أقررت به الا ذنبا واحدا استحييت أن أقر به فأوقفني في العرق حتي سقط لحم وجهي قيل ما الذنب قال نظرت الى شخص جميل . وقد أنهيت الكلام بما لعل فيه كفاية في هذا الباب في كتابي قرع السياط في قمع أهل اللواط والله أعلم (المقام الثالث) في نكات لطيفة . وأخبار ظريفة . تتعلق بما نحن بصدده . منها ماحكاه الامام ابن القيم في كتاب روضة المحبين ونزهة المشتاقين قال وقعت مسئلة ماتقول الفقهاء في رجل نظر الى امرأة فعلق حبها بقلبه واشتد عليه الامر فقالت له نفسه هذا كله من أول نظرة فلو أعدت النظر اليها لرأيتها دون ما في نفسك فسلوت عنها فهل يجوز له تعمد النظر ثانيا لهذا المعنى قال فكان الجواب الحمد لله لا يجوز هذا لعشرة أوجه (أحدها) أن الله سبحانه وتعالى أمر بغض البصر ولم يجعل شفاء القلب فيما حرمه على العبد . (الثاني) أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن نظرة الفجأة وقد علم أنه يؤثر في القلب فأمر بمداواته بصرف البصر لا بتكرار النظر (الثالث) أنه صرح بأن له الاولى وليست له الثانية ومحال أن يكون داؤه مما له ودواؤه مما ليس له (الرابع) أن الظاهر قوة الامر بالنظرة الثانية لا نقصه والتجربة شاهدة به والظاهر أن الأمر كما رآه أول مرة ولا تحسن المخاطرة بالاعادة (الخامس) ربما رأي فوق الذى في نفسه فزاد عذابه (السادس) أن ابليس عند قصده للنظرة الثانية يقوم في ركابه فيزين له ماليس بحسن لتتم البلية (السابع) أنه لا يعان على بلية اذا أعرض عن امتثال أمر الشرع وتداوي بما حرمه عليه بل هو جدير أن تتخلف عنه المعونة (الثامن) أن النظرة سهم مسموم من سهام ابليس ومعلوم أن الثانية أشد سما فكيف يتداوي من السم بالسم (التاسع) أن صاحب هذا المقام في مقام معاملة الحق عز وجل في ترك محبوب به كما زعم وهو يريد بالنظرة الثانية أن يتبين حال

مطلب في نكات لطيفة وأخبار ظريفة

المنظور اليـه فان لم يكن مرضيا تركه فاذا يكون تركه لانه لايلائم غرضه لالله تعالى فأين معاملة الله سبحانه وتعالى بتركه المحبوب لاجله (العاشر) يتبين بضرب مثل مطابق للحال وهو أنك اذا ركبت فرسا حديدا فمالت بك الى طريق ضيق لاينفذ ولا يمكنها تستدير فيه للخروج فاذا همت بالدخول فيه فاكبحها لئلا تدخل فان دخلت خطوة أو خطوتين فصح بها وردها الى وراء عاجلا قبل أن يتمكن دخولها فان رددتها الى ورائها سهل الأمر وان توانيت حتى ولجته وسقتها داخلا ثم قمت تجذبها بذنبها عسر عليك أو تعذر خروجها فهل يقول عاقل ان طريق تخليصها سوقها الى داخل وكذلك النظرة اذا أثرت في القلب فان عجل الحازم وحسم المادة من أولها سهل علاجه وان كرر النظر وتأمل محاسن الصورة ونقلها الى قلب فارغ فنقشها فيه تمكنت المحبة وكلما تواصلت النظرات كانت كالماء يسقي الشجرة فلا تزال شجرة الحب تنمي حتي يفسد القلب و يعرض عن الفكر فيما أمر به فيخرج بصاحبه الي المحن و يوجب ارتكاب المحظورات والفتن والله أعلم. ومنها أنه رفعت للامام أبي الخطاب بن أحمد الكلوذاني من أكابر أئمتنا رقعة فيها

قل لأبي الخطاب نجم الهدي * وقـدوة العالم في عصره
لازلت في فتواك مستأمنا * من خدع الشيطان أومكره
ماذا تري في رشأ أغيـد * حاز اللما والدر في ثغره
لم يحـك بدر التم في حسـنه * حتي حكي الزنبور فيخصره
فهـل يجيز الشرع تقبيله * لمستهام خاف من وزره
أم هل على المشتاق في ضمه * من غير ادناء الى صـدره
اثم اذا مالم يكن مضـمرا * غـير الذي قدم من ذكره

(فأجاب رحمه الله ورضي عنه)

يا أيها الشيخ الأديب الذي قد فاق أهل العصر في شعره
تسأل عن تقبيـل بدر الدجا وعطف زنديك على نحره
هـل ورد الشرع بتحليله لمستهام خاف من وزره

من قارف الفتنة ثم ادعى العصمة قد نافق في أمره
هل فتنة المرء سوى الضم والـ تقبيل للحب على ثغره
وهل دواعي ذلك المشتهي . الاعناق البدر في خدره
وبذله ذاك لمشتاقه يزري على هاروت في سحره
ولا يجيز الشرع أسباب ما يورط المسلم في حظره
فانج ودع عنك صداع الهوى عساك أن تسلم من شره
هذا جواب الكلوذاني قد جاء يرجو الله في أجره

قال الامام ابن القيم بعد ايراده لما ذكرنا فهذا جواب أهل العلم وهو مطابق لما ذكرنا يعني من عدم اباحة النظر للمحبوب حيث زعم أن النظر ربما يذهب ما التاع به فؤاده المحجوب فإن احتمال مفسدة ألم الحب مع غض البصر وعدم تقبيله وضمه أقل من مفسدة النظر ونحوه فان هذه المفسدة أعني مفسدة النظر ونحوه يجر الى هلاك القلب وفساد الدين وغاية ما يقدر من مفسدة الامساك عن ذلك سقم الجسد أو الموت تفاديا عن التعرض للحرام فأين احدى المفسدتين من الآخرى على أن النظر ونحوه لا يمنع السقم والموت الحاصل بسبب الحب بل يزيد الحب بذلك كما قال المتنبي

فما صبابة مشتاق على أمل من الوصال كمشتاق بلا أمل

وفي الداء والدواء للامام ابن القيم أن أبا الخطاب سئل أيضاً بما لفظه

قل للامام أبي الخطاب مسئلة جاءت اليك وما خلق سواك لها
ماذا على رجل رام الصلاة فمذ لاحت لناظره ذات الجمال لها

﴿ فأجابه تحت سؤاله ﴾

قل للأديب الذي وافى بمسألة سرت فؤادي لما أن أصخت لها
ان الذي فتنته عن عبادته خريدة ذات حسن فانثنى ولها
ان تاب ثم قضى عنه عبادته فرحمة الله تغشى من عصى ولها

ومنها أن محمدا أبا بكر بن داود الظاهري العالم المشهور في فن العلوم من الفقه والحديث والتفسير والأدب وله قول في الفقه قال في الداء والدواء هو من أكابر

العلماء التقى هو وابو العباس بن سريج الامام المشهور في مجلس أبي الحسن على بن عيسى الوزير فتناظرا في مسئلة من الايلاء فقال له ابن سريج أنت بأن تقول من دامت لحظاته كثرت حسراته أحذق منك بالكلام على الفقه فقال لئن كان ذلك فاني أقول

انزه في روض المحاسن مقلتي ... وأمنع نفسي أن تنال محرما
وأحمل من ثقل الهوى ما لو انه ... يصب على الصخر الاصم تهدما
وينطق طرفي عن مترجم خاطري ... فلولا اختلاسي وده لتكلما
رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم ... فلست أرى وداً صحيحاً مسلما

فقال له أبو العباس بن سريج بم تفخر علي ولو شئت لقلت

ومطاعم كالشهد في نغماته ... قد بت أمنعه لذيذ سناته
صبابة وبحسنه وحديثه ... وأنزه اللحظات في وجناته
حتى اذا ماالصبح لاح عموده ... ولي بخاتم ربه وبراته

فقال أبو بكر يحفظ عليه الوزير ما أقر به حتى يقيم شاهدين على أنه ولي بخاتم ربه وبراته فقال سريج يلزمني في هذا ما يلزمك في قولك

أنزه في روض المحاسن مقلتي ... وأمنع نفسي أن تنال محرما

فضحك الوزير وقال لقد جمعتما لطفا وظرفا وذكر ابن القيم في الداء والدواء أن ابن داود هذا رفعت اليه فتيا مضمونها

يا ابن داود يا فقيه العراق ... أفتنا في فواتك الاحداق
هل عليها بما أتت من جناح ... أم حلال لها دم العشاق

فكتب الجواب بخطه تحت البيتين

عندي جواب مسائل العشاق ... فاسمعه من قرح الحشا مشتاق
لما سألت عن الهوى هيجتني ... وأرقت دمعا لم يكن بمراق
ان كان معشوق يعذب عاشقا ... كان المعذب أنعم العشاق

قال صاحب كتاب منازل الاحباب شهاب الدين محمود بن سليمان بن فهد صاحب الانشاء وقلت في جواب البيتين على وزنها مجيبا للسائل

قل لمن جاء سائلا عن لحاظ ... هن يلعبن في دم العشاق

ماعلى السيف في الورى من جناح ... ان ثنى الحد عن دم مهراق
وسيوف اللحاظ أولى بأن تصـ ... ـفح عما جنت على العشاق
انما كل من قتلن شهيد ... ولهذا يفنى ضنا وهو باقي

ومنها ماذكره الامام ابن القيم في كتابه روضة المحبين ونزهة المشتاقين عن الامام الحافظ ابن الجوزي أنه قال بلغني عن بعض الأشراف أنه اجتاز بمقبرة واذا بجارية حسناء كأنها البدر أو أسنى وعليها ثياب سود فنظر اليها فعلقت بقلبه فكتب اليها

قد كنت أحسب أن الشمس واحدة ... والبدر في نظري بالحسن موصوف
حتى رأيتك في أثواب ثاكلة ... سود وصدغك فوق الخد معطوف
فرحت والقلب مني هائم دنف ... والكبد حرى ودمع العين مذروف
رد الجواب ففيه الشكر واغتنمي ... وصل المحب الذي بالحب مشغوف

ورمى بالرقعة اليها فلما رأتها كتبت

ان كنت ذا حسب زاك وذا نسب ... ان الشريف بغض الطرف معروف
ان الزناة أناس لا خلاق لهم ... فاعلم بأنك يوم الدين موقوف
واقطع رجاك لحاك الله من رجل ... فان قلبي عن الفحشاء مصروف

فلما قرأ الرقعة زجر نفسه وقال أليس امرأة تكون أشجع منك ثم تاب ولبس مدرعة من الصوف والتجأ الى الحرم فبينما هو في الطواف واذا بتلك المرأة عليها جبة من صوف فقالت له ما أليق هذا بالشريف هل لك في المباح فقال قد كنت أروم هذا قبل أن أعرف الله وأحبه والآن فقد شغلني حبه عن حب غيره فقالت له أحسنت ثم طافت وأنشدت

فطفنا فلاحت في الطواف لوائح ... غنينا بها عن كل مرأى ومسمع

وفيه أن الحسن بن زيد قال ولينا على بلاد مصر رجلا فوجد على بعض عماله فحبسه وقيده فأشرفت عليه ابنة الوالى فهويته فكتبت اليه

أيها الزاني بعينيـ ... ـه وفي الطرف الحتوف
ان ترد وصلا فقد ... أمكنك الظبي الألوف

فأجابها الفتى ان تريني زاني العينين فالفرج عفيف
ليس الا النظر الفاتر والشعر الظريف
فكتبت اليه قد أردناك فألفيناك انسانا عفيفا
فتأبيت فلا زلت لقيديك حليفا
فكتب اليها ما تأبيت لأني كنت للظبي عيوفا
غير أني خفت ربا كان بي برا لطيفا

فذاع الشعر و بلغت القصة الوالي فدعا به فزوجه اياها والله أعلم . وهذه عادة الله في خلقه من ترك شيئاً لله عز وجل عوضه الله خيرا منه أو هو بعينه والله الموفق .

مطلب ينقسم النظر الى أقسام

(تنبيه) النظر ينقسم الى أقسام منها ما هو محرم وهو جل المقصود في هذا الموضع كالنظر الى الأجنبية من غير حاجة تبيح له ذلك . فانه يحرم النظر الى جميعها في ظاهر كلام الامام أحمد رضي الله عنه قال رضي الله عنه لا يأكل مع مطلقته هو أجنبي لا يحل له أن ينظر اليها فكيف يأكل معها ينظر الى كفها لا يحل له ذلك . وقال القاضي يحرم عليه النظر الى ما عدا الوجه والكفين لأنه عورة و يباح له النظر اليهما مع الكراهة اذا أمن الفتنة وكان نظره من غير شهوة انتهى . وفي الفروع أن ما قاله القاضي رواية ذكرها شيخنا يعني الامام ابن تيمية رضي الله عنه قال والمذهب لا يعني لا يباح . ونقل أبو طالب ظفر المرأة عورة وقال في الانصاف عن قول القاضي انه لا يسع الناس غيره خصوصا الجيران وحرم نظر لشهوة أو مع خوف ثورانها قال شيخ الاسلام ومن استحله لشهوة كفر اجماعا ويحرم النظر بشهوة الى كل أحد سوى الزوجين وأمته غير المزوجة فيدخل في ذلك الاجنبية والأمرد الذي له لحية وأمة غيره وذوات المحارم والعجوز والبرزة والذي ينظر اليها عند الشهادة عليها والبيع والشراء والتي يخطبها وكذا نظر المرأة الى الرجل والطبيب وغير ذلك فهذا كله حرام اذا كان معه شهوة وفي الغاية كغيرها وحرم نظر لدابة يشتهيها وخلوة بها كقرد تشتهيه المرأة ومعني الشهوة التلذذ بالنظر كما في الانصاف (الثاني) مستحب وهو النظر الى امرأة يريد أن يتزوجها وغلب على ظنه اجابته قال جابر رضي الله عنه قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا خطب احدكم المرأة فان استطاع

أن ينظر الى ما يدعوه الى نكاحها فليفعل قال فخطبت امرأة فكنت أتخبأ لها حتى رأيت منها ما دعاني الى نكاحها فتزوجتها رواه أبوداود وله النظر الى وجهها وكفيها فقط وفي الاقناع يسن وقال الاكثر يباح لوروده بعد الحظر لمن أراد خطبة امرأة وغلب على ظنه اجابته النظر ويكرره ويتأمل المحاسن ولو بلا اذن قال ولعله أى عدم الاذن أولى ان أمن الشهوة الى ما يظهر منها غالبا كوجه ورقبة ويد وقدم انتهي والمراد بلا خلوة والا حرم وكان الشيطان ثالثهما (الثالث) مباح كنظرة الفجأة من الأجنبية بلا قصد فان كانت بقصد حرمت كالثانية اللهم الا أن تكون الثانية بلا قصد فلا تحرم اذا لعدم القصد ونظر كل من الزوجين الى جميع بدن صاحبه وكذا لمسه حتى الفرج وكذا حكم من لها دون سبع سنين نص عليه الامام أحمد رضى الله عنه وقال يكره النظر الى الفرج فقط لقول عائشة رضى الله عنها ما رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا رآه مني . قال الامام الحافظ ابن الجوزي في كتابه آداب النساء وقد روي عن عامر بن الطرب وكان من حكماء العرب انه قال لامرأته مري ابنتك أن تكثر من استعمال الماء ولا طيب اطيب من الماء ولا تكثر مضاجعة زوجها فان الجسد اذا مل مل القلب ولتخبأ سوأتها منه قال ابن الجوزي قلت وهذا عين الصواب فان الفرج غير مستحسن الصورة من الزوجين والاطلاع على بعض العيوب يقدح في المحبة فينبغى لهما جميعا الحذر من ذلك ولهذا تري الاكابر ينامون منفردين لعلمهم أن النوم يتجدد فيه ما لا يصلح انتهى قلت لو قيل ان حكم هذه المسائل يختلف باختلاف الناس ومقاصدهم واستحسانهم لكان صوابا كما هو مشاهد في الخارج والله تعالى اعلم . ونظر السيد جميع بدن أمته المباحة كنظره الي زوجته بخلاف المزوجة والمشتركة وما لا تحل مطلقا كالمجوسية فلا ينظر منها الا لما فوق السرة وتحت الركبة وللطبيب نظر ما تدعو اليه الحاجة حتى الفرج ومثله من يلي خدمة مريض ولو انثي في وضوء واستنجاء ومن المباح نظر الصبي المميز الذي لا شهوة له ما فوق سرة المرأة وتحت ركبتها وان كان ذا شهوة فهو كذى محرم فينظر ما يظهر غالبا من وجه ورقبة ويد وقدم ورأس وساق ومنه النظر الى العجوز والبرزة والقبيحة المنظر فينظر منها الى غير عورة صلاة وكذا من

الأمة والمراد بذوات المحارم من تحرم على التأبيد بنسب أو سبب مباح لحرمتها الا نساء النبي صلى الله عليه وسلم فلا يحل النظر الى شيء منهن مع أنهن محرمات على التأبيد بسبب مباح وذلك تشريفا وتعظيما للنبي صلي الله عليه وسلم ومنه نظر العبد الى سيدته اذا كان كله رقيقا لها فينظر منها كذي محرم وكذا نظر غير أولى الاربة كعنين وكبير لاخصي ومجبوب الى أجنبية فيحرم كالفحل نص عليه الامام احمد وكره الامام احمد أن ينظر العبد الى شعر مولاته وأما النظر الى الأمرد فلا يحرم الا مع شهوة أو خوف ثورانها قال [illegible] رضي الله عنه من كرر النظر الى الأمرد ونحوه وقال لا أنظر لشهوة كذب في دعواه وقال ابن عقيل وقال الشيخ أيضا تحرم خلوة بأمرد حسن ومضاجعته كالمرأة الأجنبية ولو لمصالح التأديب والتعليم ومن عرف بمحبتهم منع من تعليمهم ومن المباح نظر المرأة الى المرأة ما دون الركبة وفوق السرة وكذا رجل مع رجل وامرأة مع رجل فانها تنظر منه غير ما بين سرة وركبة وعنه رضي الله عنه أنه يحرم عليها أن تنظر من الرجل مايحرم على الرجل أن ينظر منها قال ابن الجوزى في كتاب آداب النساء واعلم أن أصل العشق اطلاق البصر وكما يخاف على الرجل من ذلك يخاف على المرأة قال وقد ذهب دين خلق كثير من المتعبدين باطلاق البصر وما جلبه فليحذر من ذلك انتهي وقال الشيخ موسي الحجاوي في شرح الآداب وجدت في ظهر ورقة في كتاب أبياتا منظومة كأنها والله اعلم جواب سؤال رجل كان يعلم أولادا مردا فخاف أن تميل نفسه اليهم أو كادت تميل هذا ماوجدت

أيا سائلا بالله أن كنت ذاتقي ... وترجو ثواب الله في جنة الخلد
فاياك والأحداث لاتقربنهم ... ولا ترسلن الطرف فيهم على عمد
وارسال طرف منك لاتحقرنه ... ففي ضمنه سهم يفوق على الهند
فانك ان أرسلت طرفك رائدا ... تمتعه ياصاح بالناعم الخد
تبوء بأثم ثم تسلب أنعما ... ثلاثا بهن الله يهدى الى الرشد
حلاوة ايمان ونور فراسة ... وثالثها ايمان ذى القوة الجلد
فما بعد ذا الخسران ربح فخلهم ... يعلمهم ذو عفة حسن القصد

وناظمها يسمى ابن جمال احمد   هو الحنبلي بالشكر تم والحمد

(تنبيه ثاني) قال الامام المحقق في كتابه روضة المحبين ونزهة المشتاقين في قوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن الآية لما كان غض البصر أصلا لحفظ الفرج بدأ بذكره ولما كان تحريمه تحريم الوسائل فيباح للمصلحة الراجحة ويحرم اذا خيف منه الفساد ولم يعارضه مصلحة أرجح من تلك المفسدة لم يأمر سبحانه بغضه مطلقا بل أمر بالغض منه وأما حفظ الفرج فواجب بكل حال لا يباح الا بحقه فلذلك عم الامر بحفظه وقد جعل الله العين مرآة القلب فاذا غض العبد بصره غض القلب شهوته وارادته واذا أطلق بصره أطلق القلب شهوته انتهى . فالله الله في غض بصرك ليسلم لك دينك وآخرتك وأما ما يروجه الشعراء الفساق . وينسبونه للائمة من تزخرف الاشعار فباطل بالاتفاق . كما يفهم من كلام المحقق في روضة المحبين والداء والدواء وغيرهما فمن ذلك ما ينسب للامام الشافعي رضي الله عنه أنه قال

يقولون لا تنظر وتلك بلية   ألا كل ذي عينين لا شك ناظر
وليس اكتحال العين بالعين ريبة   اذا عف فيما بين ذاك الضمائر

﴿ وأنه كتب اليه رجل في رقعة ﴾

سل المفتي المكي هل في تزاور   بنظرة مشتاق الفؤاد جناح

فأجابه الشافعي

معاذ الله العرش أن يذهب التقى   تصلاق أكباد بهن جراح

﴿ وأنه سئل ايضاً بما لفظه ﴾

أقول لمفتي خيف مكة والصفا   لك الخير هل في وصلهن حرام
وهل في صموت الحجل مهضومة الحشا   عذاب الثنايا ان لثمت حرام

﴿ فوقع الشافعي منها ما لفظه ﴾

فقال لي المفتى وفاضت دموعه   على الخد من عين وهن توام
ألا ليتني قبلت تلك عشية   ببطن منى والمحرمون قيام

وأعجب من هذا ما زوروه على الامام احمد رضوان الله عليه مع علم كل أحد بجحوده مع النص فقالوا

سألت امام الناس نجل ابن حنبل عن الضم والتقبيل هل فيه من باس
فقال اذا حلّ الغرام فواجب لأنك قد أحييت عبدا من الناس

وما زوروه على ابي حنيفة

كتبنا الى النعمان يوماً رسالة نسائله عن لثم حب ممنع
فقال لنا لا اثم فيه وانه [illegible] وأربع

﴿ وعلى الامام مالك رضي الله عنهم اجمعين ﴾

انا سألنا مالكا وقرينه ليث بن سعد عن لثام الوامق
أيجوز قالا والذي خلق الورى ما حرم الرحمن قبلة عاشق

فكل هذا وأمثاله من الترهات والتهورات كذب وزور. من تخليق أهل الفسق والفجور. وان عظم قدر الناقل. واطلع على جل المسائل. وقد بين في روضة المحبين فساد جميع ذلك مما ذكرنا ومما لم نذكره بأضعاف مضاعفة وهو وان كان فساده أظهر من فساد مسيلمة الكذاب. فاني ذكرته خوفا من اعتقاد صحته ممن لا معرفة له بصحيح الأقاويل وسقيمها من الطلاب. والله الموفق لطريق الصواب. لا رب لنا سواه. ولا نعبد الا اياه

وَيَحْرُمُ بُهْتٌ وَٱغْتِيَابٌ نَمِيمَةٌ وَإِفْشَاءُ سِرٍّ ثُمَّ لَعْنٌ مُقَيَّدِ

(ويحرم) على كل مكلف (بهت) اي بهت احد من المسلمين. قال في القاموس بهته كمنعه بهتا وبهتا وبهتانا قال عليه ما لم يفعل والبهتية الباطل الذي يتحير من بطلانه والكذب كالبهت بالضم انتهى قال الله تعالى ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا وقال تعالى في قصة الافك سبحانك هذا بهتان عظيم. (وفي صحيح) مسلم وأبي داود والترمذي والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل أفرأيت ان كان في اخي ما أقول قال

ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته وقد روى هذا الحديث من طرق كثيرة وعن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم . قال القاضي عياض في مشارق الأنوار قوله فقد بهته بتخفيف الهاء ومن شددها فقد أخطأ ومعناه قلت فيه البهتان وهو الباطل وقيل قلت فيه من الباطل ما حيرته به يقال بهت فلان فلانا فبهت أي تحير في كذبه وقيل بهته واجهه بما لم يفعله . وفي حديث عبد الله بن سلام أن اليهود قوم بهت بضم الباء الموحدة اي مواجهون بالباطل ان يعلموا باسلامي يبهتوني أي قابلوني وواجهوني من الباطل بما يحيرني ويحرم على كل مكلف (اغتياب) لأحد من المسلمين قال في القاموس غابه ذكره بما فيه من السوء كاغتابه والغيبة فعلة منه وفي النهاية قد تكرر في الحديث ذكر الغيبة وهو أن تذكر الانسان في غيبته بسوء وان كان فيه فاذا ذكرته بما ليس فيه فهو البهت والبهتان قال تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب احدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه .

مطلب في ذم الغيبة

(وفي الصحيحين) عن أبي بكر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته في حجة الوداع ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا هل بلغت (وأخرج) مسلم والترمذى عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله والطبراني في الاوسط عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الربا اثنان وسبعون بابا أدناها مثل اتيان الرجل أمه وان أربي الربا استطالة الرجل في عرض أخيه . وفي كتاب ذم الغيبة لابن أبي الدنيا عن انس رضي الله عنه مرفوعا ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وان أربي الربا عرض الرجل المسلم وابن أبي الدنيا والبيهقي والطبراني عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا ان الربا نيف وسبعون بابا أهونهن بابا من الربا مثل من أتي أمه في الاسلام ودرهم ربا أشد من خمس وثلاثين زنية وأشد الربا وأربي الربا وأخبث الربا انتهاك عرض المسلم وانتهاك حرمته والبزار باسنادين أحدهما قوى عن أبي هريرة مرفوعا من أربى الربا استطالة المرء في عرض أخيه وهو في بعض نسخ أبي داود بلفظ ان من الكبائر

استطالة الرجل في عرض رجل مسلم بغير حق ومن الكبائر السبتان بالسبة ورواه ابن أبي الدنيا بلفظ الربا سبعون حوبا وأيسرها كنكاح الرجل أمه وان أربي الربا عرض الرجل المسلم قال المنذري والحوب بضم المهملة هو الاثم (وأخرج) الامام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ليلة أسرى بنبي الله صلى الله عليه وسلم ونظر في النار فاذا قوم يأكلون الجيف قال من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ورأى رجلا أحمر أزرق جدا قال من هذا ياجبريل قال هذا عاقر الناقة (وأخرج) أبو داود عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم وفي حديث راشد بن سعد المقراي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث وفيه ثم مررت علي نساء ورجال معلقين بثديهن فقلت من هؤلاء ياجبريل فقال هؤلاء اللمازون والهمازون وذلك قول الله عز وجل ويل لكل همزة لمزة رواه البيهقي من رواية بقية ثم روي عن ابن جريج قال الهمز بالعين والشدق واليد واللمز باللسان قال وبلغني عن الليث أنه قال الهمزة الذي يعيبك في وجهك واللمزة الذى يعيبك بالغيب (وأخرج) الامام أحمد وابن أبي الدنيا ورواة الامام احمد ثقات عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فارتفعت ريح منتنة فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم أتدرون ماهذه الريح هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين (وأخرج) الامام أحمد أيضا باسناد رواته ثقات عن أبي بكر رضي الله عنه قال بينا أنا أماشي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيدى ورجل عن يساره فاذا نحن بقبرين أمامنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير وبكى فأيكم يأتينا بجريدة فاستبقنا فسبقته فأتيته بجريدة فكسرها نصفين فألقي علي ذا القبر قطعة وعلى ذا القبر قطعة قال انه يهون عليهما ماكانتا رطبتين وما يعذبان الا في الغيبة والبول (وأخرج) أيضا عن يعلى بن شبابة رضي الله عنه أنه عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأتي على قبر يعذب صاحبه فقال ان هذا كان يأكل لحوم الناس ثم دعا بجريدة رطبة فوضعها على قبره وقال لعله أن يخفف عنهما

دامت هذه رطبة (وأخرج) الاصبهاني عن عثمان بن عفان رضى الله عنه مرفوعا الغيبة والنميمة يحتان الايمان كما يعضد الراعي الشجرة (وأخرج) الامام احمد عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس ليس لهن كفارة الشرك بالله وقتل النفس بغير حق وبهت مؤمن والفرار من الزحف ويمين صابرة يقتطع بها مالا بغير حق (وأخرج) ابو داود والطبراني عن ابن عمر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ومن قال في مؤمن ماليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتي يخرج مما قال وروي الحاكم نحوه وقال صحيح الاسناد قال المنذري ردغة الخبال هي عصارة أهل النار كذا جاء مفسرا مرفوعا وهو بفتح الراء واسكان الدال المهملة و بالغين المعجمة والخبال بفتح الخاء المعجمة و بالموحدة (وأخرج) الامام أحمد عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذب عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله ان يعتقه من النار واسناده حسن و رواه الترمذي عن أبي الدرداء بلفظ من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة وقال حسن و رواه ابن أبي الدنيا وابو الشيخ في كتاب التوبيخ بلفظ من ذب عن عرض أخيه رد الله عنه عذاب النار يوم القيامة وتلا رسول الله صلي الله عليه وسلم وكان حقا علينا نصر المؤمنين وروى أبو الشيخ في التوبيخ عن انس رضى الله عنه مرفوعا من اغتيب عنده اخوه المسلم فلم ينصره وهو يستطيع نصره أدركه اثمه في الدنيا والآخرة ورواه الاصبهاني بلفظ من اغتيب عنده اخوه المسلم فاستطاع نصرته فنصره نصره الله في الدنيا والآخرة وان لم ينصره أذله الله في الدنيا والآخرة (وأخرج)الامام أحمد عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر علي أن ينصره أذله الله على رؤس الخلائق يوم القيامة وقال عدى بن حاتم الغيبة مرعى اللئام وقال أبو عاصم النبيل لا يذكر في الناس ما يكرهونه الا سفلة لادين له واعلم أن الكلام في الانسان بما يكره قد لا يكون غيبة محرمة كأن يكون لا يعرف الا بلقبه كالاعرج والاعمش وقد سئل الامام أحمد رضي الله عنه عن رجل يعرف

مطلب من ذب عن عرض أخيه

مطلب هل يجوز ذكر الانسان بما يكره اذا كان لا يعرف الا به

بلقبه اذا لم يعرف الا به فقال رضي الله عنــه الاعمش انمــا يعرفه الناس
هكذا فهل في مثـل هــذا اذا كان قد شهر وقال في شرح خطبة مسلم قال
العلماء من أصحاب الحديث والفقه وغيرهم يجوز ذكر الراوى بلقبه وصفته ونسبه
الذي يكرهه اذا كان المراد تعريفه لا تنقيصه للحاجة كما يجوز الجرح للحاجة قال
في الآداب الكبرى ويمتاز الجرح بالوجوب فانه من النصيحة الواجبة بالاجماع.
وفي المستوعب الهجران الجائز هجر ذوى البدع أو مجاهر بالكبائر ولا يصـل
الى عقوبته ولا يقدم على موعظته أولا يقبلها ولا غيبة في هذين في ذكر حالهما
قال في الفصول ليحـذر منـه أو يكسره عن الفسق ولا يقصـد به الازراء على
المذكور والطعن فيه ولا فيما يشاور فيه من النكاح أو المخاطبة قال أبو طالب
سئل أبو عبد الله يعني الامام أحمد رضى الله عنـه عن الرجل يسأل عن الرجل
يخطب اليه فيسئل عنه فيكون رجل سوء فيخبره مثل ماأخبر النبي صلى الله عليه
وسلم حين قال لفاطمة معاوية عائل وأبو جهم عصاه علي عاتقـه يكون غيبة ان
أخبره قال المستشار مؤتمن يخبره بما فيه وهو أظهر ولكن يقول ماأرضاه لك ونحو
هـذا أحسن وعن الحسن بن على أنه سأل الامام أحمد عن معنى الغيبة يعني في
النصيحة قال اذا لم ترد عيب الرجل وقال الخلال أخبرني حرب سمعت أحمد
رضي الله عنه يقول اذا كان الرجل معلنا بفسقه فليست له غيبة وقال أنس والحسن
من ألقي جلباب الحياء فلا غيبة فيه. قال في الآداب الكبرى الاشهر عنـه يعنى
الامام أحمد الفرق بين المعلن وغيره وظاهر الفصول والمستوعب ان من جاز
هجره جازت غيبته قال ومرادهما والله أعلم ومن لا فلا وقد احتج الامام البخاري
على غيبة أهل الفساد وأهل الريب بقوله عليه الصلاة والسلام في عيينة بن حصن
لمـا استأذن عليه بئس أخو العشيرة وقال الحافظ ابن رجب في التحرير في الفرق
بين النصح والتعيير. اعلم ان ذكر الانسان بما يكره انما يكون محرما اذا كان
المقصود منه مجرد الذم والعيب والتنقيص فأما ان كان فيه مصلحة عامة للمسلمين
أو خاصة لبعضهم وكان المقصود منه تحصيل تلك المصلحة فليس بمحرم بل هو
مندوب اليه قال وقد قرر علماء الحديث هذا في كتبهم في الجرح والتعـديل

مطلب هل يجوز ذكر الانسان بما يكره لمصلحة

وذكروا الفرق بين جرح الرواة والغيبة وردوا على من سوى بينهما من المتعبدين وغيرهم ممن لا يتسع علمه ولا فرق بين الطعن في رواة ألفاظ الحديث والتمييز بين من تقبل روايته منهم ومن لا تقبل وبين تبيين خطأ من أخطأ في فهم معاني الكتاب والسنة وتأول شيئا منهما على غير تأويله أو تمسك منهما بما لا يتمسك به ليحذر من الاقتداء به فيما أخطأ به قال وقد أجمع العلماء على جواز ذلك أيضا قلت وقد مر قريبا عن صاحب الآداب أنه قد يجب لكن مراد الحافظ بالجواز ما ليس بممتنع فيشمل الواجب قال الحافظ ولهذا تجد كتبهم المصنفة في أنواع العلوم الشرعية من التفسير وشروح الحديث والفقه واختلاف العلماء وغير ذلك ممتلئة من المناظرات ورد أقوال من تضعف اقواله من أئمة السلف والخلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ولم ينكر ذلك أحد من أهل العلم ولا ادعي أن فيه طعنا على من رد عليه قوله ولا ذما ولا تنقيصا قال اللهم الا أن يكون المصنف يفحش في الكلام يسيء الأدب في العبارة فينكر عليه افحاشه وإساءته دون أصل رده قال وسبب ذلك أن علماء الدين كلهم مجتمعون على قصد اظهار الحق الذي بعث الله به رسوله وأن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمته هي العليا وكلهم معترفون بان الاحاطة بالعلم كله من غير شذوذ شيء منه ليس هو مرتبة أحد منهم ولا ادعاه أحد منهم من المتقدمين والمتأخرين فلهذا كان أئمة السلف المجمع على علمهم وفضلهم يقبلون الحق ممن أورده عليهم وان كان صغيرا ويوصون أتباعهم وأصحابهم بقبول الحق اذا ظهر في غير قولهم كما قال عمر رضي الله عنه لما خطب ونهى عن المغالاة في صداق النساء وردت تلك المرأة عليه بقوله تعالى وآتيتم احداهن قنطارا فرجع عن قوله وقال امرأة أصابت ورجل أخطأ وروي عنه أنه قال كل أحد أفقه من عمر وذكر من هذا أشياء نفيسة جدا ثم قال ومن هذا يعني النظر للمقاصد والمصلحة أن يقال للرجل في وجهه ما يكرهه طبعه فان كان ذلك على وجه النصح فهو حسن . وقد قال بعض السلف لبعض لا حتى تقول في وجهي ما أكره فاذا أخبر الرجل اخاه بعيبه ليجتنبه كان ذلك حسنا ويحق لمن أخبر بعيبه على هذا الوجه أن يقبل النصح ويرجع عما أخبر به من عيوبه

أو يعتذر منها ان كان له منها عذر وان كان ذلك علي وجه التوبيخ والتعيير فهو قبيح مذموم . وقيل لبعض السلف أتحب أن يخبرك احد بعيوبك فقال ان كان يريد أن يوبخني فلا فالتعيير والتوبيخ بالذنب مذموم . وفي الترمذي وغيره مرفوعاً من عير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله قال الحافظ وحمل ذلك على الذنب الذي تاب منه صاحبه قال المؤمن يستر و ينصح والفاجر يهتك و يفضح وقال بعض العلماء لمن يأمر بالمعروف اجتهد أن تستر العصاة فان ظهور عوراتهم وهن في الاسلام وأحق شيء بالستر العورة (وأخرج) الترمذي عن واثلة بن الاسقع عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله و يبتليك وقال حسن غريب . و يروى من حديث ابن مسعود مرفوعاً باسناد فيه ضعف البلاء موكل بالمنطق فلو أن رجلاً عير رجلا برضاع كلبة لرضعها . وقال الحسن كان يقال من عير أخاه بذنب تاب منه لم يمت حتى يبتليه الله به وأخرجه الترمذى من حديث معاذ مرفوعا بلفظ من عير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله قال الحافظ اسناده منقطع انتهى . والحاصل أن القدح لا يكون غيبة محرمة في مواضع اما لكون المقدوح فيه مبتدعا أو فاسقا معلنا أو في المشورة لان المستشار مؤتمن أو كون ما يكرهه صار له لقبا كالاعرج والاعمش أو ذكر ضعفه وكذبه في الجرح والتعديل لاجل حفظ السنن أو ما يأتي ان شاء الله تعالى في النهي عن المنكر اذا رفعه لمن يقدر على ازالته وسيأتي ان شاء الله تعالى مفصلاً ونظم ذلك بعضهم فقال

القدح ليس بغيبة في ستة ... متظلم ومعرّف ومحذر
ولمظهر فسقا ومستفت ومن ... طلب الاعانة في ازالة منكر

مطلب في بيان النميمة وما ورد في ذمها

وتحرم على كل مكلف (نميمة) قال في النهاية النميمة نقل الحديث من قوم الى قوم على جهة الافساد والشر وقد نم الحديث ينمه نما فهو نمام والاسم النميمة ونم الحديث اذا ظهر فهو متعد ولازم انتهى وقال في القاموس النم التوريش والاغراء ورفع الحديث اشاعة وافساداً وتزيين الكلام بالكذب ينم و ينم فهو نموم ونمام ومنم كمجن والنميمة الاسم وصوت الكتابة والكتابة ووسواس همس الكلام ونم المسك سطع والنمام نبت طيب مدر مخرج للجنين الميت والدود و يقتل القمل

وخاصيته النفع من لسع الزنابير شربا مثقالاً بسكنجبين انتهي ويسمي النمام قتاتا قال في القاموس رجل قتات وقتوت وقتي نمام أو يستمع أحاديث الناس من حيث لا يعلمون سواء نمها أو لم ينمها ولي من قصيدة

لام العذول وفي الحشا لوعاتي	وهو الظلوم لنا الغشوم العاتي
يا ويحه ما يعذر الصب الذي	يبكي مدى الايام والساعات
أو ما يرق علي رقيق في الهوي	قد صارم الافراح واللذات
عاف المنام وقام في غسق الدجا	يشكو الغرام لعالم الذرات
أهوى به داء الهوى فتراه في	حالاته متغير الحـالات
أخـفى هواه عن الأنام لعله	يخفي فبان لدمعه القتات

يعني النمام وسمي الدمع نماما لأنه ينم على صاحبه ويظهر من حاله مايكره أن يطلع عليه أحد وهو كثير في كلامهم (أخرج) البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة نمام وفي رواية قتات قال الحافظ المنذري في الترغيب و الترهيب القتات والنمام بمعنى واحد وقيل النمـام الذي يكون مع جماعة يتحدثون حديثا فينم عليهم والقتات الذى يتسمع عليهم وهم لا يعلمون ثم ينم انتهى وقال ابن الأثير في النهاية فيه لا يدخل الجنة قتات هو النمام يقـال قت الحديث يقته اذا زوره وهيأه وسواه ثم ذكرناه عن المنذري وزادوا العساس الذي يسأل عن الأخبار ثم ينمها (وأخرج) البخاري واللفظ له ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائي وابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بقبرين يعذبان فقال انهما يعذبان وما يعذبان في كبير بلى انه كبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله الحديث ورواه ابن خزيمـة في صحيحه (وأخرج) الامام أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه قال مرّ النبي صلى الله عليه وسلم في يوم شديد الحر نحو بقيع الغرقد قال فكان الناس يمشون خلفه قال فلما سمع صوت النعال وقر ذلك في نفسه فجلس حتى قدمهم أمامه لئلا يقع في نفسه شيء من الكبر فلما مر ببقيع الغرقد اذا بقبرين قد دفنوا فيهما رجلين قال

فوقف النبي صلى الله عليه وسلم فقال من دفنتم ههنا اليوم قالوا فلان وفلان قالوا يا نبي الله وما ذاك قال أما أحدهما فكان لا يتنزه من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة وأخذ جريدة رطبة فشقها ثم جعلها على القبر قالوا يا نبي الله لم فعلت هذا قال ليخففن عنهما قالوا يا نبي الله حتى متى هما يعذبان قال غيب لا يعلمه الا الله ولو لا تمزع قلوبكم وتزيدكم في الحديث لسمعتم ماأسمع وروى الطبراني عن ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعا النميمة والشتيمة والحمية في النار وفي لفظ ان النميمة والحقد في النار لا يجتمعان في قلب مسلم (وأخرج) ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنا نمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررنا على قبرين فقام فقمنا معه فجعل لونه يتغير حتى رعد كم قميصه فقلنا مالك يارسول الله فقال أماتسمعون ما أسمع فقلنا وما ذاك يا نبي الله قال هذان رجلان يعذبان في قبورهما عذابا شديدا في ذنب هين قلنا فيم ذاك قال كان أحدهما لا يستتر من البول وكان الآخر يؤذى الناس بلسانه ويمشي بينهم بالنميمة فدعا بجريدتين من جرائد النخل فجعل في كل قبر واحدة قلنا وهل ينفعهم ذلك قال نعم يخفف عنهما ما داما رطبتين قال الحافظ المنذرى قوله في ذنب هين أي هين عندهما وفي ظنهما لا أنه هين في نفس الأمر فقد تقدم في حديث ابن عباس قوله صلى الله عليه وسلم بلى انه كبير قال وقد أجمعت الامة على تحريم النميمة وأنها من اعظم الذنوب عند الله تعالى انتهى أو يقال اراد صلى الله عليه وسلم أنه هين تركه والتحرز منه قال الامام ابن القيم فى كتابه الروح قد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجلين اللذين رآهما يعذبان في قبورهما يمشى أحدهما بالنميمة بين الناس ويترك الآخر الاستبراء من البول فهذا ترك الطهارة الواجبة وذلك ارتكب السبب الموقع للعداوة بين الناس بلسانه وان كان صادقا قال وفي هذا تنبيه على أن الموقع بينهم العداوة بالكذب والزور والبهتان أعظم عذابا كما أن في ترك الاستبراء من البول تنبيها على أن من ترك الصلاة التي الاستبراء من البول بعض واجباتها وشروطها فهو أشد عذابا انتهى . وقد أبدى بعض أهل العلم نكتة ذلك وهي مما يكتب بالذهب على صفحات القلوب وذلك ان اول ما يسأل عنه

الانسان يوم القيامة ويقضي فيه الحق جل جلاله الصلاة والدماء والطهارة اقوى شروط الصلاة ومقدمتها فاذا لم يتنزه من البول ولم يستبرئ منه فقد فرط في شرط الصلاة وسبب وقوع الناس في سفك الدماء واراقتها بغير حق العداوة ومقدمتها النميمة فانها سبب العداوة وعذاب القبر مقدمة عذاب النار فناسب أن يبدأ بالمقدمات اولا فانظر هذه المناسبة وتأملها تجدها في غاية المطابقة جزاء وفاقا (وأخرج) الطبراني عن عبد الله بن بسر مرفوعاً ليس مني ذو حسد ولا نميمة ولا كهانة ولا أنا منه ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا (وأخرج) الامام أحمد عن عبد الرحمن بن غنم يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم خيار عباد الله الذين اذا رؤا ذكر الله وشرار عباد الله المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون البرآء العنت (وأخرج) الامام احمد والبخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شر الناس عند الله يوم القيامة ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وفي لفظ لهما تجدون من شرار الناس ولأبي داود والترمذي ان من شرار الناس قال في الآداب الكبرى وهذا لأنه نفاق وخداع وكذب وتحيل على اطلاعه على اسرار الطائفتين لانه يأتي كل طائفة بما يرضيها ويظهر أنه معها وهي مداهنة محرمة قال الامام ابن عقيل في الفنون قال تعالى كأنهم خشب مسندة أي مقطوعة ممالة الى الحائط لا تقوم بنفسها ولا هي ثابتة انما كانوا يستندون الى من ينصرهم والى ما يتظاهرون به يحسبون كل صيحة عليهم لسوء اعتقادهم هم العدو للتمكن من الشر بالمخالطة والمداخلة . وفي الآداب الكبرى قال موسى صلوات الله عليه يارب ان الناس يقولون في ما ليس في فأوحى الله اليه يا موسى لم أجعل ذلك لنفسي فكيف لك . وقال عيسى بن مريم عليه السلام لا يحزنك قول الناس فيك فان كان كاذبا كانت حسنة لم تعملها وان كان صادقا كانت سيئة عجلت عقوبتها وقال ابن عبد البر قال منصور الفقيه شعر

لي حيلة فيمن ينمـــم وليس في الكذاب حيله
من كان يخلق ما يقو ل فحيلتي فيــه قليـله

(تنبيه) لا خلاف في تحريم الغيبة والنميمة قال ابن حزم اتفقوا على تحريم الغيبة والنميمة في غير النصيحة الواجبة انتهى يعني سوى ما قدمنا وهل هما من الكبائر أو من الصغائر المعتمد أنهما من الكبائر قال في الانصاف عن الناظم

وقد قيل صغرى غيبة ونميمة وكلتاهما كبرى على نص أحمد

فتجب التوبة منهما واستحلال من اغتابه أو بهته أو جبهه بان واجهه بما يكره اونم عليه مالم يترتب على ذلك فتنة فيتوب ويستغفر له وللمغتاب بان يقول اللهم اغفر لي او لنا وله كما ورد في الحديث قال الامام ابن القيم في كتابه الكلم الطيب يذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان من كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته تقول اللهم اغفر لنا وله ذكره البيهقي في الدعوات وقال في اسناده ضعف قال ابن القيم وهذه المسئلة فيها قولان للعلماء هما روايتان عن الامام أحمد وهما هل يكفي في التوبة من الغيبة الاستغفار للمغتاب أم لا بد من اعلامه وتحلله قال والصحيح أنه لا يحتاج الى اعلامه بل يكفيه الاستغفار له وذكره بمحاسن ما فيه في المواطن التي اغتابه فيها وهذا اختيار شيخ الاسلام ابن تيمية وغيره قال والذين قالوا لا بد من اعلامه جعلوا الغيبة كالحقوق المالية والفرق بينهما ظاهر فان في الحقوق المالية ينتفع المظلوم بعود نظير مظلمته اليه فان شاء أخذها وان شاء تصدق بها وأما في الغيبة فلا يمكن ذلك ولا يحصل له باعلامه الا عكس مقصد الشارع فانه يوغر صدره ويؤذيه اذا سمع مارمي به ولعله يهيج عداوته ولا يصفو له أبدا وما كان هذا سبيله فالشارع الحكيم لا يبيحه ولا يجيزه فضلا عن أن يوجبه ويأمر به ومدار الشريعة على تعطيل المفاسد وتقليلها لا على تحصيلها وتكميلها انتهى وهو كما ترى في غاية التحقيق والله ولي التوفيق (تتمة) ذكر القرطبي عن قوم أن الغيبة انما تكون في الدين لا في الخلقة والحسب وان قوما قالوا عكس هذا وان كلا منهما خلاف الاجماع لكن قيد الاجماع في الاول اذا قاله على وجه العيب وانه لا خلاف أن الغيبة من الكبائر . قال في الآداب الكبرى وفي الفصول والمستوعب ان الغيبة والنميمة من الصغائر انتهى وقد علمت أنهما من الكبائر وجزم بذلك في الاقناع (فرع) الغيبة لا تفطر الصائم على الصحيح من المذهب فقها قال الامام أحمد ويتعاهد

صومه بصون لسانه من نحو غيبة كما في الاقناع وغيره وما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه رواه البخاري وغيره وعندابن ماجه من لم يدع قول الزور والجهل والعمل به وقوله صلى الله عليه وسلم ليس الصيام من الأكل والشرب انما الصيام من اللغو والرفث رواه ابن حبان وابن خزيمة في صحيحيهما وقوله صلى الله عليه وسلم رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع ورب قائم ليس له من قيامه الا السهر رواه ابن ماجه وابن خزيمة والحاكم وقال على شرطهما وحديث المرأتين اللتين صامتا وأنهما قد كادتا أن تموتا من العطش فقال للنبي صلى الله عليه وسلم رسولهما يانبي الله انهما والله قد ماتتا أوكادتا أن تموتا قال ادعهما قال فجاءتا قال فجيء بقدح اوعس قدح عظيم وهو بضم العين وتشديد السين المهملتين فقال لاحدهما قيئي فقاءت قيحا ودما وصديدا ولحما حتي ملأت نصف القدح ثم قال للاخري قيئي فقاءت من قيح ودم وصديد ولحم عبيط وغيره حتي ملأت القدح ثم قال ان هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ماحرم الله عليهما جلست احداهما الى الاخري فجعلتا تأكلان من لحوم الناس رواه الامام أحمد واللفظ له وابن أبي الدنيا وأبو يعلى وغيرهم فمحمول على الزجر والتحذير . قال في الفروع ولا يفطر بالغيبة ونحوهانقله الجماعة اتفاقا وقال الامام أحمد رضى الله عنه لو كانت الغيبة تفطر ما كان لنا صوم وذكره الموفق اجماعا لان فرض الصوم بظاهر القرآن والامساك عن الاكل والشرب والجماع وظاهره صحته الا ماخصه دليل ذكره صاحب المحرر يعني الامام المجد قال والنهي عن قول الزور والعمل به والغيبة ليسلم من نقص الاجر قال في الفروع ومراده انه قد يكثر فيزيد على أجر الصوم وقد يقل وقد يتساويان وقال شيخ الاسلام ابن تيمية وهذا لانزاع فيه بين الأئمة وأسقط أبو الفرج ثوابه بالغيبة ونحوها قال في الفروع ومراده ما سبق والا فضعيف واختار ابن حزم الظاهرى يفطر بكل معصية والمعتمد خلاف ما زعم مع كون الاجماع على خلافه والله الموفق . ويحرم على كل مكلف (افشاء) اى نشر واذاعة سر وهو ما يكتم كالسريرة وجمعه

أسرار وسرائر قال في القاموس فشي خبره فشواً وفشواً وفشياً انتشر وأفشاه نشره ولعله يحرم حيث أمر بكتمه أو دلته قرينة على كتمانه أو ما كان يكتم عادة (أخرج) ابو داود عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المجالس بالأمانة الاثلاث مجالس سفك دم حرام أوفرج حرام أواقتطاع مال بغير حق . (وأخرج) عنه رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا حدث رجل رجلا بحديث ثم التفت فهو امانة ورواه الترمذي وقال حديث حسن (وأخرج) الامام احمد عن ابي الدرداء من سمع من رجل حديثا لا يشتهي أن يذكر عنه فهو امانة وان لم يستكتمه (وأخرج) عن أنس رضي الله عنه ما خطب نبي الله صلى الله عليه وسلم الا قال لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له قال في الفروع حرم في اسباب الهداية افشاء السر وفي الرعاية يحرم افشاء السر المضر انتهي . وفي التنزيل وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا . ولما عرض عمر رضي الله عنه بنته حفصة لابي بكر رضي الله عنه فلم يجبه بشيء قال له بعد أن دخل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلك وجدت علي حين عرضت علي حفصة فلم أرجع اليك شيئا فقال نعم فقال انه لم يمنع أن أرجع اليك فيما عرضت علي الا أني كنت علمت أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكرها فلم أكن لافشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انس رضي الله عنه اتى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألعب مع الغلمان فسلم علينا فبعثني في حاجة فابطأت على امي فلما جئت قالت ماحبسك قلت بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة قالت ماحاجته قلت انها سر قالت لاتخبرن بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا قال انس والله لو حدثت به احدا لحدثتك به ياثابت وذكر ابن عبد البر الخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسر الى اخيه سرا لم يحل له أن يفشيه عليه وقال العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه لابنه عبد الله يابني اني أرى امير المؤمنين يدنيك يعني عمر رضي الله عنهم فاحفظ عني ثلاثا لاتفشين له سرا ولا تغتابن احدا ولا يطلعن منك على كذبة . وقال الحكماء ثلاثة لاينبغي للعاقل أن يقدم عليها شرب السم للتجربة وافشاء السر الى القرابة والحاسد وان كان ثقة وركوب البحر وان كان فيه غنى ويروى أصبر الناس من لا يفشي سره

الى صديقه مخافة التقلب يوما ما وقال بعض الحكماء القلوب أوعية الأسرار والشفاه أقفالها والألسن مفاتيحها فليحفظ كل منكم مفاتيح سره وقال اكثم بن صيفي ان سرك من دمك فانظر أين تريقه وكان يقال اكثروا يتم تدبير الكتمان وقال الشاعر

وسرك ما كان عند امرئ　　وسر الثلاثة غير الخفي

وقال آخر　فلا تخبر بسرك كل سر　　اذا ما جاوز الاثنين فاشى

وقالت طائفة انما السر ما أسررته في نفسك ولم تبده الى أحد قال عمرو بن العاص رضى الله عنه ما استودعت رجلا سرا فأفشاه فلمته لاني كنت به أضيق صدرا حيث استودعته اياه والى ذا ذهب القائل

اذا المرء أفشي سره بلسانه　　ولام عليه غـيره فهو أحمق

وقال آخر

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه　　فصدر الذى يستودع السر أضيق

وقال آخر

اذا ما ضاق صدرك عن حديث　　فافشته الرجال فمن تلوم
اذا عاتبت من أفشى حديثي　　وسرى عنده فأنا الظلوم
فاني حين أسأم حمل سرى　　وقد ضمنته صدرى مشوم
ولست محدثا سري خليلا　　ولا عرسى اذا خطرت هموم
وأطوى السر دون الناس اني　　لما استودعت من سر كتوم

وقد ذكر من أضجره كتم الاسرار وانها تغلي في قلبه غليان النار . ماذاع وشاع في النثر والاشعار فمنه

ولا أكتم الاسرار لكن أبثها　　ولا أدع الاسرار تقتلني غما
وان سخيف الرأى من بات ليله　　حزينا بكتمان كأن به حمي
وفي بثك الاسرار للقلب راحة　　وتكشف بالافشاء عن قلبك الهما

وقال آخر　ولا أكتم الاسرار لكن أذيعها　　ولا أدع الاسرار تغلي على قلبي
وان ضعيف القلب من بات ليله　　تقلبه الاسرار جنبا على جنب

وقد قيل لا تطلعوا النساء علي سركم يصلح لكم امركم . والحاصل أن علي العاقل كتمان

السر والله ولي الامر . وقال آخر.

لا تودعن ولا الجماد سريرة فمن الجوامد ما يشير وينطق

واذا المحك اذاع سر أخ له وهو الجماد فمن به يستوثق

(فرع) يكره لكل من الزوجين التحدث بما صار بينهما ولو لضرتها جزم به في الاقناع وحرمه سيدنا الامام الكبير ولي الله الشيخ عبد القادر رضي الله عنه لانه من السر وافشاء السر حرام وذكره في الاقناع وكذا حرمه الادمي البغدادي . قال في الفروع وهو أظهر انتهى (وقد أخرج) الامام أحمد عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها أنها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم والرجال والنساء قعود عنده فقال لعل رجلا يقول ما فعل بأهله ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها فأرم القوم أي بفتح الراء وتشديد الميم أي سكتوا من خوف ونحوه فقلت أي والله يارسول الله انهم ليفعلون وانهن ليفعلن قال لا تفعلوا فانما مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة فغشيها والناس ينظرون. (وأخرج) مسلم وأبو داود وغيرهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي الى امرأته أو تفضي اليه ثم ينشر أحدهما سر صاحبه . وفي رواية ان من أعظم الامانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي الى امرأته وتفضي اليه ثم ينشر سرها وروي البزار عنه مرفوعا ألا عسي أحدكم أن يخلو بأهله يغلق بابا ثم يرخي سترا ثم يقضي حاجته ثم اذا خرج حدث أصحابه بذلك ألا عسى احداكن أن تغلق بابها وترخي سترها فاذا قضت حاجتها حدثت صواحبها فقالت امرأة سفعا الخدين والله يارسول الله انهن ليفعلن وانهم ليفعلون قال فلا تفعلوا فانما مثل ذلك شيطان لقي شيطانة علي قارعة الطريق فقضى حاجته منها ثم انصرف وتركها وعن أبي سعيد الخدري أيضا عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال السباع حرام قال ابن لهيعة يعني به الذى يفتخر بالجماع رواه الامام أحمد وأبو يعلى والبيهقي كلهم من طريق دراج عن أبي الهيثم وقد صححها غير واحد قال الحافظ المنذرى السباع بكسر السين المهملة بعدها باء موحدة هو المشهور وقيل بالشين المعجمة والله أعلم (ثم) هي حرف عطف تفيد الترتيب والتراخي وكان عطف بها على ما قبلها

لشدة حرمة اللعن فبينه و بين ماقبله بون في الحرمة فيحرم افشاء (لعن) وأصله الطرد والابعاد من الله تعالى ومن الخلق السب والدعاء كما في النهاية وفي القاموس لعنه كمنعه طرده وأبعده فهو لعين وملعون والجمع ملاعين والاسم اللعان واللعانية واللعنة بالضم من يلعنه الناس وكهمزة الكثير اللعن لهم وقال الحجاوى في لغة اقناعه لعنه لعنا من باب نفع طرده وأبعده أو سبه فهو لعين وملعون والمرأة لعين والفاعل لعان والشجرة الملعونة هي كل من ذاقها كرهها ولعنها يعني شجرة الزقوم التى تنبت في أصل الجحيم جعلها جل شأنه فتنة للكافرين فقالوا النار تحرق الشجر فكيف تنبته (مقيد) أي لمعين فيحرم لعن الانسان بعينه أو دابة وأما الكفار عموما فلا يحرم كما سنذكره قال صلى الله عليه وسلم ان من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه قال يسب أبا الرجل فيسب أباه و يسب أمه فيسب أمه رواه البخارى وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (وأخرج) مسلم رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينبغي لصديق أن يكون لعانا ورواه الحاكم وصححه بلفظ لا يجتمع أن يكونوا لعانين صديقين (وأخرج) البيهقي عن عائشة رضى الله عنها قالت مر النبي صلى الله عليه وسلم بأبي بكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت اليه وقال لعانين وصديقين كلا ورب الكعبة فعتق أبو بكر رضي الله عنه يومئذ بعض رقيقه قال ثم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لاأعود (وأخرج) مسلم عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة ورواه أبو داود ولم يقل يوم القيامة والترمذى وحسنه عن ابن مسعود رفعه لا يكون المؤمن لعانا (وأخرج) البخارى ومسلم لعن المؤمن كقتله والطبراني باسناد جيد عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال كنا اذا رأينا الرجل يلعن أخاه رأينا أن قد أتي بابا من الكبائر (وأخرج) أبو داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا لعن شيئا صعدت اللعنة الى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط الى الأرض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا فان لم

تجد مساغا رجعت الى الذى لعن فان كان أهلا والا رجعت الى قائلها (وأخرج)
الامام أحمد باسناد جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اللعنة اذا وجهت الى من وجهت اليه فان أصابت عليه
سبيلا أو وجدت فيه مسلكا والا قالت يا رب وجهت الى فلان فلم أجد فيه
مسلكا ولم أجد عليه سبيلا فيقال لها ارجعي من حيث جئت (وأخرج) مسلم
عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في
بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقة فضجرت فلعنتها فسمع ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال خذوا ما عليها ودعوها فانها ملعونة قال عمران
فكأني أراها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد . وروى أبو يعلي وابن
أبي الدنيا باسناد جيد عن أنس رضي الله عنه قال سار رجل مع النبي صلى الله
عليه وسلم فلعن بعيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عبد الله لا تسر معنا على
بعير ملعون وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لعن الديك فقال لا تلعنه
ولا تسبه فانه يدعو الى الصلاة وقال أنس كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلدغت رجلا برغوث فلعنها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلعنها فانها نبهت
نبيا من الأنبياء للصلاة رواه أبو يعلي والبزار (وأخرج) أبو داود والترمذي
وابن حبان في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا لعن الريح عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تلعن الريح فانها مأمورة من لعن شيئا
ليس له أهلا رجعت اللعنة عليه ** (فائدة) قال الشيخ عبد الكريم أبو القاسم
الرافعي في شرح مسند الامام الشافعي رضي الله عنه يروى أن رجلا شكى الى
النبي صلى الله عليه وسلم الفقر فقال لعلك تسب الريح انتهى فأفهم أن سب
الريح يورث الفقر مع ما أفاد الحديث المذكور برجوع اللعنة على قائلها وفهم من
كلامه انتفاء الحرمة بلعن غير المقيد من فرق أهل الضلال والفسوق والوبال
لصريح الآيات القرآنية والأخبار المصطفوية قال جل شأنه ألا لعنة الله على
الظالمين وقال عليه الصلاة والسلام لعن الله اليهود والنصارى فيجوز لعن الكفار
عاما وهل يجوز لعن كافر معين قال في الآداب الكبرى على روايتين وظاهر

النظم المنع وهو المذهب قال شيخ الاسلام رضي الله عنه ولعن تارك الصلاة على وجه العموم جائز وأما لعنة المعين فالأولى تركها لأنه يمكن أن يتوب وقال في موضع آخر قيل لأحمد بن حنبل رضي الله عنه أيؤخذ الحديث عن يزيد فقال لا ولا كرامة أوليس هو فعل بأهل المدينة ما فعل وقيل له ان قوما يقولون انا نحب يزيد فقال وهل يحب يزيد من يؤمن بالله واليوم الآخر فقيل له أولا تلعنه فقال ما رأيت أباك يلعن أحدا وفي رواية متى رأيت أباك لعانا وقال الامام الحافظ ابن الجوزي في لعنة يزيد أجازها العلماء الورعون منهم الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وأنكر ذلك عليه الشيخ عبد المغيث الحربي وأكثر أصحابنا ذكره في الآداب الكبرى قال لكن منهم من بنى الأمر على أنه لم يثبت فسقه وكلام عبد المغيث يقتضي ذلك وفيه نوع انتصار ضعيف ومنهم من بنى الأمر على أنه لا يلعن الفاسق المعين وشنع الامام الحافظ ابن الجوزي على من أنكر استجازة ذم المذموم ولعن الملعون كيزيد قال وقد ذكر الامام أحمد في حق يزيد ما يزيد على اللعنة وذكر ما ذكره القاضي في المعتمد من رواية صالح وما لي لا ألعن من لعنه الله عز وجل في كتابه ان صحت الراوية قال وصنف القاضي أبو الحسين كتابا في بيان من يستحق اللعن وذكر فيهم يزيد قال وقد جاء في الحديث لعن من فعل ما لا يقارب معشار عشر ما فعل يزيد وذكر الفعل العام كالواصمة وأمثاله وذكر رواية أبي طالب سألت أحمد بن حنبل عمن قال لعن الله يزيد بن معاوية فقال لا أتكلم في هذا . الامساك احب الي . قال ابن الجوزي هذه الرواية تدل على اشتغال الانسان بنفسه عن لعن غيره والاولى على جواز اللعنة كما قلنا في تقديم جواز التسبيح على لعنة ابليس وسلم ابن الجوزي أن ترك اللعن اولى (وأخرج) مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قيل يارسول الله ادع الله عز وجل علي المشركين قال اني لم أبعث لعانا وانما بعثت رحمة قال في رواية الحافظ ابن الجوزي وقد لعن الامام أحمد رضى الله عنه من يستحق اللعن فقال مسدد قالت الواقفية الملعونة والمعتزلة الملعونة وقال علي الجهمية لعنة الله وكان الحسن يلعن الحجاج وأحمد يقول الحجاج رجل سوء وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رضى الله

عنه ليس في هذا عن احمد لعنة معين لكن قول الحسن نم وقال الشيخ ايضا لم أر
احمد رضى الله عنه لعن معينا الا لعنة نوع او دعاء على معين بالعذاب أو سب له
وفي الآداب الكبري لابن مفلح ذكر القاضى ما نقله من خط أبي حفص العكبري
أسنده الى صالح بن أحمد قلت لأبي ان قوما ينسبونا الى توالى يزيد فقال يابني
وهل يتوالى يزيد احد يؤمن بالله (فقلت) ولم لا تلعنه فقال ومتى رأيتني ألعن شيئا لم
لا تلعن من لعنه الله عز وجل في كتابه فقلت واين لعن الله يزيد في كتابه فقرأ
فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم . أولئك الذين
لعنهم الله فاصمهم وأعمى أبصارهم . فهل يكون في قطع الرحم اعظم من القتل قال
القاضي وهذه الرواية ان صحت فهي صريحة في معنى علة لعن يزيد قال شيخ
الاسلام ابن تيمية رضي الله عنه الدلالة مبنية على استلزام المطلق للمعين انتهى
(قلت) أكثر المتأخرين من الحفاظ والمتكلمين يجيزون لعنة يزيد اللعين
كيف لا وهو الذي فعل المعضلات وهتك ستر المخدرات . وانتهك حرمة أهل البيت
وآذى سبط النبي صلى الله عليه وسلم وهو حي وميت مع مجاهرته بشرب الخمور والفسق
والفجور ذكروا في ترجمته انه كان مجاهرا بالشراب منهتكا فيه وله في وصفه بدائع
وغرائب ونهاه والده فلم ينته فغضب عليه فأنشد يزيد يخاطبه ونسبها الاصمعي الى غيره

أمن شربة من ماء كرم شربتها ... غضبت علي الآن طاب لي السكر
سأشرب فاغضب لا رضيت كلاهما ... حبيب الى قلبي عقوقك والخمر

وهو القائل من قصيدة

وشمسة كرم برجها قعر دنها ... فمطلعها الساقى ومغربها فمي
مدام كتبر في اناء كفضة ... وساق كبدر مع ندامى كانجم
اذا نزلت من دنها في زجاجة ... حكت نفرا بين الحطيم وزمزم
نشير اليها بالبنان كأنما ... نشير الى البيت العتيق المحرم

الى أن يقول

فان حرمت يوما على دين أحمد ... فخذها على دين المسيح بن مريم

وله من أمثال هذه الضلالات كثير جدا وفي المجلد السادس عشر من الوافي بالوفيات

ان الكيا الهراس سئل عن لعن يزيد فقال فيه لاحمد قولان تلويح وتصريح ولمالك قولان تلويح وتصريح ولنا قول واحد التصريح دون التلويح وكيف لا يكون كذلك وهو اللاعب بالرند والمتصيد بالفهد ومدمن الخمر وذكر من شعره أشياء ثم ذكر أنه سبى أهل البيت لما ورد من العراق على يزيد خرج فلقي الاطفال والنساء من ذرية علي والحسين والرؤس على أسنة الرماح وقد أشرفوا على ثنية العقاب فلما رآهم الخبيث أنشأ يقول

لما بدت تلك الحمول وأشرفت — تلك الرؤس على شفا جيرون

نعب الغراب فقلت قل أولا تقل — فقد اقتضيت من الرسول ديوني

يعني بذلك قتل من قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر كعتبة جده ابوامه وخاله وغيرهما قلت أنا لا أشك أن قائل هذا الكلام خارج من ربقة الاسلام والله ورسوله بريئان منه ثم ان الخبيث لما اتى برأس سيدنا الحسين رضوان الله عليه تناوله بقضيب فكشف عن ثناياه وهي ابيض من البرد فقال عليه غضب المتعال

نفلق هاماً من رجال أعزة — علينا وهم كانوا أعق وأظلما

وقال أيضا لما فعل بأهل المدينة ما فعل وجاءه رسوله بالاخبار التي لا تفعلها الا الكفار . فتمثل بقول ابن الزبعرا

ليت اشياخي ببدر علموا — جزع الخزرج من وقع الأسل

والحاصل أن العلماء منهم من صرح بلعنه ومنهم من لوح ومنهم من منع وهو ظاهر النظم والله اعلم . (تتمة) ألحق كثير من العلماء الحجاج بن يوسف الثقفي بيزيد فخبثه كخبثه أو يزيد . وفي فنون ابن عقيل حلف رجل بالطلاق الثلاث أن الحجاج في النار فسأل فقيها فقال الفقيه أمسك زوجتك فان الحجاج ان لم يكن مع افعاله في النار فلا يضرك الزنا والله أعلم .

وَفُحْشٌ وَمَكْرٌ وَالْبَذَاءُ خَدِيعَةٌ — وَسُخْرِيَةٌ وَالْهُزْوُ وَالْكَذِبُ قَيِّدِ

(و) يحرم على كل مكلف (فحش) بضم الفاء وسكون الحاء المهملة وبالشين المعجمة وأصله كلما اشتد قبحه من الذنوب والمعاصى كما في نهاية ابن الاثير ولما قالت

عائشة لليهود ما قالت قال لها النبي صلي الله عليه وسلم ان الله لا يحب الفحش ولا التفاحش أراد بالفحش التعدي في القول والجواب لا الفحش الذى هو من قذع الكلام ورديه والتفاحش تفاعل منه وقد يكون الفحش بمعنى الزيادة والكثرة ومنه حديث بعضهم وقد سئل عن دم البراغيث فقال ان لم يكن فاحشا فلا بأس. وفي شرح البخارى للحافظ ابن حجر الفحش كل ما خرج عن مقداره حتى يستقبح و يذم و يدخل في القول والفعل والصفة يقال طويل فاحش الطول اذا أفرط في طوله لكن استعماله في القول اكثر والمراد هنا بالفحش الكلام القبيح (فأخرج) الطبراني في الصغير والأوسط وأبو الشيخ عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة لو كان الحياء رجلاً كان رجلاً صالحاً ولو كان الفحش رجلا كان رجل سوء (وأخرج) ابن ماجه والترمذى وقال حسن غريب عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان الفحش في شيء الا شانه وما كان الحياء في شيء الا زانه (وفي صحيح) البخارى عن عائشة رضي الله عنها أن يهودا اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليكم فقالت عائشة رضي الله عنها عليكم السام ولعنة الله وغضب الله عليكم قال مهلا يا عائشة عليك بالرفق واياك والعنف والفحش (وفي الصحيحين) عنها استأذن رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليكم فقالت عائشة رضي الله عنها وعليكم السام واللعنة فقال يا عائشة ان الله تعالى يحب الرفق في الأمر قالت ألم تسمع ما قالوا قال قد قلت وعليكم وفي رواية لهما أن عائشة رضي الله عنها قالت بل عليكم السام والذام فقال يا عائشة لا تكوني فاحشة فقلت ما سمعت ما قالوا فقال أو ليس قد رددت عليهم الذى قالوا قلت وعليكم وفي لفظ مه يا عائشة فان الله عز وجل لا يحب الفحش والتفحش وأنزل الله تعالى واذا جاؤك حيوك الآية. الذام بالذال المعجمة والميم الذم وروى بالدال المهملة ومعناه الدائم والسام الموت وفي رواية انا نجاب عليهم ولا يجابون علينا قال في شرح مسلم فيه الانتصار من الظالم والانتصار لأهل الفضل ممن يؤذيهم انتهى. وفي كتاب الله تعالى قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن قال ابن عرفة كل ما نهي الله عنه فهو فاحش وأكثر استعمال الفاحشة في الزنا.

واللواطة وليس مرادا هنا والله اعلم . ويحرم أيضا (مكر) وهو كما في القاموس والنهاية وغيرهما الخداع قال في لغة الاقناع مكر مكرا من باب قتل خدع فهوماكر وأمكر بالالف لغة وفي النهاية في قوله صلى الله عليه وسلم اللهم امكر لي ولاتمكر بي مكر الله ايقاع بلائه بأعدائه دون أوليائه وقيل هو استدراج العبد بالطاعات فيتوهم انها مقبولة وهي مردودة والمعنى ألحق مكرك بأعدائي لابي قال وأصل المكر الخداع يقال مكر يمكر مكرا انتهي وقال الله تعالى ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين . قال البيضاوي كغيره ومكروا أى الذين أحس عيسي منهم الكفر من اليهود وكلوا عليه من يقتله غيلة ومكر الله حين رفع عيسى وألقي شبهه على من قصد اغتياله حتي قتل قال والمكر من حيث انه في الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لايسند الى الله تعالى الاعلى سبيل المقابلة والازدواج والله خير الماكرين أى أقواهم مكرا وأقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب . (وقال الامام) العلامة الشيخ مرعي الكرمي في كتابه أقاويل الثقات قال ومن المتشابه الاستهزاء والمكر في قوله ومكروا ومكر الله فمذهب السلف في هذا ونحوه أنهم يقولون صفات الله تعالي لا يطلع لها على ماهية وانما تمر كما جاءت (قال) شيخ الاسلام ابن تيمية مذهب سلف الأمة وأئمتها أن يصفوا الله تعالى بما وصف الله به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولاتعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ولا يجوز نفي صفات الله التى وصف بها نفسه ولا تمثيلها بصفات المخلوقين . وقال المؤولون المكر في الاصل حيلة يتوصل بها الى مضرة الغير والله منزه عن ذلك فلا يمكن اسناده اليه سبحانه الا بطريق المشاكلة انتهي (أخرج) الترمذي وقال غريب من حديث أبي سلمة الكندى عن فرقد السنجي عن مرة بن سراحيل الهمداني عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه مرفوعا ملعون من ضار مؤمنا أو مكر به اسناده ضعيف (وأخرج) ابو داود أنه صلى الله عليه وسلم قال من خبب بمعجمة فموحدتين تحتيتين زوجة امرئ أو مملوكه فليس منا ومعنى خبب أي أفسد وخدع (وأخرج) ابو داود وابن ماجه والترمذي وقال حسن غريب وفي نسخة صحيح عن أبي حرمة من ضار ضار الله به ومن شاق شق الله

مطلب في النهي عن الفحش

عليه ويحرم أيضا (البذاء) قال في المشارق بذا يبذو بذا فحش في القول (أخرج) الامام احمد ورجاله رجال الصحيح والترمذي وابن حبان في صحيحه وقال الترمذي حديث حسن صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياء من الايمان والايمان في الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء في النار . وقال صلى الله عليه وسلم الحياء والعي شعبتان من الايمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق رواه الترمذى وقال حسن غريب عن أبي أمامة قال المنذرى العي قلة الكلام والبذاء هو الفحش في الكلام والبيان هو كثرة الكلام مثل هؤلاء الخطباء الذين يخطبون فيتوسعون في الكلام و يتفصحون فيه من مدح الناس فيما لا يرضي الله انتهي ورواه الطبراني بلفظ الحياء والعي من الايمان وهما يقربان من الجنة و يباعدان من النار . والفحش والبذاء من الشيطان وهما يقربان من النار و يباعدان من الجنة فقال أعرابي لأبي أمامة انا لنقول في الشعر العي من الحمق فقال اني أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجيئني بشعرك المنتن (وروي الطبراني) باختصار وأبو الشيخ في الثواب واللفظ له عن قرة بن اياس رضى الله عنه قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فذكر عنده الحياء فقالوا يارسول الله الحياء من الدين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو الدين كله ثم قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان الحياء والعفاف والعي عن اللسان لا عن القلب والعفة من الايمان وانهن يزدن في الآخرة و ينقصن من الدنيا ومايزدن في الآخرة اكثر مما ينقصن من الدنيا وأن الشح والعجز والبذاء من النفاق وأنهن يزدن في الدنيا و ينقصن من الآخرة وما ينقصن من الآخرة اكثر مما يزدن من الدنيا ويحرم ايضا (خديعة) اى ارادة المكروه بالمسلم قال في القاموس خدعه كمنعه خدعا ويكسر ختله وأراد به المكروه من حيث لا يعلم كاختدعه فانخدع والاسم الخديعة والحرب خدعة مثلثة وكهمزة قال في المشارق في قوله صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة كذا لأبي ذر وأكثر الروايات للصحيحين وضبطها الأصيلي خدعة بالضم قال أبو ذر لغة النبي صلى الله عليه وسلم بالفتح وبه قال الأصمعي وغيره وحكي يونس فيه الوجهين ووجها ثالثا خدعة بضم الخاء وفتح

الدال ولغة رابعة بفتحهما فالخدعة يعني بفتح الخاء وسكون الدال المهملة بمعنى أن أمرها ينقضي بخدعة واحدة يخدع بها المخدوع فتزل قدمه ولا يجد لها تلافيا ولا اقالة فكأ نه نبه على أخذ الحذر من مثل ذلك ومن ضم الخاء وسكن الدال فمعناه أنها تخدع يعني أهلها ومباشريها ومن ضم الخاء وفتح الدال نسب الفعل اليها أي تخدع هي من اطمأن اليها وأن أهلها يخدعون فيها ومن فتحهما جميعا كان جمع خادع يعني أن أهلها بهذه الصفة فلا يطمأن اليهم كأنه قال أهل الحرب خدعة ثم حذف المضاف قال وأصل الخدع اظهار أمر واضمار خلافه ويقال خدع الطريق فسد فكان الخداع يفسد تدبير المخدوع ويقيل رأيه وقال في الصحاح خدعه يخدعه خدعا وخدعا أيضاً بالكسر مثل سحره سحرا أي ختله وأراد به المكروه من حيث لا يعلم والاسم الخديعة انتهى قلت ظاهر كلام المحدثين من أهل الغريب بل صريحه أنها تروى على أربعة أوجه من حيث اللغة ومقتضى ماذكرناه عن القاموس والمشارق بضم ما أهمله كل واحد منهما الى ما ذكره أنها خمس لغات فان القاموس قال الحرب خدعة مثلثة وكهمزة ولا شك أن مراده مثلثة الخاء مع سكون الدال وقوله كهمزة أي بضم الخاء المعجمة وفتح الدال المهملة وأهمل ما ذكره صاحب المشارق من فتح الخاء والدال معا وأهمل صاحب المشارق فتح الخاء وسكون الدال لكنه غير وارد على صاحب القاموس لأن من رواه خدعة بفتحهما فهو جمع خادع كما بينه صاحب المشارق وانما يرد على المشارق اهمال لغة الفتح مع السكون فاحفظه والله تعالى أعلم . قال الله سبحانه وتعالى في حق المنافقين يخادعون الله والذين آمنوا قال البيضاوي الخدع أن توهم غيرك خلاف ماتخفيه من المكروه لتنزله عما هو بصدده من قولهم خدع الضب اذا توارى في جحره وضب خادع وخدع اذا أوهم الحارس اقباله عليه ثم خرج من باب آخر وأصله الاخفاء ومنه المخدع للخزانة والأخدعان لعرقين خفيفين في العنق فالمخادعة تكون بين اثنين وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لانه لايخفي عليه خافية ولأنهم لم يقصدوا خديعته بل المراد اما مخادعة رسوله على حذف مضاف او على ان معاملة الرسول معاملة الله من حيث انه خليفته كما قال من يطع الرسول فقد

مطلب فيما ورد في ذم الخدعة

أطاع الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله واما أن صورة صنعهم مع الله من اظهار الايمان واستبطان الكفر وصنع الله معهم باجراء أحكام المسلمين عليهم وهم عنده اخبث الكفار واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول والمؤمنين امر الله في اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنع المخادعين وفي القاموس واذا خادعوا المؤمنين فقد خادعوا الله وقال الجلال السيوطي والمخادعة هنا من واحد كعاقبت اللص وذكر الله فيها تحسين انتهى ٠ والخديعة لا تليق بالمؤمنين اذ هي تنافي النصح وسلامة الصدر والمودة والمحبة وتنبت الاثم والبغي والغل والحسد والحقد ٠ وأخرج ابن ماجه باسناد صحيح والبيهقي وغيرهما عن عبد الله بن عمر و رضي الله عنهما قال قيل يارسول الله أي الناس أفضل قال كل مخموم القلب صدوق اللسان قالوا صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب قال هو التقي النقي لا اثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد ٠ وروي ابن أبي الدنيا في كتاب الاولياء عن الحسن مرسلا قال صلى الله عليه وسلم ان بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بكثرة صلاة ولا صوم ولا صدقة لكن دخلوها برحمة الله وسخاوة الأنفس وسلامة الصدور (و) يحرم (سخرية والهزو) وهما لفظان مترادفان معناهما واحد قال الجوهري الهزو والسخرية وفي الحديث أتسخر مني وأنت الملك أي أتهزأ بي وفي القاموس هزأ منه و به كمنع وسمع هزؤا وهزوا ومهزاة سخر كتهزأ واستهزأ ورجل هزأة بالضم يهزأ منه وكهمزة يهزأ بالناس وقال سخر منه و به كفرح سخرا وسخرا وسخرة هزئ كاستخر والاسم السخرية (قال) الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسي أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسي أن يكن خيرا منهن قال الضحاك نزلت في وفد تميم كانوا يستهزؤن بفقراء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخباب و بلال وصهيب وسلمان وسالم مولي أبي حذيفة لما يرون من رثاثة حالهم ٠ والقوم وان كان اسما يجمع الرجال والنساء الا أنه قد يختص بالرجال فمن ثم عطف عليه قوله ولا نساء من نساء وقد روى أنس أن قوله تعالى ولا نساء من نساء نزلت في صفية بنت حي بن أخطب أم المؤمنين رضي الله عنها قال لها النساء يهودية بنت

مطلب في السخرية والهزو وماورد في ذمها

يهوديين . وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم في الآخرة باب من الجنة فيقال لهم هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا جاء أغلق دونه فما يزال كذلك حتي ان أحدهم ليفتح له الباب من أبواب الجنة فيقال له هلم فما يأتيه من الاياس رواه البيهقي مرسلا وفي هذا وعظ لمن اتعظ وايقاظ لمن تيقظ . قال العلامة الشيخ مرعي في أقاويل الثقات الاستهزاء من باب العبث والسخرية فمعني يستهزئ بهم يعني يجازيهم على استهزائهم وهو من باب المشاكلة في اللفظ ليزدوج الكلام كجزاء سيئة مثلها نسوا الله فنسيهم والمعني يعاملهم معاملة المستهزئ أما في الدنيا فباجراء أحكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال وأما في الآخرة فيروي أنه يفتح لأحدهم باب الجنة فيسرع نحوه فاذا سار اليه سددونه ثم يفتح له باب آخر فاذا أقبل عليه سددونه وهذا الذي قاله على طريقة الخلف وأما مذهب السلف فلا يؤولون ولا يكيفون فيؤمنون بما أخبر لا كما يخطر في أوهام البشر والله الموفق (تنبيه) المستهزئ بغيره يرى فضل نفسه بعين الرضى عنها ويري نقص غيره بعين الاحتقار اذ لو لم يحتقر غيره لما سخرمنه (وفي صحيح) مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا التقوي ههنا التقوى ههنا ويشير الى صدره بحسب امرئ من الشرأن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله قال الحافظ ابن رجب في شرح النووية المتكبر ينظر الى نفسه بعين الكمال والى غيره بعين النقص فيحتقرهم ويزدريهم ولا يراهم أهلا لأن يقوم بحقوقهم ولا أن يقبل من أحد منهم الحق اذا أورده عليه وقال في قوله صلى الله عليه وسلم بحسب امرئ من الشرأن يحقر أخاه المسلم يعني يكفيه من الشر احتقار أخيه المسلم فانه انما يحتقر أخاه المسلم لتكبره عليه والكبر من أعظم خصال الشر وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا فقال ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق اي دفعه ورده وغمط الناس

اي بفتح الغين المعجمة وسكون الميم و بالطاء المهملة هو احتقارهم وازدراؤهم كما جاء
مفسراً عند الحاكم (وأخرج) الامام مالك ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة رضى
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو
أهلكهم قال أبو اسحاق سمعته بالنصب والرفع ولا أدرى ايهما قال يعني بنصب الكاف
من اهلكهم و رفعها وفسره الامام مالك اذا قال ذلك معجبا بنفسه مزدريا بغيره فهو
اشد هلاكا منهم لانه لا يدرى سرائر الله في خلقه انتهى (قال الحافظ) ابن رجب
واذا كانت التقوي في القلوب فلا يطلع احد على حقيقتها الا الله عز وجل كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم
وأعمالكم رواه مسلم وح. فكثير من يكون له صورة حسنة أو مال أوجاه أورياسة
في الدنيا و يكون قلبه خرابا من التقوي و يكون من ليس له ذلك قلبه مملوأ من
التقوي فيكون أكرم عند الله عز وجل بل ذلك هو الاكثر وقوعاً (وأخرج)
الامام احمد عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان أنسابكم هذه ليست نسبات على أحد وانما انتم ولد آدم طف الصاع لم تملؤه
ليس لاحد فضل على احد الا بالدين أو عمل صالح و رواه البيهقي بلفظ ليس لاحد
على احد فضل الا بالدين أو عمل صالح حسب الرجل أن يكون فاحشا بذيا بخيلاً
وفي رواية له ليس لاحد على أحد فضل الا بدين أو تقوي وكفي بالرجل أن يكون
بذيا فاحشا بخيلا قوله طف الصاع بالاضافة اى قريب بعضكم من بعض
(وأخرج) الامام أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال له انظر فانك لست بخير من احمر ولا اسود الا ان تفضله بتقوي (وأخرج)
البيهقى باسناد فيه من يجهل عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال خطبنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم في اوسط أيام التشريق خطبة الوداع فقال ياأيها الناس ان
ربكم واحد وان اباكم واحد ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي
ولا لاحمر على اسود ولا لاسود على احمر الا بالتقوى ان أكرمكم عند الله أتقاكم
ألا هل بلغت قالوا بلى يا رسول الله قال فليبلغ الشاهد الغائب ثم ذكر الحديث
في تحريم الدماء والاموال والاعراض. وروى الطبراني في الصغير والبيهقي عن ابي

هريرة مرفوعاً وموقوفا قال البيهقي والمحفوظ الموقوف اذا كان يوم القيامة أمر الله مناديا ينادي ألا أني جعلت نسبا وجعلتم نسبا فجعلت أكرمكم أتقاكم فابيتم الا أن تقولوا فلان بن فلان خير من فلان بن فلان فاليوم أرفع نسبي وأضع نسبكم أين المتقون وفي الحديث الصحيح من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه (وأخرج) ابو داود والترمذي وحسنه والبيهقي باسناد حسن عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله عز وجل أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء الناس بنو آدم وآدم من تراب مؤمن تقي وفاجر شقي لينتهين أقوام يفتخرون برجال انما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع النتن بأنفها وفي رواية اهون على الله من الجعل يدفع الخرء بأنفه وفي رواية الذي يدهده الخرء بأنفه قوله عبية الجاهلية هي بضم العين المهملة وكسرها وتشديد الباء الموحدة مكسورة وبعدها ياء مثناة تحتية مشددة ايضا هي الكبر والفخر والنخوة والجعلان جمع جعل بضم الجيم وفتح العين المهملة دويبة أرضية قال في حياة الحيوان الجعل كصرد ورطب جمعه جعلان ويقال له ابو جعران وهو دويبة معروفة تسمي الزعقوق وهي أكبر من الخنفساء شديد السواد في بطنه لون حمرة للذكر قرنان يوجد كثيرا في مراح البقر والجاموس ومواضع الروث يتولد غالبا من أخثاء البقر ومن شأنه جمع النجاسة وادخارها ومن عجيب أمره أنه يموت من ريح الورد وريح الطيب فاذا أعيد الى الروث عاش وفي كلام شيخنا الشيخ عبد الغني النابلسي « ومن أين للجعلان تعبث في الورد » وفي لامية ابن الوردي

أيها العائب قولي عبثا ان طيب الورد مؤذ بالجعل

وفي كلام المتنبي « كما تضر رياح الورد بالجعل » وله جناحان لا يكاد أن يريان الا اذا طار وله ستة أرجل وسنام مرتفع جدا وهو يمشي القهقري الى خلفه وهو مع هذه المشية يهتدي الى بيته ويسمى الكبرتك واذا أراد الطيران تنفس فيظهر جناحاه ومن عادته أنه يحرس النيام فمن قام منهم لقضاء حاجته تبعه من شهوته للغائط لأنه قوته وقوله يدهده أي يدحرج وزنه ومعناه وفي مسند أبي داود الطيالسي والشعب للبيهقي عن ابن عباس مرفوعا لا تفخروا بآبائكم الذين ماتوا

في الجاهلية فوالذي نفسي بيده لما يدحرج الجعل بأنفه خير من آبائكم الذين ماتوا في الجاهلية. والحاصل أن كل من افتخر على اخوانه واحتقر أحدا من أقرانه وأخدانه أو سخر أو استهزأ بأحد من المؤمنين فقد باء بالاثم والوزر المبين . وأما الكافر فيجوز احتقاره لأنه مهان لأنه لا حرمة له لعدم انقياده للايمان فهو لكبره عن الإيمان محتقر ومجرم ومن يهن الله فماله من مكرم والله أعلم (و) يحرم (الكذب) لا مطلقا بل (قيد) تحريمه .

بِغَيْرِ خِدَاعِ الكَافِرِينَ بِحَرْبِهِمْ ۞ وَلِلعِرْسِ أَوْ إِصْلَاحِ أَهْلِ التَّنَكُّدِ

(بغير) أحد ثلاثة مواضع الأول اذا كان بغير (خداع الكافرين) وتقدم أن الخداع ارادة المكروه بالانسان من حيث لا يعلم وتقدم قوله صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة والكافرين جمع كافر من الكفر وهو ضد الايمان ويفتح كالكفور لا الكفران بضمهما وكفر نعمة الله وبها كفورا وكفرانا جحدها وسترها (بحربهم) أي في أمر حربهم وجهادهم وما يتوصل به الى خذلانهم وفشلهم (و) الموضع الثاني اذا كان لغير (العرس) يعني الزوجة وهي بكسر العين قال في القاموس العرس بالكسر امرأة الرجل ورجلها جمعه أعراس والموضع الثالث ما أشار اليه بقوله (أو) يكون الكذب لغير (اصلاح) ذات بين (أهل التنكد) بما يذهب وغر صدورهم ويجمع شملهم ويضم جماعتهم ويزيل فرقتهم والاصلاح ضد الافساد قال في القاموس الصلاح ضد الفساد وأصلحه ضد أفسده والتنكد التعاسر قال في القاموس تناكدا تعاسرا وناكده عاسره وأصل النكد الشدة والعسرة يقال نكد كفرح ورجل نكد شوم وقوم أنكاد ومناكيد وأما قول كعب رضي الله عنه من بانت سعاد قامت فجاوبها نكد مثاكيل فالمراد بالنكد في كلامه اللاتي لا يعيش لهن ولد الواحدة نكدى كما قاله الامام ابن هشام روى الترمذي وحسنه عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصلح الكذب الا في ثلاث الرجل يكذب في الحرب والحرب خدعة والرجل يكذب بين الرجلين ليصلح بينهما والرجل يكذب للمرأة

ليرضيها بذلك قال الامام ابن مفلح في الآداب الكبرى ويحرم الكذب لغير اصلاح وحرب وزوجة وقال ابن الجوزي وضابطه أن كل مقصود محمود لا يمكن التوصل اليه الا بالكذب فهو مباح ان كان ذلك المقصود مباحا وان كان واجبا فهو واجب قال ابن مفلح وهو مراد الاصحاب ومرادهم هنا لغير حاجة وضرورة فانه يجب الكذب اذا كان فيه عصمة مسلم من القتل وعند أبي الخطاب يحرم أيضاً لكن يسلك أدنى المفسدتين لدفع أعلاهما وقال ابن عقيل هو حسن حيث جاز لااثم فيه وهو قول أكثر العلماء . وقال الامام المحقق ابن القيم في الهدى يجوز كذب الانسان على نفسه وعلى غيره اذا لم يتضمن ضرر ذلك الغير اذا كان يتوصل بالكذب الى حقه كما كذب الحجاج بن علاط على المسلمين حتى أخذ ماله من مكة من غير مضرة لحقت بالمسلمين من ذلك الكذب وأما مانال من بمكة من المسلمين من الأذي والحزن فمفسدة يسيرة في جنب المصلحة التي حصلت بالكذب لا سيما تكميل الفرح وزيادة الايمان الذي حصل بالخبر الصادق بعد هذا الكذب وكان الكذب سببا في حصول المصلحة الراجحة قال ونظير هذا الامام والحاكم يوهم الخصم خلاف الحق ليتوصل بذلك الى استعمال الحق . كما أوهم سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام احدى المرأتين بشق الولد نصفين حتى يتوصل بذلك الى معرفة عين أمه انتهى . وقصة الحجاج بن علاط كما ذكرها الامام المحقق في الهدى النبوى وابن هشام في السيرة وأهل السير والمغازي وذكرتها في كتابي تحبير الوفا في سيرة المصطفى قال في الهدى وكان الحجاج ابن علاط السلمي قد أسلم وشهد فتح خيبر وكانت تحته شيبة اخت بني عبد الدار بن قصي أي وهو ابو نصر الذي نفاه عمر رضي الله عنه لما سمع أم الحجاج بن يوسف الثقفي تقول الأبيات التي منها

هل من سبيل الى خمر فأشربها ... أم من سبيل الى نصر بن حجاج

ومن ثم قال عروة بن الزبير رضي الله عنه يوما للحجاج يا ابن المتحببة يعيره بذلك قال في الهدى وكان الحجاج مكثرا من المال فكانت له معادن ارض بني سليم فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم على خيبر قال الحجاج بن علاط ان لي ذهبا عند امرأتي وان تعلم هي وأهلها باسلامي فلا مال لي فأذن لي فلأسرع السير وأسبق

الخبر وقال له صلى الله عليه وسلم لا بد لي أن أقول أي أذكر ما هو خلاف الواقع فأذن له صلى الله عليه وسلم وقال قل قال الحجاج فخرجت حتى انتهيت الى الحرم فاذا رجال من قريش يسمعون الاخبار قالوا حجاج والله عنده الخبر ولم يكونوا علموا فقالوا ياحجاج انه قد بلغنا أن القاطع يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سار الى خيبر فقلت عندي من الخبر ما يسركم فاجتمعوا علي يقولون ايه ياحجاج فقلت لم يلق محمد واصحابه قوما يحسنون القتال غير أهل خيبر فهزم هزيمة لم يسمع مثلها قط وقتل أصحابه قتلا لم يسمع بمثله قط وأسر محمد وقالوا لا نقتله حتى نبعث به الى مكة فيقتلوه بين أظهرهم فصاحوا وقالوا لاهل مكة قد جاءكم الخبر هذا محمد انما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين اظهركم قال حجاج وقلت لهم أعينوني على غرمائي فجمعوا له ماله باحسن مايكون قال في الهدى فلما قدم مكة قال لامرأته اخفي علي واجمعي ما كان لي عندك من مالي فاني أريد أن أشتري من غنائم محمد واصحابه فانهم قد استبيحوا وأصيبت اموالهم وأن محمدا قد أسر وتفرق عنه أصحابه وأن اليهود قد أقسموا لنبعثن به الى مكة ثم لنقتلنه بقتلاهم بالمدينة يعني بني قريظة وفشا ذلك في مكة واشتد على المسلمين وبلغ منهم وأظهر المشركون الفرح والسرور وبلغ العباس رضي الله عنه جلبة الناس واظهارهم السرور فاراد أن يقوم ويخرج فانخزل ظهره فلم يقدر علي القيام فدعا ابنا له يقال له قثم وكان يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يرتجز ويرفع صوته لئلا يشمت به اعداء الله

قثم شبيه ذي الانف الأشم فتى ذي النعم يرغم من رغم

وحشر الى باب داره رجال كثيرون من المسلمين والمشركين منهم المظهر للفرح والسرور ومنهم الشامت والمعزي ومنهم من به مثل الموت من الحزن والبلاء فلما سمع المسلمون رجز العباس رضي الله عنه وتجلده طابت انفسهم وظن المشركون أن قد أتاه مالم يأتهم ثم أرسل العباس غلاما له الى الحجاج وقال له اخل به وقل له ويلك ما جئت به وما تقول فالذي وعد الله خير مما جئت به فلما كلمه الغلام قال له أقرئ أبا الفضل مني السلام وقل له ليخل بي في بعض بيوته حتى آتيه فان الخبر على مايسره فلما بلغ العبد باب الدار قال أبشر أبا الفضل فوثب العباس فرحا كانه لم

يصبه بلاء قط حين جاءه فاتى الغلام وقبل ما بين عينيه فأخبره بقول الحجاج فأعتقه
وفي سيرة الشامي أنه اعتنقه وأعتقه فلما أخبره بالذى قال قال العباس لله على عتق
عشر رقاب وأن الغلام اسمه ابو زبيبة قال ولم أر له ذكرا في الاصابة انتهى. قال
في الهدي قال أخبرني قال يقول لك الحجاج اخل به في بعض بيوتك حتى يأتيكم
ظهرا فلما جاء الحجاج واختلى به أخذ عليه لتكتمن خبرى. وفي سيرة الشامي
فناشده الله لتكتم عني ثلاثة ايام ويقال يوما وليلة فواثقه العباس رضي الله عنه على
ذلك فقال له الحجاج قد افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وغنم أموالهم
وجرت فيها سهام الله وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفى صفية بنت
حيي لنفسه وأعرس بها ولقد أسلمت ولكن جئت لمالى أردت أن أجمعه
وأذهب به واني استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقول فأذن لى فأخف
على ثلاثا ثم اذكر ماشئت قال فجمعت له امرأته متاعه ثم انشمر راجعا فلما
كان بعد ثلاث أتي العباس امرأة الحجاج فقال مافعل زوجك قالت ذهب
وقالت لا يحزنك الله ياأبا الفضل لقد شق علينا الذي بلغك فقال أجل لا يحزننى
الله ولم يكن بحمد الله الا ما أحب فتح الله سبحانه على رسوله خيبر و جرت
فيها سهام الله واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية لنفسه وان كان
لك في زوجك حاجة فالحقي به قالت أظنك والله صادقا قال فاني والله صادق
والأمر على ماأقول قالت فمن أخبرك بهذا قال الذى أخبرك بما أخبرك ثم
ذهب قال ابن اسحاق فلبس حلة له وتخلق أي تطيب وأخذ عصاه ثم خرج
حتى أتي الكعبة فطاف فلما رأوه قالوا يا أبا الفضل هذا والله التجلد لحر المصيبة
قال كلا والذى حلفتم به لقد افتتح محمد خيبر وترك عروسا على بنت ملكهم
يعني صفية بنت حيي وأحرز أموالهم وما فيها فأصبحت له ولاصحابه قالوا من
جاءك بهذا الخبر قال الذي جاءكم بما جاءكم به ولقد دخل عليكم مسلما فأخذ ماله
وانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه فيكون معه قالوا ياالعباد الله انفلت عدو الله أما
والله لو علمنا لكان لنا وله شأن قال في الهدى ولقد سألني أن أكتم عليه ثلاثا لحاجة
قال فرد الله تعالى ما كان بالمسلمين من كآبة وجزع على المشركين وخرج

المسلمون من مواضعهم حتى دخلوا على العباس فاخبرهم الخبر فاشرقت وجوه المسلمين انتهي (وقوله) كما أوهم سليمان بن داود عليهما السلام احدي المرأتين هذه القصة ذكرها الامام ابن القيم في كتابه الطرق الحكمية وهي أن امرأتين ارتفعتا الى نبي الله داود عليه السلام ادعتا ولدا معهما فحكم به داود عليه السلام للكبرى فقال سليمان ائتوني بالسكين أشقه بينكما فسمحت الكبرى بذلك وقالت الصغري لا تفعل رحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى قال في الطرق الحكمية فأي شيء أحسن من اعتبار هذه القرينة الظاهرة فاستدل برضي الكبري بذلك وأنها قصدت الاسترواح الى التأسي بمساواة الصغري في فقد ولدها وشفقة الصغري عليه وامتناعها من الرضا بذلك دل على أنها هي أمه وأن الحامل لها على الامتناع هو ما قام بقلبها من الرحمة والشفقة التي وضعها الله في قلب الام انتهى. والحاصل أن الكذب مذموم وفاعله من الخير محروم وانما يباح لما ذكرنا وقد اختلف علماؤنا هل الكذب في هذه المواضع المراد به التورية أو مطلقا فرواية حنبل عن الامام تدل على تحريم الكذب ابتداء ورواية ابن منصور تدل على الاطلاق لكن الاطلاق ظاهر كلام الاصحاب قال الحجاوي وهو الصحيح وهو الذي رجحه ابن مفلح في الآداب الكبرى وروى الشيخان عن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الكذاب الذي يصلح بين اثنين أو قال بين الناس فيقول خيرا أو ينمي خيرا زاد مسلم قالت ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس كذبا الا في ثلاث يعني الحرب والاصلاح بين الناس وحديث الرجل زوجته وحديث المرأة زوجها وهو في البخاري من قول ابن شهاب لم أسمع احدا يرخص في شيء مما يقول الناس كذب وذكره ولأبي داود والنسائي ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخص في شيء من الكذب الا في ثلاث الحديث (وأخرج) الامام احمد عن اسماء بنت يزيد مرفوعا كل الكذب يكتب على ابن آدم الا ثلاث خصال الارجل كذب لامرأته ليرضيها أو رجل كذب في خديعة حرب أو رجل كذب بين امرأين مسلمين ليصلح بينهما وفي رواية لا يحل الكذب وهي عند الترمذي وفي اخرى لا يصلح الكذب

مطلب هل المراد بما ابيح به الكذب التورية أو مطلقا

وقال حديث حسن فالكذب في الحرب هو أن يظهر من نفسه قوة و يتحدث بما يقوى اصحابه و يكيد به عدوه لقوله عليه الصلاة والسلام الحرب خدعة وكان اذا أراد غزوة وري بغيرها والكذب للزوجة هو أن يعدها و يمنيها و يظهر لها من المحبة اكثر مما في نفسه ليستديم بذلك صحبتها ويصلح به خلقها قاله البغوى في شرح السنة قال الحجاوى رحمه الله تعالى وظاهر كلام الاصحاب اباحة كذب الزوج للزوجة دون كذبها له قال والظاهر اباحته لهما لانه اذا جاز للاصلاح بين اثنين أجنبيين فجوازه للاصلاح بينها وبين بعلها افضل. وقد روى أن رجلا في عهد عمر قال لزوجته نشدتك بالله هل تحبيني فقالت أما اذا نشدتني بالله فلا فخرج الرجل حتى اتى عمر رضي الله عنه فارسل اليها فقال أنت التي تقولين لزوجك لا أحبك فقالت ياأمير المؤمنين نشدني بالله أفأ كذبه قال نعم فا كذبيه ليس كل البيوت تبني على الحب ولكن الناس يتعاشرون بالاسلام والاحسان والكذب بين اثنين أو قبيلتين أو أكثر هو أن ينمي على احدهما الى صاحبه خيرا او يبلغه جميلاً وان لم يكن سمعه منه يريد بذلك الاصلاح أو كان سمع منه كلاما قبيحا فيدله بخيره منه اذ لو وقف على ذلك لزادت الخصومة بينهما ونشأت العداوة وقد قال صلى الله عليه وسلم ليس بالكذاب من أصلح بين الناس فقال خيرا أو نمي خيرا رواه البخاري ومسلم (تنبيه) ظاهر كلام اما منا رضى الله عنه والاصحاب جواز الكذب في الصلح بين كافرين كما هو ظاهر الاخبار ورواية الامام احمد بين مسلمين في الخبر ارسال وفي شهر مختلف في توثيقه ثم يحتمل أن بعض الرواة رواه بالمعنى وعلى كل فظاهره غير مراد لانه يجوز للصلح بين كافر ومسلم لحق المسلم كالحكم بينهما ثم هو مفهوم اسم وفيه خلاف ذكر ذلك في الآداب الكبرى ثم حط كلامه بعد الاطالة على المنع بين كافرين أو كفار وجوازه بين كافر ومسلم وقال عن قول ابن حزم في كتاب الاجماع اتفقوا على تحريم الكذب في غير الحرب وغير مداراة الرجل امرأته أو اصلاح بين اثنين أو دفع مظلمة مراده بين اثنين مسلمين أو مسلم وكافر والله اعلم فهذا ما ورد فيه النص و يقاس عليه ما في معناه ككذبه لستر مال غيره عن ظالم وانكاره المعصية للستر عليه أو على غيره ما لم يجاهر الغير بها بل يلزمه الستر على نفسه

والا كان مجاهرا اللهم الا أن يريد اقامة الحد على نفسه كقصة ماعز ومع ذلك فالستر اولى و يتوب بينه و بين الله تعالى وكل ذلك يرجع الى دفع المضرات وقد قدمنا عن الامام الحافظ ابن الجوزى أن ضابط اباحة الكذب أن كل مقصود محمود لا يمكن التوصل اليه الا به فهو مباح وان كان ذلك المقصود واجبا فهو واجب وكذا قال النووى من الشافعية فاذا اختفي مسلم من ظالم يريد قتله فلقي رجلا فقال رأيت فلانا فانه لا يخبره به و يجب عليه الكذب في مثل هذه الحالة ولو احتاج للحلف في انجاء معصوم من هلكة قال الامام الموفق لأن انجاء المعصوم واجب كفعل سويد بن حنظلة قال خرجنا نريد النبي صلى الله عليه وسلم ومعنا وائل بن حجر فأخذه عدوله فتحرج القوم أن يحلفوا فحلفت أنه اخي فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال صدقت المسلم اخو المسلم ولكنه والحالة هذه ينبغي له العدول الى المعاريض ما امكن لئلا تعتاد نفسه الكذب . وفي حديث عمران بن حصين أن في المعاريض لمندوحة من الكذب أي فسحة وسعة يعنى فيها ما يستغنى به الرجل عن الاضطرار الى الكذب وهو أن يريد بلفظه خلاف ظاهره كقوله هذا اخي وعني في الدين و بالسقف وعنا السماء و بالفراش الارض و بالوتد الجبل و باللباس الليل و بالنساء الاقارب و بالبارية السكين التي تبري القلم ولا بأس بتعلمها وتتبعها قال الامام ابن الجوزي قال الامام عمر رضي الله عنه ما يسرني أن لي بما أعلم من المعاريض مثل أهلي ومالي وقال النخعي لهم كلام يتكلمون به اذا خشوا من شئ يردون به عن انفسهم (تنبيه) خبر عمران بن حصين في المعاريض ذكره الامام الموفق في المغنى محتجا به فظاهره الثبوت . وفي الآداب الكبرى هو ثابت عن ابراهيم النخعي قال وروى مرفوعا وليس هو في مسند الامام احمد ولا في الكتب الستة ورواه ابو بكر بن أبي الدنيا في كتاب المعاريض باسنادين ضعيفين . وقال في الآداب قال ابن سيرين الكلام أوسع من أن يكذب ظريف والحاصل أن المعتمد في المذهب أن الكذب يجوز حيث كان لمصلحة راجحة كما قدمناه عن الامام ابن الجوزي وان كان لا يتوصل الى مقصود واجب الا به وجب وحيث جاز فالاولى استعمال المعاريض وأما الحلف فان كان ظالما حنث ولو أول لقوله صلى الله عليه وسلم يمينك على ما يصدقك به صاحبك وان كان مظلوما كالذي

مطلب ينبغي العدول الى المعاريض ما أمكن

يستحلفه ظالم على شيئ لو صدقه لظلمه أو ظلم غيره أو نال مسلما منه ضرر فهنا له تأويله وكذا ان لم يكن ظالما ولا مظلوما ولو بلا حاجة ويقبل في الحكم مع قرب الاحتمال وتوسطه لا مع بعده وسواء في ذلك الطلاق والعتاق واليمين المكفرة وحيث حلف كاذبا ولم يؤول حنث ولو مظلوما ولو استحلفه ظالم ما لفلان عندك وديعة وكان له عنده وديعة فانه يعني بما الذي أو ينوي غير الوديعة أو غير مكانها أو يستثنى بقلبه فاذا فعل ذلك لم يحنث فان لم يتأول أثم وهو دون أثم اقراره بها ويكفر كما في الاقناع وغيره والله اعلم (تتمة) في بعض مثالب الكذب وتعريفه أما تعريفه فقال في الآداب الكبرى هو الاخبار عن الشيء على خلاف ماهو عليه ولا يشترط فيه التعمد نعم التعمد شرط لكونه أثما كما ذكره في شرح مسلم وقال انه مذهب اهل السنة وحكاه عنه في الآداب ولم يخالفه بل قال فلعل ظاهره لا يحرم لعدم تعمد الكذب ولم يذكر رواية أبي داود المذكورة ونهي قوله كفى بالمرء أثما أن يحدث بكل ما سمع فظاهرها يأثم مع عدم تعمد الكذب لكنه لما علم أنه يسمع الكذب والصدق وجب عليه التحري والله أعلم ولهذا يقول أصحابنا في اليمين الغموس هي التي يحلف بها كاذبا عالما بكذبه قال وهذا هو المشهور في الاصول وهو قول الشافعية وغيرهم ولذا قال صلى الله عليه وسلم في الخبر الصحيح المشهور الذي بلغ التواتر من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار فقيده بالعمد قيل هو دعاء بلفظ الامر أي بوأه الله ذلك وقيل هو خبر بلفظ الامر يدل عليه مافي الصحيحين يلج النار . ولذا قال بعض المتكلمين شرط الكذب المعمدية وقال بعضهم ايضاً يعتبر للصدق الاعتقاد والا فهو كاذب وعلى القول الاول ان طابق الحكم الخارجي فصدق والا فكذب ثم قال فاذا أخبر المرء عن وجود شيئ يعلمه أو يظنه جاز وان علم عدمه أو ظنه لم يجز وكذا ان شك فيه لأن الشك لا يصلح مستندا للاخبار وسواء طابق الخارج مع الظن أو الشك أولا ولا كفارة في اليمين على الماضي كما في المغني وغيره قال لأنها تنقسم ثلاثة أقسام ما هو صادق فيه فلا كفارة فيه اجماعا وما تعمد الكذب فيه فهي اليمين الغموس وما يظنه حقا فتبين بخلافه فلا كفارة فيه وذكر في الأخيرين رواية قال في الآداب الكبرى وبهذا ظهر أنه لو شك وحلف على

مطلب في مثالب الكذب

خلاف ما يظنه فطابق أنه لا كفارة لأنه صادق وان لم يجز اقدامه على اليمين والله أعلم · وأما مثالب الكذب فهي أكثر من أن تذكر فأخرج الامام أحمد وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الاسناد عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اضمنوا لي ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة أصدقوا اذاحدثتم وأوفوا اذاوعدتم وأدوا اذا ائتمنتم واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم ورواه ابن أبي شيبة وأبو يعلي والحاكم والبيهقي من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعا بلفظ تقبلوا لي ستا أتقبل لكم الجنة اذا حدث أحدكم فلا يكذب واذا وعد فلا يخلف واذا ائتمن فلا يخن غضوا أبصاركم وكفوا أيديكم واحفظوا فروجكم (وأخرج) الترمذي وقال حسن صحيح عن سيدنا الحسن بن علي رضوان الله عليهما قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى مالا يريبك فان الصدق طمأنينة والكذب ريبة (وأخرج) البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة ومايزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عندالله صديقا واياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار ومايزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عندالله كذابا (وأخرج) ابن حبان في صحيحه عن سيدنا أبي بكر الصديق رضوان الله عليه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالصدق فانه مع البر وهما في الجنة واياكم والكذب فانه مع الفجور وهما في النار · ورواه الطبراني في الكبير باسناد حسن من حديث معاوية رضى الله عنه (وأخرج) الامام مالك عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال لايزال العبد يكذب ويتحرى الكذب فينكت في قلبه نكتة سوداء حتي يسود قلبه فيكتب عندالله من الكاذبين · وروى ابو يعلى والطبراني وابن حبان في صحيحه والبيهقى عن أبي برزة مرفوعا ألا ان الكذب يسود الوجه والنميمة عذاب القبر (وأخرج) البخاري عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت الليلة رجلين أتياني قال الذى رأيته يشق شدقيه فكذاب يكذب الكذبة تحمل عنه حتي تبلغ الآفاق فيصنع به الى يوم القيامة (وأخرج) البخاري ومسلم عن ابي هريرة

رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آية المنافق ثلاث اذا حدث
كذب واذا أوعد أخلف واذا عاهد غدر زاد مسلم في رواية له وان صام وصلى
وزعم أنه مسلم (وأخرج) الامام احمد والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن العبد الايمان كله حتى يترك
الكذب في المزاحة والمراء وان كان صادقا ورواه أبو يعلى من حديث سيدنا الامام
عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ولفظه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد
صريح الايمان حتى يدع المزاح والكذب ويدع المراء وان كان محقا. وروى الامام
أحمد قال حدثنا وكيع سمعت الاعمش قال حدثت عن أبي امامة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطبع المؤمن على الخلال كلها الا الخيانة والكذب
ورواه البزار وابو يعلى ورجاله رجال الصحيح عن سعد بن ابي وقاص رضي الله
عنه مرفوعا بلفظ يطبع المؤمن على كل خلة غير الخيانة والكذب. وصح عن
الصديق رضى الله عنه وروي مرفوعا الكذب مجانب الايمان رواه البيهقى
(وأخرج) الامام أحمد عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك مصدق وأنت له
كاذب قال الحافظ المنذري رواه الامام أحمد عن شيخه عمر بن هارون وفيه خلاف
وبقية رواته ثقات (وأخرج) الترمذى وحسنه وابن ابي الدنيا فى كتاب الصمت
عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كذب العبد تباعد
الملك ميلا من نتن ما جاء به (وأخرج) الامام احمد وابن حبان في صحيحه
والحاكم وقال صحيح الاسناد واللفظ للامام احمد عن عائشة رضي الله عنها قالت
ما كان من خلق أبغض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ما اطلع على
احد من ذلك بشيء فيخرج من قلبه حتى يعلم أنه قد أحدث توبة ولفظ الحاكم
ما كان شيء أبغض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب وما جربه رسول
الله صلى الله عليه وسلم من أحد وان قل فيخرج له من نفسه حتى يجدد له توبة
(وأخرج) ابو داود والترمذى وحسنه والنسائي والبيهقي عن بهز بن حكيم عن ابيه
عن جده قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ويل للذي يحدث بالحديث

ليضحك به القوم فيكذب ويل له ويل له (وأخرج) مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر اليهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر ورواه البزار باسناد جيد من حديث سلمان رضى الله عنه ولفظه قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ثلاثة لا يدخلون الجنة الشيخ الزاني والامام الكذاب والعائل المزهو. العائل هو الفقير والمزهو هو المعجب بنفسه المتكبر وقد قال صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء كذبا وفي رواية اثما وفي رواية بحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع رواه مسلم عن ابي هريرة. قال في الآداب فى هذا الخبر أن من فعل ذلك وقع في الكذب المحرم فلا يفعل ليجتنب المحرم فيكون من فعل ذلك عمدا فقد تعمد كذبا . وقال في شرح مسلم معناه الزجر عن التحديث بكل ما سمع فانه يسمع في العادة الصدق والكذب فاذا حدث بكل ما سمع فقد كذب لاخباره بما لم يكن قالت الحكماء من خاف الكذب أقل المواعيد وقالوا أمران لا يسلمان من الكذب كثرة المواعيد وشدة الاعتذار . وقال نافع مولى ابن عمر طاف ابن عمر سبعا وصلى ركعتين فقال له رجل من قريش ما أسرع ما طفت وصليت ياابا عبد الرحمن فقال ابن عمر أنتم أكثر منا طوافا وصياما ونحن خير منكم نحن نلتزم صدق الحديث وأداء الأمانة وانجاز الوعد. وأنشد محمود الوراق

أصدق حديثك ان في الصـ ـدق الخلاص من الكذب

وقال آخر ودع الكذوب لسانه خير من الكذب الخرس

وقال آخر

ما أقبح الكذب المذموم صاحبه وأحسن الصدق عند الله والناس

وقال آخر

الصدق أولى ما به دان الفتى فاجعله دينا

ودع النفاق فما رأيـ ـت منافقا الامهينا

وقال الحسن البصري لا تستقيم أمانة رجل حتى يستقيم لسانه ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه. وقال بعض الحكماء من عرف بالصدق جاز كذبه ومن عرف بالكذب

لم يجز صدقه . وقالوا الصدق عز والكذب خضوع . وقال لقمان لابنه يابني احذر الكذب فانه شهي كلحم العصفور من أكل منه شيئاً لم يصبر عنه والله أعلم .
(خاتمة) الكذب من حيث هو حرام الا فيما تقدم ولكنه من الصغائر في المعتمد مالم يكن كذبا على الله أو رسوله صلى الله عليه وسلم أو رمى بفتنة فكبيرة وقد أوضحت ذلك في كتابي شرح منظومة الكبائر ايضاحا تاما والله الموفق

وَيَحْرُمُ مِزْمَارٌ وَشَبَّابَةٌ وَمَا ... يُضَاهِيهِمَا مِنْ آلَةِ اللَّهْوِ وَالرَّدِي

(ويحرم) لثبوت النهي الصريح بالنقل الصحيح (مزمار) وهو مايزمر به يقال زمر يزمر و يزمر زمرا وزميرا وزمر ترميرا غنى في القصب وهي زامرة وهو زمار وزامر قليل وفعلها الزمارة كالكتابة ومزامير داود ماكان يتغنى به من الزبور وضروب الدعاء وجمع مزمار ومزمور والزمارة كجبانة مايزمر به كالمزمار والمزمار مؤذن الشيطان وصوته فقد قال قتادة لما أهبط ابليس قال رب لعنتني فما عملي قال السحر قال فما قرآني قال الشعر قال فما كتابي قال الوشم قال فما طعامي قال كل ميتة وما لم يذكر اسم الله عليه قال فما شرابي قال كل مسكر قال فأين مسكني قال الاسواق قال فما صوتي قال المزامير قال فما مصائدي قال النساء قال الامام ابن القيم في اغاثة اللهفان المعروف في هذا وقفه وقد رواه الطبراني في معجمه من حديث أبي امامة مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم . وقال ابن أبي الدنيا في كتاب مصائد الشيطان وحيله حدثنا أبو بكر التميمي حدثنا ابن أبي مريم حدثنا يحيي ابن أيوب حدثنا ابن زعر عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابليس لما أنزل الى الارض قال يارب أنزلتني الى الارض وجعلتني رجيما فاجعل لي بيتا قال الحمام قال فاجعل لي مجلسا قال الاسواق ومجامع الطرق قال فاجعل لي طعاما قال كل مالم يذكر اسم الله عليه قال فاجعل لي شرابا قال كل مسكر قال فاجعل لي مؤذنا قال المزمار قال اجعل لي قرآنا قال الشعر قال اجعل لي كتابا قال الوشم قال اجعل لي حديثا قال الكذب قال اجعل لي رسلا قال الكهنة قال اجعل لي مصائد قال النساء . قال

مطلب المزمار مؤذن الشيطان

الامام ابن القيم وشواهد هذا الاثر كثيرة فكل جملة منه لها شاهد من السنة أو من القرآن ثم قال وكون المزمار مؤذنه في غاية المناسبة فان الغناء قرآنه والرقص والتصفيق اللذين هما المكاء والتصدية صلاته فلا بد لهذه الصلاة من مؤذن وامام ومأموم فالمؤذن المزمار والامام المغنى والمأموم الحاضرون . وروي الترمذي عن جابر رضي الله عنه قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم مع عبد الرحمن بن عوف الى النخل فاذا ابنه ابراهيم يجود بنفسه فوضعه في حجره ففاضت عيناه فقال عبد الرحمن تبكي وانت تنهي الناس فقال اني لم أنه عن البكاء وانما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين صوت عند نعمة لهو ولعب ومزامير شيطان وصوت عند مصيبة خمش وجوه وشق جيوب ورنة وهذا هو رحمة ومن لا يرحم لا يرحم لولا أنه أمر حق ووعد صدق وأن آخرنا سيلحق أولنا لحزنا عليك أشد من هذا وانا بك لمحزونون تبكي العين ويحزن القلب ولا نقول مايسخط الرب قال الترمذى هذا حديث حسن (وفي الصحيحين) عن عائشة رضي الله عنها قالت دخل عليّ النبي صلى الله عليه وسلم وعندى جاريتان يغنيان بغناء بعاث فاضطجع علي الفراش وحول وجهه ودخل أبو بكر فانتهرني وقال مزمار الشيطان عند النبي صلى الله عليه وسلم فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال دعهما فلما غفل غمزتهما فخرجتا ولم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر تسمية الغناء مزمار الشيطان وانما أقرهما رسول الله صلي الله عليه وسلم لأنهما جاريتان غير مكلفتين يغنيان بغناء الأعراب في الذي قيل في يوم حرب بعاث من الشجاعة والحرب وكان اليوم يوم عيد . وفي مسند الامام أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم قال ان الله بعثني رحمة وهدى للعالمين وأمرني أن أمحق المزامير والكبارات يعني البرابط والمعازف والاوثان التي كانت تعبد في الجاهلية (و) يحرم أيضا (شبابة) وهي اليراع من جملة آلات اللهو (و) يحرم أيضا (ما) أى الذي (يضاهيهما) أي يشابههما و يماثلها من آلات اللهو يقال ضاهاه شاكله ونبه الناظم بتحريم الاخف على تحريم الاشد من باب اولى قال في اغاثة اللهفان واذا كان الزمر الذي هو أخف آلات

اللهو حراما فكيف بما هو اشد منه كالعود والطنبور قال ولا ينبغي لمن شم رائحة العلم أن يتوقف في تحريم ذلك واقل ما فيه أنه من شعار الفساق وشاربي الخمور ونصوص الامام أحمد رضي الله عنه صريحة بتحريم المزمار والشبابة ونحوهما (من.) كل (آلة اللهو) آلة الفعل (الردي) يعني الحرام . قال في الفروع وتحرم كل ملهاة سوى الدف كزمار وطنبور ورباب وجنك قال في المستوعب والترغيب سواء استعمل لحزن أو سرور وسأله ابن الحكم عن النفخ في القصبة كالزمارة قال أكرهه ونص رضي الله عنه على كسر آلات اللهو كالطنبور وغيره اذا رآها مكشوفة وأمكنه كسرها و يأتي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فالمذهب تحريم آلات اللهو اسماعاً واستماعا وصنعة ونحو ذلك قال الناظم

وَلَوْلَمْ يُقَارِنْهَا غِنَاءٌ جَمِيعُهَا فَمِنْهَا ذَوُو الْأَوْتَارِ دُونَ تَقَيُّدِ

(ولو لم يقارنها) أي آلات اللهو (غناء) بالمد ككساء ما طرب به من الاصوات والالحان فتحرم (جميعها) ولو مفردة اوكل واحدة منها مفردة بنفسها قال الامام النووي في روضه القسم الثاني أنه يغني ببعض آلات الغناء بما هو من شعار شاربي الخمور وهو مطرب كالطنبور والعود والصنج وسائر المعازف والأوتار يحرم اسماعه واستماله قال وفي اليراع وجهان صحح البغوي التحريم ثم ذكر عن الغزالي الجواز قال والصحيح تحريم اليراع وهو الشبابة وقد صنف ابو القاسم الدولعي كتابا في تحريم اليراع . وقد حكى ابو عمرو بن الصلاح الاجماع على تحريم السماع الذي جمع الدف والشبابة فقال في فتاويه وأما اباحة هذا السماع وتحليله فليعلم أن الدف والشبابة والغناء اذا اجتمعت فاجتماع ذلك حرام عند أئمة المذاهب وغيرهم من علماء المسلمين ولم يثبت عن أحد ممن يعتد بقوله في الاجماع والخلاف أنه أباح هذا السماع والخلاف المنقول عن بعض اصحاب الشافعي انما نقل في الشبابة مفردة والدف مفردا قال فمن لا يحصل أو لا يتأمل ربما اعتقد خلافا بين الشافعيين في هذا السماع الجامع هذه الملاهي وذلك وهم بين من الصائر اليه تنادي عليه أدلة الشرع والعقل مع أنه ليس كل خلاف يستروح اليه و يعتمد عليه ومن يتتبع ما اختلف فيه العلماء أو أخذ بالرخص

مطلب في حكم المطرب كالطنبور والعود

من أقاويلهم تزندق أو كاد انتهى . والذي جزم به علماؤنا وقطع به في الاقناع والمنتهى والغاية حرمة كل ملهاة سوى الدف كمزمار وطنبور ورباب وجنك وناي ومعزفة وجفانة وعود وزمارة الراعي ونحوها سواء استعملت لحزن أو سرور ولهذا قال الناظم رحمه الله تعالى (فمنها) اي من آلات اللهو يعني من انواعها واقسامها (ذوو) أي أصحاب (الأوتار) جمع وتر با لتحريك شرعة القوس ومعلقها ويصنع للعود ونحوه فكلها محرمة (دون تقيد) أي من غير قيد لنوع منها بل جميعها محرمة منهي عنها . وأما الطبل فكرهه الامام احمد رضى الله عنه لغير حرب واستحبه ابن عقيل في الحرب وقال لتنهيض طباع الاولياء وكشف صدور الاعداء قال وليس عبثا فقد أرسل الله الرياح والرعود قبل الغيوث والنفخ في الصور للبعث وشرع ضرب الدف في النكاح وفي الحج العج والثج حكاه عنه في الفروع والانصاف وشرح المنتهى للمصنف وغيرهم . وقال في الفروع أيضا قال الامام أحمد رضى الله عنه أكره الطبل وهو الكوبة نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم ونقل ابن منصور الطبل ليس فيه رخصة . وفي عيون المسائل وغيرها فيمن أتلف آلة لهو الدف مندوب اليه في النكاح لامر الشارع بخلاف العود والطبل فانه لا يباح استعماله والتلهي به بحال وفي الانصاف في تحريم الضرب بالقضيب وجهان وأطلقهما في الفروع وقدم في الرعايتين والحاوي الصغير الكراهة وقال في المغني لا يكره الا مع تصفيق أو غناء أو رقص ونحوه وجزم ابن عبدوس في تذكرته بالتحريم انتهى . قال في تصحيح الفروع قوله وفي القضيب وجهان انتهى . يعني هل يحرم اللعب بالقضيب أم لا أحدهما لا يحرم بل يكره وبه قطع في آداب المستوعب وقدمه في الرعايتين والحاوي الصغير والوجه الثاني يحرم وهو الصواب وبه قطع ابن عبدوس في تذكرته انتهى . وفي غنية سيدنا الشيخ عبد القادر قدس الله روحه يكره تخريق الثياب للمتواجد عند السماع ويجوز سماع القول بالقضيب ويكره الرقص انتهى . وقد علمت أن القاضي علاء الدين صوب في تصحيح الفروع التحريم وهو المذهب والله تعالى أعلم (تنبيه) كره الامام احمد التغبير ونهى عن استماعه وقال بدعة ومحدث ونقل أبو داود لا يعجبني ونقل يوسف لا يستمعه قيل هو بدعة قال حسبك وفي المستوعب منع من اطلاق اسم البدعة

عليه ومن تحريمه لانه شعر ملحن كالحدا والحدو للابل ونحوه. الحدو سوق الابل والغناء لها. وقد حدوت الابل حدوا وحدا بمعنى واحد اذا ساقها و زجرها كما في القاموس. وفيه أيضا المغبرون قوم يغبرون بذكر الله تعالى اي يهللون ويرددون الصوت بالقراءة وغيرها سموا بها لأنهم يرغبون الناس في الغابرة اي الباقية انتهي وقال الصغاني في كتاب مجمع البحرين المغبرة قوم يغبرون ويذكرون الله عزوجل بدعاء وتضرع كما قال عبادك المغبرة رش علينا المغفرة وقد سموا ما يطربون فيه من الشعر تغبيرا لأنهم اذا تناشدوه بالألحان طربوا فرقصوا وأزهجوا فسموا المغبرة لهذا المعنى. وقال ابن دريد التغبير تهليل أو ترديد صوت يردد بقراءة أو غيرها قال الامام الشافعي رضي الله عنه ارى الزنادقة وضعوا هذا التغبير ليصدوا الناس عن ذكر الله تعالى وقراءة القرآن. وقال الزجاج مغبرين لتزهيدهم الناس في الفانية وهي الدنيا وترغيبهم اياهم في الآخرة وهي الغابرة الباقية انتهى

وَحظرُ الغِنَاءِ الأَكثَرُونَ قَضَوا بِهِ ... وَعَن أَبَوَي بَكرٍ إِمَامٍ وَمُقتَدِ

(وحظر) اى منع (الغناء) بالمد (الاكثرون) من علمائنا وغيرهم ومراده من اصحابنا (قضوا) اي حكموا (به) اي بحظره وحرمته لانه ينبت في القلب النفاق قال عبد الله ابن الامام احمد رضي الله عنهما سألت أبي عن الغناء فقال الغناء ينبت النفاق في القلب وقال لا يعجبني ثم ذكر قول الامام مالك رحمه الله ورضي عنه أنما يفعله عندنا الفساق قال عبد الله وسمعت أبي يقول سمعت يحيى القطان يقول لو أن رجلا عمل بكل رخصة بقول اهل الكوفة في النبيذ وقول أهل المدينة في السماع واهل مكة في المتعة لكان فاسقا وقال سليمان التيمي لو أخذت برخصة كل عالم و زلة كل عالم اجتمع فيك الشر كله قال الامام المحقق ابن القيم في اغاثة اللهفان قد تواتر عن الامام الشافعي رضي الله عنه أنه قال خلفت ببغداد شيئا أحدثته الزنادقة يسمونه التغبير يصدون به الناس عن القرآن فاذا كان هذا قول الشافعي في التغبير وتعليله له أنه يصد عن القرآن وهو شعر مزهد في الدنيا يغني به مغن ويضرب بعض الحاضرين بقضيب على نطع أو حجرة على توقيع غناه فليت شعري ما يقول في

سماع التغبير عنده كنفلة في بحر قد اشتمل على كل مفسدة وجمع كل محرم فالله بين دينه و بين كل متعلم مفتون وعابد جاهل قال سفيان بن عيينة كان يقال احذروا فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل فان فتنتهما فتنة لكل مفتون. وقد روي على بن الجعد عن محمد بن طلحة عن سعيد بن كعب المروزي عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع والذكر ينبت الايمان في القلب كما ينبت الماء الزرع قال في اغاثة اللهفان وهو صحيح عن ابن مسعود من قوله وقد روي مرفوعا رواه ابن ابي الدنيا في كتاب ذم الملاهي ولفظه بعد سياق السند عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل والموقوف أصح قال بعض العارفين السماع يورث النفاق في قوم والخنا في قوم والكذب في قوم والفجور في قوم والرعونة في قوم واكثر ما يورث عشق الصور واستحسان الفواحش وادمانه يثقل القرآن على القلب و يكرهه الى استماعه بالخاصة وهذا عين النفاق بالاتفاق وذلك لان الغناء قرآن الشيطان فلا يجتمع مع قرآن الرحمن في قلب واحد أبدا ولهذا كان الغناء ينبت النفاق في القلب وأيضاً أساس النفاق أن يخالف الظاهر الباطن وهذا المستمع الغناء لا يخلو أن ينتهك المحارم فيكون فاجرا أو يظهر النسك والعبادة فيكون منافقاً فانه متى أظهر الرغبة في الله والدار الآخرة وقلبه يغلي بالشهوات و يلذع بنغمات الآلات ومحبة ما يكره الله ورسوله من أصوات المعازف وما يدعو اليه الغناء ويهيجه من قلبه كان من أعظم الناس نفاقا فان هذا محض النفاق . وقد كتب الامام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لمؤدب ولده ليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهي التي بدوها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمن فانه بلغني عن الثقات من أهل العلم أن صوت المعازف واستماع الأغاني واللهج بها ينبت النفاق في القلب كما ينبت العشب على الماء ذكره الامام ابن القيم قال في الانصاف والفروع وغيرهما قال جماعة يحرم الغناء قال في الترغيب اختاره الاكثر كما أشار اليه الناظم قال الامام أحمد لا يعجبني وقال في الوصي يبيع أمة الصبي على أنها غير مغنية وعلى أنها لا تقرأ بالالحان (وعن)

الامامين الكبيرين (أبوى بكر امام) بدل من أبوي بكر وأراد به الامام الأوحد والهمام الامجد احمد بن محمد بن هارون أبو بكر الخلال رحمه الله تعالى ورضي عنه له التصانيف الدائرة. والكتب السائرة. والنظر الناقد. والخاطر الواقد. فمن تصانيفه الجامع الذي دار بلاد الاسلام حتى جمعه والعلل والسنة والعلم والطبقات وتفسير الغريب والأدب وأخلاق الامام احمد رضي الله عنه وغير ذلك سمع الحسن بن عرفة وسعدان بن نصر ومحمد بن عوف الحمصي وطبقتهم وصحب أبا بكر المروذي الى أن مات وسمع جماعة من أصحاب الامام أحمد رضي الله عنه وعنهم منهم غير المروذي صالح وعبد الله ابنا الامام رضي الله عنهم وابراهيم الحربي والميموني و بدر المغازلي وأبو يحيى الناقد وحنبل وحرب الكرماني وأبو زرعة وخلق سواهم سمع منهم مسائل الامام احمد ورحل الى أقاصي البلاد في جمعها وسماعها ممن سمعها من الامام أحمد وممن سمعها ممن سمعها منه شهد له شيوخ المذهب بالفضل والتقدم حدث عنه جماعة منهم محمد بن المظفر ومحمد بن يوسف الصيرفي وخلق كثير وكانت له حلقة بجامع المهدي توفي رضي الله عنه يوم الجمعة لليلتين خلتا من شهر ربيع الآخر سنة احدى عشر وثلاثمائة ودفن الى جنب قبر المروذي عند رجلي الامام أحمد رضي الله عنهم (ومقتد) بالجر عطف على امام أي تابع ومقلد وحاذ حذو متبوعه وهو أبو بكر عبد العزيز بن جعفر بن أحمد بن يزداد بن معروف المعروف بغلام الخلال حدث عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة وموسى بن هارون ومحمد بن الفضل الوصيفي وأبي خليفة الفضل بن الحباب البصري والحسين بن عبد الله الخرقي وأبي قاسم البغوي وآخرين وأخذ عنه عالم من العلماء منهم ابن شاقلا وأبو عبد الله ابن بطة وأبو الحسن بن التميمي وأبو حفص البرمكي والعكبري وأبو عبد الله بن حامد كان أبو بكر عبد العزيز أحد أهل الفهم موثوقا به في العلم متسع الرواية متين الدراية مشهورا بالديانة موصوفا بالأمانة مذكورا بالعبادة والعفة والصيانة له المصنفات في العلوم المختلفات كالشافي والمقنع وتفسير القرآن والخلاف مع الشافعي وكتاب القولين وزاد المسافر والتنبيه وغير ذلك وذكره الامام القاضي أبو يعلي ووصفه بالدين والورع والعلم والبراعة وكان له قدم راسخ في تفسير القرآن ومعرفة

معانيه روي أن رافضيا سأله عن قوله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به من هو قال أبو بكر الصديق فرد عليه وقال بل هو علي فهم به الاصحاب فقال دعوه ثم قال اقرأ ما بعدها لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا وهذا يقتضي أن يكون هذا المصدق ممن له سيئات سبقت وعلى قولك أيها السائل لم يكن لعلى سيئات فقطعه وهذا استنباط حسن انما يعقله أهل العلم واللسان فدل على علمه وحلمه وحسن خلقه فانه لم يقابل السائل على جفائه وعدل الى العلم وهذا دأب اهل العلم والفهم توفي رضي الله عنه يوم الجمعة بعد الصلاة لعشر بقين من شوال سنة ثلاث وستين وثلاثمائة روي عنه أنه قال انا عندكم ليوم الجمعة وذلك في علته فقيل له يعافيك الله أوكلاما هذا معناه فقال سمعت ابا بكر الخلال سمعت ابا بكر المروذي يقول عاش الامام احمد بن حنبل ثمانيا وسبعين سنة ومات يوم الجمعة ودفن بعد الصلاة وعاش ابو بكر الخلال ثمانيا وسبعين سنة ومات يوم الجمعة ودفن بعد الصلاة وانا عندكم الى يوم الجمعة ولى ثمان وسبعون سنة فلما كان يوم الجمعة مات ودفن بعد الصلاة وهو من غريب الاتفاق ونظيره سيد العالم عاش ثلاثا وستين وابو بكر عاش ثلاثا وستين وعمر عاش ثلاثا وستين وعلي عاش ثلاثا وستين وهذا من غريب الاتفاق فهذان الامامان اللذان هما الخلال وغلامه يروي عنهما قال الناظم

إِبَاحتُهُ لَا كُرْهَهُ وَأَبَاحَهُ ا ا امامُ أَبُو يَعْلَى مَعَ السُّكْرِهِ فَانْشُدِ

(اباحته) أى الغناء (لا كرهه) أى من غير كراهة قال في الانصاف وقيل يباح الغناء والنوح اختاره الخلال وصاحبه ابو بكر وكذا استماعه وقد نقل ابراهيم بن عبد الله القلانسى أن الامام احمد رضي الله عنه قال عن الصوفية لا أعلم اقواما افضل منهم قيل انهم يستمعون ويتواجدون قال دعوهم يفرحون مع الله ساعة قيل فمنهم من يموت ومنهم من يغشي عليه فقال وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون ذكره الامام العلامة في الفروع قال ولعل مراد الامام أحمد سماع القرآن وعذرهم لقوة الوارد كما عذر يحيي القطان في الغشى كما سنذكره في آداب القرآن قال في الفروع وقد قال الامام احمد رضي الله عنه لاسماعيل بن اسحاق الثقفي وقد سمع عنده كلام الحارث المحاسبي ورأى

اصحابه ماأعلم أني رأيت مثلهم ولا سمعت في علم الحقائق مثل كلام هذا الرجل ولا أرى لك صحبتهم وقد نهي عن كتابة كلام منصور بن عمار والاستماع للقاص به قال ابو الحسين لئلا يلهو به عن الكتاب والسنة لا غير وروى ابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها أنها زوجت يتيمة رجلاً من الأنصار وكانت عائشة فيمن أهداها الى زوجها قالت فلما رجعنا قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ماقلتم يا عائشة فقالت سلمنا ودعونا بالبركة ثم انصرفنا فقال ان الانصار قوم فيهم غزل ألا قلتم ياعائشة أتيناكم أتيناكم . فحيانا وحياكم . زاد في رواية ولولا الذهب الاحمر . لماحلت بواديكم . ولولا الحبة السودا . لماسرت عذاريكم . وذكره علماؤنا وذكره القشيري في الرسالة وذكر أيضا باسناده أن رجلا أنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شعرا

أقبلت فلاح لها عارضان كالسبج
أدبرت فقلت لها والفؤاد في وهج
هل عليّ ويحكم ان عشقت من حرج

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حرج كذا قال قلت ذكر الحديث الامام الحافظ ابن الجوزي في الموضوعات ولفظه عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بحسان بن ثابت وقد رش فناء اطمه وجلس اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سماطين وجارية له يقال لها سيرين معها مزهرها تختلف به بين القوم وهي تغنيهم فلما مر النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمرهم ولم ينهم فانتهى اليها وهي تقول في غناها

هل علي ويحكم ان زهوت من حرج

فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال لا حرج ان شاء الله . قال الدار قطني تفرد به حسين بن عبد الله وتفرد به أبو أويس عن حسين وكلاهما متروك وقد حكم عليه ابن الجوزي وغيره بالوضع والله أعلم ولان الغناء انما هو عبارة عن الاصوات الحسنة والنغمات المطربة يصدر عنها كلام موزون مفهوم فالوصف الاعم فيه انما هو الصوت الحسن والنغمة الطيبة وهو مقسوم الى قسمين مفهوم كالاشعار

وغير مفهوم كأصوات الجمادات وهي المزامير كالشبابة والأوتار والثاني لاشك في حرمته على المذهب المعتمد والأول لاتظهر حرمته لانه صوت طيب بشعر موزون مفهوم وقد صحت الأخبار وتواترت الآثار . بانشاد الاشعار . بين يدي النبي المختار صلى الله عليه وسلم ماتعاقب الليل والنهار . والله الموفق (وأباحه) أي الغناء (الامام) المتقن والهمام المتفنن أوحد المجتهدين وقدوة العلماء الراسخين حامل لواء المذهب ومقرب المأرب الامام (أبو يعلي) محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفرا القاضي السعيد علامة زمانه . وفريد عصره وأوانه . ونسيج وحده . ووحيد دهره صاحب المعالي والمفاخر . ذو القدم الراسخ والبحر الزاخر . وأصحاب الامام أحمد رضى الله عنه له يتبعون . ولتصانيفه يدرسون . وبأقواله يقتدون . وكانت دولته منبسوطة وأحواله مضبوطة . وعلماء المذاهب يجتمعون اليه . ويعولون في جميع شؤونهم عليه . ولمقالته يستمعون . وبحسن عبارته ينتفعون . وقد علم له من الحال . مايغني عن المقال ولا سيما مذهب امامنا الامام أبي عبد الله أحمد بن حنبل رضى الله عنه واختلاف الروايات عنه . وماصح لديه منه . مع معرفته بالقرآن وعلومه . والحديث ومنطوقه ومفهومه . وتحليته بالورع والصيانة . والتعفف والديانة . والزهد والقناعة . والتذلل والضراعة . صحب ابن حامد الى أن توفي ابن حامد سنة ثلاث وأربعمائة وتفقه عليه وبرع في ذلك ولد القاضي السعيد رضى الله عنه لتسع وعشرين أو ثمان وعشرين ليلة خلت من المحرم سنة ثمانين وثلاثمائة وتوفي ليلة الاثنين بين العشاءين تاسعة عشر رمضان سنة ثمان وخمسين وأربعمائة وصلى عليه ولده أبو القاسم يوم الاثنين بجامع المنصور ودفن في مقبرة الامام أحمد رضي الله عنه ومن أصحابه أبو الخطاب الكلوذاني وابن عقيل وولد صاحب الترجمة القاضي أبو يعلي الصغير وجموع فأباح القاضي رضي الله عنه الغناء واستماعه (مع الكره) أي مع الكراهة (فانشد) للغناء ولا تقل هو حرام على رأي هذا الامام بل غاية أمره أن يكون مكروهاً كراهة تنزيه وهذا المذهب قال في الاقناع والمنتهى والغاية وغيرها ويكره الغناء واستماعه بلا آلة لهو ويحرم معها قال في الانصاف قال في الرعاية ويكره سماع الغناء والنوح بلا آلة لهو ويحرم معها وقيل وبدونها من رجل وامرأة وقيل يباح

مالم يكن معه منكر آخر وان داومه أو اتخذه صناعة يقصد له أو اتخذ غلاماً أو جارية مغنيين يجمع عليهما الناس ردت شهادته فقد علمت أن المسئلة ذات ثلاثة أقوال المذهب المعتمد الاباحة مع الكراهة وقيل يحرم وقيل يباح بلا كراهة قال الناظم

فَمَنْ يَسْتَتِرْ فِي بَيْتِهِ لِسَمَاعِهِ الـــــغِنَاءَ وَلَمْ يُكْثِرْ وَلَمْ يَتَزَيَّدِ
وَغَنَّى يَسِيرًا فِي خَفَاءٍ لِنَفْسِهِ فَلَا بَأْسَ وَاقْبَلْ إِنْ يُرَجِّعْ وَيُنْشِدِ

(ف) على المذهب (من يستتر) من الرجال والنساء (في بيته) أو غير بيته لاجل (سماعه) أي المستتر (الغناء) بكسر الغين ممدوداً (ولم يكثر) من ذلك ولم يتزيد منه (و) لم يقترن بآلة لهو ولم يكن المغني امرأة أجنبية لحرمة التلذذ بصوتها بل (غني) غناء (يسيراً) غير كثير فان أكثر منه ردت شهادته كما مر لانه سفه ودناءة يسقط المروءة كما في الانصاف وأما ان غني يسيراً (في) حال (خفاء لنفسه) قلت أو لغيره ولم يتخذه صناعة ولم يداومه على مامر (فلا بأس) أى لا حرج ولا حرمة في ذلك لأنه كلام موزون بنغمة طيبة فلا تظهر الحرمة وقد روى عن قرة بن خالد بن عبد الله بن يحيى قال قال عمر رضى الله عنه للنابغة الجعدي أسمعني بعض ماعفى الله لك عنه من هنيهاتك فأسمعه كلمة له يعنى قصيدة فقال له وانك لقائلها قال نعم قال عمر رضى الله عنه لطال ماغنيت بها خلف جمال الخطاب . وعن عبد الله بن عوف قال أتيت باب عمر رضي الله عنه فسمعته يغني بالركبانية

فكيف سواي بالمدينة بيننا * قضى وطرا منها جميل بن معمر

وكان جميل بن معمر من اخصاء عمر رضي الله عنه قال فلما استأذنت عليه قال أسمعت ماقلت قلت نعم قال اذا خلونا قلنا مايقوله الناس في بيوتهم وهل استحسان الشعر الا لكونه موزونا متناسبا ممدود الصوت والدندنة والا لما كان فرق بين المنظوم والمنثور وقد سمع عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما الغناء وكان يعجبه فهذا خلاصة ما استقر عليه المذهب والله تعالى أعلم (تنبيهات الاول) جزم الامام

المحقق ابن القيم في اغاثة اللهفان بحرمة الغناء وقال انه من مكائد الشيطان ومصائده التي كاد بها من قل نصيبه من العلم والعقل والدين وصاد بها قلوب الجاهلين والمبطلين وقال انه المكاء والتصدية · ومرادة والله أعلم بهذه العبارة حيث اقترن بآلة لهو محرمة بدليل قوله من مكائد الشيطان الغناء بالآلات المحرمة التي تصد القلوب عن القرآن · وتجعلها عاكفة على الفسق والعصيان · فهو قرآن الشيطان · والحجاب الكثيف عن الرحمن · وهو رقية اللواط والزنا · و به ينال العاشق الفاسق غاية المنى · فلو رأيتهم عند ذياك السماع وقد خشعت منهم الاصوات · وهدأت منهم الحركات وعكفت قلوبهم بكليتها عليه · وانصبت انصبابة واحدة اليه · لرأيت أمرا تقشعر منه الجلود · و يتعدى الشرائع والحدود · فلغير الله بل للشيطان قلوب هناك تمزق · وأثواب تشقق · وأموال في غير طاعة الله تنفق · حتي اذا عمل السكر فيهم عمله · و بلغ الشيطان منهم أمله · واستفزهم بصوته وحيله · وأجلب عليهم بخيله و رجله · وخز في صدورهم وخزا · وأزهم الى ضرب الارض بالاقدام أزا · فطورا يجعلهم كالحمير حول المدار · وتارة كالذباب يرقص وسط الدار · فياشماتة أعداء الاسلام · بالذين يزعمون أنهم خواص الأنام · قضوا حياتهم لذة وطربا واتخذوا دينهم لهوا ولعبا · مزامير الشيطان · أحب اليهم من استماع سور القرآن · فلو سمع أحدهم القرآن من أوله الى آخره لما حرك له ساكنا · ولا أزعج له ظاهرا ولا باطنا · ولا أثار فيهم وجدا · ولا قدح فيهم من لواعج الشوق الى الله زندا · حتى اذا تلي عليهم قرآن الشيطان · وولج مزموره أسماعهم · فجرت ينابيع الوجد من قلوبهم على أعينهم فجرت · وعلى أقدامهم فرقصت · وعلى أيديهم فصفقت · وعلى بقية أعضائهم فاهتزت وطربت · وعلى أنفاسهم فتصاعدت · وعلى زفراتهم فتزايدت · فيا أيها الفاتن المفتون البائع حظه من الله بصفقة خاسر مغبون · هلا كان هذا الامتحان · عند سماع القرآن · وهذه الاذواق والمواجيد · عند قراءة القرآن المجيد · ولكن كل امرئ يصبو الى ما يناسبه · و يميل الي مايشاكله و يقاربه · والجنسية علة الضم قدرا وشرعا · والشكل سبب الميل عقلا وطبعا · فمن أين هذا الاخاء والنسب · لولا العلق من الشيطان باقوى سبب · ومن أين هذه المصالحة

التي أوقعت في عقد الايمان وعهد الرحمن خللا . أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا . ولقد أحسن القائل في قوله

تلي الكتاب فأطرقوا لاخيفة ... لكنه أطراق ساه لاهي
وأتى الغناء فكالحمير تناهقوا ... والله مارقصوا لأجل الله
دف ومزمار ونغمة شادن ... فمتى رأيت عبادة بملاهي
ثقل الكتاب عليهمو لما رأوا ... تقييده بأوامر ونواهي
سمعوا له رعدا و برقا اذ حوى ... زجرا ونحوا بفا بفعل مباهي
ورأوه أعظم قاطع للنفس عن ... شهواتها ياو يحها المتناهي
وأتى السماع موافقا أغراضها ... فلأجل ذاك غدا عظيم الجاه
أين المساعد للهوى من قاطع ... أسبابه عند الجهول الساهي
ان لم يكن خمر الجسوم فانه ... خمر العقول مماثل ومضاهي
فانظر الى النشوان عند شرابه ... وانظر الى النسوان عند ملاهي
وانظر الى تمزيق ذا أثوابه ... من بعد تمزيق الفؤاد اللاهي
واحكم بأي الخمرتين أحق بالتحريم والتأثيم عند الله

﴿ وقال آخر ﴾

برئنا الى الله من معشر ... بهم مرض من سماع الغنا
فكم قلت ياقوم أنتم على ... شفا جرف ما به من بنا
شفا جرف تحته هوة ... الى درك كم به من عنا
وتكرار ذا النصح منا لهم ... لنعذر فيهم الى ربنا
فلما استهانوا بتنبيهنا ... رجعنا الى الله في أمرنا
فعشنا على سنة المصطفى ... وماتوا على مرتنا بيننا

وقال الامام أبوبكر الطرطوسي في كتابه تحريم السماع قد بلغنا عن طائفة من اخواننا المسلمين وفقنا الله واياهم استزلهم الشيطان واستغوى عقولهم في حب الأغاني واللهو وسماع الطقطقة والتغبير فاعتقدته من الدين الذي يقربهم الى الله وجاهرت به جماعة المسلمين وشاقت سبيل المؤمنين وخالفت الفقهاء والعلماء وحملة

الدين ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا . قال فرأيت أن أوضح الحق وأكشف عن شبه أهل الباطل بالحجج التي تضمنها كتاب الله وسنة رسوله قال وأبدأ بذكر أقاويل العلماء الذين تدور الفتيا عليهم في أقاصي الأرض ودانيها حتى تعلم هذه الطائفة أنها قد خالفت علماء المسلمين في بدعتها والله ولي التوفيق . ثم قال أما مالك فانه نهى عن الغناء وعن استماعه وقال اذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له أن يردها بالعيب . وسئل مالك عما يرخص فيه أهل المدينة من الغناء فقال انما يفعله عندنا الفساق . وأما أبو حنيفة فانه يكره الغناء ويجعله من الذنوب وكذلك مذهب أهل الكوفة سفيان وحماد وابراهيم والشعبي وغيرهم لا اختلاف بينهم في ذلك ولا نعلم خلافا بين أهل البصرة في المنع منه . قال الامام ابن القيم في اغاثة اللهفان مذهب أبي حنيفة في ذلك من أشد المذاهب وقوله فيه أغلظ الأقوال وقد صرح أصحابه بتحريم سماع الملاهي كلها كالمزمار والدف حتى الضرب بالقضيب وصرحوا أنه معصية توجب الفسق وترد به الشهادة وأبلغ من ذلك قالوا ان السماع فسق والتلذذ به كفر هذا لفظهم وورد في ذلك حديث لا يصح رفعه قالوا ويجب عليه أن يجتهد في أن لا يسمعه اذا مر به أو كان في جواره . وقال أبو يوسف في دار يسمع منها صوت المعازف والملاهي ادخل عليهم بغير اذنهم لان النهي عن المنكر فرض فلو لم يجز الدخول بغير اذن لا امتنع الناس من اقامة الفروض . وأما الامام الشافعي فقال في كتاب أدب القضاء ان الغناء لهو مكروه يشبه الباطل والمحال من استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته وصرح أصحابه العارفون بمذهبه بتحريمه وأنكروا من نسب اليه حله كالقاضي أبي الطيب الطبري والشيخ أبي اسحاق وابن الصباغ قال الشيخ أبو اسحاق في التنبيه ولا تصح يعني الاجارة على منفعة محرمة كالغناء والزمر وحمل الخمر ولم يذكر فيه خلافا وتقدم كلام الامام النووي وابن الصلاح وكلام الامام الشافعي في التغبير . وأما مذهب الامام أحمد رضي الله عنه فقد تقدمت الاشارة اليه وقد نص في أيتام ورثوا جارية مغنية فأرادوا بيعها فقال لا تباع الا على أنها ساذجة فقالوا اذا بيعت

مطلب في بيان حكم الغناء واستماعه عند الأئمة الأربعة

مغنيـة ساوت عشرين ألفاً أو نحوها واذا بيعت ساذجة لا تساوي ألفين فقال لا تباع الا على أنها ساذجة فلو كانت منفعة الغناء مباحة لما فوت هذا المال على الايتام (الثاني) محل الخلاف ان لم يكن السماع من اجنبية قال الإمام ابن القيم أو أمرد فأما سماعه من الاجنبية فمن اعظم المحرمات واشدها افساداً للدين قال الامام الشافعي وصاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته وغلظ القول فيه وقال هو دياثة فمن فعل ذلك كان ديوثا قال القاضي ابو الطيب وانما جعل صاحبها سفيها لأنه دعا الناس الى الباطل ومن دعا الناس الى الباطل كان سفيها فاسقا قال وأما العود والطنبور وسائر الملاهي فحرام ومستمعه فاسق واتباع الجماعة اولى من اتباع رجلين مطعون عليهما قال ابن القيم يريد بهما ابراهيم بن سعيد وعبيد الله بن الحسن فانه قال وما خالف في الغناء الا رجلان ابراهيم بن سعيد وعبيد الله فان الساجي حكي عن ابراهيم أنه كان لا يرى به بأسا والثاني عبيد الله بن حسن العنبري قاضي البصرة وهو مطعون فيه انتهى (الثالث) أباحت السماع الصوفية وأتوا على اباحته بأدلة غير وفية. فمنهم من عده من المباحات. ومنهم من جعله من القربات. وعلى كل حال لم يروا به بأسا. ولم يرفعوا لمخالفيهم في ذكره أسا. وأنكروا على مانعه اصلا وفرعا. وجعلوه أنه خالف الاصل حقيقة وشرعا. قالوا ويلزم من حظر الغناء تخطئة طائفة من الاولياء. وتفسيق كثير من العلماء. اذ لا خلاف أنهم سمعوا الغناء وتواجدوا وأفضي بهم الى الصراخ والغشي والصفق وعربدوا. وفصل بعضهم تفصيلا حسنا بحسب العقل. لو ساعده القياس والنقل. فقال من صح فهمه. وحسن قصده. وصقلت الرياضة مرآة قلبه. وجلت نسمات العزيمة فضاء سره. فصفا من تصاعد أكدار أرض طبعه. وبخار بشريته. وخيلان وسواسه. وعرى من حضوض الشهوات. وتطهر من دنس الشبهات. فلا نقول إن سماعه حرام وفعله ذلك خطأ. قال ابو طالب المكي قدس الله روحه من طعن في السماع فقد طعن في سبعين صديقا. وسئل الشبلي عن السماع فقال ظاهره فتنة وباطنه عبرة. فمن عرف الاشارة حل له السماع والا فقد استدعي الفتنة وتعرض للبلية وذلك لان السماع مهيج ما في القلوب محرك ما فيها فلما كانت قلوب القوم معمورة بذكر الله تعالى صافية من كدر الشهوات محترقة بحب الله ليس

مطلب في بيان أقوال السادة الصوفية في السماع

فيها سواه فالشوق والوجد والهيجان والقلق كامن في قلوبهم كون النار في الزناد فلا تظهر الا بمصادفة ما يشاكلها فمراد القوم فيما يسمعون انما هو مصادف ما في قلوبهم فيستثيره بصدمة طروقه وقوة سلطانه فتعجز القلوب عن الثبوت عن اصطدامه فتعبث الجوارح بالحركات والصرخات والصعقات لثوران ما في القلوب لا أنه يحدث فيها شيئا قال أبو القاسم الجنيد قدس الله سره السماع لا يحدث في القلب شيئا وانما هو مهيج ما فيه فتراهم يهيجون من وجدهم . و ينطقون من حيث قصدهم . و يتواجدون من حيث كامنات سرائرهم . لا من حيث قول الشاعر . ومراد القائل . ولا يلتفتون الى الالفاظ لان الفهم سبق الى ما يتخيله الذهن . وشاهد ذلك كما حكي ان ابا حكمان الصوفي سمع رجلا يطوف و ينادى يا سعتر برى فسقط وغشي عليه فلما أفاق قيل له في ذلك فقال سمعته وهو يقول اسعي ترى بري ألا ترى أن حركة وجده من حيث هو فيه من وقته لا من حيث قول القائل ولا قصده كما روي عن بعض الشيوخ أنه سمع قائلا يقول الخيار عشرة بحبة فغلبه الوجد فسئل عن ذلك فقال اذا كان الخيار عشرة بحبة فما قيمة الأشرار فالمحترق بحب الله لا تمنعه الألفاظ الكثيفة . عن فهم المعاني اللطيفة . فلم يكن واقفا مع نغمة ولا مشاهدة صورة فمن ظن . أن السماع يرجع الى رقة المعنى وطيب النغمة فهو بعيد من السماع قالوا وانما السماع حقيقة ربانية . ولطيفة روحانية . تسرى من السميع المسمع الى الأسرار . بلطائف التحف والانوار . فتمحق من القلب مالم يكن . و يبقى فيه مالم يزل . فهو سماع حق بحق من حق قالوا وأما الحال الذي يلحق المتواجد . فمن ضعف حاله عن تحمل الوارد . وذلك لازدحام أنوار اللطائف في دخول باب القلب فيلحقه دهش فيعبث بجوارحه و يستريح الى الصعقة والصرخة والشهقة وأكثر مايكون ذلك لاهل البدايات . وأما أهل النهايات فالغالب عليهم السكون والثبوت لانشراح صدورهم . واتساع سرائرهم للوارد عليهم . فهم في سكونهم متحركون وفي ثبوتهم متقلقلون . كما قيل لابي القاسم الجنيد رضي الله عنه مالنا لانراك تتحرك عند السماع فقال وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ويحكى أنه سئل عن السماع ولاي شئ يكون الرجل ساكنا قبل السماع فاذا

سمع اضطرب وتحرك فقال السماع خطاب الروح من الميثاق الأول حين قال ألست بربكم قالوا بلى فسمع حين سمع لاحد ولا رسم ولا صفة الا المعنى الذي سمع حين سمع فبقيت حلاوة ذلك السماع فيهم فلما أخرجهم و ردهم الى الدنيا ظهر ذلك فيهم فاذا سمعوا نغمة طيبة وقولا حسناً طارت هممهم الى ذلك الأصل. فسمعوا من الأهل وأشاروا الى الأصل. قالوا فالعارف هو الذي سمع من الله ومن لايعرف الله كيف يسمع من الله ومن لايسمع من الله فالبهيمة خير منه. لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل. وقال أبو عثمان المغربي من ادعى السماع فلم يسمع من صوت الطيور وصرير الباب وتصفيق الرياح فهو مدع فالعارف يسمع لطيف الاشارة. من كثيف العبارة. ودخل يوماً أبو عثمان المغربي وواحد يستقي الماء من بئر عليه بكرة فتواجد فقيل له في ذلك فقال انها تقول الله الله قالوا وسمع أمير المومنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه صوت ناقوس فقال لأصحابه أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول سبحان الله حقاً حقاً. ان المولى صمدى يبقي. يا أهل الدنيا ان الدنيا قد غرتنا واستهوتنا واستغوتنا. يا ابن الدنيا مهلا مهلا. يا ابن الدنيا تفني الدنيا قرناً قرناً. مامن يوم يمضي عنا الا يهوى منا ركناً. قالوا وقال علي رضي الله عنه وهو مار على دكان قطان لاصحابه أتدرون قوسه ما يقول قالوا لا قال انه يقول لو عشت عمر نوح وضعف ضعف ضعف ذاك ألست بعدها تف تف قال في حل الرموز واعلم انه قد حضر السماع وسمع كثير من الاكابر والمشايخ والتابعين ومن الصحابة فنقل أنه سمع عبد الله بن جعفر وعبد الله بن عمر قال وجاء عنه آثار في اباحة السماع وجمع من الصحابة كابن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعاوية وغيرهم قال وممن قال باباحته من السلف مالك بن أنس. وأهل الحجاز أجمع يبيحون الغناء كذا قال. وذكر بعض العلماء عن عبد الملك الملقب بالقس وكان عند أهل مكة أفضل من عطاء بن أبي رباح في العبادة أنه مر يوماً بسلامة وهي تغني فقام يسمع غناءها فرآه مولاها فقال له هل لك أن تدخل وتسمع فأبي ولم يزل به حتى دخل فغنته فأعجبته ولم يزل

يسمعها و يلاحظها النظر حتي شغف بها فلما شعرت للحظه اياها غنته

رب رسولين لنا بلغا * رسالة من قبل أن نبرحا

الطرف والظرف بعثناهما * فقضيا حاجا وما صرحا

قال فأغمي عليه وكاد يهلك فقالت له والله اني أحبك قال أنا والله أحبك قالت وأحب ان أضع فمي على فمك قال وأنا والله فما يمنعك من ذلك قالت أخشى أن تكون صداقة مابيني و بينك عداوة يوم القيامة أما سمعت قوله تعالى الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين فنهض وعاد الى طريقته التي كان عليها وأنشأ يقول

قد كنت أعذل في السفاهة أهلها فاعجب لما تأتي به الايام

فاليوم أعذرهم وأعلم أنما سبل الضلالة والهدى أقسام

(وحاصل) ما عند الصوفية علي مافي حل الرموز وغيره من كتبهم أن السماع ينقسم الى ثلاثة اقسام منه ماهو حرام محض وهو لأكثر الناس من الشباب ومن غلبت عليهم شهوتهم . وملكهم حب الدنيا وتكدرت بواطنهم . وفسدت مقاصدهم . فلا يحرك السماع منهم الا ما هو الغالب عليهم وعلي قلوبهم من الصفات المذمومة لا سيما في زماننا هذا وتكدر احوالنا وفساد اعمالنا . وقد روي عن الجنيد قدس الله سره أنه ترك السماع في آخر عمره فقيل له كنت تسمع أفلا تسمع فقال مع من فقيل له أنت تسمع لنفسك فقال ممن فالسماع لا يحسن الا بأهله ومع أهله ومن اهله فاذا انعدم اهله واندرس محله فيجب على العارف تركه . ومنه ماهو مباح وهو لمن لاحظ له منه الا التلذذ بالصوت الحسن واستدعاء السرور والفرح أو يتذكر به غائبا أو ميتا فيثير به حزنه فيتروح بما يسمعه . ومنه ما هو مندوب وهو لمن غلب عليه حب الله تعالى والشوق اليه فلا يحرك السماع منه الا الصفات المحمودة كما مر . وحاصل ذلك أن من سمع فظهرت عليه ومات نفسه وذكرلها حظوظ دنياه . واستثار بسماعه وساوس هواه . فالسماع عليه حرام محض . ومن سمع فظهر له ذكر ربه . وخوفه من ذنبه . وتذكر آخرته فأنتج له ذلك الذكر شوقا الى الله تعالى وخوفا منه ورجاء لوعده وحذرا من وعيده فسماعه ذكر من الاذكار عندهم . هذا حاصل

مقالاتهم وان تنوعت. ومعنى اشاراتهم وان تشعبت . وهذا وأمثاله عند أهل العلم غير منظور اليه . ولا ملتفت له ولا معول عليه. قال الامام المحقق ابن القيم في اغاثة اللهفان قال ابو بكر الطرطوسي وهذه الطائفة يعني الصوفية مخالفة لجماعة المسلمين لأنهم جعلوا الغناء دينا وطاعة. ورأت اعلانه في المساجد والجوامع وسائر البقاع المشرفة والمشاهد الكريمة من أشرف البضاعة. قال وليس في الامة من رأى هذا الرأي. وأنشد بعض العلماء

ألا قل لهم قول عبد نصوح　　وحق النصيحة أن تستمع
متى علم الناس في دينهم　　بأن الغنا سنة تتبع
وأن يأكل المرء اكل الحمار　　ويرقص في الجمع حتى يقع
وقالوا سكرنا بحب الاله　　وما أسكر القوم الا القصع
كذاك البهائم ان أشبعت　　يرقصها ريها والشبع
ويكره التاسي ثم الغنا　　ويس لو تليت ما انصدع
فيا للعقول ويا للنهي　　ألا منكر منكمو للبدع
تهان مساجدنا بالسماع　　وتكرم عن مثل ذاك البيع

قال الامام ابن القيم وهذا السماع الشيطاني المضاد للسماع الرحماني له في الشرع بضعة عشر اسما اللهو . واللغو . والوزر . والمكاء . والتصدية . ورقية الزنا . وقرآن الشيطان . ومنبت النفاق في القلب . والصوت الاحمق . والصوت الفاجر . وصوت الشيطان . ومزمور الشيطان . والسمود

اسماؤه دلت على اوصافه　　تبا لذى الاسماء والاوصاف

ثم ذكر أدلتها من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وآثار السلف الصالح قال رحمه الله تعالى فالاسم اللهو ولهو الحديث قال تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث الآية قال الواحدى وغيره أكثر المفسرين على أن المراد بلهو الحديث الغناء قاله ابن عباس رضي الله عنه في رواية سعيد بن جبير عنه وابن مسعود في رواية أبي الصهباء عنه وهو قول مجاهد وعكرمة قال ابن عباس هو الرجل يشترى الجارية تغنيه ليلا ونهارا قال وهو قول مكحول واختيار أبي اسحاق أيضا قال اكثر ما جاء في التفسير

ان لهو الحديث هاهنا هو الغناء لانه يلهي عن ذكر الله تعالى قال الواحدى قال أهل المعاني ويدخل في هذا كل من اختار اللهو والغناء والمزامير والمعازف على القرآن وان كان اللفظ قد ورد بالشراء فلفظ الشراء يذكر في الاستبدال والاختيار قال وبحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق قال الواحدى وهذه الآية على هذا التفسير تدل على تحريم الغناء ثم ذكر كلام الشافعي في رد الشهادة باعلان الغناء . قال وأما غناء القينات فذلك أشد مافي الباب لكثرة الوعيد الوارد فيه وهو ماورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من استمع الى قينة صب في أذنيه الآنك يوم القيامة . الآنك بمد الهمزة الرصاص المذاب وقد جاء تفسير لهو الحديث بالغناء مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم . ففي مسند الامام أحمد والحميدى وجامع الترمذى عن أبي أمامة واللفظ للترمذى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ولا تعلموهن فلا خير في تجارتهن فهن وثمنهن حرام . في مثل هذا نزلت هذه الآية ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله قال ابن القيم وهذا الحديث وان كان مداره على عبيدالله بن زجر عن علي بن زيد عن القاسم فعبيدالله بن زجر ثقة والقاسم ثقة وعلي ضعيف الا أن للحديث شواهد ومتابعات مع ما اعتضد به من تفسير الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين فقد قال ابن مسعود رضى الله عنه والله الذى لااله غيره هو الغناء يرددها ثلاث مرات يعني لهو الحديث . وصح عن ابن عمر أيضا أنه الغناء قال الحاكم في المستدرك ليعلم طالب هذا العلم أن تفسير الصحابي الذى شهد الوحي والتنزيل عند الشيخين حديث مسند وقال في موضع آخر من كتابه هو عندنا في حكم المرفوع . قال في اغاثة اللهفان وهذا وان كان فيه نظر فلا ريب انه أولى بالقبول من تفسير من بعدهم فهم أعلم الأمة بمراد الله من كتابه فعليهم نزل وهم أولى من خوطب به من الامة وقد شاهدوا تفسيره من الرسول علما وعملا وهم العرب الفصحاء على الحقيقة فلا يعدل عن تفسيرهم ماوجد اليه سبيل ولاتعارض بين تفسير لهو الحديث بالغناء وتفسيرها بأخبار الاعاجم وملوكها وملوك الروم ونحو ذلك مما كان النضر بن الحارث يحدث به أهل مكة يشغلهم

عن القرآن لان كليهما لهو ولا شك أن الغناء أشد لهوا من أخبار الملوك وأعظم ضررا فانه رقية الزنا وشرك الشيطان وخمرة العقول ويصد عن القرآن أكثر من غيره من الكلام الباطل لشدة ميل النفوس اليه ورغبتها فيه وقال في اسم الزور واللغو مستدلا بقوله تعالي والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما . قال محمد بن الحنفية قدس الله روحه الزور ههنا الغناء وقاله الليث عن مجاهد وأطال الامام ابن القيم الكلام على أسمائه اطالة تمنع استقصاء ماقال في هذا الكتاب . وأنشد لنفسه

فدع صاحب المزمار والدف والغنا ... وما اختاره عن طاعة الله مذهبا
ودعه يعش في غيه وضلاله ... على ما نشا يحيي ويبعث أشيبا
وفي بيننا يوم المعاد نجاته ... الي الجنة الحمراء يدعى مقربا
سيعلم يوم العرض أي بضاعة ... أضاع وعند الوزن ماخف أوربا
ويعلم ماقد كان فيه حياته ... اذا حصلت أعماله كلها هبا
دعاه الهدي والغي من ذا يجيبه ... فقال لداعي الغي أهلا ومرحبا
وأعرض عن داعي الهدى قائلا له ... هواي الي صوت المعازف قد صبا
يراع ودف بالصنوج وشادن ... وصوت مغن صوته يقنص الظبا
اذا ماتغني فالظباء مجيبة ... الى أن يراها حوله تشبه الدبا
فما شئت من صيد بغير تطارد ... ووصل حبيب كان بالهجر عذبا
فيا آمرا بالرشد لو كنت حاضرا ... لكان الي المنهي عندك أقربا

(الرابع) في بيان تحريم رسول الله صلى الله عليه وسلم الصريح لآلات اللهو والمعازف وسياق بعض الاحاديث في ذلك عن عبد الرحمن بن غنم قال حدثني أبو عامر أوأبو مالك الأشعري رضي الله عنهما سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ليكونن من أمتي قوم يستحلون الخز والحرير والخمر والمعازف هذا حديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه محتجابه . قال الامام ابن القيم ولم يصنع من قدح في صحة هذا الحديث شيئا كابن حزم نصرة لمذهبه الباطل في اباحة الملاهي وزعم أنه منقطع لان البخاري لم يصل سنده به وانما قال

باب ماجاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه وقال هشام بن عمار حدثنا صدقة ابن خالد حدثنا عبدالرحمن بن يزيد بن جابر حدثنا عطية بن قيس الكلابي حدثني عبد الرحمن بن غنم الاشعرى حدثني أبوعامر أو أبو مالك الاشعرى والله ما كذبني سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول فذكره وجواب هذا الوهم من وجوه (أحدها) أن البخارى قد لقي هشام بن عمار وسمع منه فقوله قال هشام بمنزلة قوله عن هشام . قال الزين العراقي في ألفية مصطلح الحديث

وان يكن أول الاسناد حذف   مع صيغة الجزم فتعليقا عرف
ولو الى آخره أما الذى   لشيخه عزا بقال فكذي
عنعنـة كخبر المعازف   لا تصغ لابن حزم المخالف

قال في شرحه قوله كخبر المعازف هو مثال لما ذكره البخارى عن بعض شيوخه من غير تصريح بالتحديث أو الاخبار أو ما يقوم مقامه كقوله قال هشام بن عمار الى آخره قال فان هذا الحديث حكمه الاتصال لأن هشام بن عمار من شيوخ البخارى وحدث عنه باحاديث وخالف ابن حزم فى ذلك فقال في المحلى هذا حديث منقطع لم يتصل ما بين البخارى وصدقة بن خالد قال ولا يصح في هذا الباب شئ أبدا قال وكل ما فيه فموضوع . قال ابن الصلاح ولا التفات اليه في رده ذلك قال وأخطأ في ذلك من وجوه قال والحديث صحيح معروف الاتصال بشرط الصحيح قال والبخاري قد يفعل ذلك لكون الحديث معروفا من جهة الثقات عن الشخص الذي علقه عنه أو لكونه ذكره في موضع آخر من كتابه متصلا أو لغير ذلك من الاسباب التي لا يصحبها خلل الانقطاع انتهى كلام ابن الصلاح . قال العراقي والحديث متصل من طرق من طريق هشام وغيره قال الاسماعيلي في المستخرج حدثنا الحسن وهو ابن سفيان النسوى الامام قال حدثنا هشام بن عمار فذكره وقال الطبراني في مسند الشاميين حدثنا محمد بن يزيد بن عبد الصمد حدثنا هشام بن عمار انتهى . وقوله فكذى عنعنة أى أما ماعزاه البخاري الى بعض شيوخه بصيغة الجزم كقوله قال فلان وزاد فلان ونحو ذلك فليس حكمه حكم التعليق عن شيوخ شيوخه ومن فوقهم بل حكمه حكم الاسناد المعنعن وحكم المعنعن الاتصال بشرط ثبوت اللقي والسلامة

من التدليس واللقى في شيوخه معروف والبخاري سالم من التدليس فله حكم الاتصال هكذا جزم به أئمة هذا الشان مثل ابن الصلاح وغيره . (الوجه الثاني) أنه لو لم يسمعه منه لم يستجز الجزم به عنه الا وقد صح عنه أنه قد حدث به وهذا كثيرما يكون لكثرة من رواه عن ذلك الشيخ وشهرته فالبخاري أبعد خلق الله من التدليس كما في اغاثة اللهفان (الثالث) لو أضر بناعن هذا كله فالحديث صحيح متصل عند غيره قال الامام أبو داود في كتاب اللباس حدثنا عبد الوهاب بن نجدة حدثنا بشر بن بكير عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر حدثنا عطية بن قيس قال سمعت عبد الرحمن بن غنم الاشعري قال حدثنا أبو عامر أو أبو مالك فذكره ورواه أبو بكر الاسماعيلي في كتابه الصحيح مسندا فقال أبو عامر ولم يشك ووجه الدلالة منه أن المعازف هي آلات اللهو كلها لاخلاف بين أهل اللغة في ذلك ولو كانت حلالا لما ذمهم على استحلالها وقرنها باستحلال الخمر والخز وروى الحر فعلى رواية الحاء والراء المهملتين فهو استحلال الفروج الحرام وعلى رواية الخاء والزاى المعجمتين فهو نوع من الحرير غير الذي صح عن الصحابة لبسه اذ الخز نوعان أحدهما من حرير والثاني من صوف وقد روي هذا الحديث بالوجهين وفي الباب عن سهل بن سعد الساعدي وعمران ابن حصين وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن عباس وأبى هريرة وأبي أمامة الباهلى وعائشة أم المؤمنين وعلى بن أبي طالب وأنس بن مالك وعبد الرحمن بن منابط والفار بن ربيعة رضي الله عنهم وقد استقصاها الامام المحقق ابن القيم في كتابه اغاثة اللهفان بالاسانيد . و بين حالها بأتم بيان وأكمل تسديد . فمما ذكر عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون في أمتي خسف وقذف ومسخ قيل يارسول الله متي قال اذا ظهرت المعازف والغناء واستحل الخمر رواه ابن أبي الدنيا و رواه الترمذي من حديث عمران بن حصين مرفوعا بلفظ يكون في أمتي قذف وخسف فقال رجل من المسلمين متى ذلك يارسول الله قال اذا ظهرت المغنيات والمعازف وشربت الخمور قال الترمذي هذا حديث غريب . وفي مسند الامام أحمد وأبي داود عن ابن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله حرم الخمر والميسر والمزر والكوبة والغبيراء وكل

مسكر حرام وفي لفظ آخر للامام أحمد ان الله حرم على أمتي الخمر والميسر والمزر والكوبة والغبيراء ورواه الامام أحمد أيضاً من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله حرم الخمر والميسر والكوبة وكل مسكر حرام . قال الامام ابن القيم الكوبة الطبل قاله سفيان وقيل البربط والغبيراء هو الطنبور بالحبشية والتغبير الضرب به قاله ابن الاعرابي الى آخر ماذكره رحمه الله تعالى والله أعلم . (واقبل) من شخص من غير كراهة (ان) بكسر الهمزة حرف شرط جازم و يرجع فعل الشرط و ينشد معطوف، والجواب محذوف دل عليه قوله واقبل (يرجع) في قوله كما ترجع الاعراب قال في القاموس الترجيع ترديد الصوت في الحلق وهو المراد هنا وفي الاذان ذكر الشهادتين جهرا بعد اخفائهما (و) اقبل منه أيضا من غير كراهة أن (ينشد) شعرا

كَمَا تَنْشِدُ الأَعْرَابُ أَوْ يَحْدُ قَوْلَهُ ... وَمَنْ يَتْلُ آيَاتِ الْكِتَابِ الْمُمَجَّدِ

(كما تنشد الاعراب) في محافلهم وخلواتهم ومجامعهم وأعيادهم وحروبهم وفرحهم وسرورهم يقال نشد الشعر أى قرأه ونشد بهم هجاهم وتناشدوا الشعر نشد بعضهم بعضا والنشدة بالكسر الصوت والنشيد رفع الصوت والشعر المتناشد كالأنشودة والجمع أناشيد واستنشد الشعر طلب انشاده كما في القاموس (أو) أي واقبل من غير كراهة في المعتمد أن (يحد) الحادي (قوله) أي مقوله في الحداء قال في الاقناع وغيره و يباح الحداء الذي تساق به الابل ونشيد الاعراب وفي الانصاف وقيل الحداء ونشيد الاعراب كالغناء في ذلك وقيل يباح انتهى . قلت المذهب الاباحة من غير كراهة لما تظافرت به الأخبار. وتظاهرت به الآثار. من انشاد الأشعار. والحداء في الأسفار . وقد ذكر بعض العلماء الاجماع على اباحة الحداء قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري نقل ابن عبد البر الاتفاق على اباحة الحداء قال وفي كلام بعض الحنابلة اشعار بنقل خلاف فيه ومانعه محجوج بالأحاديث الصحيحة . قال و يلتحق بالحداء غناء الحجاج المشتمل على التشوق الى الحج بذكر الكعبة وغيرها من المشاهد ونظيره ما يحرض أهل الجهاد على القتال ومنه غناء المرأة لتسكين الولد في المهد

انتهى. وقد ثبت عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحدى له في السفر وأن أنجشة كان يحدو بالنساء والبراء بن مالك يحدو بالرجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أنجشة كيف سوقك بالقوارير. وفي مسند الامام أحمد حدثنا حماد عن يزيد عن سلمة يعني ابن الاكوع رضي الله عنه قال كان عامر رجلا شاعرا فنزل يحدو قال يقول

اللهم لولا أنت ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداء لك ما اقتفينا * وثبت الاقدام ان لاقينا
وألقين سكينة علينا * انا اذا صيح بنا أتينا
وبالصياح عولوا علينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الحادي قالوا ابن الأكوع قال يرحمه الله قال فقال رجل وجبت يا رسول الله لولا امتنعنا به فأصيب الحديث رواه البخاري قال العلماء والابل تزيد في نشاطها وقوتها بالحداء فترفع آذانها وتلتفت يمناها ويسراها وتنتحب في مشيها. وذكر أصحاب الأوائل أن أول من أحدث الحداء غلام لمضر بن نزار وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في مضر فسمع صوت حاد يحدو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ميلوا بنا اليه فقال ممن القوم فقالوا من مضر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون متى كان الحداء فقالوا بأبينا وأمنا أنت يا رسول الله متى كان فقال صلى الله عليه وسلم ان أباكم مضر خرج في طلب مال له فوجد غلامه قد تفرقت عليه ابله فضربه بالعصا أي على يده فأوجعه كما في رواية فعدا الغلام في الوادي وهو يصيح وايداه وايداه فسمعت الابل صوته فعطفت عليه واجتمعت فقال مضر لو اشتق من هذا الكلام مثل هذا لكان كلاما تجتمع عليه الابل فاشتق الحداء من ذلك. وكان سلام الحادي من العرب في الدولة العباسية يضرب المثل بحدائه فقال يوما للمنصور يا أمير المؤمنين مر الجمالين بأن يظمؤا الابل ثم يوردوها الماء فاني آخذ في الحداء فترفع رؤوسها وتترك الشرب ففعلوا فجرى ما التزم وحدا لها بقوله

الا يا بانة الوادى بشاطي نهر بغداد

شجاني فيك صباح　　طروب فوق مياد
يذكرني ترنمه　　ترنم رنة الشادي
اذا اسودت مثالثها　　فلاتذكر اخا الهادي
وان جاءت بنغمتها　　نسينا نغمة الحادي

اخا الهادي ابراهيم بن المهدي اخو الرشيد عم المأمون قال اصحاب الاوائل واول من اشتهر بالحداء في الاسلام رجل يقال له أنجشة الحادي يضرب المثل به وكان يهلك الابل بحسن صوته كان يحدو في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم و ورد في الخبر في اوائل الحداء عن مجاهد رحمه الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقى قوما فيهم حاد يحدو فقال ممن القوم قالوا من مضر فقال صلى الله عليه وسلم وأنا من مضر قالوا اي العرب حدا أولا فذكر نحو خبر ابن عباس رضي الله عنهما الا انه ذهب الغلام وهو يقول وايداه وايداه هنيا هنيا فتحركت الابل لذلك فسارت ونشطت ففتح الناس الحداء (فوائد الاولى) أول من وضع علم الموسيقي واصول الالحان فيثاغوث الهرمس أدركه بقوة الذهن وحركات الأفلاك فاستمع الاصوات ورتب الالحان الثمانية بحسب الادوار الفلكية واصواتها كما في تاريخ الحكماء (الثانية) أول من وضع العود للغناء لامك بن قانيان بكى به على والده ويقال ان صانع العود بطليموس الحكيم صاحب الموسيقي كما في بهجة التواريخ وهذا أظهر والله اعلم (الثالثة) أول من غني في العرب قينتان لعاد يقال لهما الجرادتان هكذا في اوائل على دده والمستطرف وغيرهما والصواب أن الجرادتين كانتا بمكة وان وفد عاد لما ذهبوا لمكة لاجل أن يستسقوا في الحرم كانت الجرادتان تغنيانهم وكان سيدهما امرهما أن يغنياهم بهذا الشعر

الا ياقيل ويحك قم فهينم　　لعل الله يسقينا غماما
فيسقي ارض عاد ان عادا　　قد امسوا ما يبينون الكلاما

وأول من غنى في الاسلام الغناء الرقيق طويس وكان اسمه طاووس ولما تخنث صغروه وضرب به المثل في المدينة المنورة بالشآمة فقيل أشأم من طويس وكان يكني ابا عبد الرحيم كما في اوائل السيوطي قال السيوطى رحمه الله تعالى في اوائله

واول من تغني على وجه الارض ابليس ثم زمزم بعد الغناء ثم جري ثم صاح والله الموفق . (ومن يتل آيات الكتاب) المجيد (الممجد) حال كونها

مُلَحَّنَةً فِي كُرْهِهِ الْقَاضِي اتَّبِعْ ... وَفَصَّلَ قَوْمٌ فِيهِ تَفْصِيلَ مُرْشَدِ

(ملحنة) بأن يراعي فيها الالحان وقانون الموسيقى (في كرهه) أي في كراهة هذه التلاوة (القاضى) ابا يعلى بن الفراء (اتبع) قال في الفروع وكره الامام احمد قراءة الالحان وقال بدعة لا يسمع كل شيء محدث لا يعجبني الا أن يكون طبع الرجل كابي موسى ونقل عنه غير واحد أو يحسنه بلا تكلف (وفصل قوم فيه) اى في ذلك يعني قراءة الالحان (تفصيل) شخص (مرشد) اسم مفعول اي موفق للرشد والتسديد او اسم فاعل أي مرشد لغيره فقالوا

إِذَا حَرَكَاتُ اللَّفْظِ بُدِّلْنَ أَحْرُفًا ... بِإِشْبَاعِهِ حَرِّمْ لِذَاكَ وَشَدِّدِ

(اذا حركات اللفظ) في القراءة (بدلن أحرفا) بأن تولد من الفتحة الف ومن الضمة واوا ومن الكسرة ياء (ب) سبب (اشباعه) اى اشباع اللفظ القاري (حرم) اي اعتقد حرمته (ل) أجل (ذاك) اى ابدال الحركات حروفا (وشدد) في النهي عنه والتحريم لانه زيادة أحرف في القرآن العظيم . قال في الفروع قال جماعة ان غيرت يعني قراءة الألحان النظم حرمت في الاصح والا فوجهان في الكراهة وفي الوسيلة يحرم نص عليه وعنه يكره وقيل لا ولم يفرق . قال في الاقناع وكره الامام أحمد قراءة الالحان وقال هي بدعة فان حصل معها تغيير نظم القرآن وجعل الحركات حروفا حرم . وقال الشيخ التلحين الذي يشبه الغناء مكروه ولا يكره الترجيع وتحسين القراءة قال في الشرح بل ذلك مستحب لحديث أبي هريرة رضي الله عنه ما أذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن يجهر به رواه البخاري ويأتي في آداب قراءة القرآن ان شاء الله تعالى

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا فَلَا بَأْسَ قَدْ تَلَا الرَّ ... سُولُ بِتَرْجِيعٍ وَصَوْتٍ لَهُ نَدِي

(فان لم يكن هذا) اى تغيير نظم القرآن وجعل الحركات حروفا بأن خلا عن

ذلك (فلا باس) اي لا حرج ولا حرمة وقد علمت أنها مكروهة كما جزم به صاحب الاقناع وظاهر كلام الناظم لا كراهة خلافا للقاضي ومن ثم قال (قد تلا الرسول) الا مجد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (بترجيع) اي ترديد (وصوت له) اى للنبي صلى الله عليه وسلم (ندى) بكسر الدال واسكان الياء لضرورة الوزن أي حسن و رطب فلا كراهة مع ثبوت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ولأنه سبب للرقة وأثارة الخشية واقبال النفوس على استماع القرآن العظيم . قال الامام ابن القيم في الفتاوي الطرابلسية . ونقل عنه في تسهيل السبيل في باب تحريم تلحين القرآن والتغني به لم يثبت فيه شئ من الاحاديث يعني في النهي عن التلحين والتغني به بل ورد خلاف ذلك في الصحيح وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وهو يقرأ سورة الفتح ويرجع فيها قال الراوي والترجيع (آ آ آ) قلت والحديث في الصحيحين وغيرهما من حديث معاوية بن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته يقرأ سورة الفتح فرجع في قراءته . وفي الصحيحين أيضاً عن أبي موسى الاشعري رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود وفي رواية لمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لقد رأيتني وأنا أسمع لقراءتك البارحة وأقول أما تحسين الصوت بالقراءة فقد أجمع العلماء رضى الله عنهم من السلف والخلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء الأمصار وأئمة المسلمين على استحباب تحسين الصوت بالقرآن وأقوالهم وأفعالهم مشهورة بذلك في غاية الشهرة ودلائل هذا من الاحاديث كثيرة جدا كحديث زينوا القرآن بأصواتكم وحديث لقد أوتي هذا مزمارا وحديث ماأذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به رواه الشيخان . ومعنى اذن استمع كما يأتي بأبسط من هذا في آداب القرآن وحديث لله أشد اذنا الى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قينته رواه ابن ماجه وحديث من لم يتغن بالقرآن فليس منا رواه أبو داود باسناد جيد قال جمهور العلماء معنى من لم يتغن بالقرآن أى من

لم يحسن صوته به . وعن ابن أبي مليكة قال قال عبيد بن أبي يزيد مر بنا أبو لبابة فاتبعناه حتي دخل بيته فدخلنا عليه فاذا رجل رث الهيئة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس منا من لم يتغن بالقرآن قال فقلت لابن أبي مليكة يا أبا محمد أرأيت ان لم يكن حسن الصوت قال يحسنه ما استطاع رواه أبو داود والمرفوع منه في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفي الصحيحين عن البراء رضى الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قرأ بالعشاء بالتين والزيتون فما سمعت أحداً أحسن صوتا منه فالعلماء متفقون على استحباب تحسين الصوت بالقراءة وترتيلها مالم تخرج عن حد القراءة بالتمطيط فان أفرط حتى زاد حرفاأو أخفاه حرم . وأما القراءة بالالحان فهي محل الخلاف حيث خلت عن التمطيط وابدال الحركات حروفا فالمذهب الكراهة تنزيها وظاهر كلام الناظم عدم الكراهة وقد يقال التمطيط المتكلف المشتمل على التعسف والتشدق وتلوق الفم مكروه وان لم يتولد منه حروف لاخراج القراءة عن العادة المستمرة والقانون العربي الى التموج والتشدق . وقد قال تعالى قرآنا عربياً غير ذي عوج ومتى خلت عن هذه الصفات فلا كراهة والله أعلم بالصواب من ذلك . ومذهب الحنفية عدم الكراهة وظاهر كلام النووي في التبيان عدم الكراهة حيث لا تمطيط يتولد منه حروف لأنه قال ان لم يخرجه اللحن عن لفظه وقرأه على ترتيله كان أي التلحين مباحاً وقال قبل هذا وأما القرآن بالألحان فقد قال الشافعي رحمه الله في مواضع أكرهها وقال في مواضع لا أكرهها قال أصحابنا ليست على قولين بل فيه تفصيل فان أفرط في التمطيط فجاوز الحد فهو الذي كرهه وان لم يجاوز فهو الذي لم يكرهه ثم نقل عن صاحب الحاوي منهم أنه قال القراءة بالالحان الموضوعة ان أخرجت لفظ القرآن عن صيغته بادخال حركات فيه أواخراج حركات عنه أو قصر ممدودا أومد مقصورا وتمطيط يخفى به بعض اللفظ ويلتبس المعني فهو حرام يفسق به القارئ ويأثم به المستمع لأنه عدل به عن نهجه القويم الى الاعوجاج والله تعالى يقول قرآنا عربيا غير ذي عوج قال وان لم يخرجه اللحن عن لفظه وقرأه علي ترتيله كان مباحا كما مر والله أعلم

مطلب في بيان الشعر المباح

وَلَا بَأْسَ بِالشِّعْرِ الْمُبَاحِ وَحِفْظِهِ ۞ وَصَنْعَتِهِ مَنْ رَدَّ ذَلِكَ يَعْتَدِي

(ولا بأس) أي لاحرج ولا كراهة (ب)انشاد (الشعر) وهو كلام مقفي موزون (المباح) الذى سلم من هجاء المسلمين ومن وصف خمرة أو أمرد وكذا امرأة أجنبية معينة كما يأتي في كلامه رحمه الله قال في الفروع الشعر كالكلام سأله أبو منصور أي سأل الامام أحمد رضي الله عنه ما يكره منه يعني الشعر قال الهجاء والرقيق الذي يشبب بالنساء وأما الكلام الجاهلي فما أنفعه وسأله عن الخبر لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا خير من أن يمتلئ شعرا فتلكأ فذكر له قول النضر لم تمتلئ أجوافنا لأن فيها القرآن وغيره وهذا كان في الجاهلية فأما اليوم فلا فاستحسن ذلك واختار جماعة قول أبي عبيد ان يغلب عليه وهو أظهر قال وان أفرط شاعر بالمدحة باعطائه وعكسه بعكسه أو شبب بمدح خمر أو بمرد وفيه احتمال أو بامرأة معينة محرمة فسق لا ان شبب بامرأته أو أمته ذكره القاضي قال في الاقناع الشعر كالكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح ولا بأس باستماع الشعر المباح ولا بأس ب(حفظه) أي الشعر المباح لعدم ما يدل على كراهة شئ من ذلك (و) لا بأس ب(صنعته) أي انشائه ونظمه واتخاذه صنعة والاشتغال به حيث لم يله عن واجب (من رد ذلك) أي اباحة الشعر انشادا واستماعا وحفظا وانشاء (يعتد) برده لشئ من ذلك لانه انما رده لمجرد رأيه لا لدليل شرعي بل الدليل الشرعي في اباحة ذلك لارده

فَقَدْ سَمِعَ الْمُخْتَارُ شِعْرَ صِحَابِهِ ۞ وَتَشْبِيبِهِمْ مِنْ غَيْرِ تَعْيِينِ خُرَّدِ

(فقد سمع المختار) من خلق الله والصفوة من رسل الله نبينا أبو القاسم محمد صلى الله عليه وسلم (شعر صحابه) رضوان الله عليهم (و) سمع صلوات الله وسلامه عليه (تشبيبهم) بالنساء (من غير تعيين خرد) جمع خريدة وهي المرأة الخفور الطويلة السكوت الخافضة الصوت المستترة وقيل البكر التي لم تمس قال الامام ابن هشام في صدر شرح بانت سعاد التشبيب عند المحققين من أهل الادب جنس يجمع أربعة أنواع . أحدها ذكر ما في المحبوب من الصفات الحسية والمعنوية كحمرة الخد ورشاقة القد

وكالجلالة والخفر . والثاني ذكر ما في المحب من الصفات أيضا كالنحول والذبول والحزن والشغف . والثالث ذكر ما يتعلق بهما من هجرووصل وشكوى واعتذار ووفاء واخلاف . والرابع ما يتعلق امرهما بسببهما كالوشاة والرقباء ويسمى النوع الاول من الانواع الاربعة تشبيبا أيضا . وفي قول الناظم رحمه الله تعالى فقد سمع المختار شعر صحابه وتشبيبهم اشارة الى عدم حرمة التشبيب . ولما خشى توهم اطلاق الاباحة دفع ذلك التوهم بقوله من غير تعيين خرد بخلاف ما اذا كان يتشبب بمعينة محرمة فانه لا يجوز كاستماعه . فما سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم من شعر اصحابه وتشبيبهم قصيدة كعب بن زهير رضى الله عنه التى مدح بها سيد الكائنات سيدنا ومولانا محمد صلي الله عليه وسلم فانه أنشدها بحضرته الشريفة و بحضرة أصحابه المهاجرين والانصار رضي الله عنهم أجمعين وهو كعب بن زهير بن أبي سلمى بضم السين المهملة واسم أبي سلمى ربيعة بن أبي رياح بكسر الراء بعدها ياء وحاء مهملة آخر الحروف أحد بني مزينة كان من فحول الشعراء هو وأبوه وكان عمر رضي الله عنه لا يقدم على أبيه أحدا في الشعر و يقول أشعر الناس الذي يقول ومن ومن ومن يشير الى قوله في معلقته المشهورة

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ... ولو رام أسباب السماء بسلم
ومن يك ذامال فيبخل بماله ... على قومه يستغن عنه و يذمم
ومن لا يزل يستحمد الناس نفسه ... ولا يعفها يوما من الدهر يندم
ومن يغترب يحسب عدوا صديقه ... ومن لايكرم نفسه لايكرم
ومن لايذد عن حوضه بسلاحه ... يهدم ومن لايظلم الناس يظلم
ومن لايصانع في أمور كثيرة ... يضرس بأنياب و يوطأ بمنسم

المنسم بفتح الميم وكسر السين المهملة طرف خف البعير والقصيدة التي مدح كعب رسول الله صلي الله عليه وسلم بها وأنشدها بين يديه بحضور أصحابه هي قوله

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... متيم أثرها لم يفد مكبول .

وسبب انشائه لها وانشاده اياها بين يدي سيد العالم صلى الله عليه وسلم ماروى

مطلب في سماعه صلى الله عليه وسلم شعر اصحابه وتشبيبهم

محمد بن اسحاق في السيرة وعبد الملك بن هشام وأبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن الانباري وأبو البركات عبد الرحمن بن محمد ابن أبي سعيد الانباري دخل حديث بعضهم في حديث بعض أن كعباً وبجيرا بني زهير خرجا الى أبرق العزاف وهو رمل لبني سعد وهو قريب من زرود كما في الصحاح فقال بجير لكعب اثبت في هذا الغنم حتى آتي هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم فأسمع كلامه وأعرف ماعنده فأقام كعب ومضى بجير فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع كلامه فآمن به وذلك أن زهيراً فيما زعموا كان يجالس أهل الكتاب فسمع منهم أنه قد آن مبعثه صلى الله عليه وسلم ورأى زهير في منامه أنه قد مد سبب من السماء وانه مد يده ليتناوله ففاته فأوله بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي يبعث في آخر الزمان وأنه لا يدركه فأخبر بنيه بذلك وأوصاهم ان أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يسلموا ولما اتصل خبر اسلام بجير بأخيه كعب أغضبه ذلك فقال

ألا بلغا عني بجيرا رسالة ... فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا
سقاك بها المأمون كأساً روية ... فأنهلك المأمون منها وعلكا
ففارقت أسباب الهدى واتبعته ... على أي شيء ويب غيرك دلكا
على مذهب لم تلف أما ولا أبا ... عليه ولم تعرف عليه أخالكا
فان أنت لم تفعل فلست بآسف ... ولا قائل اما عثرت لعالكا

وارسل بها الى بجير فلما وقف عليها أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمع عليه الصلاة والسلام قوله سقاك بها المأمون قال مأمون والله وذلك أنهم كانوا يسمون رسول الله صلى الله عليه وسلم المأمون ولما سمع قوله على مذهب ويروي على خلق لم تلف أما ولا أبا البيت قال أجل لم يلف عليه أباه ولا أمه ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله وذلك عند انصرافه صلى الله عليه وسلم من الطائف فكتب اليه بجير رضي الله عنه بهذه الأبيات

من مبلغ كعبا فهل لك في التي ... تلوم عليها باطلا وهي أحزم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت ... من الناس الا طاهر القلب مسلم

فدين زهير وهو لا شيء دينه   ودين أبي سلمى علي محرم

وكتب بعد هذه الابيات ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أهدر دمك وأنه قتل رجالا بمكة ممن كانوا يهجونه و يؤذونه وان من بقى من شعراء قريش كابن الزبعري وهبيرة بن ابي وهب قد هربوا في كل وجه وما أحسبك ناجيا فان كان لك في نفسك حاجة فطر اليه فانه يقبل من أتاه تائبا ولا يطالبه بما تقدم قبل الاسلام . فلما بلغ كعباً الكتاب أتي الى مزينة لتجيره من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبت ذلك عليه فحينئذ ضاقت عليه الارض بما رحبت وأشفق على نفسه وأرجف به من كان من عدوه فقالوا هو مقتول فقال القصيدة يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم و يذكر خوفه وارجاف الوشاة به من عدوه ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل من جهينة كانت بينه و بينه معرفة فأتي به الى المسجد ثم اشار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقم اليه فاستأمنه وعرف كعب رسول الله بالصفة التي وصف له الناس وكان مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه مثل موضع المائدة من القوم يحلقون حوله حلقة ثم حلقة فيقبل على هؤلاء فيحدثهم ثم يقبل على هؤلاء فيحدثهم فقام كعب اليه حتى جلس بين يديه فوضع يده في يده ثم قال يا رسول الله ان كعب ابن زهير قد جاء ليستأ من منك تائبا مسلما فهل أنت قابل منه ان أنا جئتك به قال نعم قال أنا يا رسول الله كعب بن زهير قال الذي يقول ما يقول ثم أقبل على أبي بكر يستنشده الشعر فأنشده أبو بكر رضي الله عنه . سقاك بها المأمون كأسا روية * فقال كعب لم أقل هكذا انما قلت . سقاك أبو بكر بكأس روية * وأنهلك المأمون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مأمون والله ووثب عليه رجل من الأنصار فقال يارسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه فقال دعه عنك فانه قد جاء تائبا نازعا فغضب كعب على هذا الحي لما صنع به صاحبهم قال ابن اسحاق فلذلك يقول . اذا عرد السود التنابيل * يعرض بهم وفي رواية أبي بكر بن الانباري أنه لما وصل الى قوله

ان الرسول لسيف يستضاء به   مهند من سيوف الهند مسلول

رمى عليه الصلاة والسلام اليه ببردة كانت عليه وأن معاوية بذل له فيها عشرة آلاف . فقال ماكنت لأوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا فلما مات كعب بعث معاوية الى ورثته بعشرين ألفا فأخذها منهم قال وهي البردة التي عند السلاطين الى اليوم انتهى . قلت قد ذهبت البردة المذكورة لما استولى التتار على بغداد ومقدمهم هلاكوا نهار الأربعاء رابع عشر صفر سنة تسع وخمسين وستمائة فقد وضع هلاكوا البردة المذكورة في طبق نحاس وكذا القضيب فأحرقهما وذر رمادهما في دجلة وقتل الخليفة وولده وقتل من العلماء والفضلاء خلق كثير وقتل بقية أولاد الخليفة وأسرت بناته ومن بنات بيت الخلافة والأكابر ما يقارب ألف بكر و بلغ القتلى أكثر من ألفي ألف وثلثمائة ألف نسمة كما هو مشروح في التواريخ فانا لله وانا اليه راجعون فحصل من انشاد قصيدة كعب بن زهير رضي الله عنه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم واعطائه عليه الصلاة والسلام البردة عدة سنن اباحة انشاد الشعر واستماعه في المساجد والاعطاء عليه وسماع التشبيب فانه في قصيدة كعب رضي الله عنه في عدة مواضع فانه ذكر محبوبته وما اصاب قلبه عند ظعنها ثم وصف محاسنها وشبهها بالظبي ثم ذكر ثغرها وريقها وشبهه بخمر ممزوجة بالماء ثم انه استطرد من هذا الى وصف ذلك الماء ثم من هذا الى وصف الابطح الذى أخذ منه ذلك الماء ثم انه رجع الى ذكر صفاتها فوصفها بالصد . واخلاف الوعد . والتلون في الود . وعدم التمسك بالعهد . وضرب لها عرقوبا مثلا ثم لام نفسه على التعلق بمواعيدها ثم أشار الى بعد ما بينه و بينها وانه لا يبلغه اليها الا ناقة من صفتها كيت وكيت وأطال في وصف تلك الناقة على عادة العرب فى ذلك ثم انه استطرد من ذلك الى ذكر الواشين وأنهم يسعون بجانبي ناقته ويحذرونه القتل وأن أصدقاءه رفضوه وقطعوا حبل مودته وأنه أظهر لهم الجلد واستسلم للقدر وذكر لهم أن الموت مصير كل ابن انثى ثم خرج الى المقصود الاعظم وهو مدح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والى الاعتذار اليه وطلب العفو منه والتبرى مما قيل عنه وذكر شدة خوفه من سطوته وما حصل له من مهابته ثم الى مدح اصحابه المهاجرين رضى الله عنهم اجمعين هذا ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده واصحابه حوله وهو ملق بسمعه اليه

ومقبل في كل ذلك عليه فهل يسوغ انكار انشاء الشعر واسماعه وانشاد التشبيب واصطناعه بعد الوقوف على مثل هذه القصيدة وأمثال امثالها مما هو مألوف ومعروف وهل يرد هذه الاخبار. الا معتد غدار. أوجاهل بالآثار. عن النبي المختار. والسلف الاخيار. هذا مع الاجماع على جواز اسماعه في مثل تلك المحافل وعدم الانكار على شئ من تلك الاشعار في أولئك الجحافل ومن ثم قال الناظم رحمه الله تعالى .

وَلَمْ يَكُ فِي عَصْرٍ لِذَلِكَ مُنْكِرٌ وَكَيْفَ وَفِيهِ حِكْمَةٌ فَارْوِ وَاسْنِدِ

(ولم يك في عصر) من الاعصار من عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم على تداول الاعصار (لذلك) أي لاسماع الشعر والتشبيب والمدح والنسيب (منكر) يعتد بانكاره. ولا رادع يقتدى بردعه وازدراره . ومن كره شيئاً من ذلك من أعلام العلماء انما هو لكونه يهيج الطباع لرقته لا لحرمة ذاته (وكيف) يسوغ الانكار على اسماع وانشاد الاشعار (وفيه) أي الشعر (حكمة) وهي ما يمنع من الجهل وقيل الحكمة الاصابة وفي القاموس الحكمة بالكسر العدل والعلم والحلم والنبوة والقرآن والانجيل وأحكمه أتقنه وأشار الناظم بهذا الى مارواه الامام أحمد في المسند وأبو داود عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان من البيان سحرا وان من الشعر حكما . (وأخرج) أبو داود عن بريدة رضي الله عنه مرفوعا ان من البيان سحرا وان من العلم جهلا وان من الشعر حكما وان من القول عيالا قال الحريرى في درة الغواص معناه ان من الحديث مايستثقل السامع أن يعرض عليه ويستشق الانصات اليه . وفي صحيح البخاري ان من الشعر لحكمة ويروى لحكما كافي المسند وسنن ابي داود . قال في المطالع أي ما يمنع الجهل وقيل الحكمة الاصابة في القول من غير نبوة وقيل ذلك في قوله اللهم علمه الحكمة وقيل الحكمة الفقه في الدين والعلم به وقيل الخشية وقيل الفهم عن الله وهذا كله يصح فى تفسير الحكمة يمانية يعني قوله صلي الله عليه وسلم الحكمة يمانية . وفي قوله صلى الله عليه وسلم علمه الحكمة ولا سيما مع قول الفقه يمان وقد قيل الحكمة النبوة وقيل هذا كله في قوله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء قال ابن قرقول في المطالع وقد قيل الحكمة اشارة العقل والحكيم من قبلها وقال بها

وعمل ولم يخالفها في شيء من أمر دينه ودنياه فهو الحكيم وهو الحاكم وهو المحكم وأمورها كلها محكمة لأنها صادرة عن اشارة العقل وتدبيره وهو الحاكم المصيب الذي لا يخطئ مادام محفوظا من الله تعالى لم تخلفه آفة ولا حل به نقص انتهى كلام المطالع وقال المناوي في شرح الجامع الصغير في قوله صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة وعند ابي داود حكما بضم الحاء المهملة وسكون الكاف وفي بعض الروايات باللام لحكما وجوز في حكما كسر الحاء المهملة وفتح الكاف جمع حكمة انتهي . قال في النهاية الحكمة معرفة الاشياء بأفضل العلوم قال المناوى وانما أكد بان واللام ردا على من أطلق كراهة الشعر فأشار الى أن حسنه حسن وقبيحه قبيح وكل كلام ذي وجهين يختلف باختلاف المقاصد . وأما خبر الشعر مزامير الشيطان وخبر أنه جعل له كالقرآن فواهيان انتهي وعلى فرض ثبوت ذلك فالمراد به الشعر المحرم في المرد أو في محرمة معينة أو في هجاء المسلمين ونحو ذلك وقيل معنى كون الشعر حكما في مثل هذا الحديث هو أن الشاعر قد ينطق بالامر قبل وقوعه فيقع كما قال كقول حسان رضي الله عنه يخاطب قريشا في قصيدة له قبل فتوح مكة

عدمنا خيلنا ان لم تروها　　تثير النقع موعدها كداء

تظل جيادنا متمطرات　　يلطمهن بالخمر النساء

فكان الامر كما قال ولما رأى النبي صلى الله عليه وسلم النساء يلطمن وجوه الخيل بالخمر وذلك يوم الفتح تبسم صلى الله عليه وسلم الى ابي بكر رضي الله عنه وقال يا أبا بكر كيف قال حسان فأنشده ما تقدم (فارو) الشعر واحفظه واستمعه وأنشه (واسند) اباحة ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم أو فارو حديث ان من الشعر لحكمة وأسنده فانه صحيح لا مقدح فيه فقد رواه البخاري وغيره من كل امام وفقيه . ولا يعكر عليك ما يروجه بعض الفقهاء فانه غير ثابت أو محمول على الشعر الذى وصفناه لما اشتمل على مدح المحرمات والكذب والتهافت فاذا خلا الشعر عن التشبب بالمردان أو بمعينة من المحرمات من النساء أو بنحو خمرة فلا حرمة فيه . وقد قال عمرو بن الشريد ردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أمعك من شعر أمية قلت نعم فأنشدته بيتا فقال هيه فأنشدته بيتا فقال هيه حتي أنشدته مائة قافية . قال في شرح

المقنع ليس لنا في اباحة الشعر اختلاف وقد قاله الصحابة والعلماء والحاجة تدعو اليه لمعرفة اللغة والعربية والاستشهاد به في التفسير وتعرف معاني كلام الله سبحانه وتعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم . ويستدل به على النسب والتاريخ وأيام العرب ويقال الشعر ديوان العرب فان قيل قد قال تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون . وفي الحديث لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خير له من أن يمتلئ شعرا رواه أبو داود وأبو عبيدة وقال معنى يريه يأكل جوفه يقال وراه يريه قال الشاعر

وراهن ربي مثل ما قد ورى   وأحمي على أكبادهن المكاويا

فأجاب عن الآية بأن المراد بها من أسرف وكذب بدليل وصفه لهم بأنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون . ثم استثني المؤمنين وأجاب عن الحديث بنحو ماقدمنا وذكر الحافظ ابن حجر في شرح البخاري قال أخرج ابن أبي شيبة من طريق مرسلة قال لما نزلت والشعراء يتبعهم الغاوون جاء عبدالله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك وهم يبكون . فقالوا يارسول الله أنزل الله هذه الآية وهو يعلم أنا شعراء فقال اقرؤا ما بعدها الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنتم وانتصروا من بعد ماظلموا أنتم قال السهيلي نزلت الآية في الثلاثة وانما وردت بالابهام ليدخل معهم من اقتدى بهم وذكر الثعلبي مع الثلاثة كعب ابن زهير بغير اسناد انتهى . وقيل أوفد زياد ابنه عبد الله على معاوية رضي الله عنه فقال له أقرأت القرآن قال نعم قال أفرضت الفرائض قال نعم قال رويت الشعر قال لا فكتب الى زياد بارك الله لك في ابنك فأروه الشعر فقد وجدته كاملا واني سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول ارووا الشعر فانه يدل على محاسن الأخلاق وينفي مساويها وتعلموا الانساب فرب رحم مجهولة قد وصلت بعرفان النسب وتعلموا من النجوم مايدلكم على سبيلكم وقال أبو زياد ما رأيت أروى للشعر من عروة فقلت له ماأرواك للشعر ياأبا عبد الله فقال وما روايتي مع رواية عائشة رضي الله عنها ما كان ينزل بها شيء الا أنشدت شعرا وقال المقداد بن الاسود ما كلمت أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بشعر ولا فريضة من عائشة رضي الله عنها وعن ابن أبي مليكة قال قالت

عائشة رضي الله عنها رحم الله لبيدا اني لأروي له ألف بيت وانه أقل ما أروي لغيره وسمع كعب الأحبار من قول الحطيئة

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

فقال انه في التوراة حرف بحرف يقول الله تبارك وتعالى من يفعل الخير يجده عندي ولا يذهب الخير بيني وبين عبدي ولو لم يكن من فضائل الشعر والشعراء الا أنه من أعظم جند يجنده رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين لكفى يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لحسان رضى الله عنه والله لشعرك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام وتحفظ بيتي فيهم فقال والذي بعثك بالحق نبيا لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين ثم أخرج لسانه فضرب به أرنبة أنفه وقال والله يارسول الله انه ليتخيل لي أنه لو وضعته على حجر لفلقته أو على شعر لحلقته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيد الله تعالى حسانا بروح القدس وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لحسان لقد شكر الله قولك

جاءت سخينة كي تغالب ربها فليغلبن مغالب الغلاب

كذا زعم بعض المؤرخين قلت هذا البيت في قصيدة لكعب بن مالك أجاب به ابن الزبعري عبد الله رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وقصيدة ابن الزبعري في يوم الخندق قوله

حتى الديار محا معارف رسمها طول البلى وتراوح الأحقاب
فكأنما كتب اليهود رسومها الا الكنيف ومعقد الاطناب
قفرا كأنك لم تكن تلهو بها في نعمة بأوانس أتراب
فاترك تذكر ما مضى من عيشة ومحلة خلق المقام يباب
واذكر بلاء معاشر واشكرهمو ساروا بأجمعهم من الأنصاب
أنصاب مكة عامدين ليثرب في ذي غياطل جحفل جبجاب
يدع الحزون مناهجا معلومة في كل نشز ظاهر وشعاب
فيها الجياد شوازب مجنوبة قب البطون لواحق الاقراب
من كل سلهبة وأجرد سلهب كالسيد بادر غفلة الرقاب

جيش عيينة قاصد بلوائه ... فيه وصخر قائد الأحزاب
قرمان كالبدرين أصبح فيهما ... غيث الفقير ومعقل الهراب
حتى اذا وردوا المدينة وارتدوا ... للموت كل مجرب قضاب
شهرا وعشرا قاهرين محمدا ... وصحابه في الحرب خير صحاب
نادوا برحلتهم صبيحة قلتمو ... كدنا نكون بها مع الخياب
لولا الخنادق غادروا من جمعهم ... قتلى لطير سغب وذئاب

{ فأجابه أولا حسان بن ثابت رضي الله عنه بقوله }

هل رسم دارسة المقام يباب ... متكلم لمحاور بجواب
قفر عفارهم السحاب رسومه ... وهبوب كل مطلة مرباب
ولقد رأيت بها الحلول يزينهم ... بيض الوجوه ثواقب الأحساب
فدع الديار وذكر كل خريدة ... بيضاء آنسة الحديث كعاب
واشك الهموم الى الاله وماترى ... من معشر ظلموا الرسول غضاب
ساروا بأجمعهم اليه وألبوا ... أهل القرى و بوادي الأعراب
جيش عيينة وابن حرب فيهمو ... متخمطون بحلبة الاحزاب
حتى اذا وردوا المدينة وارتجوا ... قتل الرسول ومغنم الاسلاب
وغدوا علينا قادرين بأيدهم ... ردوا بغيظهمو على الاعقاب
بهبوب معصفة تفرق جمعهم ... وجنود ربك سيد الارباب
فكفى الاله المؤمنين قتالهم ... وأثابهم في الاجر خير ثواب
من بعد ما قنطوا ففرق جمعهم ... تنزيل نصر مليكنا الوهاب
وأقر عين محمد وصحابه ... وأذل كل مكذب مرتاب
عاتي الفؤاد موقع ذي ريبة ... في الكفر ليس بطاهر الاثواب
علق الشقاء بقلبه ففؤاده ... في الكفر آخر هذه الاحقاب

{ وأجابه كعب بن مالك رضي الله عنه ثانيا فقال }

أبقى لنا حدث الحروب بقية ... من خير نحلة ربنا الوهاب
بيضاء مشرفة الذرى ومعاطنا ... حم الجذوع غزيرة الاحلاب

كالوب يبذل جمها وحفيلها | للجار وابن العم والمنتاب
ونزائعا مثل السراح نما بها | علف الشعير وجزة المقضاب
عرى الشوى منها وأردف نحضها | جرد المتون وسائر الآراب
قودا تراح الى الصياح اذا غدت | فعل الضراء تراح للكلاب
وتحوط سائمة الديار وتارة | تردى العدا وتؤوب بالاسلاب
حوش الوحوش مطارة عند الوغا | عبس اللقاء مبينة الانجاب
علفت على دعة فصارت بدنا | دخس البضيع خفيفة الاقصاب
يغدون بالزعف المضاعف شكه | وبمترصات في الثقاف صياب
وصوارم نزع الصياقل علبها | وبكل أروع ماجد الانساب
يصل اليمين بمارن متقارب | وكلت وقيعته الى خباب
وأغر أزرق في القناة كأنه | في طخية الظلماء ضوء شهاب
وكتيبة ينفي القران قتيرها | وترد حد قوا حز النشاب
جأوى ململة كأن رماحها | في كل مجمعة صريمة غاب
تأوي الى ظل اللواء كانه | في صعدة الخطي فيء عقاب
أعيت أبا كرب وأعيت تبعا | وأبت بسالتها على الاعراب
ومواعظ من ربنا نهدي بها | بلسان أزهر طيب الاثواب
عرضت علينا فاشتهينا ذكرها | من بعد ما عرضت على الاحزاب
حكما يراها المجرمون بزعمهم | حرجا ويفهمها ذوو الالباب
جاءت سخينة كي تغالب ربها | فليغلبن مغالب الغلاب

قال ابن هشام في السيرة حدثني من أثق به قال حدثني عبد الملك بن يحيي بن عباد بن عبد الله بن الزبير قال لما قال كعب بن مالك

جاءت سخينة كي تغالب ربها | فليغلبن مغالب الغلاب

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا قال الشمس الشامي في سيرته سخينة لقب لقريش قال في الروض ذكروا ان قصيا كان اذا ذبحت قريش ذبيحة أو نحرت نحيرة بمكة أتي بعجزها فصنع منه خزيرة وهي بفتح

.الخاء المعجمة وكسر الزاى وسكون التحتية بوزن جزيرة وهي لحم يطبخ يسيرا فيطعمه الناس فسميت قريش بها سخينة وقيل ان العرب كانوا اذا أسنتوا أكلوا العلهز وهو الوبر والدم وتأكل قريش الخزيرة واللفيفة فنفست عليهم العرب بذلك فلقبوهم سخينة قال ولم تكن قريش تكره هذا اللقب ولو كرهته لما استجاز كعب أن يذكره ورسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ولتركه أدبا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ كان قرشيا ولقد استنشد عبد الملك بن مروان ما قاله الهوازني في قريش

ياشدة ما شددنا غير كاذبة على سخينة لولا الليل والحرم

فقال مازاد هذا على أن استثنى ولم يكره سماع التلقيب لسخينة فدل على أن هذا اللقب لم يكن مكروها عندهم ولا كان فيه تعيير لهم بشيء يكره قال في الزهر وفي كلامه نظر في موضعين الاول كل من تعرض لنسب أو تاريخ وشبههما فيما رأيت يزعمون أن قريشا كانت تعاب بأكل السخينة هذا الكلبي والبلاذري وأبو عبيد والمدايني وأبو الفرج وابن دريد وابن الاعرابي وأبو عبيدة ومن لا يحصى قالوا ذلك الثاني قوله ولو كرهه الخ ليس فيه دلالة على قوله لامور. الاول يحتمل أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسمع ذلك أو سمعه وأنكره ولم يبلغنا نحن ذلك . قال الشامي وهذان الامران ليسا بشيء وهو كما قال لقوله صلى الله عليه وسلم لكعب لما قال جاءت سخينة البيت شكرك الله تعالى علي قولك هذا يا كعب رواه ابن هشام أو أنه صلى الله عليه وسلم أراد نكايتهم فأغض عن ذلك لان الذي بينهم كان أشد من ذلك وقول السهيلي ولقد استنشد عبد الملك الخ فيه نظر من حيث ان المرزباني ذكر هذا الشعر لخراش بن زهير بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة وليس من هوازن في ورد ولا صدر وان عبد الملك تنازع اليه قوم من بني عامر بن صعصعة في العرافة فنظر الي فتى فيهم شعشاع فقال يافتى قد وليتك العرافة فقاموا وهم يقولون قد أفلح ابن خراش فسمعها عبد الملك فقال كلا والله لا يهجونا أبوك في الجاهلية بقوله * ياشدة ما شددنا غير كاذبة * الخ ونسودك في الاسلام فولاها غيره فهذا يدل على أنهم كانوا يكرهون هذا اللقب .

مطلب في وفود بني تميم

وقال في القاموس وسخينة كسفينة طعام رقيق يتخذ من دقيق ولقب لقريش لاتخاذها اياه وكانت تعير به انتهي . وفي السيرة النبوية على ما رواه ابن اسحاق وابن مردويه وابن سعد وغيرهم في وفود بني تميم اليه صلى الله عليه وسلم وسبب مجيئهم أخذ عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر جماعة منهم فقدم عليه صلى الله عليه وسلم عطارد بن حاجب والزبرقان وعمرو بن الأهتم وقيس بن الحارث وقيس ابن عاصم ورباح بن الحارث وغيرهم في وفد عظيم يقال كانوا سبعين أو ثمانين أو تسعين رجلا وعيينة بن حصن والأقرع بن حابس وكانا شهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحنينا والطائف فلما قدم وفد بني تميم قدما معهم فدخلوا المسجد وقد أذن بلال بالظهر والناس ينتظرون خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فعجل وفد بني تميم واستبطوه فنادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته بصوت جاف يا محمد اخرج الينا يا محمد اخرج الينا يا محمد اخرج الينا ثلاث مرات فآذي ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من صياحهم فخرج اليهم فقالوا يا رسول الله ان مدحنا زين وان شتمنا شين نحن أكرم العرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم بل مدحة الله عز وجل الزين وشتمه الشين وأكرم منكم يوسف بن يعقوب . وروي الامام احمد عن الاقرع بن حابس وابن جرير بسند جيد وأبو القاسم البغوى والطبراني بسند صحيح والترمذى وحسنه وابن ابي حاتم وابن المنذر عن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال البراء جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال الأقرع انه هو أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اخرج الينا فلم يجبه فقال يا محمد أن حمدي لزين وان ذمى لشين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك الله عز وجل انتهي . فقالوا انا أتيناك لنفاخرك فأذن لشاعرنا وخطيبنا قال قد أذنت لخطيبكم فليقل فقام عطارد بن حاجب فقال الحمد لله الذي له الفضل وهو أهله الذي جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثر عددا وأيسرهم عدة فمن مثلنا في الناس ألسنا رؤس الناس وأولى فضلهم فمن فاخرنا فليعدد مثل ما أعددنا وانا لو نشا أكثرنا ولكنا نحيا من الاكثار فيما أعطانا

وانا نقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا وأمر أفضل من أمرنا ثم جلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس أخي بني الحارث بن الخزرج قم فأجب الرجل في خطبته فقام ثابت بن قيس فقال الحمد لله الذي السموات والارض خلقه. قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه . ولم يك شيء قط الا من فضله ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا واصطفي من خير خلقه رسولا أكرمه نسبا وأصدقه حديثا وأفضله حسبا فأنزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه فكان خيرة الله من العالمين ثم دعا الناس الى الايمان به فآمن برسول الله صلي الله عليه وسلم المهاجرون من قومه وذوي رحمه أكرم الناس احسابا وأحسن الناس وجوها وخير الناس فعالا ثم كان أول الخلق اجابة واستجاب لله تعالي حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن فنحن أنصار الله ووزراء رسول الله صلى الله عليه وسلم نقاتل الناس حتي يؤمنوا بالله ورسوله فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ومن كفر جاهدناه في الله تعالى أبدا وكان قتله علينا يسيرا أقول قولى هذا وأستغفر الله تعالي لي وللمؤمنين والمؤمنات والسلام فقام الزبرقان بن بدر فقال وفي رواية فقال الزبرقان بن بدر لرجل منهم يافلان قم فقل أبياتا يذكر فيها فضلك وفضل قومك . فقال

نحن الكرام فلا حي يعادلنا ... نحن الرؤس وفينا يقسم الربع.

وكم قسرنا من الاحياء كلهمو ... عند النهاب وفضل العز يتبع

ونطعم الناس عند المحل كلهمو ... من السديف اذا لم يؤنس القزع

وفي رواية ابن اسحاق

ونحن يطعم عند القحط مطعمنا ... من الشواء اذا لم يؤنس القزع

بما تري الناس تأتينا سراتهمو ... من كل أرض هويا ثم نصطنع

فننحر الكوم عبطا في أرومتنا ... للنازلين اذا ما أنزلوا شبعوا

فلا ترانا الى حي نفاخرهم ... الا استقادوا فكانوا الرأس يقتطع

فمن يفاخرنا في ذاك نعرفه ... فيرجع القوم والاخبار تستمع

انا أبينا ولم يأبي لنا أحد ... انا كذلك عند الفخر نرتفع

وفى رواية ابن اسحاق . منا الملوك وفينا تنصب البيع . قال ابن اسحاق وكان حسان بن ثابت غائبا فبعث اليه رسول الله صلي الله عليه وسلم . قال حسان جاءني رسوله فأخبرني أنه انما دعاني لاجيب شاعر بني تميم فخرجت الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول

منعنا رسول الله اذحل وسطنا ... علي أنف راض من معد وراغم

منعناه لما حل بين بيوتنا ... بأسيافنا من كل باغ وظالم

ببيت حريد عزه وثراؤه ... بجابية الجولان وسط الاعاجم

هل المجد الا السودد العود والندى ... و جاه الملوك واحتمال العظائم

قال فلما فرغ من شعره الزبرقان . وفي سيرة ابن اسحاق قال حسان فلما انتهيت الي رسول الله صلي الله عليه وسلم وقام شاعر القوم فقال ماقال عرضت في قوله وقلت على نحو ما قال فلما فرغ الزبرقان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت رضي الله عنه قم ياحسان فأجب الرجل فقال حسان رضى الله عنه

ان الذوائب من فهر واخوتهم ... قد بينوا سنة للناس تتبع

يرضي بهم كل من كانت سريرته ... تقوي الاله وكل الخير يصطنع

قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم ... أو حاولوا النفع في اشياعهم نفعوا

سجية تلك فيهم غير محدثة ... ان الخلائق فاعلم شرها البدع

ان كان في الناس سباقون بعدهم ... فكل سبق لادني سبقهم تبع

لا يرقع الناس ماأوهت أكفهم ... عند الدفاع ولا يوهون مارقعوا

ان سابقوا الناس يوما فاز سبقهم ... أو وازنوا أهل مجد بالندى منعوا

أعفة ذكرت في الوحي عفتهم ... لايطبعون ولا يرديهم طمع

لا يبخلون على جار بفضلهم ... ولا يمسهم من مطمع طبع

اذا نصبنا لحي لم ندب لهم ... كما بدت الى الوحشية الذرع

نسمو اذا الحرب نالتنا مخالبها ... اذا الزعانف من أظفارها خشعوا

لا يفخرون اذا نالوا عدوهمو ... وان أصيبوا فلاخور ولاهلع

كأنهم في الوغى والموت مكتنع ... اسد بحلبـة في ارساغها فدع
خذ منهم ما أتوا عفوا اذا غضبوا ... ولا يكن همك الامر الذي منعوا
فان في حربهم فاترك عداوتهم ... شرا يخاض عليه السم والسلع
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم ... اذا تفاوتت الاهواء والشيع
أهدى لهم مدحتي قلب يوازره ... فيما أحب لسان حايك صنع
فانهـم أفضـل الاحياء كلهمو ... ان جد بالناس جد القول أوسمعوا

وقال ابن هشام في السيرة وحدثني بعض أهل العلم بالشعر من بني تميم أن الزبرقان ابن بدر لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد بني تميم قال

أتيناك كيما يعلم الناس فضلنا ... اذا احتفلوا عنـد احتضار المواسم
بانا فروع الناس في كل موطن ... وأن ليس في أرض الحجاز كدارم
وانا نذود المعلمين اذا انتخـوا ... ونضرب رأس الاصيد المتفاقم
فان لنـا المرباع في كل غارة ... تغـير بنجـد أو بأرض الاعاجم

(فقام حسان بن ثابت رضي الله عنه فأجابه بقوله)

هل المجد الا السؤدد العود والندي ... وجاه مـلوك واحتمال العظائم
نصرنا وآوينا النـبي محمـدًا ... على أنف راض من معـد وراغم
بحي حـريد أصـله وثراؤه ... بجابية الجولان وسط الاعاجم
نصرناه لمـا حـل وسط ديارنا ... بأسـيافنا من كل باغ وظالم
جعلنـا بنينا دونه وبنـاتنا ... وطبنا له نفسا بفيء المغـانم
ونحن ضربنا الناس حـتى تتابعوا ... على دينـه بالمرهفات الصوارم
ونحن ولدنا من قريش عظيمها ... ولدنا نبي الخـير من آل هاشم
بني دارم لا تفخروا ان فخركم ... يعود وبالا عند ذكر المكارم
هبلتم علينا تفخرون وأنتم ... لنا خول ما بين ظئر وخادم
فان كنتمو جئتم لحقن دمائكم ... وأموالكم أن تقسموا في المقاسم
فـلا تجعـلوا لله ندا وأسلموا ... ولا تلبسوا زيا كزي الاعاجم

فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله قال الأقرع بن حابس وأبي ان هذا الرجل

لمؤتي له لخطيبه أخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا ولاصواتهم أعلى من أصواتنا فلما فرغ القوم أسلموا وجوزهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسن جوائزهم فهذا رسول الله صلي الله عليه وسلم قد أقر الشعر وأمر به فهل بعد هذا يسوغ انكار . وقال الامام الحافظ ابن الجوزي في مثير العزم الساكن الي أشرف الاماكن . باب ذكر الشعراء بسوق عكاظ وتناشدهم الاشعار قال الاصمعي كان النابغة الذبياني تضرب له قبة من أدم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها فأول من أنشده الأعشي ثم حسان بن ثابت ثم أنشدته الشعراء ثم أنشدته الخنساء أبياتها التي تقول فيها .

وان صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

فقال والله لولا أن أبا بصير أنشدني آنفا لقلت انك أشعر أهل زمانك من الجن والانس فقام حسان فقال لأنا والله أشعر منها ومنك ومن أبيك فقال له النابغة حيث تقول ماذا فقال حيث اقول

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجده دما
ولدنا بني العنقاء وابني محرق فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابن ما

فقال له يابني انك قلت لنا الجفنات فقللت عددك وقلت يلمعن بالضحى ولو قلت في الدجا لكان أفخر لان الضيفان يكثرون بالليل وقللت عدد أسيافك وقلت يقطرن ولو قلت يجرين لكان أكثر للدم وفخرت بمن ولدته ولم تفخر بمن ولدك . فانظر مزيد اعتنائهم بالشعر وشدة التنقيب عليه . وقال محمد بن سالم ابن نصر بن سالم في صدر شرح قصيد الامام العلامة جمال الدين أبي عمر وعثمان بن أبي بكر المالكي المعروف بابن الحاجب في علمي العروض والقوافي وبعد فالشعر ديوان العرب وترجمان الأدب مدح به النبي صلى الله عليه وسلم وأثاب عليه وأدنى مادحيه وأمر بمناضلة مشركي قريش ومعارضتهم وهجوهم مقابلة لما تعرضوا اليه من أذى المسلمين وهجوهم وقال في حق حسان بن ثابت رضي الله عنه ان حسان مؤيد في شعره بروح القدس وقد روى أن الصديق والفاروق رضى الله عنهما كانا ينظمان الشعر وكان أمير المؤمنين علي رضى الله عنه أشعر الجماعة وروى

له شعر كثير وكذلك روى الجماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين وقال صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت رضى الله عنه ان روح القدس معك مادمت تنافح عن نبيه وقال اللهم أيده بروح القدس وقد جرى على لسان النبي صلى الله عليه وسلم عدة أبيات من غير قصد منه صلى الله عليه وسلم لنظم شيء من الشعر لمنعه منه كقوله صلى الله عليه وسلم

أنا النبي لا كذب   أنا ابن عبد المطلب

وكقوله   ما أنت الا أصبع دميت   وفي سبيل الله مالقيت

وكقوله   اللهم لاعيش الا عيش الآخره   فارحم الانصار والمهاجره

وعلى كل حال لا ينكر فضل الشعر الا جامد القريحة بلا محال والله ولي الافضال (تنبيه) قيل ان أول من نطق بالشعر آدم عليه السلام كما ذكره ابن جرير الطبرى في تفسيره عن على رضى الله عنه قال لما قتل قابيل أخاه هابيل بكي آدم عليه السلام وجزع وأسف على فقده ورثاه بشعر يعزي اليه وهو هذا الشعر فقال

تغيرت البلاد ومن عليها   ووجه الارض مغبر قبيح

تغير كل ذي طعم ولون   وقل بشاشة الوجه الصبيح

وبدل أهلها أثلا وخمطاً   بجنات من الفردوس فيح

وجاورنا عدوا ليس ينسى   لعين مايموت فنستريح

قتل قابيل هابيل أخاه   فوا أسفا على الوجه المليح

فمالي لا أجود بسكب دمعي   وهابيل تضمنه الضريح

أرى طول الحياة علي غما   وما أنا في حياتي مستريح

قلت لايخفى مافي هذا الشعر من الاقوى وهو يخالف القافية في الاعراب فان منها ماهو مرفوع ومنها ماهو مجرور . وقد أنكر كثير من العلماء نسبة هذه الأبيات لآدم عليه السلام. وقال انه ممنوع من الشعر كسائر الانبياء ونسب ذلك لابن عباس رضي الله عنهما وفي سيرة ابن هشام حدثني بعض أهل العلم بالشعر أن هذه الأبيات أول شعر قيل في العرب وأنها وجدت مكتوبة في حجر في اليمن ولم يسم لي قائلها وهي هذه

يا أيها الناس سيروا ان قصدكمو أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
حثوا المطي وأرخوا من أزمهـا قبل الممات وقضوا ماتقضونا
كنا أناساً كما كنتم فغيرنا دهر فأنتم كما كنا تكونونا

ونسبها ابن اسحاق الي عمرو بن الحارث بن مضاض الأكبر وهو صاحب الأبيات التي أولها قوله

كأن لم يكن بين الحجون الي الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأزالنا صروف الليالي والجدود العواثر
وكنا ولاة البيت من بعد نابت نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
ونحن ولينا البيت من بعد نابت بعز فما يحظى لدينا المكاثر
ملكنا فعززنا فأعظم بملكنا فليس لحي غيرنا ثم فاخر

القصيدة بطولها . وفي الاوائل أول من قصد القصائد وذكر الوقائع امرؤ القيس ولم يكن لاوائل العرب الا ابيات يقولها الرجل في حاجته وتعزيته وتاريخه وغير ذلك وأول قرن قصدت فيه القصائد وطول الشعر على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف وامتلأ الكون من الشعراء والفصحاء حتى صار الشعر كالدين يفتخرون به و ينتسبون اليه حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن المعجز فعارضوه بالشعر فأعجزهم بفصاحته وبلاغته و قطع دواعي معارضيه فلم يأتوا بمثل أقصر سورة فأعرضوا عن مصاقعة اللسان وتصدوا الى مقارعة السنان لعجزهم عن أن يأتوا بمثل أقصر سورة منه وأول من لطف المعانى في الشعر واستوقف على الطلول ووصف النساء بالظبا والمها والبيض امرؤ القيس قال علي رأيته أحسن الشعراء لانه قال مالم يقولوا وأحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة ولم يقل الشعر لرغبة ولا لرهبة وقال بعض العلماء بالشعر ان امرأ القيس لم يتقدم الشعراء ولكنه سبق الى أشياء فاستحسنها الشعراء واتبعوه فيها فهو أشعر الشعراء الجاهلية وقيل في حقه على لسان النبوة امرؤ القيس بيده لواء الشعراء كما في مزهر اللغة للسيوطي . وفي أوائل السيوطي ان أول من أرق الشعر والمراثي مهلهل بن ربيعة وهو أول من كذب في شعره ولا شك أن أشعرهم أكذبهم . وفي التوراة أبو ذيب مؤلف زورا وكان اسم شاعر بالسريانية : وقد قيل الشعراء

أربعة امرؤ القيس وطرفة والنابغة ومهلهل وأشعر الاسلاميين حسان بن ثابت والشعراء أربع طبقات جاهلي قديم ومخضرم وهو الذي أدرك الجاهلية والاسلام واسلامي ومحدث وللشعر طبقات ذكرها علماء هذا الشان في كتبهم وانما سمي شاعرا لانه يشعر بما لايشعر به غيره والله تعالى الموفق ·

وَحَظْرُ الْهِجَا وَالْمَدْحِ بِالزُّوْرِ وَالْخَنَا وَتَشْبِيبِهِ بِالْاَجْنَبِيَّاتِ أَكِّدِ

(وحظر) أى منع (الهجا) أي الشتم والذم بالشعر قال في القاموس هجاه هجوا وهجاء شتمه بالشعر (و) حظر (المدح بالزور) أي الكذب الذى لا أصل له (و) حظر المدح بـ(الخنا) اي الفحش قال في القاموس الخنوة القذرة والفرجة في الخصي وخنا خنوا فحش وأما خني كرضي وأخنى عليهم فمعناه أهلكهم والجراد كثر بيضه والمرعى كثر نباته وخنا الدهر آفاته (و) حظر (تشبيبه) أي المتشبب (بـ) النساء (الاجنبيات) المعينات والمراد بالاجنبيات هنا من لا تحل له بخلاف نسائه وامائه فلا حظر بالتشبيب بهن على المعتمد وكذا التشبيب بغير معينة كما تقدمت الاشارة اليه (أكد)الحظر والحرمة وامنع من ذلك كل المنع ولا ترخص في شيء منه

وَوَصْفُ الزِّنَا وَالْخَمْرِ وَالْمُرْدِ وَالنِّسَا الْـ فَتِيَّاتِ أَوْ نَوْحِ التَّسَخُّطِ مُورِدِ

(و) كذا (وصف) سائر المحرمات من نحو (الزنا و)وصف (الخمر) التي هي أم الخبائث (و) وصف (المرد) جمع أمرد يعني التشبيب بهم سواء كان الامرد معينا أو غير معين ورأيت في نسخة والنرد بدل المرد والمعنى صحيح فان النرد من المحرمات فوصفه والتشبيب به محظور لكن الصواب الاول بدليل قوله (والنسا الفتيات) جمع فتاة (أو نوح التسخط مورد) كذا في النسخ ولعله أورد ليستقيم الاعراب فهو أمر من أورد لورود الشرع بحظر ذلك كله · وقد تقدم كلام صاحب الفروع وغيره من أنه ان أفرط شاعر بالمدحة باعطائه وعكسه بعكسه يعني أفرط بالهجاء والمذمة بمنعه أو شبب بمدح خمر أو بمرد أو امرأة

معينة محرمة فسق لا ان شبب بامرأته أو أمته ذكره القاضي وهو المذهب جزم به في الاقناع وغيره · وفي فصول ابن عقيل والترغيب ترد شهادته كديوث والمذهب خلافه كما علم وذكر صاحب الفروع في باب التعزير عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما قال الحطيئة في الزبرقان بن بدر

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

وسأل عمر رضي الله عنه حسان ولبيدا رضي الله عنهما فقالا انه هجاه له فأمر به فأرمي في بئر ثم ألقى عليه شيئا فقال الحطيئة

ماذا تقول لأفراخ بذي مرح ... زغب الحواصل لاماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة ... فاغفر عليك سلام الله ياعمر
أنت الامام الذي من بعد صاحبه ... ألقت عليك مقاليد النهي البشر
لم يؤثروك بها اذ قدموك لها ... لكن لانفسهم كانت بك الأثر
فامنن على صبية بالرمل مسكنهم ... بين الاباطح يغشاهم بها العذر
أهلي فداؤك كم بيني وبينهم ... من عرض داوية يعمى بها الخبر

فحينئذ كلمه فيه عبد الرحمن بن عوف وعمرو بن العاص رضي الله عنهما واسترضياه حتى أخرجه من السجن ثم دعاه فهدده بقطع لسانه ان عاد يهجو أحدا · قلت والحطيئة هذا كان هجاء حتى انه روى انه هم بهجاء فلم يجد من يستحقه فقال

أبت شفتاى اليوم الا تكلما ... بسوء فما أدرى لمن أنا قائله
أرى لي وجها قبح الله خلقه ... فقبح من وجه وقبح حامله

فهجا نفسه وهجا أمه بقوله

تنحي فاجلسي عني بعيدا ... أراح الله منك العالمينا
أغربالا اذا استودعت سرا ... وكانونا على المتحدثينا
حياتك ماعلمت حياة سوء ... وموتك قد يسر الصالحينا

﴿ وهجا بعضهم امرأة فقال ﴾

لها جسم برغوث وساق بعوضة ... ووجه كوجه القرد بل هو أقبح
تبرق عيناها اذا مارأيتها ... وتعبس في وجه الجليس وتكلح

لها مضحك كالحش تحسب أنها اذا ضحكت في أوجه الناس تسلح
اذا عاين الشيطان صورة وجهها تعوذ منها حين يمسي ويصبح

وقد قال صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم من حديث عائشة رضى الله عنها هجاهم حسان فشفى واشتفي وكان يصنع له منبر يقوم عليه فيهجو من هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ومن جملة شعر حسان بن ثابت رضى الله عنه في الذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

عفت ذات الاصابع فالجواء الى عذراء منزلها خلاء
ديار من بني الحسحاس قفر تعفيها الروامس والسماء
وكانت لايزال بها أنيس خلال مروجها نعم وشاء
فدع هذا ولكن من لطيف يؤرقني اذا ذهب العشاء
لشعثاء التي قد تيمته فليس لقلبه منها شفاء
كان خبيئة من بيت راس يكون مزاجها عسل وماء
اذا ماالأشربات ذكرن يوماً فهن لطيب الراح الفداء
نوليها الملامة أن المنا اذا ما كان مغث أو لحاء
ونشربها فتتركنا ملوكا وأسدا ماينهنهنا اللقاء
عدمنا خيلنا ان لم تروها تثير النقع موعدها كداء
ينازعن الاعنة مصغيات على أكتافها الاسل الظماء
تظل جيادنا متمطرات يلطمهن بالخمر النساء
فاما تعرضوا عنا اعتمرنا وكان الفتح وانكشف الغطاء
والا فاصبروا لجلاد يوم يعين الله فيه من يشاء
وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس له كفاء
وقال الله قد أرسلت عبدا يقول الحق ان نفع البلاء
شهدت به فقوموا صدقوه فقلتم لانقوم ولا نشاء
وقال الله قد يسرت جندا هم الأنصار عرضتها اللقاء
لنا في كل يوم من معد سباب أو قتال أو هجاء

فنحكم بالقوافي من هجانا ونضرب حين تختلط الدماء
ألا أبلغ أبا سفيان عني مغلغلة فقد برح الخفاء
بأن سيوفنا تركتك عبدا وعبد الدار سادتها الاماء
هجوت محمدا وأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما فداء
هجوت مباركا برا حنيفاً أمين الله شيمته الوفاء
أمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء
فان أبي ووالدتي وعرضي لعرض محمد منكم وقاء
لسان صارم لاعيب فيه وبحرى لاتكدره الدماء

ذكر ابن اسحاق هذه القصيدة من أشعار الفتح قال ابن هشام قالها حسان قبل يوم الفتح وقال بلغني عن الزهري أنه قال لما رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء يلطمن الخيل بالخمر تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبي بكر . قلت بل قال هذا الشعر حسان رضى الله عنه قبل تحريم الخمرة فمدح الخمر ونحو الزنا بمنزلة الهجاء لانه مدح ماذمه الله وحرمه ولهذا قال النعمان بن عدى بن فضلة بن عبد العزى بن حرثان وكان قد استعمله عمر رضي الله عنه في خلافته على ميسان من أرض البصرة فقال أبياتا منها

ألا هل أتي الحسناء ان حليلها بميسان يسقي في زجاج وحنتم
اذا شئت غنتني دهاقين قرية ورقاصة تجذو على كل منسم
فان كنت ندماني فبالاكبر اسقني ولا تسقني بالاصغر المتثلم
لعل أمير المؤمنين يسوءه تناد منا في الجوسق المتهدم

فلما بلغت أبياته عمر رضي الله عنه قال نعم والله ان ذلك ليسوءني فمن لقيه فليخبره أني قد عزلته وعزله فلما قدم عليه اعتذر اليه وقال والله يا أمير المؤمنين ماصنعت شيأ مما بلغك أني قلته قط ولكني كنت امرأ شاعرا وجدت فضلا من قول فقلت فيما يقول الشعراء فقال له عمر رضي الله عنه ايم الله لاتعمل لى على عمل ما بقيت وقد قلت ماقلت ويشابه هذا ماذكره الامام الحافظ ابن الجوزى في كتابه تلقيح الفهوم عن محمد بن

عثمان السلمي عن أبيه عن جده قال بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف ذات ليلة في سكك المدينة اذ سمع امرأة تقول

هل من سبيل الى خمر فأشربها ... أم من سبيل الى نصر بن حجاج
الى فتى ماجد الاعراق مقتبل ... سهل المحيا كريم غير ملجاج
تنميه أعراق صدق حين تنسبه ... أخا وفيا عن المكروه فراج

فقال عمر رضي الله عنه لاأرى معي بالمدينة رجلا تهتف به المواتف في خدورهن علي بنصر بن حجاج فلما جيء به فاذا هو من أحسن الناس وجها وأحسنهم شعرا فقال عمر رضي الله عنه عزيمة من أمير المؤمنين لتأخذن من شعرك فأخذ من شعره فخرج وله وجنتان كأنهما شقتا قمر فقال له اعتم فاعتم فافتتن الناس بعينيه فقال عمر والله لاتساكنني في بلدة أنا فيها قال ياأمير المؤمنين ماذنبي قال هو ماأقول لك ثم سيره الى البصرة وخشيت المرأة وهي الفارعة أم الحجاج بن يوسف الثقفي أن يبدو من عمر اليها شيء فدست المرأة اليه أبياتا وهي

قل للامام الذي تخشى بوادره ... مالى وللخمر أو نصر بن حجاج
لاتجعل الظن حقا أن تبينه ... ان السبيل سبيل الخائف الراجي
ان الهوى زم بالتقوى فحبسه ... حتى يقر بالجام واسراج

قال فبكى عمر رضي الله عنه وقال الحمد لله الذى زم الهوى بالتقوى قال وطال مكث نصر بن حجاج بالبصرة فخرجت أمه يوما بين الاذان والاقامة متعرضة لعمر فاذا عمر قد خرج في ازار ورداء وبيده الدرة فقالت ياأمير المؤمنين والله لاقفن أنا وأنت بين يدي الله عز وجل وليحاسبنك أيبيتن عبد الله وعاصم الى جنبك وبيني وبين ابني الفيافي والاودية فقال لها ان ابناي لم تهتف بهما المواتف في خدورهن ثم أرسل عمر رضي الله عنه بريدا الى البصرة وعامله فيها عتبة بن غزوان فأقام أياما ثم نادى عتبة من أراد أن يكتب الى أمير المؤمنين فليكتب فان البريد خارج فكتب نصر بن حجاج بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليك أما بعد يا أمير المؤمنين

لعمري لئن سيرتني أو حرمتني ... وما نلت من عرضي عليك حرام

فأصبحت منفيا على غير ريبة   وقد كان لي بالمكتين مقام
أان غنت الذلفاء يوما بمنية   وبعض أماني النساء غرام
ظننت بي الظن الذي ليس بعده   بقاء ومالي جرمة فألام
فيمنعني مما تقول تكرمي   وآباء صدق سابقون كرام
ويمنعها مما تقول صلاتها   وحال لها في قومها وصيام
فهاتان حالانا فهل أنت راجعي   فقد جب مني كاهل وسنام

فلما قرأ عمر الكتاب قال أما ولي السلطان فلا فأقطعه دارا بالبصرة ودارا في سوقها فلما مات عمر ركب ناقته وتوجه نحو المدينة . قلت ورأيت في بعض الكتب أن سيدنا عمر رضي الله عنه لما أخرج نصر بن حجاج قال له أتمنى قتل نفسى فقال له عمر رضى الله عنه كيف قال قال الله تعالى ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه فقرن هذا بهذا فقال له عمر رضى الله عنه ما أبعدت ولكن أقول كما قال الله تعالى ان أردت الا الاصلاح ما استطعت وقد أضعفت لك العطاء ليكون ذلك عوضا لك عن خروجك من بلدك وزاد في الابيات التي كتبها نصر

وما نلت ذنبا غير ظن ظننته   وفي بعض تصديق الظنون اثام

*أان غنت الحوراء ليلا بمنية * البيت وزاد في ابيات الفارعة بنت همام

ما منية ارب فيها بضائرة   والناس من هالك فيها ومن ناجى

فضرب بها المثل فقيل أصبي من المتمنية وهي الفارعة وقيل اسمها الفريعة والله اعلم (تنبيه) حيث قلنا بحرمة الشعر الذي أفرط صاحبه بالمدحة باعطائه أو بالمذم بمنعه أو تشبب فيه بمدح خمر أو أمرد أو امرأة معينة محرمة على ما مر لم تحرم روايته كما في الفروع والمغني وغيرهما . نعم نقل صالح عن أبيه رضي الله عنه لا يعجبني أن يروي الهجاء وفي الترغيب في الوليمة تحريم الغزل بصفة المرد والنساء المهيجة للطباع والله اعلم .

وَأَوْجِبْ عَنِ ا الْمَحْظُورِ كَفَّ جَوَارِحٍ   وَنَدْبٌ عَنِ الْمَكْرُوهِ غَيْرُ مُشَدَّدِ

(وأوجب) انت اي اعتقده واجبا امتثالاً للشريعة الغراء من الكتاب القديم وسنة النبي الكريم عليه افضل الصلاة وأتم التسليم . والواجب في اللغة الساقط والثابت قال في القاموس وجب يجب وجبة سقط والشمس وجبا ووجوبا غابت والوجبة السقطة مع الهدة وصوت الساقط . وفي المصباح وجب الحق والمبيع يجب وجوبا ووجبة لزم وثبت . ومن أمثلة الثبوت أسألك موجبات رحمتك وفي الشرع ما ذم شرعا تاركه قصدا مطلقا وهذا أحسن من قولهم ما يعاقب تاركه أو ما توعد على تركه ونحوهما (عن) ارتكاب الشيء (المحظور) اي الممنوع والمراد به الحرام وهو ماذم فاعله ولو قولا أو عمل قلب شرعاً ويسمي ممنوعاً ومزجوراً ومعصية وذنبا وقبيحا وسيئة وفاحشة واثماً وحرجا وتحريجاً وعقوبة كما في شرح مختصر التحرير (كف) اي صرف ودفع ومنع يقال كففته عنه دفعته وصرفته ككففته فكف هو لازم ومتعد وفي الحديث أمرت أن لا أكف شعرا ولا ثوبا يعني في الصلاة يحتمل أن يكون بمعنى اى لا أمنعهما من الاسترسال حال السجود ليقعا على الأرض ويحتمل أن يكون بمعني الجمع أى لا أجمعهما وأضمهما كما في النهاية (جوارح) جمع جارحة وتقدم بيانها ودليل وجوب كفها عن المحظور قوله تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا . وتقدم ذكر الجوارح وصونها وكفها وانما أعاده هنا لذكره اياه مجملاً من غير تفصيل بين الحرام والمكروه اذ النهي يتناولهما كما أسلفنا الكلام عليه آنفا وأما هنا فذكر أن كفها عن المحظور واجب ككف يده عن سرقة وغصب وقتل وجرح ونحو ذلك . ولسانه عن غيبة ونميمة ولعن وقذف وبذاء وما أشبه ذلك . وفرجه عن زناء ومباضعة ومساحقة وجماع نحو زوجة في نحو حيض واستمناء . وعينه عن نظر ما لا يحل له نظره . وسمعه عن استماع المحرمات من غيبة ونحوها وكذا عن سماع الملاهي وما حرم من الغناء . وبطنه من الحرام وقلبه عن الآثام . واسترساله مع الاوهام . وكذا بقية اعضائه (و) ان كان المنهي عنه غير محظور بأن كان نهي كراهة فكف الجوارح عنه (ندب) لا وجوب وأصل الندب الدعاء لأمرمهم قال الشاعر

لا يسألون اخاهم حين يندبهم ... في النائبات على ما قال برهانا

وفي الحديث الشريف انتدب الله لمن يخرج في سبيله اي أجاب له طلب مغفرة ذنوبه والاسم الندبة مثل غرفة . والمندوب في عرف الشرع ما أثيب فاعله كالسنن الرواتب ولو قولا كاذكار الحج وغيره أو عمل قلب كالخشوع في الصلاة ولم يعاقب تاركه ويسمي المندوب سنة ومستحبا وتطوعا وطاعة ونفلا وقربة ومرغباً فيه واحسانا قال الامام العلامة ابن حمدان في مقنعه ويسمي الندب تطوعاً وطاعة ونفلا وقربة اجماعا وهذا والله أعلم بحسب اصطلاح الفقهاء والاصوليين وأما المحدثون فيخصون المسنون بما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من أقواله وأفعاله وتقريراته لاعلى سبيل الوجوب قال الامام العلامة ابن مفلح في الآداب الوسطى ويجب كف يده وفمه وفرجه وبقية اعضائه عما يحرم ويسن (عن المكروه) وهو ضد المندوب مأخوذ من الكراهة وقيل من الكريهة وهي الشدة في الحرب وفي اصطلاح أهل الشرع مامدح تاركه ولم يذم فاعله ولا ثواب في فعله وهو تكليف ومنهي عنه حقيقة وهو في عرف أصحابنا المتأخرين مع الاطلاق للتنزيه والله أعلم (غير مشدد) لأنه لايذم فاعله ولا يعاقب وان أطلق عليه بأنه مخالف ومسيء وغير ممتثل قال الامام أحمد رضوان الله عليه فيمن زاد على التشهد الأول أساء وذكر بعض الأصحاب فيما اذا وافق المأموم امامه في أفعال الصلاة أساء مع أنه لم يذم ولم يأثم نعم ذكر الامام ابن عقيل كالقاضي يأثم بترك السنن أكثر عمره لقوله عليه الصلاة والسلام من رغب عن سنتي فليس مني متفق عليه لأنه يتهم لذلك أو يوهم أن الترك سنة . واحتجا بقول سيدنا الامام أحمد رضوان الله عليه فيمن ترك الوتر أنه رجل سوء . قال في الآداب الكبرى ويجب كف يده وفمه وفرجه وبقية أعضائه عما يحرم ويسن عما يكره قال الامام ابن الجوزي هذا فيمن لم يضطر الى ذلك والاجاز قال أبو الدرداء رضي الله عنه انا لنكشر في وجوه أقوام وأن قلوبنا لتلعنهم قال ومتى قدر أن لا يظهر موافقتهم لم يجز له ذلك قال ابن الجوزي وقول أبي الدرداء هذا ليس فيه موافقة على محرم ولا فيه كلام وانما فيه طلاقة الوجه خاصة للمصلحة وهو معنى ما في الصحيحين وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها أن رجلا استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فبئس ابن العشيرة أو بئس رجل

العشيرة فلما دخل ألان له القول قلت يا رسول الله قلت الذي قلت ثم ألنت له القول قال يا عائشة ان شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودعة الناس أو تركه الناس اتقاء فحشه . قال في شرح مسلم فيه مداراة من يتقي فحشه ولم يمدحه النبي صلى الله عليه وسلم ولا أثنى عليه في وجهه ولا في قفاه انما تألفه بشيء من الدنيا مع لين الكلام . وقيل للامام العلامة ابن عقيل كما في الفنون اسمع وصية الله عزوجل يقول ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك و بينه عداوة كأنه ولي حميم . وأسمع الناس يعدون من يظهر خلاف ما يبطن منافقا فكيف لي بطاعة الله تعالى والتخلص من النفاق فقال النفاق هو اظهار الجميل وابطان القبيح واضمار الشر مع اظهار الخير لايقاع الشر والذي تضمنته الآية اظهار الحسن في مقابلة القبيح لاستدعاء الحسن قال في الآداب فخرج من هذه الجملة أن النفاق ابطان الشر واظهار الحسن لايقاع الشر المضمر ومن أظهر الجميل والحسن في مقابلة القبيح ليزول الشر فليس بمنافق لكنه يستصلح ألا تسمع الى قوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم . فهذا اكتساب استمالة ودفع عداوة واطفاء لنيران الحقائد . واستنماء الود واصلاح العقائد . فهذا طلب المودات واكتساب الرجال . وأخرج أبو داود عن أبي الدرداء مرفوعا حبك للشيء يعمى ويصم . ورواه الامام أحمد وأخرج الترمذي عن أبي هريرة رفعه أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما قال في الآداب اسناده ضعيف . وقد روى عن علي رضي الله عنه مرفوعا وموقوفا والصحيح وقفه وأنشد بعضهم

وأبغض بغيضك بغضا رويدا ... اذا أنت حاولت أن تحكما
وأحبب حبيبك حبا رويدا ... فليس يعولك أن تصرما

وقال آخر

وأحبب اذا أحببت حبا مقاربا ... فانك لا تدري متى أنت نازع
وأبغض اذا أبغضت بغضا مقاربا ... فانك لا تدري متى أنت راجع

(تتمة) التودد الي الناس مطلوب شرعا مستحسن طبعا قال تعالى ولو كنت فظا

غليظ القلب لانفضوا من حولك . وقال ادفع بالتي هي أحسن . وأخرج الطبراني وغيره عن أبي هريرة مرفوعا أفضل الاعمال بعد الايمان بالله التودد الي الناس. وعن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة والتودد الي الناس نصف العقل وحسن السؤال نصف العلم . وفي الآداب الكبرى عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مداراة الناس صدقة اسناده فيه لين والاولين ضعيف . وقال أبو سليمان الخطابي رحمه الله تعالي

مادمت حيا فدار الناس كلهمو ... فانما أنت في دار المداراة

من يدر داري ومن لم يدر سوف يرى ... عما قليل نديما للندامات

وقال زهير

ومن لايصانع في أمور كثيرة ... يضرس بانياب و يوطأ بمنسم

والمنسم الرجل استعارة وهو في الاصل للدواب وقال آخر

أدار يهمو مادمت حيا بدارهم ... وأرضيهمو ما دمت في أرضهم أسعي

وأطلب بالاخلاص لله منهمو ... خلاصا فكانوا كيف قلبتهم أفعى

وفي لامية ابن الوردي

دار جار الدار ان جار وان ... لم تجد صبرا فما أحلى النقل

﴿وقال محمد بن أبي سعيد بن شرف القيرواني رحمه الله تعالى﴾

ياثاويا في معشر ... مطالبا بثارهم

ان ترم من أحجارهم ... وأنت في أحجارهم

أوتكو من شرارهم ... على يدى شرارهم

فما بقيت جارهم ... ففي هواهم جارهم

وأرضهم في أرضهم ... ودارهم في دارهم

(وله أيضا)

ان تلقك الغربة في معشر ... قد جبل الطبع على بغضهم

فدارهم مادمت في دارهم ... وأرضهم ما دمت في أرضهم

وروي ابن أبي الدنيا مرفوعا أمرت بمداراة الناس كما أمرت بتأدية الفرائض والله تعالى الموفق

وَأْمُرْكَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ يَافَتَى عَنِ الْمُنْكَرِ اجْعَلْ فَرْضَ عَيْنٍ تُسَدَّدِ

(وأمرك) أيها المتخلق بأخلاق الشريعة. المتحقق بأوصافها النفيسة الرفيعة. الممتثل لاوامرها السديدة المنيعة . المزدجر عن زواجرها الشديدة الفظيعة. (بالمعروف) وهو اسم جامع لكل ماعرف من طاعة الله والتقرب اليه والاحسان الي الناس بكل ما ندب اليه الشرع ونهي عنه من المحسنات والمقبحات وهو من الصفات الغالبة أى أمر معروف بين الناس اذا رأوه لا ينكرونه والمعروف النصف وحسن الصحبة مع الاهل وغيرهم من الناس والمنكر ضد ذلك جميعه . وفي الحديث أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة أى من بذل معروفه للناس في الدنيا آتاه الله جزاء معروفه في الآخرة . وقيل أراد من بذل جاهه لاصحاب الجرائم التى لا تبلغ الحدود فيشفع فيهم شفعه الله في أهل التوحيد في الآخرة وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما ما معناه قال يأتي أصحاب المعروف في الدنيا يوم القيامة فيغفر لهم بمعروفهم وتبقى حسناتهم جامة فيعطونها لمن زادت سيئاته على حسناته فيغفر له ويدخل الجنة فيجتمع لهم الاحسان الي الناس في الدنيا والآخرة (والنهي) وهو ضد الامر فمن صيغ الامر أقم الصلاة صم رمضان. استعمل الخيرات. أد السنن الرواتب. ومن صيغ النهي لا تشرب الخمر. لاتقتل النفس. لاتزن. لاتلط. لا تأكلوا أموال الناس بالباطل . لاتطلق بصرك في حرم المسلمين. الى مالا نهاية (يافتي) تقدم أنه الشاب والسخي الكريم جمعه فتيان وفتوة (عن) مفارقة الشئ (المنكر) ضد المعروف (اجعل) أي إعتقد واتخذ (فرض عين) أي لازم على كل أحد بعينه والفرض في اللغة التقدير كقوله تعالي فنصف مافرضتم والتأثير كفرض الحبل الحجر قال الجوهري الفرض الحز في الشئ كالقوس موقع الوتر. والالزام ومنه قوله تعالى سورة أنزلناها وفرضناها اى أوجبنا العمل بها. والانزال كقوله تعالي ان الذى فرض عليك القرآن اي أنزله

عليك . وفي الشرع يرادف الواجب فهو ما يذم شرعا تاركه قصدا مطلقا وهو المطلوب مع جزم ثم هو قسمان فرض عين كالصلوات الخمس وصوم رمضان ونحوهما فلا يسقط عنه بفعل غيره . والقسم الثاني فرض كفاية ويأتي في كلام الناظم وقد يصير فرض الكفاية فرض عين كما نبه عليه الناظم وقوله (تسدد) مجزوم في جواب الطلب من قوله اجعل كقوله قل تعالوا أتل وقول امرىء القيس

قفا نبك من ذكري حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وتقول ائتني أكرمك أى ان تجعل أمرك بالمعروف فرض عين تسدد وانما حرك بالكسر للقافية والتسديد التقويم والتوفيق للسداد أي الصواب من القول والعمل والتوفيق خلق القدرة على الطاعة في العبد والخذلان ضدها

عَلَى عَالِمٍ بِالْحَظْرِ وَالْفِعْلُ لَمْ يَقُمْ سِوَاهُ بِهِ مَعْ أَمْنِ عُدْوَانِ مُعْتَدِ

(على عالم) متعلق بفرض عين (بالحظر) أى المنع والحرمة والجار والمجرور متعلق بعالم (والفعل) أي والحال أن الفعل (لم يقم) أى لم يقدر على الاقامة (سواه) أي غير ذلك العالم بالحظر (به) أي بالفعل الذي هو ازالة ذلك المحظور الذي هو المنكر فيه متعلق بيقم وجملة والفعل لم يقم به الخ جملة حالية وانما يجعل في حقه فرض عين حيث علم بالحظر ولم يقم به سواه ولا بد أن يكون (مع أمن) من ضرر في نفسه أو ماله أو حرمته أو أهله فان لم يوجد أمن (عدوان معتد) أى ظلم ظالم قال في القاموس عدا عليه عدوا وعدوا وعداء وعدوانا بالضم والكسر وعدوى بالضم ظلمه كتعدى واعتدى . قال في الآداب الكبرى الامر بالمعروف وهو كل ما يؤمر به شرعاً والنهي عن المنكر وهو كل ما ينهى عنه شرعاً فرض عين على من علمه جزما وشاهده وعرف ما ينكر ولم يخف سوطاً ولا عصى ولا أذى زاد في الرعاية الكبرى يزيد على المنكر أو يساويه ولا فتنة في نفسه أو ماله أو حرمته أو أهله وأطلق القاضي وغيره سقوطه بخوف الضرر والحبس وأخذ المال وأنه ظاهر نقل ابن هانئ في اسقاطه بالعصا خلافاً للمعتزلة وأبي بكر الباقلاني وأسقطه أيضاً بأخذ المال اليسير لا بالتوهم فلو قيل له لا تأمر على فلان بالمعروف فانه يقتلك

لم يسقط عنه لذلك . وقال ابن عقيل في آخر الارشاد من شروط الانكار أن يعلم أو يغلب على ظنه أنه لايفضي الى مفسدة وحكى عنه في الفروع انه قال في الفنون من أعظم منافع الاسلام وآكدقواعدالاديان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتناصح فهذا أشق مايحمله المكلف لانه مقام الرسل حيث ينقل صاحبه عن الطباع وتنفر منه نفوس أهل اللذات وتمقته أهل الخلاعة وهو احياء للسنن واماتة للبدع الى أن قال لو سكت المحقون ونطق المبطلون لتعود النشء ماشاهدوا وأنكروا مالم يشاهدوافمتى رام المتدين احياء سنة أنكرها الناس فظنوها بدعة وقد رأينا ذلك فالقائم بها يعد مبتدعا ومبدعاً كمن بني مسجدا ساذجا أو كتب مصحفا بلا زخرف أو صعد منبرا فلم يتسود ولم يدق سيف مراقي المنبر ولم يصعد على علم ولامنارة ولا ينشر علما فالويل له من مبتدع عندهم أو أخرج ميتا له بغير صراخ ولاتخريق ولا قرا ولا ذكر صحابة على النعش ولا قرابة انتهى فالبدعة صارت مألوفة . والسنن منكرة غير معروفة . فيحتاج الآمر الناهي الى مزيد صبر وتسليم . واستعانة بالعزيز الحليم . قال الامام أحمد رضى الله عنه في رواية جماعة اذا أمرت أو نهيت فلم ينته فلا ترفعه الى السلطان ليعدى عليه فقد نهى عن ذلك وقال أيضا من شرطه أن يأمن على نفسه وماله خوف التلف وكذا قال جمهور العلماء . وفي الحديث الشريف لاينبغي لمسلم أن يذل نفسه قيل كيف يذل نفسه قال يتعرض من البلاء مالا يطيق رواه الامام أحمد وابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح من حديث حذيفة مرفوعا وحكى القاضي عياض من المالكية عن بعضهم وجوب الانكار مطلقا في هذه الحال وغيرها . وفي الآداب الكبري وقيل ان زاد يعني الاذي على المنكر وجب الكف وان تساويا سقط الانكار يعني وجوبه . قال الامام ابن الجوزي فاما السب والشتم فليس بعذر في السكوت لان الآمر بالمعروف يلقي ذلك في الغالب . وظاهر كلام غيره أنه عذر لانه أذي ولهذا يكون تأديبا وتعزيزا وقد قال له يعني للامام أحمد رضى الله عنه أبو داود يشتم قال يحتمل من يريد أن يأمر وينهى لايريد أن ينتصر بعدذلك . قال الامام شيخ الاسلام قدس الله روحه الصبر على أذى الخلق عندالامر بالمعروف

والنهى عن المنكر . ان لم يستعمل لزم أحد أمرين اما تعطيل الامر والنهى واما حصول فتنة ومفسدة اعظم من مفسدة ترك الامر والنهى أو مثلها أو قريبا منها وكلاهما معصية وفساد . قال تعالى وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور . فمن أمر ولم يصبر أو صبر ولم يأمر أو لم يأمر ولم يصبر حصل من هذه الاقسام الثلاثة مفسدة وانما الصلاح في أن يأمر و يصبر وفي الصحيحين عن عبادة رضي الله عنه قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في يسرنا وعسرنا ومنشطنا ومكرهنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الامر أهله وأن نقوم أو نقول بالحق حيث ما كنا لا نخاف في الله لومة لائم (تنبيه) هل من شرط وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر رجاء حصول المقصود أولا على روايتين عن الامام أحمد رضي الله عنه نقل أبو الحارث الوجوب ونقل حنبل عكسه . قال في نهاية المبتدئين وانما يلزم الانكار اذا علم حصول المقصود ولم يقم به غيره وعنه اذا رجا حصوله وهو الذي ذكره ابن الجوزى وقيل ينكره وان أيس من زواله وخاف أذي أو فتنة . وقال في نهاية المبتدئين انما يجوز الانكار فيما لا يرجي زواله وان خاف أذى وقيل لا وقيل يجب والذى ذكره القاضى في المعتمد أنه لا يجب و يخير في رفعه الي الامام خلافا لمن قال يجب رفعه قال في الآداب واذا لم يجب الانكار فهو أفضل من تركه جزم به ابن عقيل قال القاضي خلافا لا كثرهم في قولهم ذلك قبيح ومكروه الا في موضعين (أحدهما) كلمة حق عند سلطان جائر (والثانى) اظهار الايمان عند ظهور كلمة الكفر انتهي . وقال الحافظ ابن رجب في شرح الأربعين النووية حكي القاضى أبو يعلى روايتين عن الامام أحمد في وجوب انكار المنكر على من يعلم أنه لا يقبل منه وصحح القول بوجوبه وهو قول أكثر العلماء وقد قيل لبعض السلف في هذا فقال يكون لك معذرة وهذا كما أخبر الله عن الذين أنكروا على المعتدين فى السبت أنهم قالوا لمن قال لهم أتعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون . قال الحافظ وقد ورد ما يستدل به على سقوط الامر والنهى عند عدم القبول والانتفاع به . في سنن أبي داود وابن

مطلب هل يشترط للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رجاء حصول المقصود

ماجه والترمذى عن أبي ثعلبة الخشني أنه قيل له كيف تقول في هذه الآية عليكم أنفسكم فقال أما والله لقد سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل ائتمروا بالمعروف وانتهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحا مطاعا وهوي متبعا ودنيا موءثرة واعجاب كل ذى رأي برأيه فعليك بنفسك ودع عنك أمر العوام . وفي سنن أبي داود أيضا عن ابن عمر رضي الله عنهما بينما نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ ذكرت الفتنة فقال اذا رأيتم الناس مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين أصابعه فقمت فقلت كيف أفعل عند ذلك جعلني الله فداك قال الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ بما تعرف ودع ماتنكر وعليك بأمر خاصة نفسك ودع عنك أمر العامة وكذلك روي عن طائفة من الصحابة في قول الله تعالي عليكم أنفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم . قالوا لم يأت تأويلها بعد انما تأويلها في آخر الزمان . والله ولى الاحسان . اذا علمت ماذكرت لك فعلى العالم بالحظر والفعل مع عدم القائم به غيره حيث أمن على مامر الامر بالمعروف والنهى عن المنكر

وَلَوْ كَانَ ذَا فِسْقٍ وَجَهْلٍ وَفِي سِوَى الـــذي قِيلَ فَرْضٌ بِالْكِفَايَةِ فَاحْدُدِ

(ولو كان) ذلك الشخص الآمر والناهي (ذا) أي صاحب (فسق) بأن فعل كبيرة ولم يتب منها أو أصر على صغيرة اذ ليس من شرط الامر بالمعروف والنهى عن المنكر أن يكون فاعله عدلا في المعتمد بل الامام والحاكم والعالم والجاهل والعدل والفاسق في ذلك سواء كما في الآداب الكبرى وانما أشار الناظم بلو المفيدة للخلاف خلافا لقوم اعتبروا في الآمر والناهى العدالة . قال في الآداب الكبري قال قوم لايجوز لفاسق الانكار وقال آخرون لايجوز الانكار الا لمن أذن له ولى الامر انتهى والصحيح عدم اعتبارهما . وقال الامام ابن الجوزي الكافر ممنوع من انكار المنكر لما فيه من السلطنة والعز . وقال ابن مفلح وللمميز الانكار ويثاب عليه ولا يجب . نعم ينبغى أن لا يخالف قوله فعله بل يأمر بالمعروف و يأتمر به وينهى عن المنكر وينزجر عنه . فقد أخرج البخاري ومسلم

مطلب هل يشترط للامر بالمعروف والنهى عن المنكر العدالة

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى عليه وسلم يقول يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحا فيجتمع اليه أهل النار فيقولون يا فلان مالك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر فيقول بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهي عن المنكر وآتيه . وفي رواية لمسلم قال قيل لأسامة لو أتيت عثمان فكلمته فقال انكم لترون أني لا أكلمه الا أن أسمعكم واني أكلمه في السر دون أن أفتح بابا لا أكون أول من فتحه ولا أقول لرجل ان كان علي أميرا أنه خير الناس بعد شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل وما هو قال سمعته يقول يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون يا فلان ماشأنك أليس كنت تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر فيقول كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن الشر وآتيه واني سمعته يعني النبي صلى الله عليه وسلم يقول ليلة أسري بي مررت بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء يا جبريل قال خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون قال الحافظ المنذري الأقتاب الامعاء واحدها قتب بكسر القاف وسكون الثاء وتندلق أي تخرج وروى الطبراني باسناد حسن عن جندب بن عبد الله الأزدي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه ورواه البزار من حديث أبي برزة الا أنه قال مثل الفتيلة وروى الطبراني في الكبير والبزار عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخاف عليكم بعدي كل منافق عليم اللسان . وأخرج ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه وينسى الجذع في عينه . وأنشد الامام ابن مفلح في فروعه لبعضهم

عجبت لمن يبكي على موت غيره ... دموعا ولا يبكي على موته دما
وأعجب من ذا أن يرى عيب غيره ... عظيما وفي عينيه عن عيبه عمى

﴿ وأنشد في الآداب الكبرى لابي العتاهية في ابن السماك الواعظ ﴾

ياواعظ الناس قد أصبحت متهما   اذ عبت منهم أمورا أنت آتيها
كالملبس الثوب من عرى وعورته   للناس بادية من أن يواريها
وأعظم الاثم بعد الشرك تعلمه   في كل نفس عماها عن مساويها
عرفانها بعيوب الناس تبصرها   منهم ولا تبصر العيب الذي فيها

وذكر الامام الحافظ ابن رجب في كتابه لطائف المعارف قال كان يحيى بن معاذ ينشد في مجاسه

مواعظ الواعظ لن تقبلا   حتى تعيها نفسه أولا
ياقوم من أظلم من واعظ   خالف ماقد قاله في الملا
أظهر بين الناس احسانه   وبارز الرحمن لما خلا

﴿ وأنشد لابي العتاهية قوله ﴾

وبخت غيرك بالعمى فافدته   بصرا وأنت محسن لعماكا
وفتيلة المصباح تحرق نفسها   وتضيء للاعشى وأنت كذاكا

وذكر أن في بعض الكتب القديمة السالفة اذا أردت أن تعظ الناس فعظ نفسك فان اتعظت والا فاستح مني ثم أنشد

وغير تقي يأمر الناس بالتقي   طبيب يداوى الناس وهو سقيم

﴿ وأنشد أيضا ﴾

ياأيها الرجل المقوم غيره   هلا لنفسك كان ذا التقويم
فابدأ بنفسك فانهها عن غيها   فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ماتقول ويقتدى   بالقول منك وينفع التعليم
لاتنه عن خلق وتأتي مثله   عار عليك اذا فعلت عظيم

ولما جلس عبد الواحد بن زيد الواعظ أتته امرأة من الصالحات فأنشدته

ياواعظا قام لاحتساب   يزجر قوما عن الذنوب
تنهى وأنت المريب حقا   هذا من المنكر العجيب
لوكنت أصلحت قبل هذا   عيبك أوتبت من قريب

كان لما قلت ياحبيبي موقع صدق من القلوب
تنهي عن الغي والتمادي وأنت في النهي كالمريب

قال في اللطائف قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما أريد أن آمر بالمعروف وأنهي عن المنكر فقال ان لم تخش أن تفضحك هذه الآيات الثلاث فافعل والا فابدأ بنفسك ثم تلا أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم . وقال تعالى لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون . وقوله تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه . فان قلت هذه الاخبار الصحيحة اوالآثار الصريحة تعين اعتبار عدالة الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر فالجواب أن هذا هو الاكمل والافضل ونحن نقول يجب على كل مؤمن أن يكون تقيا عدلا ولكن فلا بد للناس من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولو لم يعظ الناس الا معصوم أو محفوظ لتعطل الامر والنهي مع كونه دعامة الدين . وقد قيل . اذا لم يعظ الناس من هو مذنب . فمن يعظ العاصين بعد محمد . وروى ابن أبي الدنيا باسناد فيه ضعف عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مروا الناس بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وان لم تتناهوا عنه كله . وقيل للحسن البصري ان فلانا لا يعظ و يقول أخاف أن أقول مالا أفعل فقال الحسن وأينا يفعل ما يقول ود الشيطان أنه قد ظفر بهذا فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر . والحاصل أنه يجب على كل مؤمن مع الشروط المتقدمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولو فاسقا أو بغير اذن ولي أمر حتي على جلسائه وشركائه في المعصية وعلى نفسه فينكر عليها لأن الناس مكلفون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر * وسنذكر طرفا صالحا من الاحاديث الواردة في ذلك قريبا ان شاء الله تعالى والله أعلم . وقد ذكرنا عدم اعتبار العلم في الآمر والناهي فلذا قال الناظم رحمه الله تعالى (و) لو كان الآمر والناهي ذا (جهل) ضد العلم وهو انتفاء العلم بالمقصود و يسمى الجهل البسيط وأما الجهل المركب فهو تصور الشيء على غير هيئته لانه جهل المدرك بما في الواقع مع الجهل بأنه جاهل به كاعتقاد الفلاسفة قدم العالم * ولو كان ذا جهل بسيط عذرته * ولكنه يدلي بجهل مركب

(و) الامر بالمعروف والنهي عن المنكر (في سوى) أي في غير الامر (لذي قيل) عنه انه (فرض) أى فرض عين وهو ما اذا كان عالما بالحظر والفعل آمنا ولم يقم غيره به كما قدمناه (ب) فرض (الكفاية) وهو ما اذا قام به البعض سقط عن الباقين فالمقصود حصوله قصد اذاتيا وقصد الفاعل فيه تبع لا ذاتي ففرض الكفاية واجب على الجميع كغسل الميت فانه حق على الناس كالصلاة عليه ودفنه لا يسع عامتهم تركه واذا قام به من فيه كفايته أجزأ عنهم واذا فعله الجميع منهم كان فرضا في حق الجميع لعدم ما يقتضي تمييز بعضهم . وفرض العين أفضل من فرض الكفاية لانه أهم ولذا وجب على الاعيان وهذا المعتمد وقيل عكسه لكونه يسقط به الطلب عن نفسه وعن غيره والصحيح الاول والجار والمجرور في قول الناظم بالكفاية متعلق بقوله (فاحدد) وهو فعل أمر مبني على السكون وحرك بالكسر للقافية والحد في اللغة المنع وفي الاصطلاح الوصف المحيط بموصوفه المميز له عن غيره ولا بد من كونه مطردا وهو المانع كلما وجد الحد وجد المحدود منعكسا وهو الجامع كلما وجد المحدود وجد الحد وقد علم بما ذكرنا حد فرض الكفاية . فتحقق من كلام الناظم رحمه الله تعالى أن الامر والنهي يدوران بين فرض الكفاية وفرض العين فان علم بالمحظور وعلم بفعله ولم يقم سواه بازالته وأمن على نفسه فهو في حقه فرض عين وان علم أو أمن مع وجود من يقوم به سواه ففرض كفاية وظاهر نظامه رحمه الله أنه لا يخرج عن ذلك وهو كذلك من حيث هو هو . نعم اذا كان في حالة لا يجب الأمر والنهي بأن خاف على نفسه أو ماله أو حرمته على ما قدمنا يكون فضيلة لا واجباً وقد قدمنا كلامهم في ذلك والله أعلم (تتمة) في أحاديث وردت عن خير البشر . في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . غير ما ذكرناه فيما مر . وما سيأتي على الاثر . أخرج الترمذي وقال حسن غريب عن حذيفة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم . وأخرج ابن ماجه بسند رواته ثقات عن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحقرن احدكم نفسه قالوا يا رسول الله وكيف يحقر احدنا نفسه قال يرى أمر الله عليه فيه مقال ثم

لا يقول فيه فيقول الله عز وجل يوم القيامة ما منعك أن تقول في كذا وكذا فيقول خشيت الناس فيقول فاياي كنت أحق أن تخشي. وأخرج ابو داود عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول مادخل النقص على بني اسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ماتصنع فانه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسي بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم الى قوله فاسقون . ثم قال كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا ورواه الترمذي وحسنه ولفظه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت بنو اسرائيل في المعاصي نهاهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسي ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان متكئا فقال لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أطراً ورواه ابن ماجه عن ابي عبيدة مرسلا . قال الحافظ المنذرى ومعني تأطروهم اى تعطفوهم وتقهروهم وتلزموهم باتباع الحق انتهى وفي القاموس الاطر عطف الشئ . وفي مطالع الانوار لابن قرقول والاطر العطف ويقال منه أطرت الشيء أطره أطراً اذا عطفته وفي الحديث فيأطره على الحق أطراً انتهى . وأخرج ابو داود والترمذي وقال حسن صحيح عن سيدنا أبي بكر الصديق رضوان الله عليه قال يا أيها الناس انكم تقرؤن هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده أوشك أن يعمهم الله بعقاب ورواه ابن ماجه والنسائي وابن حبان في صحيحه ولفظ النسائي اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان القوم اذا رأوا المنكر فلم يغيروه عمهم الله بعقاب . وفي رواية لابي

داود سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون على أن يغيروا ثم لا يغيروا الا يوشك أن يعمهم الله منه بعقاب. وأخرج الامام احمد والترمذي واللفظ له وابن حبان في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس منا من لم يرحم صغيرنا و يوقر كبيرنا و يأمر بالمعروف و ينه عن المنكر. وقال أبو هريرة رضى الله عنه كنا نسمع أن الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة وهو لا يعرفه فيقول له مالك الي وما بيني وبينك معرفة فيقول كنت تراني على الخطا أو على المنكر ولا تنهاني ذكره الحافظ المنذري قال ذكره رزين ولم اره والله تعالى الموفق .

وَبِالعُلَمَا يَخْتَصُّ مَا اخْتَصَّ عِلْمُهُ بِهِمْ وَبِمَنْ يَسْتَنْصِرُونَ بِهِ قَدِ

(و بالعلما) بالاحكام. القائمين بشرائع الاسلام. الحافظين شريعة خير الأنام. عليه افضل الصلاة والسلام. من مندوب ومباح ومكروه وحلال وحرام. والجار والمجرور متعلق بقوله (يختص) من عموم وجوب الامر والنهى (ما) أي منكر (اختص علمه) أي علم ذلك المنكر (بهم) أي بالعلماء دون غيرهم قال ابن مفلح في آدابه وما اختص علمه بالعلماء اختص انكاره بهم وبمن يأمرونه به من الولاة والعوام وهو المراد بقول الناظم رحمه الله (و) يختص انكاره أيضا (بمن) أى بالذي (يستنصرون) أي يطلبون النصر (به) أي بذلك المستنصر به على ازالة المنكر بفتح الصاد المهملة يقال نصره ينصره نصرا اذا أعانه على عدوه ونصره منه نجاه وخلصه والنصير الناصر وقوله (قد) هي اسم مرادف لحسب تستعمل مبنية غالبا على السكون وتستعمل معربة قد زيد درهم بالرفع. وفي كلام الناظم مبنية على السكون وحركت بالكسر للقافية أى يختص انكاره بالعلماء أو بمن يأمرونه به من الولاة والعوام دون غيرهم . قال في الآداب ومن ولاه السلطان الحسبة تعين عليه فعل ذلك وله في ذلك ماليس لغيره كسماع البينة وذكر القاضي ليس له سماعها وان دعا الامام أعني السلطان العامة الى شيء وأشكل عليهم لزمهم سؤال العلماء فان أفتوا بوجوبه قاموا به وان أخبروا بتحريمه امتنعوا منه وان قالوا هو مختلف فيه وقال السلطان يجب لزمهم طاعته كما

يجب طاعته في الحكم ذكره القاضي . وقال الامام ابن عقيل في معتقده ومن لم يفعل يعلم أن الفعل الواقع من أخيه المسلم جائز في الشرع أم غير جائز فلا يحل له أن يأمر ولا ينهي وكذا ذكره القاضي وقد روى هذا عن سيدنا الامام أحمد رضى الله عنه قال في رواية المروذي لاينبغي للفقيه أن يحمل الناس على مذهبه ولا يشدد عليهم . و روى عنه رضى الله عنه بخلاف ذلك . قال في رواية الميموني في الرجل يمر بالقوم وهم يلعبون بالشطرنج ينهاهم و يعظهم وقال أبو داود سمعت أحمد سئل عن رجل مر بقوم يلعبون بالشطرنج فنهاهم فلم ينتهوا فأخذ الشطرنج فرمى به فقال قد أحسن . وقال في رواية أبي طالب فيمن يمر بالقوم يلعبون بالشطرنج يقلبها عليهم الا أن يغطوها و يستروها . وصلى سيدنا الامام أحمد رضى الله عنه يوما الى جنب رجل لايتم ركوعه ولاسجوده فقال ياهذا أقم صلبك وأحسن صلاتك نقله اسحاق بن ابراهيم . وذكر الشيخ رضوان الله عليه في كتابه ابطال التحليل قولهم ومسائل الخلاف لا انكار فيها ليس بصحيح فان الانكار اما أن يتوجه الى القول بالحكم أو العمل . أما الاول فاذا كان القول [illegible] سنة أو اجماعا قديما وجب انكاره وفاقا وان لم يكن كذلك فانه ينكر بمعنى بيان ضعفه عند من يقول المصيب واحد وهم عامة السلف والفقهاء . وأما العمل اذا كان على خلاف سنة أو اجماع وجب انكاره أيضا بحسب درجات الانكار كما ينقض حكم الحاكم اذا خالف سنة وان كان قد تبع بعض العلماء وأما اذا لم يكن في المسئلة سنة ولا اجماع وللاجتهاد فيها مساغ فلا ينكر على من عمل بها مجتهدا أو مقلدا وانما دخل هذا اللبس من جهة أن القائل يعتقد أن مسائل الخلاف هي مسائل الاجتهاد كما اعتقد ذلك طوائف من الناس . قال والصواب الذي عليه الائمة أن مسائل الاجتهاد مالم يكن فيها دليل يجب العمل به وجوبا ظاهرا مثل حديث صحيح لامعارض له في جنسه فيسوغ اذا عدم ذلك فيها الاجتهاد لتعارض الادلة المقاربة أو لخفاء الادلة فيها وليس في ذكر كون المسئلة قطعية طعن على من خالفها من المجتهدين كسائر المسائل التي اختلف فيها السلف وقد تيقنا صحة أحد القولين فيها مثل كون الحامل المتوفي عنها زوجها تعتد بوضع الحمل وان الجماع المجرد عن

انزال يوجب الغسل وان ربا الفضل والمتعة حرام وقال في مكان آخر رحمه الله ورضي عنه يعيد من ترك الطمأنينة ومن لم يوقت المسح نص عليه بخلاف متأول لم يتوضأ من لحم الابل فانه على روايتين لتعارض الادلة والآثار فيه فأفهمنا رضي الله عنه أنه انما يتمشي عدم الانكار في مسائل الاختلاف، حيث لم تخالف نصاً صريحاً من كتاب وسنة صحيحة صريحة واجماع قديم وأما متى خالفت ذلك ساغ الانكار وأفهم كلامه أنه متى تعارض سنتان فلا يخلو فاما أن تقارباني الصحة بحيث يسوغ العمل بها وتصلح أن تكون دليلاً أولا فان كان فهي من مسائل الاجتهاد التي لا يسوغ الانكار عليها والا ساغ الانكار فلاعب الشطرنج ينكر عليه وتارك الطمأنينة لصحة السنة في الثانية وكثرتها في الاولى والله تعالى أعلم (تنبيه) قال الامام العلامة ابن مفلح في آدابه الكبرى من التزم مذهباً أنكر عليه مخالفته بلا دليل ولا تقليد سائغ ولا عذر كذا ذكر في الرعاية هذه المسئلة وذكر في موضع آخر يلزم كل مقلد أن يلتزم بمذهب معين في الاشهر ولا يقلد غير أهله وقيل بلى وقيل ضرورة قال [illegible] رضوان الله عليه من التزم مذهباً معينا ثم فعل خلافه من غير تقليد ولا استدلال بدليل يقتضي خلاف ذلك ومن غير عذر شرعي يبيح له ما فعله فانه يكون متبعاً لهواه وعاملا بغير اجتهاد ولا تقليد فاعلا للمحرم بغير عذر شرعي وهذا منكر قال وقد نص الامام أحمد رضي الله عنه وغيره على أنه ليس لأحد أن يعتقد الشيء واجباً أو حراماً ثم يعتقده غير واجب ولا حرام بمجرد هواه مثل أن يكون طالبا لشفعة الجوار فيعتقد أنها حق له ثم اذا طلبت منه شفعة الجوار اعتقد أنها ليست بثابتة أو مثل من يعتقد اذا كان أخا مع جد أن الاخوة تقاسم الجد فاذا صار جدا مع أخ اعتقد أن الجد لا يقاسم الاخوة واذا كان له عدو يفعل بعض الامور المختلف فيها كلعب الشطرنج وحضور السماع أن هذا ينبغي أن يهجر و ينكر عليه فاذا فعل ذلك صديقه اعتقد أن ذلك من مسائل الاجتهاد التي لا تنكر فمثل هذا ممن يكون في اعتقاده حل الشيء وحرمته ووجوبه وسقوطه بحسب هواه مذموم مجروح خارج عن العدالة وقد نص الامام أحمد رضي الله عنه وغيره على أن هذا لا يجوز . وأما اذا تبين له رجحان قول على قول اما بالادلة المفصلة

مطلب فيمن التزم مذهباً وخالفه بلا دليل

ان كان يفهمها و يعلمها واما بان يرى أحد الرجلين أعلم بتلك المسئلة من الآخر وهو أتقى لله فيما يقوله فيرجع عن قول الى قول لمثل هذا فهذا يجوز بل يجب . وقد نص الامام احمد على ذلك انتهى ملخصا والله اعلم وقد رفعت فتوى للامام العلامة والقدوة الفهامة خاتمة المحققين وواسطة عقد المرجحين الشيخ علاء الدين علي بن سليمان بن احمد بن محمد المرداوي صاحب الانصاف رضي الله عنه وهي هل للحاكم الحنبلي أن يحكم في مسئلة الخلاف فيها مطلق بالصحة تارة على احدى الروايتين و بالبطلان اخرى على الرواية الثانية . أجاب رضي الله عنه أما الحكم بالتشهي فلا نعلم احدا من اصحاب الامام احمد بل ولا من غيرهم قال به فان ذلك يفضي الى الاباحة والتحريم بالتشهي وهذا لا يسوغ في دين الاسلام وانما قال العلماء في ذلك اذا كان مجتهدا وأداه اجتهاده الى شيء ساغ له العمل به ثم اذا تغير اجتهاده عمل بالثاني وأما الحكم بالتشهي فزندقة ولا يصح حكمه ولا توليته القضاء ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وبمثله أفتى الشيشيني والله اعلم

وَأَضْعَفُهُ بِالْقَلْبِ ثُمَّ لِسَانِهِ ... وَأَقْوَاهُ إِنْكَارُ الْفَتَى الْجَلْدِ بِالْيَدِ

(وأضعفه) أي أضعف مراتب الانكار يكون (بالقلب) دون اللسان واليد فان قيل أي تغيير حصل بانكار القلب . فالجواب المراد أن ينكر ذلك ولا يرضاه . ويشتغل بذكر مولاه . جل شأنه . وتعالى سلطانه . وقد مدح الله تعالى العاملين بذلك تفضلا منه وانعاما . فقال والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما فاذا كره المؤمن المنكر ونوى بقلبه أنه لو قدر على تغييره لغيره كان في قوة تغييره له فانه يجب على كل مؤمن ايجاب عين كراهة ما كرهه مولاه ومحبة ما يحبه ويرضاه . وقد قال عليه الصلاة والسلام كما في الاحاديث الصحيحة الصريحة انما الاعمال بالنيات والدين النصيحة (ثم) أرقى من الانكار بالقلب فقط الانكار (بلسانه) أي أن ينكر المنكر بلسانه بان يصيح عليهم فيتركونه أو يسلط عليهم من يغيره (وأقواه) اي اقوى مراتب الانكار (انكار الفتى) أي الشخص المؤمن (الجلد) بسكون اللام أي القوي الشديد ويقال له جليد وفي حديث عمر كان أجوف جليدا أي

مطلب في مراتب الانكار

قويا شديدا فهو صفة للفتى (باليد) متعلق بانكار الفتى وهذا مأخوذ من قول
النبي صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه
فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان رواه مسلم من حديث أبي سعيد
الخدري وروى مسلم أيضا من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال مامن نبي بعثه الله في أمة قبلي الا كان له من أمته حواريون
وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون
مالا يفعلون و يفعلون مالا يقولون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم
بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل
وأخرج الاسماعيلي باسناد ضعيف عن عمر رضوان الله عليه مرفوعا يوشك
هذه الامة أن تهلك الا ثلاثة نفر رجل أنكر بيده و بلسانه و بقلبه فان جبن
بيده فبلسانه وقلبه فان جبن بلسانه و يده فبقلبه . وأخرج الاسماعيلي أيضا
باسناد منقطع عن علي رضوان الله عليه مرفوعا ستكون بعدي فتن لا يستطيع
المؤمن فيها أن يغير بيد ولا بلسان قلت يارسول الله وكيف ذلك قال ينكرونه
بقلوبهم قلت يارسول الله وهل ينقص ذلك ايمانهم شيئا قال لا الا كما ينقص
القطر من الصفا وخرجه الطبراني بمعناه من حديث عبادة بن الصامت باسناد
ضعيف مرفوعا فهذه الاخبار ونحوها دلت على وجوب انكار المنكر بحسب
الامكان والقدرة عليه وأن الانكار بالقلب لا بد منه فمن لم ينكر قلبه المنكر
دل على ذهاب الايمان من قلبه وقد قال علي رضوان الله عليه ان أول ماتغلبون
عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم ثم الجهاد بالسنتكم ثم الجهاد بقلوبكم فمن لم يعرف
قلبه المعروف وينكر قلبه المنكر نكس فجعل أعلاه أسفله . وسمع ابن مسعود
رضي الله عنه رجلا يقول هلك من لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر فقال
ابن مسعود هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر يشير الي أن معرفة المعروف
والمنكر بالقلب فرض لا يسقط عن أحد فمن لم يعرفه هلك وأما الانكار
باللسان واليد فانما يجب بحسب الطاقة . وفي سنن أبي داود عن العرس بن عميرة
عن النبي صلي الله عليه وسلم قال اذا عملت الخطيئة في الأرض كان من

شهدها فكرهها كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها . قال الحافظ ابن رجب فمن شهد الخطيئة فكرهها بقلبه كان كمن لم يشهدها اذا عجز عن انكارها بلسانه و يده ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها وقدر على انكارها ولم ينكرها لان الرضا بالخطايا من أقبح المحرمات و يفوت به انكار الخطيئة بالقلب وهو فرض على كل مسلم لا يسقط عن أحد في حال من الاحوال فأفهمنا كلامه رضوان الله عليه بأن قولهم انكار المنكر فرض كفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقي على ما أعلمنا بأن مرادهم الانكار باليد واللسان اللذين يحصل تغيير المنكر بهما أو بأحدهما وأما الانكار بالقلب ففرض عين على كل مسلم وهذه فائدة ينبغي التفطن لها . وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم قال من حضر معصية فكرهها فكانه غاب عنها ومن غاب عنها فأحبها فكانه حضرها وهذا مثل الذى قبله . قال الحافظ فتبين بهذا أن الإنكار بالقلب فرض على كل مسلم في كل حال فهذا صريح منه بما فهمناه من كلامه وهو ظاهر لاغبار عليه لانه يجب على كل العالم انكار ما يغضب الجبار جل شأنه وتعالى سلطانه . و روي الامام أحمد وابن ماجه عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى ليسأل العبد يوم القيامة حتي يقول مامنعك اذ رأيت المنكر أن تنكره فاذا لقن الله عبدا حجته قال يارب رجوتك وفرقت الناس . وأما ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم فيقول الله مامنعك أن تقول في كذا وكذا فيقول خشية الناس فيقول اياى كنت أحق أن تخشي . وما خرجه الترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد مرفوعا ألا لا يمنعن رجلا هيبة الناس أن يقول بحق اذا علمه و بكي أبو سعيد وقال قد والله رأينا أشياء فهبنا وخرجه الامام أحمد وزاد فيه فانه لا يقرب من أجل ولا يباعد من رزق أن يقال بحق أو يذكر بعظيم فمحمولات على أن المانع له من الانكار مجرد الهيبة دون الخوف المسقط للانكار . قال شيخ الاسلام رحمه الله و رضي عنه مراده صلى الله عليه وسلم في قوله يعني في الحديث السابق ليس وراء ذلك من الايمان مثقال حبة خردل أنه لم يبق بعد هذا الانكار ما يدخل في الايمان

حتى يفعله المؤمن بل الانكار بالقلب آخر حدود الايمان ليس مراده أن من لم ينكر لم يكن معه من الايمان حبة خردل ولهذا قال وليس وراء ذلك فجعل المؤمنين ثلاث طبقات فكل منهم فعل الايمان الذى يجب عليه قال وعلم بذلك أن الناس يتفاضلون في الايمان الواجب بحسب استطاعتهم مع بلوغ الخطاب اليهم انتهى كلامه وقال المروذى قلت لابي عبدالله رضي الله عنه كيف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال باليد واللسان وبالقلب وهو أضعف قلت كيف باليد قال يفرق بينهم . ورأيت أباعبد الله مر على صبيان الكتاب يقتتلون ففرق بينهم . وقال في رواية صالح التغيير باليد ليس بالسيف والسلاح قال القاضي وظاهر هذا جواز الانكار باليد اذا لم يفض الى القتل والقتال وينكر على من ترك ما يلزمه فعله بلا عذر زاد في نهاية المبتدئين بلا عذر ظاهر وجب الانكار عليه وينكر على من ترك الانكار المطلوب مع قدرته عليه ولا ينكر بسيف الا مع سلطان وقال الامام ابن الجوزي الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه اشهار سلاح أو سيف يجوز للآحاد بشرط الضرورة والاقتصار على قدر الحاجة فان احتاج الى أعوان يشهرون السلاح فلابد من اذن السلطان على الصحيح لئلا يؤدى الى الفتن وهيجان الفساد والمحن (تنبيهات الاول) اعلم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر تارة يحمل عليه رجاء ثوابه وتارة خوف العقاب في تركه وتارة الغضب لله على انتهاك محارمه وتارة النصيحة للمؤمنين والرحمة لهم ورجاء انقاذهم مما أوقعوا انفسهم فيه من التعرض لغضب الله وعقوبته في الدنيا والآخرة وتارة يحمل عليه اجلال الله واعظامه ومحبته وأنه أهل أن يطاع فلا يعصي . ويذكر فلا ينسي . ويشكر فلا يكفر . وأن يفتدى من انتهاك محارمه بالنفوس والاموال كما قال بعض السلف وددت أن الخلق كلهم أطاعوا الله وأن لحمي قرض بالمقاريض وتقدم . فمن لحظ هذا المقام . هان عليه ما يلقي من الآلام . وربما دعا لمن آذاه . لكون ذلك في الله . كما دعا النبي صلى الله عليه وسلم لما ضربه قومه فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون (الثاني) الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في ترك الواجب وفعل المحرم واجب . وفي ترك المندوب وفعل المكروه مندوب . قاله ابن عقيل في آخر الارشاد وقاله غيره أيضا كما في الآداب فمن القبيح ما يصلح من كل مكلف على وجه دون وجه كالرمي بالسهام

تنبيهات مهمة

واتخاذ الحمام والعلاج بالسلاح لان تعاطى ذلك لمعرفة الحرب والتقوى على العدو
وليرسل على الحمام الكتب والمهات لحوائج السلطان والمسلمين حسن لايجوز انكاره
وان قصد بذلك الاجتماع على السخف واللهو ومعاشرة ذوي الريب والمعاصي فذلك
قبيح يجب انكاره . وقد سئل ابن عقيل رحمه الله ورضي عنه عن حبس الطير لطيب
نغمتها فقال طيب الله ثراه سفه وبطر يكفينا أن نقدم على ذبحها للاكل فحسب
لان الهواتف من الحمام ربما هتفت نياحة على الطيران وذكر فراخها أفيحسن بعاقل
أن يعذب حيا ليترنم فيلتذ بنياحته فقد منع من هذا أصحابنا وسموه سفها انتهى .
وأقول لايخفى على عاقل أن أكثر ترنم الطيور على تذكرها الفها من الاماكن الشاسعة
والاغذية الناصعة . والقرين المصافي . والماء العذب الصافي . والاطلاق الرحيب .
ومخالطة الحبيب . مع الوكر المشتهى لديها . والاغصان والمكوف عليها . ويعجبني من
ذلك أن أعرابيا حبس في قلعة جلق المحروسة فضاق به الخناق . وبلغت منه الروح
التراق . فدخلت الى عند المحابيس وكان في الحبس اثنان من الدبرة فقال لي الاعرابي
ياسيدى أنا أقول قاتل الله حابس الطير في الاقفاص فانه لشجوه وغرمه يترنم
والحابس له بشجوه وعذابه وبلباله يتنعم . ولو عرف ما في جوفه من اللهيب الناشىء
عن فراق الالف الحبيب والمكان الرحيب . لكان الى البكا والوصب . أقرب
منه الى التنعم والطرب . ولكن هان على الخلي . ما يلقى الملي . فقلت له ومن أين عرفت
أنت هذا فقال قسته على نفسي . وشبهت حبسه بحبسي . بجامع أن كلامنا نشأ في
الفلاة الواسعة . والاقطار الشاسعة . فانظر حال هذا الاعرابي مع جفائه وغباوته .
وعدم مخالطته لذوى العلوم وقلة درايته . كيف أدرك هذا المدرك . تجده قد أصاب
في قياسه وأدرك . والله تعالى أعلم (الثالث) لاينبغي لأحد أن ينكر علي سلطان
الا وعظا وتخويفا له أو تحذيرا من العاقبة في الدنيا والآخرة فيجب . قال القاضي
ويحرم بغير ذلك . قال ابن مفلح والمراد ولم يخف منه بالتخويف والتحذير والا
سقط وكان حكم ذلك كغيره . قال حنبل اجتمع فقهاء بغداد في ولاية الواثق
الى أبي عبد الله وقالوا له ان الامر قد تفاقم وفشا يعنون اظهار القول بخلق القرآن
وغير ذلك ولا نرضى بامارته ولا سلطانه فناظرهم في ذلك وقال عليكم بالانكار

بقلوبكم ولا تخلعوا يدا من طاعة ولا تشقوا عصا المسلمين ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين معكم وانظروا في عاقبة أمركم واصبروا حتى يستريح بر و يستراح من فاجر وقال ليس هذا يعنى نزعهم أيديهم من طاعته صوابا هذا خلاف الآثار. وقال المروذي سمعت أبا عبد الله يأمر بالكف عن الامراء و ينكر الخروج انكارا شديداً . وقال في رواية اسماعيل بن سعيد الكف أي يجب الكف لانا نجد عن النبي صلى الله عليه سلم ما صلوا فلا أي فلا تنزع يد طاعتهم مدة دوامهم يصلون خلافا للمتكلمين في جواز قتالهم كالبغاة وفرق القاضي بينهما من جهة الظاهر والمعنى أما الظاهر فان الله تعالى أمر بقتال البغاة بقوله تعالي . وان طائفتان الآية وفي مسألتنا أمر بالكف عن الأئمة بالاخبار المذكورة وأما معنى فان الخوارج يقاتلون بالامام وفى مسألتنا يحصل قتالهم بغير امام انتهى قال الامام عبد الله بن المبارك رضى الله عنه

ان الجماعة حبل الله فاعتصموا منه بعروته الوثقي لمن دانا
كم يدفع الله بالسلطان معضلة في ديننا رحمة منه ودنيانا
لولا الخلافة لم تأمن لنا سبل وكان أضعفنا نهبا لاقوانا

وفي وصية عمرو بن العاص لابنه يا بنى احفظ عني ما أوصيك به امام عدل خير من مطروبل . وأسد حطوم خير من امام ظلوم . وامام ظلوم غشوم خير من فتنة تدوم قال الامام الحافظ ابن الجوزي الجائز من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع السلاطين التعريف والوعظ فأما تخشين القول نحو يا ظالم يامن لا يخاف الله فان كان ذلك يحرك فتنة يتعدى شرها الى الغير لم يجز وان لم يخف الا على نفسه فهو جائز عند جمهور العلماء . قال والذي أراه المنع من ذلك لان المقصود ازالة المنكر وحمل السلطان بالانبساط عليه أي حمله السلطان على أن يبسط يده في التعدى عليه أكثر من فعل المنكر الذي قصد ازالته . وقد قال سيدنا الامام أحمد رضي الله عنه لا يتعرض بالسلطان فان سيفه مسلول وعصاه فأما ماجرى للسلف من التعرض لامرائهم فانهم كانوا يهابون العلماء فاذا انبسطوا عليهم احتملوهم في الاغلب ولاحمد رضي الله عنه من حديث عطية السعدي رضي الله عنه اذا استشاط السلطان

تسلط عليه الشيطان . وفي مسند البزار بسند فيه جهالة عن سيدنا أبي عبيدة بن الجراح رضوان الله عليه قال قلت يا رسول الله أي الشهداء أكرم على الله قال رجل قام الى امام جائر فأمره بمعروف ونهاه عن منكر فقتله . قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى وقد روى معناه من وجوه أخر كلها فيها ضعف (وأخرج) أبو داود وابن ماجه والترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر وخرج ابن ماجه معناه من حديث أبي امامة . قلت قد سنح في خلدي أن أذكر هنا قصة صدرت من سيدنا الامام الهمام شمس الدين قاضي القضاة أبو اسحاق ابراهيم ابن قاضي القضاة شمس الدين بن مفلح الراميني الاصل ثم الدمشقي ولد صاحب الفروع . وذلك أن تيمور كوركان ويقال له تمرلنك لما فعل بالشام وأهلها ما فعل . وعم بظلمه البر والبحر والسهل والجبل . وكان قد طلب الصلح . واجتمع به أئمة الاسلام وأظهر الحلم والصفح . وكان عبد الجبار المعتزلي امامه . وهو الذي يملك زمامه . يناظر علماء السنة بحضرة تيمور . ولا يمكنهم الجواب عن أكثر الامور . فطلب من العلماء كتابة سؤال يتوصل به الى الانكار والضلال وهو أن يكتبوا ويختموا الكتاب . بان فضيلة النسب مقدمة على فضيلة العلم بلا ارتياب . فتقاعسوا وأحجموا . وعن الجواب وجموا . وعلم كل منهم أنه قد ابتلى . فابتدر بالجواب الامام شمس الدين الحنبلي . فقال درجة العلم أعلى من درجة النسب . ومرتبتها عند الخالق والمخلوق أسنى الرتب . والهجين الفاضل يقدم على الهجان الجاهل والدليل في هذا جلي . وهو اجماع الصحابة على تقديم أبي بكر على علي . وقد أجمعوا أن أبا بكر أعلمهم . وأثبتهم قدما في الاسلام وأقدمهم . واثبات هذه الدلالة . من قول صاحب الرسالة لا تجتمع أمتي على ضلالة . ثم أخذ القاضي شمس الدين في نزع ثيابه . مصيخاً لتيمور وما يصدر من جوابه . ففكك أزراره . وقال لنفسه انما أنت اعارة . وكاس الموت لا بد من شربها . فسواء ما بين بعدها وقربها . والموت على الشهادة . من أفضل العبادة . وافضل احوالها لمن علم أنه الى الله صائر . كلمة حق عند سلطان جائر . فقال له تيمور ما حملك على نزع ثيابك . فقال

له الشيخ بذلا لنفسي في سبيل الله صابرا لعقابك. فقال له قد وسعك حلمنا. فلا تعدم سلمنا. فقال له أيها السلطان الجليل. حيث مننت بالحلم على هذا العبد الذليل. فليكن الأمان مصحوباً بالتفضيل. من صولة بعض العسكر الذي عدة ملله تفوق على أمم بني اسرائيل. ففيهم من ابتدعوا بدعاً. وقطعوا في مذاهبهم قطعاً. ومزقوا دينهم وكانوا شيعا. ولاشك أن مجالس حضرتك تنقل. وتخص في سر يأنها وتشمل: واذاثبت هذا الجواب عني. ووعاه أحد عن شئ خصوصا من ادعي موالاة علي. و يسمي في رفضه من والى أبا بكر بالناصبي. وتحقق مني يقيني. وانه لا ناصر لي يقيني فانه يقتلني جهارا. و يريق دمي نهارا. واذا كان كذلك فأنا أستعد لهذه السعادة. وأختم أحكام القضاء بالشهادة. فقال له تيمور لله درك ما افصحك وأنصرك لمقالتك وأنصحك فأمر بجماعة يشيعونه. و يحرسونه من أعدائه في ذهابه لداره و يحفظونه. فأحاطت به الجند احاطة الهالة بالقمر. وصاروا حوله كالسور حول المسور. ومع هذا فقدو كزه بعض الطغام. من تلك العساكر الرعاع الغشام. فكان ذلك سبباً لحصول السعادة. فجري ما جرى وختم الله عمله بالشهادة. وقد أشار الى هذه القصة ابن عرب شاه في تاريخ تيمور والشيخ العليمي في المقصد الاحمد. تراجم أصحاب الامام احمد. رضوان الله تعالى عليهم اجمعين. ولما وعظ الامام الحافظ ابن الجوزي الخليفة المستضيء بأمر الله سنة اربع وسبعين وخمسمائة قال له رحمه الله تعالى لو أني مثلت بين يدي السدة الشريفة لقلت يا أمير المؤمنين كن لله سبحانه مع حاجتك اليه كما كان لك مع غناه عنك انه لم يجعل احدا فوقك. فلا ترضى أن يكون احد أشكر له منك فتصدق بصدقات وأطلق محبوسين. ووعظ ايضاً في السنة المذكورة والخليفة حاضر فبالغ في وعظ أمير المؤمنين. فما حكاه له أن الرشيد قال لشيبان عظني فقال يا أمير المؤمنين لأن تصحب من يخوفك حتى تدرك الأمن خير لك من أن تصحب من يؤمنك حتى تدركك الخوف قال فسر لي هذا قال من يقول لك انت مسؤل عن الرعية فاتق الله أنصح لك ممن يقول لك أنتم أهل بيت مغفور لكم وأنتم قرابة رسول الله نبيكم فبكي الرشيد حتى رحمه من حوله فقلت له في كلامي يا أمير المؤمنين ان تكلمت خفت منك وان سكت خفت عليك وانا

أقدم خوفي عليك على خوفي منك انتهى . وفي مثير العزم الساكن . الى أشرف الاماكن . لابن الجوزي انه لما حج هارون الرشيد وعظه عبد الله بن عبد العزيز العمري قال سعيد بن سليمان كنت بمكة في زقاق الشبطوي والى جنبي عبد الله بن عبد العزيز العمرى وقد حج هارون الرشيد فقال له انسان يا عبد الله هو ذا أمير المؤمنين يسعى . قد أخلى له المسعى . قال العمري للرجل لاجزاك الله عني خيرا كلفتني امرا كنت عنه غنياً ثم تعلق نعليه وقام فتبعته فأقبل هارون الرشيد من المروة يريد الصفا فصاح به يا هارون فلما نظر اليه قال لبيك يا عم قال ارق الصفا فلما رقيه قال ارم بطرفك الى البيت قال قد فعلت قال كم هم قال ومن يحصيهم قال فكم في الناس مثلهم قال خلق كثير لا يحصيهم الا الله قال اعلم ايها الرجل أن كل واحد منهم يسأل عن خاصة نفسه وانت وحدك مسؤل عن الجميع فانظر كيف تكون قال فبكي هارون وجلس وجعلوا يعطونه منديلا منديلا للدموع قال العمرى وأخرى أقولها قال قل ياعم قال والله ان الرجل ليسرع في ماله فيستحق الحجر عليه فكيف بمن أسرع في أموال المسلمين ثم مضي وهارون يبكي . وذكر في الكتاب المذكور أن هارون الرشيد كان يقول والله اني لأحب الحج كل سنة ما يمنعني الا رجل من ولد عمر ثم يسمعني ماأكره والله أعلم

(الرابع) لابد لوجوب الانكار أن يكون صاحب المعصية مجاهرا وأما من تستر واختفى فلا يجسس عليه ويأتي في كلام الناظم وتذكر أحكام ذلك ثم ان شاء الله تعالي . ولا ينكر على غير مكلف الا تأديباله وزجرا قال الامام ابن الجوزي المنكر أعم من المعصية وهو أن يكون هو محذور الوقوع في الشرع فمن رأي صبيا أو مجنونا يشرب الخمر فعليه أن يريق خمره ويمنعه وكذلك عليه أن يمنعه من الزنا انتهى . قال المروذى للامام أحمد فالطنبور الصغير يكون مع الصبي قال يكره أيضا اذا كان مكشوفا فاكسره وقال شيخ الاسلام في الكلام علي حديث ابن عمر أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم وسمع زمارة راع وسد أذنيه قال لم يعلم أن الرقيق كان بالغا فلعله كان صغيرا دون البلوغ والصبيان رخص لهم في اللعب مالم يرخص فيه لبالغ انتهي كلامه . قال في الآداب وذكر الاصحاب وغيرهم أن

سماع المحرم بدون استماعه وهو قصد السماع لا يحرم . وذكره الشيخ تقي الدين أيضاوزادباتفاق المسلمين قال وانما سد النبي صلى الله عليه وسلم أذنيه مبالغة في التحفظفسن بذلك أنّ الامتناع من أن يسمع ذلك خير من السماع ولى كلام ابن الجوزى أشار الناظم رحمه الله تعالى بقوله

وَأَنْكِرْ عَلَى الصِّبْيَانِ كُلَّ مُحَرَّمٍ ... لِتَأْدِيبِهِمْ وَالْعِلْمِ فِي الشَّرْعِ بِالرَّدِي

(وأنكر) أيها المكلف المتبع الاوامر الشرعيـة . العالم بأحكامها الفرعية . (على الصبيان) جمع صبي هو الصغير أعني الذى لم يبلغ سن التكليف هذا مراده . قال في القاموس الصبي من لم يفطم . وقال في كتاب كفاية المتحفظ الولد مادام في بطن أمه فهو جنين فاذا ولد يسمى صبيا فاذا فطم يسمي غلاما الى سبع سنين ثم يصير يافعا الي عشر ثم حزورا الى خمسة عشر ثم يصير قمدا الى آخر كلامه . فظاهر كلام أهل اللغة أن الصبي من لم يفطم بعد ولكن ليس مرادا في كلام الناظم بل المراد من لم يبلغ حد سن التكليف . وفي حديث أنه صلى الله عليه وسلم رأى حسنا يلعب مع صبوة في السكة والصبوة والصبية جمع صبى . ومعلوم أن الذين يلعبون أكبر من الذين يرضعون (كل) فعل وقول (محرم) في نفسه وان لم يكن الفاعل آثما فان الصبي الذى ليس بمكلف لا اثم عليه وانما ينكر عليهم ذلك (لا)أجل (تأديبهم) وزجرهم عن ملابسة ماحرمه الله تعالي ولا فرق بين كون الصبيان ذكورا أو اناثا (و)لاجل (العلم في الشرع) بفتح الشين المعجمة والشريعة الدين وهو ماشرعه الله لعباده ومثله الشرعة بالكسر سمي بذلك لظهوره ووضوحه وطريق شارع مسلوك وقد شرع الله الدين أوضحه و بينه والشريعة مورد الماء فالمراد بالشرع هنا المشروع من الله سبحانه وتعالي على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فيستحب الانكار عليهم لذلك يعنى لتأديبهم وللعلم أن هذا في الشرع (با) لفعل (الردي) أي القبيح الذي لاينبغى أن يقر عليه فاعله ولو غير مكلف فاذ اعلموا ذلك وقر قبحه في صدورهم فلم يفعلوه . وقد صرح الحجاوي رحمه الله تعالى بأن انكار ذلك على أولئك مستحب ولفظه يستحب

الانكار على الاولاد الذين دون البلوغ سواء كانوا ذكورا أو اناثا تأديبا لهم وتعليما قال الاصحاب لا ينكر على غير مكلف الا تأديباً له وزجرا انتهى . وظاهر كلام الامام ابن الجوزي ان الانكار واجب كما قدمنا فان قوله فعليه أن يريق خمره ويمنعه وكذلك عليه ان يمنعه من الزنا ظاهر في الوجوب كما لا يخفى وهذا والله اعلم أظهر حيث توفرت الشروط المتقدمة والله اعلم . قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا . قال سيدنا الامام علي رضوان الله عليه أدبوهم وعلموهم قال ابن سيرين كانوا يقولون أكرم ولدك وأحسن أدبه وقال الحسن التعلم في الصغر كالنقش في الحجر . وقال لقمان ضرب الوالد للولد كمطر السماء للزرع وكان يقال الادب من الآباء والصلاح من الله تعالى . وكان يقال من أدب ابنه صغيرا قرت عينه به كبيرا (تنبيـه) قد صرح علماؤنا في الفقه بأن على ولي الصبي أن يأمره بالصلاة لسبع ويجب عليـه ضربه على تركها لعشر فهـذا صريح في الوجوب . ويجب عليـه أيضـاً أن يعلمه ما يجب عليـه علمـه أو يقيم له من يعلمه ذلك . وفي كلام الشافعي وذكره أصحابنا أيضا يجب على الاب وسائر الاولياء تعليم الابن ما يحتاجه لدينه لحديث ابن عمران لولدك عليك حقا رواه مسلم . وقال القاضي من أئمتنا ومما يجب انكاره ترك التعليم والتعلم لما يجب تعليمه وتعلمه نحو ما تعلق بمعرفة الله وبمعرفة الصلاة وجملة الشرائع وما يتعلق بالفرائض ويلزم النساء الخروج لتعلم ذلك وأوجب على الامام أن يتعاهـد المعلم والمتعـلم لذلك ويرزقهما من بيت المال لأن في ذلك قواما للدين فهو أولى من الجهاد لأنه ربما نشأ الولد على مذهب فاسد فيتعذر زواله من قلبه انتهي . وقد نص فقهاؤنا على انه يحرم على الولي تمكين الصغير من لبس ثوب حرير ونحوه وكذا من فعل كل محرم . فعلى كل حال متى توفرت الشروط وجب الانكار على الصغير والمجنون لان ذلك يستحب كما قال الحجاوي والله تعالى أعلم

وَانْ جَهَرَ الذِّمِيُّ بِالْمُنْكَرَاتِ فِي الشَّرِيعَةِ يُزْجَرُ دُونَ مُخْفٍ بِمَرْكَدِ

(وان جهر) أي أظهر وأبان غير مستتر قال في القاموس جهر كمنع علن والكلام وبه أعلن

كاجهر والصوت أعلاه وقوله تعالى أرنا الله جهرة أي عيانا غير مستتر (الذمى) فاعل جهر ونسبته الى الذمة بمعنى العهد والامان وتفسر الذمة بالضمان أيضا ومنه قولهم في ذمتى أي ضمانى والجمع ذمم وهم من جوزنا عقد الذمة لهم من اليهود والنصاري والمجوس لأن لهم شبهة كتاب والسامرة من اليهود والافرنج فرقة من النصارى (بالمنكرات) من المحرمات (في الشريعة) المطهرة وأل فيها للعهد الذهنى أي فى شريعتنا التى شرعها الله سبحانه على لسان نبينا صلى الله عليه وسلم وجمعها شرائع (يزجر) أي يمنع يقال زجرته من باب قتل منعته فانزجر وازدجر ازدجارا والاصل ازتجر على افتعال يستعمل لازما ومتعديا وتزاجروا عن المنكر منع بعضهم بعضا وزجره أى حثه وحمله على السرعة وفهم منه انه اذا لم يجهر بالمنكرات في شريعتنا بل أخفاها وسترها أنه لا يزجر وقد صرح بهذا المفهوم بقوله (دون) أى غير ومن اتيان دون بمعنى غير قوله صلى الله عليه وسلم ليس فيما دون خمس أواق صدقة أي في غير خمس اواق صدقة كما في القاموس وتكون دون بمعنى سوى أي سوى (مخف) اسم فاعل من أخفي يخفي فهو مخف فان لم يجهر الذمى بفعل المنكرات أو قولها بأن فعلها (بمركد) أي بموضع سكون يعنى في نحو بيته يقال ركد الماء ركودا من باب قعد سكن قال في القاموس الركود السكون والثبات فمعني مركد مسكن قال في الآداب الكبرى اذا فعل أهل الذمة أمرا محرما عندهم غير محرم عندنا لم نعرض لهم أوندعهم وفعلهم سواء أسروه أوأظهروه وهذا يفهم من النظم فانه حصر الزجر في فعل محرم في الشريعة الغراء بقيد الظهور ويبقي اذا فعلوا محرما عندهم دون شريعتنا ولو ظاهرا أوفى شريعتنا وكان خفية سواء كانوا يعتقدون حرمته أولا وأما اذا فعلوا محرما في شرعنا مجاهرين به وجب انكاره سواء اعتقدوا حله أولا وأما اذا فعلوا ما يعتقدون حرمته وهو في شرعنا غير محرم لم ننكر عليهم ولو ظاهرا لأن الله سبحانه وتعالى منعنا من قتالهم والتعرض لهم اذا التزموا الجزية والصغار وهو جريان أحكام المسلمين وأيضا فالقصد بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر اقامة أمر الاسلام وهو حاصل لا لأمر دينهم المبدل المغير وأما ان فعلوا أمرا محرما عندنا فما فيه ضرر أوغضاضة على المسلمين يمنعون منه ويدخل فيه نكاح مسلمة

يعني اصابتها باسم النكاح و ينتقض عهده بذلك ولعل هذا يجب البحث عنه حيث
بلغه أن في المحل الفلاني تزوج نصراني بمسلمة • وقد وقع في حدود اثنين وأربعين
ومائة وألف ان رجلا من اخواننا ذكر لى قصة على سبيل المذاكرة فاذا فيها ان
رجلا كان نصرانيا فأسلم والحال أن له بنية دون البلوغ فلما بلغت البنت تزوجها
نصراني ظنا منهم أنها لم يحكم باسلامها تبعا وذلك أن الرجل قال لى كنت في البلد الفلانية
فاذا بفلان النصراني متزوج بابنة فلان الذى أسلم وهي صغيرة جدا وزوجها كبير
فتعجبت كيف قعدت له فتثبت في القضية فاذا هي جلية فركبت لبعض ولاة أمور الدين
و ركبت عدة خيالة من أتباعه في طلب أبي البنت و زوجها والخوري والبنت فهرب
الزوج والخوري وأتي الاب معتذرا فحرجت عليه أن لا يمكن الخبيث من ابنته
والا أجريت عليه وعليها ما يستحقانه فذهب الزوج على وجهه ثم قصد بعض
شيوخ الاسلام فكتب له ورقة تتضمن الرفق به وأن هذا يسامح بمثله لكون
النصراني أنهي للشيخ غير الواقع فلم أنظر الي ذلك وصممت على أن الرجل
لا بد له من أحد أمرين اما الاسلام واما القتل ففر ومكث مدة فضاقت عليه
الارض بما رحبت فما شعرت الا والرجل أتاني مسلما فأعاد النكاح وخرج من عامه
لحج بيت الله الحرام و زيارة نبيه عليه الصلاة والسلام والله تعالى أعلم • وما أظهروه
من المحرمات في شرعنا تعين انكاره عليهم فان كان خمراً جازت اراقته وان أظهروا
صليبا أو طنبورا جاز كسره وان أظهروا كفرهم أدبوا على ذلك و يمنعون من اظهار
ما يحرم على المسلمين كما في المغني وابن رزين و يمنعون مما تتأذي به المسلمون كاظهار المنكر
من الخمر والخنزير والاعياد والصلبان والناقوس وكذا من اظهار بيع مأكول في نهار
رمضان كالشواء وكذا اذا تبايعوا بالربا في سوقنا منعوا لانه عائد بفساد تقدنا قاله
للقاضي فظاهره عدم المنع في غير سوقنا واستظهر في الآداب منعهم مطلقا لأنهم
كالمسلمين في تحريم الربا عليهم وقال شيخ الاسلام يمنعون من الاكل والشرب
في نهار رمضان بين أظهر المسلمين لان هذا من المنكرات كما ينهون عن شرب الخمر
وأكل الخنزير وان تركوا التميز عن المسلمين في احد أربعة أشياء لباسهم وشعورهم
و ركوبهم وكناهم ألزموا به • نعم لا يمنعون من نكاح محارمهم بشرطين (الاول)

أن يعتقدوا حل ذلك (الثاني) أن لا يرتفعوا الينا وان لم يعتقدوا حله منعوا منه لانه ليس من دينهم فلا يقرون عليه كالزنا والسرقة لان تحريمه عندنا مع اعتقادهم تحريمه يصيره منكرا فيتناوله أدلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولأنهم التزموا الصغار وهو جريان أحكام المسلمين عليهم الا فيما اعتقدوا اباحته والله تعالى أعلم ولما ذكر الناظم وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنه تارة يكون فرض عين وتارة فرض كفاية و بين من ينكر عليه وما ينكر شرعا ومن ينكر كما قدمنا بيانه أعقب ذلك بكيفية الانكار فقال

وَبِالْأَسْهَلِ ابْدَأْ ثُمَّ زِدْ قَدْرَ حَاجَةٍ ... فَانْ لَمْ يَزُلْ بِالنَّافِذِ الْأَمْرِ فَاصْدُدِ

(و بالاسهل) أى الالين من السهل ضد الحزن (ابدأ) أيها الآمر الناهي لتفوز بفضيلة ماقمت به وفضيلة الاتباع في سهولة الاخلاق والانطباع فان الانسان ينفعل للرفق مالا ينفعل للعنف يعني أنه يجب على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يبدأ بالرفق ولين الجانب سواء كان المنكر عليه مسلما أو ذميا ٭ قال في الاداب و ينبغي أن يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر متواضعا رفيقا فيما يدعو اليه رحيما شفيقا غير فظ ولا غليظ القلب ولا متعنت دينا نزها عفيفا ذا رأي وحزامة وشدة في الدين كما تقدم في كلام الناظم في قوله الفتى الجلد قاصدا بذلك وجه الله عز وجل واقامة دينه ونصرة شرعه وامتثال أمره واحياء سنة نبيه صلى الله عليه وسلم بلا رياء ولا منافقة ولا مداهنة غير منافس ولا مفاخر ولا ممن يخالف قوله فعله و يسن له العمل بالنوافل والمندوبات والرفق وطلاقة الوجه وحسن الخلق عند انكاره والتثبت والمسامحة بالهفوة عند أول مرة قال سيدنا الامام أحمد رضي الله عنه الناس يحتاجون الى مداراة و رفق الامر بالمعروف بلا غلظة الا رجل معلن بالفسق فقد وجب عليك نهيه واعلامه لانه يقال ليس لفاسق حرمة فهؤلاء لا حرمة لهم وسأله مهنا هل يستقيم أن يكون ضربا باليد اذا أمر بالمعروف قال الرفق ونقل يعقوب أنه سئل عن الامر بالمعروف قال كان أصحاب ابن مسعود يقولون مهلا رحمكم الله ونقل مهنا ينبغي أن يأمر بالرفق والخضوع قلت كيف قال ان أسمعوه ما يكره لا يغضب فيريد أن ينتصر لنفسه

قال القاضي و يجب أن يبدأ بالاسهل وعبر بعضهم كالناظم و يبدأ باسقاط و يجب و يعمل بظنه في ذلك (ثم) ان لم يزل المنكر الواجب انكاره (زد) على الاسهل بان تغلظ له القول (قدر) أى بقدر (حاجة) ازالته فان لم ينفع أغلظ فيه بالزجر والتهديد فان زال فقد حصل المقصود الذي هو اقامة الدين ونصرة الشرع المبين و زوال المنكر والشين واحياء سنة سيد المرسلين (فان لم يزل) المنكر بذلك كله فاستعن على ازالته (بانافذ) أي الماضي (الأمر) يقال أنفذ الأمر قضاه وهو بالذال المعجمة والنافذ الماضي في جميع أموره كالنفوذ والنفاذ والمطاع من الامر وقوله (فاصدد) أى فاعرض واصرف فيحتمل أنه أراد فاعرض عن ذلك وارفعه لنافذ الامر وهو بعيد والاقرب انه أراد فاصدده أي امنعه واصرفه بنافذ الامر الذي هو السلطان أو نائبه . قال في الآداب فان زال والا رفعه الى ولي الامر ابتداء ان أمن حيفه فيه لكن يكره وقد صرح الاصحاب رضوان الله عليهم ان شرط رفعه الى ولي الامر أن يأمن حيفه فيه و يكون قصده في ذلك النصح لا الغلبة . وفي نهاية المبتدئين يفعل فيه يعني السلطان ما يجب أو يستحب لا غير وظاهره يحرم ان فعل به محرما من أخذ مال ونحوه و يكره ان فعل به مكروها . قال ابن مفلح في آدابه ويحرم أخذ مال على حد أو منكر ارتكب ونقل الشيخ تقي الدين فيه الاجماع ان تعطيل الحق بمال يؤخذ أو غيره لا يجوز ولانه مال سحت خبيث وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشي والمرتشي والرائش وهو الواسطة انتهي وأطلق بعضهم جواز رفعه الي ولي الامر بلا تفصيل (تتمة) قال مثنى الانبارى قلت لابي عبد الله ما تقول اذا ضرب رجل رجلا بحضرتي أو شتمه فارادني أن أشهد له عند السلطان قال ان خاف أن يتعدى عليه لم يشهد وان لم يخف شهد (فائدة) قال في الآداب الكبرى لعل كلام الامام أحمد في الأمر برفعه يعني مع اقامته للحد على الوجه المأمور به على الاستحباب والا فقد قال الاصحاب من عنده شهادة بحد يستحب ان لا يقيمها ثم قال لعل رفعه لاقامة الحد مباح ورفعه لاجل انكار المنكر واجب أو مستحب والله سبحانه وتعالى أعلم . ولاجل ما ذكرنا من اشتراط أمن الحيف قال الناظم رحمه الله .

إِذَا لَمْ يَخَفْ فِي ذَلِكَ ٱلْأَمْرِ حَيْفَهُ   إِذَا كَانَ ذَا الْإِنْكَارُ حَتْمَ ٱلتَّأَكُّدِ

(اذا) أى انما يرفعه الي نافذ الامر حيث (لم يخف) الرافع علم ذلك الى ولي الامر (في ذلك الامر) الذي رفعه اليه (حيفه) أي جوره وظلمه . والضمير راجع الى ولي الامر فان خاف جوره وظلمه بان عاقبه أز يد مما يستحق أوأخذ منه مالا لم يرفعه . وقد نص سيدنا الامام احمد رضى الله عنه في رواية الجماعة علي أنه لا يرفعه الى السلطان ان تعدى فيه ذكره ابن عقيل وغيره قال الخلال أخبرني محمد بن أشرس قال مر بنا سكران فشتم ربه فبعثنا الى أبي عبدالله رسولا وكان مختفيا فقلنا ايش السبيل في هذا سمعناه يشتم ربه أترى ان نرفعه الى السلطان فبعث الينا ان أخذه السلطان أخاف ان لا يقيم عليه الذي ينبغي ولكن أخيفوه حتى يكون منكم شبيها بالهارب فأخفناه فهرب ولا بد لوجوب رفعه الى ولي الامر من شرط ثان ذكره بقوله (اذا كان ذا) أي هذا (الانكار) الذي أنكره (حتم)أى واجب الانكار مجزوم (التأكد) بأن كان حراما محضا أو ترك واجب بخلاف ما اذا كان المتروك مندوبا أو الفعل مكروها فانه لا يرفع الى ولي الامر وظاهر اطلاقهم لا فرق بين فرض العين والكفاية فمتي وجبت عليه ازالته ولم تمكنه رفعه الى ولي الامر والله تعالى أعلم . ثم قال رحمه الله تعالى

وَلَا غُرْمَ فِي دَفِّ ٱلصُّنُوجِ كَسَرْتَهُ   وَلَا صُوَرٍ أَيْضاً وَلَا آلَةِ الدَّدِ

(ولا غرم) أي لاضمان (في دف) بضم الدال المهملة وتفتح وجمعه دفوف وانما ينتفي الضمان في الدف ذي (الصنوج) جمع صنج قال في القاموس شئ يتخذ من صفر يضرب أحدهما في الآخر انتهي . فاذا كان الدف ذا صنوج فلا غرم عليك اذا (كسرته) لعدم اباحته ومثل الصنوج الحلق والجلاجل نص الامام أحمد على عدم ضمانه وأما الدف العاري عن ذلك فيباح للنساء في غير النكاح لان امرأة نذرت ان رجع النبي صلى الله عليه وسلم سالما ضربت على رأسه بالدف . فقال أوفي بنذرك و يكره للرجال لان فيه تشبيها بالنساء وأما في

النكاح فيسن الضرب فيه للنساء لقوله صلى الله عليه وسلم فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت في النكاح رواه أهل السنن غير أبي داود ولا يكره لقدوم غائب وختان ونحوهما بل يسن . وقال القاضي يكره في غير العرس (ولا) غرم في (صور) جمع صورة (أيضا) مصدر آض اذا رجع قال في القاموس الايض العود الى الشيء وصيرورة الشيء غيره وتحويله من حالة الى حالة والرجوع وآض كذا صار وفعل ذلك أيضا اذا فعله معاودا فمعنى قول الناظم أيضا يعني المعاودة الى عدم الضمان في كسر الصورة كما لا ضمان في كسر الدف المصنج وقد جاء الوعيد الشديد من النبي المجيد صلى الله عليه وسلم في عظم وزر المصورين وتهويل ذلك . في البخاري ومسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم أحيوا ما خلقتم . وقالت عائشة رضى الله عنها قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر وقد سترت سهوة لى بقرام فيه تماثيل فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلون وجهه وقال يا عائشة أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله قالت فقطعناه فجعلنا منه وسادة أو وسادتين رواه البخارى ومسلم . السهوة بفتح السين المهملة الطاق في الحائط يوضع فيه الشيء وقيل الصفة وقيل المخدع بين البيتين وقيل بيت صغير كالخزانة الصغيرة والقرام بكسر القاف هي الستر وفي رواية لهما قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت قرام فيه صور فتلون وجهه ثم تناول الستر فهتكه وقال من أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يصورون هذه الصور . وفي رواية أخرى لهما انها اشترت نمرقة وهي بضم النون والراء أيضا وقد تفتح الراء وبكسرهما يعني مخدة فيها تصاوير فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على الباب فلم يدخل فعرفت في وجهه الكراهية . قالت فقلت يا رسول الله أتوب الى الله والى رسوله ماذا أذنبت فقال رسول الله ما بال هذه النمرقة فقلت اشتريتها لك لتقعد عليها وتوسدها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة فيقال لهم أحيوا ما خلقتم وقال ان البيت الذى فيه الصور لا تدخله الملائكة (وأخرج) البخارى ومسلم أن رجلا جاء الى ابن عباس رضى الله عنهما فقال انى رجل أصور هذه

مطلب في عظم وزر المصورين وكسر الصورة

الصور فأفتني فيها فقال له ادن مني فدنا ثم قال له ادنُ مني فدنا حتي وضع يده على رأسه وقال انبئك بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفسا فيعذبه في جهنم . قال ابن عباس رضى الله عنهما فان كنت لابد فاعلا فاصنع الشجر وما لانفس له (واخرج) مسلم وابوداود والترمذى عن حيان بن حصين قال قال لى علي رضىَ الله عنه ألا أبعثك علي مابعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تدع صورة الا طمستها ولا قبرا مشرفا الا سويته . وفي البخاري ومسلم لاتدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولاصورة . وفي مسلم لاتدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا تماثيل والمراد ملائكة الرحمة والبركة دون الحافظين وغيرهما كما جزم به ابن وضاح والخطابي وآخرون . وقال القرطبي والظاهر العموم لانه يجوز أن يطلع الله علي عمل العبد و يسمعهم قوله وهم بباب الدار الذي هو فيها مثلا كما قاله الحافظ ابن حجر في شرح البخارى . والمراد بالصورة التى لاتدخل الملائكة البيت الي هي فيه مايحرم اقتناؤه وهوما يكون من الصور التى فيها الروح مالم يقطع رأسه أولم يمتهن قاله الخطابي ومثله الكلب يعنى حيث لم يبح اقتناؤه كما يأتي بيانه (وأخرج) الترمذي وقال حسن صحيح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصر بها وأذنان يسمعان ولسان ينطق يقول اني وكلت بثلاثة بمن جعل مع الله الها آخر وبكل جبار عنيد وبالمصورين . قال المنذري العنق بضم العين المهملة والنون أي طائفة وجانب من النار . اذا علمت ذلك فاطلاق الناظم رحمه الله تعالى مخصوص بصور الحيوان دون الشجر وما لاروح فيه يعني دون ماليس هو علي هيئـة ذى روح ومالا تبقى معه حياة كابانة رأس الصورة . نعم لوفصلها بنحو خط مما يزيدها رونقا لم تزل الحرمـة وعموم نظامه رحمـه الله تعالى يتناول الصور التي على نحو الثياب من الستور لكنه مخصوص بالصور التي على نحو الحيطان فانه لاضمان على من أتلفها بخلاف الصور المصورة على الستور والثياب فانه لايجوز تخريقها وان كان تصويرها حراما . قال المروذي قلت لابي عبد الله رضي الله عنه فالرجل يدعي فيري سترا عليه تصاوير قال لا ينظر اليه قلت

قد نظرت اليه كيف أصنع أهتكه قال يخرق شيئ الناس ولكن أن أمكنك خلعه خلعته قلت فالرجل يكتري البيت فيه تصاوير تري أن أحك الرأس قال نعم وهذا الحك اذا كان في الحائط وأما في ستر وثياب فلا يتلفها . وقال ابن عقيل في الفنون وسئل هل يجوز تخريق الثياب التي عليها الصور قال لا يجوز لأنها يمكن أن تكون مفارش بخلاف غيرها انتهي . وقد علمت مما ذكرنا في حديث عائشة انها اتخذت ذاك الستر مخدة او مخدتين فاذا كان على نحو بساط يفرش و يداس أو مخاد توضع و يجلس عليها فلا حرمة . نعم التصوير حرام وهو من الكبائر كما في الاقناع وغيره وتأتي له تتمة في آداب اللباس والله تعالى اعلم (ولا) غرم ايضا في (آلة) وهي في اللغة ما عملت به من آلات البناء مثلا نحو خشب واحجار وآجز وعمل الخيمة والجمع آلات (الدد) أي اللهو واللعب وفيه ثلاث لغات كما في القاموس والصحاح تقول هذا ددودد ا كقفاودون وفي حديث ما أنا دد ولا الدد مني قال في الآداب الكبري له كسر آلة اللهو وصور الخيال . قال شيخ الاسلام ابن تيمية رضي الله عنه وآلات اللهو لا يجوز اتخاذها ولا الاستئجار عليها عند الائمة الاربعة قال في الاقناع كغيره ومن أتلف او كسر مزمارا او طنبورا أو صليباً اوكسر اناء ذهب أو فضة أو اناء فيه خمر مأمور باراقتها ولو قدر على اراقتها بدونه اوآلة لهو ولو مع صغير كعود وطبل ودف بصنوج او حلق او نرد او شطرنج او صور خيال او أو ثانا و يأتي بعض ذلك في النظم لم يضمن في الجميع على المعتمد . قال الامام المحقق ابن القيم في كتاب اغاثة اللهفان من مكائد الشيطان ونص يعني الامام احمد رضي الله عنه على كسر آلات اللهو كالطنبور وغيره اذا رآها مكشوفة وأمكنه كسرها وعنه في كسرها اذا كانت مغطاة تحت ثيابه وعلم بها روايتان منصوصتان وقد علمت في كلام صاحب الاقناع وغيره الاطلاق في عدم الضمان

وَآلَـةِ تَنْجِيمٍ وَسِحْرٍ وَنَحْوِهِ   وَكُتْبٍ حَوَتْ هذَا وَأَشْبَاهَهُ اقْدُدِ

(و) لا غرم ايضا في اتلاف (آلة تنجيم) لانه علم باطل وحدس عاطل مبناه على الحدس والتخمين لا على العلم واليقين لم ترد به الشريعة الغرا وانما يلهج به من

لا خلاق له ولا نصيب من الدين بحرا وبرا وقد أنكر أئمة الاسلام ونصوا على بطلانه وحرمته فهو من اشد الحرام وقد ابطله بالنقض والبرهان ابن الأعيان الامام المحقق في مفتاح دار السعادة فأتى فيه بما يكفي ويشفي وزيادة وانشد قصيدة ابي تمام في امر عمورية والمعتصم . ومنها

أين الرواية أم أين النجوم وما   صاغوه من زخرف منها ومن كذب
تخرصاً واحاديثاً ملفقة   ليست بنبع اذا عدت ولا غرب

وأنشد قصيدة الفاضل العلامة محمد بن عبد الله بن محمود الحسيني لما قضي منجمو زمانه سنة خمس عشرة وستمائة لما نزل الافرنج على دمياط على انهم لا بد ان يغلبوا على البلاد فيتملكوا ما بارض مصر من رقاب العباد وانهم لا تدور عليهم الدائرة الا اذا قام قائم الزمان وظهر براياته الخافقة ذلك الاوان فكذب الله ظنونهم واتى من لطفه الخفي مالم يكن في حساب ورد الفرنج بعد القتل الذريع فيهم والاسر على الاعقاب وكان المنجمون قد اجمعوا في امر هذه الواقعة على نحو ما اجمع عليه من قبلهم في شأن عمورية مع المعتصم ذي السطوة البارعة فما أنشد

لا ينبغي لك في مكروه حادثة   أن تبتغي لك في غير الرضا طلبا
لله في الخلق تدبير يفوق مدى   اسرار حكمته أحكام من حسبا
ابغى النجاة اذا ما ذو النجامة في   زور من القول يقضي كل ما قربا

الى ان قال

لا يعلم الغيب الا الله خالقنا   لا غيره عالم عجما ولا عربا
لا شيء اجهل ممن يدعى ثقة   بحدسه ويرى فيما يرى ريبا
قد يجهل المرء ما في بيته نظرا   فكيف عنه بما في غيبه احتجبا

قال ابن القيم وأما الرواية أن عليا نهي عن السفر والقمر في العقرب أو أن ذلك مرفوع فباطل . والمشهور المروي عن علي رضوان الله عليه خلافه وأنه لما أراد الخروج لحرب الخوارج اعترض منجم فقال يا أمير المؤمنين لا تخرج قال لاي شيء قال ان القمر في العقرب فان خرجت أصبت وهزم عسكرك فقال علي رضي الله عنه ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم منجم ولا لأبي بكر ولا لعمر فأخرج ثقة

بالله و تكذيبا لقولك فما سافر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم سفرة أبرك منها قتل الخوارج وكفى المسلمين شرهم ورجع مؤيداً منصورا فائزا ببشارة النبي صلى الله عليه وسلم لمن قتلهم حيث يقول

(شر قتلى تحت اديم السماوخير قتيل من قتلوه)

وفي لفظ طوبي لمن قتلهم ومما ينسب لسيدنا علي رضي الله تعالى عنه قوله

أياعلما النجوم أحلتمونا على علم أرق من الهباء
كنوز الارض لم تصلوا اليها فكيف وصلتمو علم السماء

قلت ونسبهما صلاح الدين الصفدي في كتابه الوافي بالوفيات الى الامام يوسف بن عبد البر بلفظ

أمنتحلى النجوم أحلتمونا على علم أرق من الهباء
علوم الارض ماأحكمتموها فكيف بكم الى علم السماء

(وما ألطف قول تاج الدين الكندي رحمه الله تعالى)

دع المنجم يكبو في ضلالته ان ادعى علم ما يجرى به الفلك
تفرد الله بالعلم القديم فلاا انسان يشركه فيه ولا الملك
أعدللرزق من اشراكه شركا وبئست العدتان الشرك والشرك

وأطال ابن القيم في تقرير كلام المنجمين ورده فرضي الله عنه ما أنصحه لشريعة نبيه صلى الله عليه وسلم (و) لا غرم أيضا في اتلاف آلة (سحر) لانه من أكبر الكبائر (و) لا غرم أيضا في اتلاف آلة (نحو) أي نحو السحر كالتعزيم والحصى الذي يتخذ لذلك لانه ملحق بالسحر وهو قول على الله بلا علم ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا وفي قوله تعالى وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر دلالة على كفر السحرة وهو منصوص الامام أحمد رضي الله عنه وفي البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات . وروى عنه النسائي مرفوعا من

عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد أشرك ومن تعلق بشيء وكل
اليه (وأخرج) البزار باسناد جيد عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من تطير او تطير له أو تكهن أو تكهن له
أو سحر أو سحر له ومن أتي كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد
صلي الله عليه وسلم ورواه الطبراني من حديث ابن عباس باسناد حسن دون قوله
ومن أتي الخ وروى البزار أيضا عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم من أتى كاهنا فصدقه بما قال فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم
اسناده جيد قوي والطبراني من رواية أنس مرفوعا من أتي كاهنا فصدقه بما يقول
فقد برئ مما أنزل علي محمد صلى الله عليه وسلم ومن أتاه غير مصدق لم تقبل له
صلاة أربعين ليلة . قال الحافظ المنذرى الكاهن هو الذي يخبر عن بعض المغيبات
والمضمرات فيصيب بعضها ويخطيء أكثرها ويزعم أن الجن تخبره بذلك وروى
الطبراني باسنادين أحدهما ثقات عن أبي الدرداء مرفوعا لن ينال الدرجات العلا
من تكهن أو استقسم أو رجع من سفر تطير او مسلم عن صفية بنت أبي عبيد عن
بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قال من أتى عرافا فسأله عن شيء فصدقه لم
تقبل له صلاة أربعين يوما . قال الحافظ المنذرى العراف بفتح العين المهملة
وتشديد الراء كالكاهن وقيل هو الساحر وقال البغوى العراف هو الذي يدعي
معرفة الامور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها كالمسروق من الذي سرقه
ومعرفة مكان الضالة ونحو ذلك ومنهم من سمى المنجم كاهنا انتهى ويدل على
أن العراف غير الكاهن ما روى أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم
وقال صحيح على شرطهما عن أبي هريرة مرفوعا من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه
بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم . وقال ابن مسعود رضي
الله عنه من أتى عرافا أو ساحرا أو كاهنا فسأله فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل
علي محمد صلى الله عليه وسلم . ورواه الترمذي وأبو يعلي باسناد جيد موقوفا ورواه
الطبراني بلفظ يؤمن بما يقول ورواته ثقات (وأخرج) أبو داود وابن ماجه عن
ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتبس علما

من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد (وأخرج) أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه عن قطن بن قبيصة عن أبيه رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العيافة والطيرة والطرق من الجبت قال أبو داود الطرق الزجر والعيافة الخط انتهي. وقال ابن فارس الطرق الضرب بالحصى وهو جنس من التكهن وهو بفتح الطاء وسكون الراء والجبت بكسر الجيم كل ما عبد من دون الله تعالى (تنبيهان الاول) المعتمد في المذهب كفر الساحر قال في الاقناع ويحرم تعلم السحر وتعليمه وفعله وهو عقد ورقى وكلام يتكلم به أو يكتبه أو يعمل شيئا يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له وله حقيقة فمنه ما يقتل وما يمرض وما يأخذ الرجل عن زوجته فيمنعه عن وطئها أو يعقد المتزوج فلا يطيق وطئها أو يسخره حتى يهيم مع الوحش ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه وما يبغض أحدهما الى الآخر ويحبب بين اثنين قال ويكفر بتعليمه وفعله سواء اعتقد تحريمه أو اباحته كالذي يركب الجماد من مكنسة وغيرها فتسير به في الهواء ويدعي أن الكواكب تخاطبه ويقتل ان كان مسلما وكذا من يعتقد حله من المسلمين ولا يقتل ساحر ذمي الا أن يقتل به ويكون مما يقتل غالبا فيقتص منه فاما الذي يسحر بادوية وتدخين وسقي شيء يضر فانه لا يكفر ولا يقتل ويعزر تعزيرا بليغا دون القتل الا أن يقتل بفعله غالبا فيقتص منه والا لم يكن فعله مما يقتل غالبا فالدية وأما الذي يعزم على الجن ويزعم أنه يجمعها فتطيعه فلا يكفر ولا يقتل ويعزر تعزيرا بليغا دون القتل وكذا الكاهن والعراف واطلاق الشارع كفر من اتاهما تشديد. قال في الاقناع والكاهن الذى له رئي من الجن يأتيه بالاخبار والعراف الذي يحدس ويتخرص كالمنجم ولو أوهم قوما بطريقته أنه يعلم الغيب فللامام قتله لسعيه بالفساد قال شيخ الاسلام التنجيم كالاستدلال بالأحوال الفلكية علي الحوادث الارضية من السحر قال ويحرم اجماعا والمشعبذ والقائل بزجر الطير والضارب بحصى وشعير وقداح زاد في الرعاية والنظر في ألواح الاكتاف اذا لم يعتقد اباحته وانه لا يعلم به الغيب عزر ويكف عنه والا كفر وحرم طلسم بغير العربي كاسم كوكب وما وضع على نجم من صورة أو غيرها ولا

بأس بحل السحر بشئ من القرآن والذكر والاقسام والكلام المباح والله أعلم
(الثاني) الذى يحرم من علم النجوم ماذكرنا مما يدعيه أهلها من معرفة الحوادث
الآتية في الزمن المستقبل كمجئ المطر و وقوع الثلج وهبوب الريح وتغير الأسعار
ونحو ذلك ويزعمون أنهم يدركون ذلك بسير الكواكب واقترانها وافتراقها وظهورها
في بعض الازمان وهذا شئ استأثر الله بعلمه لا يعلمه أحد غيره وقد بين ذلك
في مفتاح دار السعادة بما يطول ذكره فاما ما يدرك من طريق المشاهدة من علم
النجوم الذى يعرف به الزوال وجهة القبلة وكم مضى وكم بقي فانه غير داخل في
النهى بل معرفة ذلك مندوب اليها والله أعلم (و) لا غرم أيضا في اتلاف (كتب)
جمع كتاب ومعناه لغة الضم والجمع والمراد هنا الكتب المدونة الجامعة لابواب
العلوم وفصولها ومسائلها وسميت بذلك لجمعها أنواع العلوم والمسائل وانما يباح
اتلافها ولا يضمن قيمتها حيث (حوت) أى اشتملت قال في القاموس حواه يحويه
حيا وحواية واحتواه واحتوي عليه جمعه وأحرزه قيل ومنه الحية لتحويها أولطول
حياتها والحوايا الامعاء انتهى (هذا) الهاء للتنبيه واسم الاشارة راجع لآلة التنجيم
والسحر بأنواعه من السيمياء والهيمياء والطلسمات والعزائم المحرمة والاوفاق
والاستخدامات وهو معنى قوله (وأشباهه) أى أشباه ماذكرنا من أنواع الباطل
والباطلات فكل ماشاكل ذلك وماثله فلا ضمان على متلفه لعدم حرمته
وماليته وكذا كتب مبتدعة مضلة وأحاديث مكذوبة و كتب أهل الكفر بالاولى
لاسيما كتب الدروز عليهم لعنة الله فقد نظرت في بعضها فرأيت العجب العجاب
فلا يهود ولا نصاري ولا مجوس مثلهم بل هم أشد من علمنا كفرا لاسقاطهم الاحكام
وانكارهم القيام و زعمهم أن الحاكم العبيدي الخبيث رب الانام تعالى الله عما يقولون
علوا كبيرا فكل ما كان من هذا. واضرابه من الكتب المضلة (أقدد) ها أمر
وجوب او استحباب على مامر بيانه من القد وهو القطع المستاصل او المستطيل والشق
كالاقتداد والتقديد كما في القاموس

وَبَيْضٍ وَجُوزٍ لِلْقِمَارِ بِقَدْرِمَا يُزِيلُ عَنِ الْمَنْكُورِ مَقْصِدَ مُفْسِدِ

(و)لاغرم أيضا في اتلاف (بيض) يتخذ للقمار (و) لاغرم أيضا في اتلاف (جوز) هو الثمر المعروف وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم شجرة الجوز في حديث شجرة طوبى لما قال للاعرابي ليس تشبه شيئا من شجر أرضك ولكن أتيت الشام قال لا يارسول الله قال فانها تشبه شجرة في الشام تدعي الجوزة والمتخذ (للقمار) ثمرتها ولكن انما يجوز اتلاف نحو البيض والجوز (بقدرما) أي انكار (يزيل) أي يذهب و يبطل (عن) الشخص (المنكور) عليه (مقصد مفسد) أي يتلف القدر الذي يزول به القصد المحرم الفاسد بأن كسر البيض والجوز بحيث يذهب به تأتي القمار به فقط دون اتلافه بالكلية وكذلك أواني الذهب والفضة والقمار كما في القاموس المراهنة يقال قامره مقامرة وقمارا فقمره كنصره وتقمره راهنه فغلبه وهو التقامر وفي الحديث من قال تعال أقامرك فليتصدق قيل يتصدق بقدرما أراد أن يجعله في القمار والله أعلم

وَلاَ شَقِّ زِقِّ الْخَمْرِ أَوْ كَسْرِ دِنِّهِ ... إِذَا عَجَزَ الإِنْكَارُ دُونَ التَّقَدُّدِ

(ولا) غرم أيضاً في (شق زق) أي وعاء (الخمر) والزق بالفتح والكسر هو السقاء أو جلد يجز ولا ينتف للشراب وغيره والخمر كل ما خامر العقل أي غطاه فما أسكر كثيره حرم قليله وشربه من أكبر الكبائر وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن رواه البخاري ومسلم وغيرهما زاد مسلم ولكن التوبة معروضة بعد . وقال صلى الله عليه وسلم لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ومبتاعها و بائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه رواه أبو داود من حديث ابن عمر رضي الله عنهما واللفظ له وابن ماجه وزاد وآكل ثمنها وروى مثله ابن ماجه والترمذي وقال غريب من حديث أنس قال الحافظ المنذري رواته ثقات (وأخرج) الامام أحمد باسناد صحيح وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الاسناد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أتاني جبريل فقال يا محمد ان الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة اليه و بائعها ومبتاعها وساقيها ومسقاها وفي الصحيحين وغيرهما عن ابن عمر

مطلب في ذكر ما ورد في تحريم الخمر

رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو مدمنها لم يشرب بها في الآخرة. وفي رواية من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب لم يشر بها في الآخرة وان دخل الجنة وهذه الرواية للبيهقي وفي رواية لمسلم من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها في الآخرة قال الخطابي ثم البغوي في شرح السنة وغيرهما في قوله حرمها في الآخرة وعيد بانه لا يدخل الجنة لان شراب أهل الجنة خمر الا أنهم لا يصدعون عنها ولا ينزفون ومن دخل الجنة لا يحرم شرابها انتهى قلت ومثله يقال فيمن لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة لقوله تعالى عن أهل الجنة ولباسهم فيها حرير بل أولى وقد أشبعت الكلام على هذا في شرح منظومة الكبائر (أو) أي ولا غرم عليه ولا ضمان في (كسر دنه) أي دن الخمر قال في القاموس الراقود العظيم أو أطول من الحب أو أصغر منه له عسعس لا يقعد الا أن يحفر له . وفي لغة الاقناع الدن الحب الا انه أطول منه وأوسع رأسا وجمعه دنان مثل سهم وسهام وقال في القاموس في الكلام على الحب والحب الجرة او الضخمة منها جمعه أحباب وحببه وحباب وبالكسر المحب انتهي وقول الناظم (اذا عجز الانكار) أى اذا لم يمكن الانكار (دون) أى غير التقدد يعني حيث لم تمكن ازالة هذا المنكر الذى هو اراقة الخمر بغير تقدد زق الخمر أو كسر دنه ومفهومه ضمان آنية الخمر مع امكان اراقتها دون تلف الآنية ثم صرح بهذا المفهوم فقال

وَإِنْ يتأَتَّى دُونَهُ دَفْعُ مُنْكَرٍ ضَمِنْتَ الَّذِي يُنْقَى بِتَغْسِيلِهِ قَدِ

(وان يتأتى) أى يمكن اراقة الخمر من الزق أو الدن (دونه) أى دون شق زق الخمر ودون كسر دنه (دفع) أى ازالة (منكر) وهو الخمر بلا شق زق أو كسر دن ثم مع الامكان والتأتي والنهي لانكار المنكر ودفعه مع اراقة الخمر بغير شق وكسر انشققت الزق أو كسرت الدن (ضمنت) أى غرمت الزق أو الدن (الذي ينقى) أى ينظف ويطهر وأصل النقاء البياض والنظافة والمراد به هنا الطهارة الشرعية التي يصير بها الوعاء طاهرا جائز الاستعمال بعد كونه نجسا محرم الاستعمال

(بتغسيله) أى بسبب تغسيل ذلك الاناء بالماء الطهور فان لم يمكن تطهيره بان كان تشرب النجاسة فلا ضمان بان يكون الدن أو الزق فشت فيه النجاسة وقوله (قد) أى حسب يعني فقط دون الذى لم يطهر بتغسيله كما قدمنا بيانه وما ذكره من اشتراط العجز عن ازالة المنكر بدون كسر أو شق وعاء الخمر والاضمن رواية اختارها الناظم رحمه الله نقلها في الانصاف والفروع وغيرهما وهي رواية الأثرم عن الامام رضي الله عنه والمذهب المجزوم به خلافه قال في الانصاف لم يضمن سواء قدر على اراقتها بدون تلف الاناء اولا قال وهو المذهب نقله المروذى وقدمه في الفروع وجزم به في الاقناع والمنتهي وغيرهما وهو من المفردات وحجته حديث ابن عمر رضي الله عنهما أمرني النبي صلى الله عليه وسلم ان آتيه بمدية وهي الشفرة فأتيت بها فارسل بها فارهفت ثم أعطانيها وقال أعد علي بها ففعلت فخرج بأصحابه الى أسواق المدينة وفيها زقاق الخمر قد جلبت من الشام فاخذ المدية مني فشق ما كان من تلك الزقاق بحضرته كلها وأمر أصحابه الذين كانوا معه ان يمضوا معي ويعاونوني وأمرني ان آتي الاسواق كلها فلا أجد فيها زق خمر الا شققته رواه الامام أحمد وكذا لو أحرق مخزن خمر لم يضمن كما في الهدي وجزم به في الاقناع وغيره قال ابن منصور للامام أحمد رضي الله عنه رجل مسلم وجد في بيته خمر قال يراق الخمر ويؤدب وان كانت تجارته يحرق بيته كما فعل عمر برويشد انتهى يريد ما روت صفية بنت ابى عبد الله قالت وجد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه في بيت رجل من ثقيف شرابا فأمر به عمر فحرق بيته وكان يدعى رويشد فقال عمر انه فويسق . وقال الحارث شهد قوم على رجل عند علي رضى الله عنه انه يصطنع الخمر في بيته فيشربها ويبيعها فأمر بها فكسرت وحرق بيته وأنهب ماله ثم جلده ونفاه رواهما الامام ابن بطة من أئمة المذهب رحمه الله ورضي عنه ولما بين الناظم رحمه الله تعالى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بمراتبه الثلاثة وبين طرفا مما ينكره ويكسره ويتلفه وكان من المعلوم انه قد لا يقدر على ذلك كما بين في المرتبة الثانية أو الثالثة من الامر والنهي فيكون أنما انكر بلسانه وقلبه أو بقلبه فقط ومن كان كذلك فينبغى هجرانه أعقب ذلك ببيان هجران أهل الذنوب والعصيان فقال -

وَهِجرَانُ مَنْ أَبْدَى الْمَعَاصِيَ سُنَّةٌ　　وَقَدْ قِيلَ إِنْ يَرْدَعْهُ أَوْجِبْ وَأَكِّدْ

مطلب في هجر من أعلن بالمعاصي

(وهجران) مصدر هجره هجرا بالفتح وهجرانا بالكسر صرمه قال في النهاية الهجر ضد الوصل يعني صرم وقطع (من) أي انسان مكلف (أبدى) أي أظهر واعلن ذلك المكلف (المعاصي) جمع معصية وهي ما يعاب فاعلها ضد الطاعة ولا فرق بين كون المعاصي فعلية أو قولية أو اعتقادية (سنة) من سنن المصطفى يثاب الانسان على فعلها حيث كان الهجر لله تعالى وغضبا لارتكاب معاصيه أو لاهمال أوامره قال الامام أحمد رضي الله عنه اذا علم أنه مقيم على معصيته وهو يعلم بذلك لم يأثم ان جفاه حتى يرجع والا كيف يتبين للرجل ما هو عليه اذا لم ير منكرا ولا جفوة من صديق . وقد هجر النبي صلى الله عليه وسلم كعبا وصاحبيه وامر أصحابه بهجرهم خمسين يوما وهجر نساءه شهرا وهجرت سيدتنا عائشة رضي الله عنها ابن اختها عبد الله بن الزبير رضي الله عنها مدة وهجر جماعة من الصحابة جماعة وماتوا متهاجرين رضوان الله عليهم أجمعين . أما هجران النبي صلى الله عليه وسلم كعبا وصاحبيه وهما مرارة بن ربيعة العامري وهلال بن امية الواقفي لتخلفهم عنه صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وأما هجرانه أهله شهرا فكلام أغضبه صلى الله عليه وسلم من طلب بعض أمور وشؤون منه حتى أمره الله أن يخيرهن فخيرهن فاخترن الله ورسوله . وأما هجران سيدتنا وامنا عائشة رضي الله عنها ابن اختها الامام عبدالله ابن الزبير رضي الله عنهم فلفرط كرمها رضي الله عنها وعدم اكتراثها بالدنيا فقال عبدالله رضي الله عنه ان هذا سفه أو كلام من هذا المعنى أوجب غضب عائشة وآلت أن لا تكلمه أبدا ولفظ صحيح البخارى أن عبد الله بن الزبير قال في بيع أو عطاء أعطته عائشة لتنتهين عائشة أو لأحجرن عليها فقالت قال هذا قالوا نعم قالت هو لله علي نذر ان لا اكلم ابن الزبير ابدا فاستشفع ابن الزبير اليها حين طالت الهجرة فقالت لا والله لا أشفع فيه أبدا . قال الحافظ ابن حجر اراد البخاري بايراد أثر عائشة هذا أن يبين ان حديث النبي صلى الله عليه وسلم عن الهجرة ليس علي عمومه بل هو مخصوص بمن هجر بغير موجب لذلك وقد أخرجه الاسماعيلي في صحيحه وفيه فطالت هجرتها اياه

فنغصه الله بذلك في أمره كله فاستشفع بالمهاجرين فلم تقبل وأخرجه ابراهيم الحربي من طريق حميد بن قيس وزاد فيه فاستشفع اليها بعبيد ابن عمير فقال لها أي حديث أخبرتينيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهي عن الصرم فوق ثلاث فلم تقبل أي لان الحديث عندها مخصوص كما تقدم فلما طال ذلك على ابن الزبير كلم المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الاسود بن عبد يغوث وهما من بني زهرة وقال لهما انشدكما بالله لما أدخلتماني على عائشة فانه لا يحل لها أن تنذر قطيعتي فأقبل به المسور وعبد الرحمن مشتملين بأرديتهما حتي استأذنا على عائشة فقالا السلام عليك ورحمة الله وبركاته أندخل قالت عائشة ادخلوا قالوا كلنا قالت نعم ادخلوا كلكم ولا تعلم ان معهما ابن الزبير فلما دخلوا دخل ابن الزبير الحجاب الحديث بطوله وفيه انه بكي وبكت وأعتقت في نذرها ذلك أربعين رقبة كما في البخاري . وفي رواية ثم بعثت الي اليمن بمال قال فابتيع لها به اربعون رقبة فاعتقتها كفارة لنذرها وأرسل لها ابن الزبير بعشر رقاب فاعتقتهم ولعلهم من جملة الاربعين بأن كملت عليهم قال أبو داود رضي الله عنه اذا كانت الهجرة لله فليس من هذا يعني من أحاديث الوعيد بالهجران بشيء فان النبي صلى الله عليه وسلم هجر بعض نسائه أربعين يوما وابن عمر رضى الله عنه هجر ابنا له الي ان مات والامام أحمد رضوان الله عليه هجر جماعة ممن أجابوا في المحنة مثل يحيي بن معين وعلي بن المديني وغيرهما مع فخامة شأنهم حتى ذكر الامام ابن الجوزى ان الامام أحمد رضي الله عنه عمل أبياتا في شأن علي بن المديني وأرسلها اليه وهى

يا ابن المديني الذي عرضت له دنيا فجاد بدينه لينالها
ما ذا دعاك الى انتحال مقالة قد كنت تزعم كافرا من قالها
أمر بدا لك رشده فتبعته أم زينة الدنيا أردت نوالها
ولقد عهدتك مرة متشددا صعب المقالة للتي تدعى لها
أن المرزى من يصاب بدينه لا من يرزا ناقة وفصالها

ذكر هذه الابيات الامام ابن الجوزي في مناقب الامام له رضي الله عنه بسند لابن الجوزي رحمه الله وكم امام هجر لله خدنا كان أعز عليه لولا انها كه

لمحارم مولاه من روحه فصار بذلك كالجماد بل أدني فلا نطيل الكلام بحكايات أئمة الاسلام ويكفي من ذلك قصة خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام مع كعب وصاحبه وهي مشهورة في الصحيحين مذكورة (وقد) حرف تحقيق وتأتي للتقليل كقد يصدق الكذوب وللتكثير كقول الشاعر . قد أترك القرن مصفرا أنامله . وللتوقع قد يقدم الغائب وتقريب الماضي من الحال قد قام زيد وكذا لتقريب المستقبل كقد قامت الصلاة وللنفي كقولهم . قد كنت في خير فتعرفه . بنصب تعرف ومعنى هذا كما ذكرنا للتحقيق (قيل) فعل ماض مبني للمجهول أصله قول بضم القاف وكسر الواو استثقلت الضمة على القاف فحذفت ثم نقلت كسرة الواو الي القاف فصارت قول فقلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها فصارت قيل (أن يردعه) أي ان كان الهجران يردع من أظهر المعاصي أي يكفه ويزجره ويرده يقال ردعه كمنعه كفه ورده (أوجب) ذلك عليه (وأكد) الوجوب لان مالا يتم الواجب الا به فهو واجب وان حرف شرط جازم ويردعه فعل الشرط وأوجب جوابه وأكد معطوف وحرك بالكسر للقافية

وَقِيلَ عَلَى الأَطْلاَقِ مَادَامَ مُعْلِنًا ... وَلاَقِهِ بِوَجْهٍ مُكْفَهِرٍّ مُرَبَّدِ

(وقيل) أوجب هجره (على) سبيل (الاطلاق) من غير قيد بكونه يرتدع بهذا الهجر اولا فمن ارتكب معاصي الله سبحانه وتعالي أوجب على نفسك واخوانك المتشرعين هجرانه (مادام معلنا) أي مدة دوام اعلانه لارتكاب المعاصي والاعلان الظهور والبيان وهو ضد السر والاخفاء . قال في الآداب الكبري يسن هجر من جهر بالمعاصي الفعلية والقولية والاعتقادية وقيل يجب ان ارتدع به والا كان مستحبا وقيل يجب هجره مطلقا الا من السلام بعد ثلاثة أيام وقيل ترك السلام على من جهر بالمعاصي حتي يتوب فرض كفاية ويكره لبقية الناس تركه وظاهر كلام سيدنا الامام أحمد رضي الله عنه ترك السلام والكلام مطلقا وقال القاضي أبو حسين في التمام لاتختلف الرواية في وجوب هجر أهل البدع وفساق الملة وظاهر اطلاقه لافرق بين المجاهر وغيره في المبتدع والفاسق فينبغي لك ان كنت متبعا سنن من

سلف ان كل من جاهر بمعاصي الله لاتعاضده ولا تساعده ولا تقاعده ولا تسلم عليه بل اهجره (ولاقه) فعل أمر من الملاقاة (بوجه مكفهر)على و زن مستمر هو الغليظ يقال اكفهر وجهه عبس وقطب . وفي الحديث القوا المخالفين بوجه مكفهر قال في النهاية أي عابس قطوب وحديث ابن مسعود رضي الله عنه اذا لقيت الكافر فالقه بوجه مكفهر وقوله (مربد) صفة بعد صفة والمربد الملون وزنا ومعنى . قال في القاموس تربد تغير وتربدت السماء تغيمت وتعبست انتهى . وقال غيره تربد لونه واربد أي تلون وصار كلون الرماد وقال ابن دريد في الجمهرة والربدة لون اكدر من الورقا يعني الحمامة الربداء يقال نعامة ربدا وظليم أربد قال وتربد وجه الرجل اذا احمار حمرة فيها سواد عند الغضب وربد السيف فرنده يقال سيف ذوربد أي فيه شبه غبار او مدب نمل انتهى . وفي قصيدة بشر بن أبي عوانة العبدي الجاهلي التي كتبها الى اخته فاطمة وكان قد خرج في ابتغاء مهر ابنة عمه فعرض له أسد فقتل الاسد كما ذكره في قراضة الذهب وقال في ذلك

أفاطم لو شهدت ببطن خبت ... وقد لاقى الهزبر اخاك بشرا

اذا لرأيت ليثا رام ليثا ... هزبرا أغلبا لاقى هزبرا

تبهنس اذ تقاعس عنه مهري ... محاذرة فقلت عقرت مهرا

انل قدمي ظهر الارض اني ... رأيت الارض اثبت منك ظهرا

فحين نزلت مد الي طرفا ... تخال الموت يلمع منه شزرا

فقلت له وقد أبدى نصالا ... محددة ووجها مكفهرا

تدل بمخلب وبحد ناب ... وباللحظات تحسبهن جمرا

وفي يمناي ماضي الحد أبقى ... بمضربه قراع الدهر أسرا

الى آخرها وهي قصيدة عظيمة والشاهد في قوله ووجها مكفهرا يعني عابسا قطوبا قال الامام ابن عقيل في الفنون الصحابة رضي الله عنهم آثروا فراق انفسهم لأجل مخالفتها للخالق سبحانه وتعالى فهذا يقول زنيت فطهرني ونحن لا نسخو ان نقاطع احدا فيه لمكان المخالفة . وفهم من قول الناظم وهجران من ابدى المعاصي ومن قوله

مادام معلنا ان مرتكب المعاصي المستتر لا يهجر وهو صحيح قال ابن منصور قلت لابي عبد الله رضي الله عنه اذا علم من الرجل الفجور أيخبر به الناس قال بل يستر عليه الا ان يكون داعية قال ابن مفلح رحمه الله تعالى ويتوجه ان في معنى الداعية من اشتهر وعرف بالشر والفساد ينكر عليه وان إسر المعصية وهو يشبه قول القاضي فيمن اتى ما يوجب حدا ان شاع عنه استحب ان يذهب الى ولي الأمر ليأخذه به والا ستر نفسه . قال القاضي فان كان يستتر بالمعاصي فظاهر كلام الامام احمد رضي الله عنه انه لا يهجر . قال في رواية حنبل ليس لمن يسكر ويقارف شيئا من الفواحش حرمة ولا وصلة اذا كان معلنا بذلك مكاشفا . وقال الخلال في كتاب المجانبة ابو عبد الله يهجر اهل المعاصي ومن قارف الاعمال الردية او تعدى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على معنى الاقامة عليه او الاضرار واما من سكر أو شرب أو فعل فعلا من هذه الاشياء المحظورة ثم لم يكاشف بها ولم يلق فيها جلباب الحياء فالكف عن اعراضهم وعن المسلمين والامساك عن اعراضهم اسلم وقال شيخ الاسلام قدس الله روحه ان المستتر بالمنكر ينكر عليه ويستر عليه فان لم ينته فعل ما ينكف به اذا كان أنفع به في الدين وان المظهر للمنكر يجب الانكار عليه علانية ولا تبقى له غيبة ويجب ان يعاقب علانية بما يردعه عن ذلك وينبغي لاهل الخير أن يهجروه ميتا اذا كان فيه كف لامثاله فيتركون تشييع جنازته انتهى . وهذا لا ينافيه وجوب الاغضاء عنه فانه لا يمنعه وجوب الانكار سرا جمعا بين المصالح ولذا يقول شيخ الاسلام في بعض الحال نعتبر المصلحة قال في الآداب وكلامهم ظاهر أو صريح في وجوب الستر على هذا يعني الذي لم يعلن بالمعصية وظاهر كلام الخلال يستحب قال ابن مفلح ولم اجد بين الاصحاب خلافا في أن من عنده شهادة بما يوجب حدا له ان يقيمها عند الحاكم ويستحب ان لا يقيمها لقوله عليه الصلاة والسلام من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة فدل هذا على أن ستره لا يجب وانه ينكر عليه بطريقه ولم يفرقوا بين ان يكون المشهود عليه مشهورا بالشر والفساد ام لا . وروى ابو داود عن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من رأى عورة فسترها كان كمن احيي

موؤدة قال في شرح مسلم في قوله صلى الله عليه وسلم ومن ستر مسلما ستره الله عز وجل يوم القيامة . قال أما الستر المندوب اليه هنا فالمراد به الستر على ذوى الهيئات ونحوهم ممن ليس هو معروفا بالاذى والفساد وأما المعروف بذلك فيستحب أن لا يستر عليه بل يرفع قصته الى ولي الامر ان لم يخف من ذلك مفسدة لان الستر على هذا يطمعه في الايذاء والفساد وانتهاك المحرمات وجسارة غيره على مثل فعله وهذا كله في ستر معصية مضت وانقضت أما معصية رآه عليها وهو بعد متلبس فتجب المبادرة بانكارها عليه ومنعه منها على من قدر على ذلك فلا يحل تأخيرها فان عجز لزمه رفعها الي ولي الامر اذا لم يترتب على ذلك مفسدة انتهى ولما كان الستر مطلوبا وفاعله من أهل الاحسان محسوبا . كان عدم التجسس على ذلك أولى وأحرى . كما أخبر به الذي هو أعلم وأدرى . ولذا قال الناظم رحمه الله تعالى

وَيَحرمُ تَجْسِيسٌ عَلَى مُتَسَتِّرٍ بِفِسْقٍ وَمَاضِي الْفِسْقِ إِنْ لَمْ يُجَدِّدِ

(ويحرم) على كل مسلم مكلف (تجسيس) بالجيم هو البحث عن عيوب الناس وأما بالحاء المهملة فهو البحث عن طلب الخبر قال تعالى ولا تجسسوا بحذف احدى التاءين أى لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم بالبحث عنها وقال فى سورة يوسف فتحسسوا بالحاء المهملة من يوسف وأخيه أي اطلبوا خبرهما فتتبع أخبار الناس منهي عنه سواء كان في البحث عن عيوبهم أو ليطلع على أخبارهم أما في الاول فلئلا يظهر على عورات الناس وتأمل العيب معيب وكذا تتبعه والبحث عنه وأما في الثاني فلئلا يقع في حد لقوله صلى الله عليه وسلم فلا تجسسوا ولا تحسسوا . وقيل بالمهملة لاستماع حديث القوم وأصله من الحس لانه يتتبعه بحسه وقيل هما سواء وقرأ الحسن ولا تحسسوا بالحاء قاله البغوي في شرح السنة و يستثنى من عموم ذلك البحث عن أحوال الرواة والشهود والامناء على الاوقاف والصدقات والايتام ونحوهم فيجب جرحهم ولا يحل الستر عليهم اذ رأى منهم ما يقدح في أهليتهم فان هذا من النصيحة الواجبة وتقدم . (على متستر) متعلق بتجسيس بخلاف المعلن فانه لا يحرم التجسس عليه ولا غيبته لانه قد ألقى جلباب الحياء عن وجهه (ب) عمل

مطلب في بيان التجسس والنهي عنه

أو قول يؤدي الى (فسق) من شرب خمر وزنا ولواط ونحوها وذكر المهدي في تفسيره انه لا ينبغي لاحد أن يتجسس على أحد من المسلمين قال فان اطلع منه على ريبة وجب أن يسترها ويعظه مع ذلك ويخوفه بالله تعالى . وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل أمتي معافا الا المجاهرين وان من الاجهار أن يعمل العبد بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله عز وجل فيقول يا فلان عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره به عز وجل ويصبح يكشف ستر الله عز وجل عنه وفي بعض النسخ معافاة يعود الى الامة وفي بعض النسخ وان المجاهرة وفي بعضها وان من الجهار يقال جهر بأمر كذا وأجهر وجاهر (و) يحرم تجسيس علي (ماضي الفسق) أى ما يفسق به في الزمن الماضي أو الفسق الماضي مثل أن يشرب الخمر في الزمن الذي مضى وتبحث عنه أنت بعد مدة لان ذلك اشاعة للمنكر بما لا فائدة فيه ولا عود على الاسلام وانما هو عيب ونقص فينبغي كفه ونسيانه دون اذاعته واعلانه وانما يحرم التجسس عن ذلك (ان لم يجدد) العود عليه والاتيان به ثانيا فان عاوده فلا حرمه اذن قال في الرعاية ويحرم التعرض لمنكر فعل خفية على الاشهر أو ماض أو بعيد وقيل يجهل فاعله ومحله وقال أيضا لا انكار فيما مضي وفات الا في العقائد والآراء انتهى وهذا يفهم من كلام الناظم لان العقائد مما يجدد في كل زمان ومكان . وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما عند ابن ماجه مرفوعا من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته قال الحجاوى رحمه الله تعالي والمستتر هو الذى يفعله في موضع لا يعلم به غالبا غير من حضره ويكتمه ولا يحدث به وأما من فعله في موضع يعلم به جيرانه ولو في داره فان هذا معلن مجاهر غير مستتر . قال الامام ابن الجوزي من تستر بالمعصية في داره وأغلق بابه لم يجز أن يتجسس عليه الا ان يظهر ما يعرفه كاصوات المزامير والعيدان فلمن سمع ذلك أن يدخل ويكسر الملاهي وان فاحت رائحة الخمر فالأظهر جواز الانكار انتهي قال الحافظ ابن رجب في شرح الأربعين النووية واعلم أن الناس على ضربين أحدهما من كان مستورا لا يعرف بشيء من المعاصي

فاذا وقعت منه هفوة أو زلة فانه لا يجوز كشفها وهتكها ولا التحدث بها لأن ذلك غيبة . وفي ذلك قال الله تعالى ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة . والمراد اشاعة الفاحشة على المؤمن المستتر فيما وقع منه أو اتهم به وهو بريء منه كما في قصة الافك قال بعض الوزراء الصالحين لبعض من يأمر بالمعروف اجتهد أن تستر العصاة فان ظهور معاصيهم عيب في أهل الاسلام وأولى الأمور ستر العيوب وفي مثله جاء الحديث أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم رواه أبو داود والنسائي عن عائشة رضي الله عنها والثاني من كان مشتهرا بالمعاصي معلناً بها ولا يبالي بما ارتكب منها ولا بما قيل له فهذا هو الفاجر المعلن وليس له غيبة ومثل هذا فلا بأس بالبحث عن أمره لتقام عليه الحدود وصرح بذلك بعض أصحابنا انتهى وأما تسور الجدران على من علم اجتماعهم على منكر فقد أنكره الأئمة مثل سفيان الثوري وغيره وهو داخل في التجسس المنهي عنه وقد قيل لابن مسعود رضي الله عنه أن فلانا تقطر لحيته خمرا فقال نهانا الله عن التجسس وقال القاضي أبو يعلي في كتاب الأحكام السلطانية ان كان في المنكر الذي غلب على ظنه الاستسرار به باخبار ثقة عنه انتهاك حرمة يفوت استدراكها كالزنا والقتل جاز التجسس عليه والاقدام على الكشف والبحث حذرا من فوات مالا يستدرك من انتهاك المحارم وان كان دون ذلك في الرتبة لم يجز التجسس عليه ولا الكشف عنه . وقال ابن الجوزي لا ينبغي له أن يسترق السمع على دار غيره يستمع صوت الأوتار ولا يتعرض للشم ليدرك رائحة الخمر ولا أن يمس ما قد ستر بثوب ليعرف شكل المزمار ولا أن يستخبر جيرانه ليخبر بما جرى بل لو أخبره عدلان ابتداء أن فلانا يشرب الخمر فله اذ ذاك أن يدخل وينكر ومر من كلامه أنه متى سمع أنكر وقد نص عليه الامام أحمد رضي الله عنه قال محمد بن أبي الحارث سألت أبا عبد الله عن الرجل يسمع المنكر في دار بعض جيرانه قال يأمره فان لم يقبل يجمع عليه الجيران ويهول عليه وفيمن سمع صوت المغني في الطريق قال هذا قد ظهر عليه أن ينهاه . قال بعض السلف في الكف عن البحث عن عيوب الناس أدركنا أقواما لم تكن لهم عيوب فذكروا عيوب الناس فذكر الناس لهم عيوبا

وأدركنا أقواما كانت لهم عيوب فكفوا عن عيوب الناس فنسيت عيوبهم وشاهد هذا قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الامام أحمد وأبو داود عن أبي بردة رضي الله عنه مرفوعا يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان في قلبه لا تغتابوا الناس ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته وتقدم. وأنشد بعضهم في ذلك

لاتلتمس من مساوي الناس ما ستروا ... فيكشف الله سترا من مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم اذا ذكروا ... ولا تعب أحدا منهم بما فيكا
واستغن بالله عن كل فان به ... غنى لكل وثق بالله يكفيكا

(تنبيهان الأول) قد هجر السلف رضوان الله عليهم جماعة بأدون مما ذكرنا فقد روى الخلال عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه رأى رجلا يضحك مع جنازة فقال تضحك مع الجنازة لا أكلمك أبدا. وباسناده عن الحسن البصري قال كان لأنس بن مالك رضي الله عنه امرأة في خلقها سوء فكان يهجرها السنة والأشهر فتتعلق بثوبه فتقول أنشدك بالله يا ابن مالك أنشدك بالله يا ابن مالك فما يكلمها وباسناده عن حذيفة أنه قال لرجل جعل في عضده خيطا من الحمى لو مت وهذا عليك لم أصل عليك. وعن الحسن أنه قيل له ان ابنك أكل طعاما حتى كاد أن يقتله قال لو مات ما صليت عليه. وذكر الجلال السيوطي في مقاماته المسماة الزجر بالهجر. قال أخرج الطبراني عن بشير بن عمرو وكان قد رأى النبي صلى الله عليه وسلم قال أصرم الأحمق فليس للأحمق شيء خير من الهجران ورواه البيهقي موقوفا على بشير بن عمرو. وروي مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولفظه اصرم الاحمق قال الحاكم بشير بن زيد الانصاري فيه ومسانيده عزيزة وفي صحيح مسلم عن سعيد بن جبير ان قريبا لعبد الله بن معقل حذف فنهاه وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الحذف وقال انها لا تصيد صيدا ولا تنكي عدوا ولكنها تكسر السن وتفقأ العين قال فعاد فقال احدثك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه ثم عدت تحذف لا اكلمك ابدا قال النووي في شرح مسلم في هذا الحديث هجران اهل البدع والفسوق ومنابذى السنة وانه يجوز هجرانه دائما

والنهي عن الهجران فوق ثلاثة أيام انما هو فيمن هجر لحظ نفسه ومعايش الدنيا وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه الهجر الجميل في قوله واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا والصبر الجميل في قوله فصبر جميل والصفح الجميل في قوله فاصفح الصفح الجميل فالهجر الجميل هو الذي لا اذى معه والصبر الجميل هو الذي لا شكوى معه والصفح الجميل هو الذي لا عتاب معه . وكان عمار بن ياسر رضي الله عنه يقول مصارمة جميلة احب الي من مودة على دخل وقال ابن عبد البر رب هجر جميل خير من مخالطة مؤذية . قال الشاعر

اذا ما تقضى الود الا مكاثرا   فهجر جميل عند ذلك صالح

(الثاني) مما للمسلم على المسلم ان يستر عورته و يغفر زلته و يرحم عبرته و يقيل عثرته و يقبل معذرته و يرد غيبته و يديم نصيحته و يحفظ خلته و يرعى ذمته و يجيب دعوته ويقبل هديته و يكافئ صلته و يشكر نعمته و يحسن نصرته و يقضي حاجته و يشفع مسئلته و يشمت عطسته و يرد ضالته و يواليه ولا يعاديه و ينصره على ظالمه و يكفه عن ظلم غيره ولا يسلمه ولا يخذله و يحب له ما يحب لنفسه ذكره ابن حمدان في الرعاية وليس على المسلم نصح الذمي نص عليه الامام احمد رضي الله عنه . قال اصحابنا و يستحب الكف عن مساوي الناس وعيوبهم كذا عباراتهم قال الحجاوي والاولى يجب وهو كما قال زاد في الرعاية التي يسرونها وعما يبدو منهم غفلة او غلبة من كشف عورة او خروج ريح او صوت ريح ونحو ذلك فان كان في جماعة فالاولى للسامع ان يظهر طرشا او غفلة او نوما أو يتوضأ هو وغيره ستروا لذلك انتهى . قال المهدوي في تفسيره لا ينبغي لاحد ان يتجسس على احد من المسلمين فان اطلع منه على ريبة وجب ان يسترها و يعظه مع ذلك و يخوفه بالله قال الامام الشافعي رضي الله عنه الكيس العاقل هو الفطن المتغافل . وقال بعضهم

وأني لاعفو عن ذنوب كثيرة   وفي دونها قطع الحبيب المواصل
وأعرض عن ذي اللب حتى كانني   جهلت الذي يأتي ولست بجاهل

﴿ وأنشد الامام الجوزي في المعنى ﴾

ومن لم يغمض عينه عن صديقه   وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب

ومن يتتبع جاهـدا كل عـثرة   يجدها ولا يسـلم له الدهر صاحب

هذا كله في هجران ارباب المعاصي واما هجران اهل البدع والضلال فقد اشار اليه في نظمه فقال

وَهِجْرَانُ مَنْ يَدْعُو لأَمْرٍ مُضِلٍّ أَوْ   مُفَسِّقٍ احْتِمْهُ بِغَـيْرِ تَرَدُّدِ

(وهجران من) اي انسان من اهل العلم او غيرهم (يدعو) الناس جهرة او خفية (ا)اجابة (أمر) من الدين من الاقوال او الافعال او الاعتقادات الفاسدة (مضل) تائه حائد عن النهج القويم . والصراط المستقيم . مما كان عليـه النبي الكريم والرسول العظيم . عليه افضل الصـلاة واتم التسليم . او الصحابة اهل التقوى والاصابة . الذين هم خير عصابة . او التابعين لهم باحسان . او القرن الثالث الذي نطق بفضله سـيد الاكوان . في قوله خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم . فهؤلاء القرون الثلاثة اهل السنة والوراثة لا ما نهجته الجهمية واضرابهم من الفرق الضالة والطوائف المائلة الزالة . فهؤلاء حتم هجرانهم ولا ترع شأنهم . قال الامام احمد رضي الله عنـه ويجب هجر من كفر او فسق ببدعة او دعا الى بدعة مضـلة او مفسقة وهو معنى قول الناظم (أو) يدعو لامر (مفسق) بان كانت بدعته مفسـقة لامكفرة واما اذا كانت مكفرة فبالاولى وقد شمله قوله لامر مضل لان الضلال يشمل الكفر والفسق وعطفه من عطف العام على الخاص . ونكتة ذلك أن الداعي الى البـدعة المفسـقة ربما يتوهم عـدم وجوب هجره كما لو كان فاسقا فانه لا يجب هجره بل يسن لكن لما كان داعية الى البدعة المفسقة (احتمه) أي الهجران بغير (تردد)منك ولا شك لارتكابه البدع . وخلال السوء التي عليها انطبع . فيجب على كل مسلم سليم الفؤاد . من شعب البدع والعناد . أن يصرم أهل البدع والالحاد . من غير شك ولا ترادد . فهجران الداعي الى البدع واجب .

عَلَى غَيْرِ مَنْ يَقْوَى عَلَى دَحْضِ قَوْلِهِ   وَيَدْفَعُ إِضْرَارَ الْمُضِلِّ بِمِذْوَدِ

(على) كل مسلم ممتثل للسنة وللبدعة مجانب . (غير من) أي انسان مسلم (يقوى) النفوذ

كلمته أو علو همته أو كثرة عشيرته (على دحض) أي دفع ورد وابطال قوله أي قول من يدعو للضلالة والبدع والجهالة قال الامام أحمد رضي الله عنه ويجب هجر من كفر أو فسق ببدعة أو دعا الى بدعة مضلة أو مفسقة على من عجز عن الرد عليه أو خاف الاغترار به والتأذي دون غيره فظاهره انه متى كان يقدر علي الرد عليه لا يجب هجره بل عليه رد قوله كما في كلام الناظم فيرده (و يدفع) بالبراهين الظاهرة والحجج الباهرة شبهته ان كان له شبهة أو بسيف الشرع (اضرار المضل) للناس الداعي لهم للهلكة والبأس (بمذود) قال في القاموس المذود كمنبر اللسان وأصل الذود السوق والطرد والدفع كالذياد وهو ذائد وقال ابن مفلح في آدابه وقيل يجب هجره مطلقا وهو ظاهر كلام الامام أحمد رضي الله عنه وقطع ابن عقيل به في معتقده قال ليكون ذلك كسرا له واستصلاحا وقال ايضا يعني ابن عقيل اذا أردت أن تعلم محل الاسلام من أهل الزمان فلا تنظر الى زحامهم في أبواب الجوامع ولا ضجيجهم بلبيك وانما انظر الى مواطأتهم أعداء الشريعة عاش ابن الراوندي والمعرى عليهما ما يستحقان ينظمان وينثران هذا يقول حديث خرافة والمعري يقول تلوا باطلا وجلوا صارما وقالوا صدقنا فقلنا نعم يعني بالباطل كتاب الله عز وجل وعظمت قبورهم واشتريت تصانيفهم وهذا يدل على برودة الدين في القلب وهذا المعنى قاله ايضا شيخ الاسلام ابن تيمية رضي الله عنه والحاصل أنه يجب هجر من كفر أو فسق ببدعة أو دعا الى بدعة مضلة أو مفسقة وهم أهل الاهواء والبدع المخالفون فيما لا يسوغ فيه الخلاف كالقائلين بخلق القرآن ونفي القدر ونفي رؤية الباري في الجنة والمشبهة والمجسمة والمرجئة الذين يعتقدون ان الايمان قول بلا عمل والجهمية والاباضية والحرورية والواقفية واللفظية والرافضة والخوارج وأمثالهم لانهم لا يخلون من كفر أو فسق قاله في المستوعب قال الخلال حدثنا اسماعيل بن اسحق الثقفي النيسابوري ان أبا عبد الله رضي الله عنه سئل عن رجل له جار رافضي يسلم عليه قال لا واذا سلم عليه لا يرد عليه وقال ابن حامد يجب على الخامل ومن لا يحتاج الى خلطتهم ولا يلزم من يحتاج الى خلطتهم لنفع المسلمين وهو مراد الناظم بقوله

وَيَقْضِي أُمُورَ النَّاسِ فِي إِتْيَانِهِ ... وَلَا هَجْرَ مَعْ تَسْلِيمِهِ الْمُتَعَوَّدِ

(و يقضي) أي ينفذ (أمور) جمع أمر والمراد به حوادث وشؤون ومصالح (الناس) الذين لا يقدرون على قضاء حوائج أنفسهم (في اتيانه) أي اتيان هذا المخالط لهؤلاء وغشيانه لابوابهم وجلوسه في أنديتهم فهذا لا يجب عليه هجرهم فتلخص من مجموع كلام الناظم والاصحاب رضوان الله عليهم أن من عجز عن الرد أو خاف الاغترار والتأذي وجب عليه الهجر وأن من قدر على الرد أو كان ممن يحتاج الى مخالطتهم لنفع المسلمين وقضاء حوائجهم ونحو ذلك من المصالح لم يجب عليه الهجر لان من يرد عليهم و يناظرهم يحتاج الي مشافهتهم ومخالطتهم لاجل ذلك وكذا من في معناه بخلاف غيره وقال ابن تميم وهجران أهل البدع كافرهم وفاسقهم والمتظاهر بالمعاصي وترك السلام عليهم فرض كفاية ومكروه لسائر الناس (ولا) يتأتي (هجر) ولا يتصور من شخص (مع تسليمه) أي تسليم الهاجر على المبتدع (المتعود) اي المعتاد بل عليه ان يصرم كلامه و يترك سلامه فلا يبدأه بالسلام وان بدأه المبتدع لا يرد عليه ولا احتشام فانّ اتباع السنة أولي وامتثال الشريعة أحق وأعلي . فان سلم عليه لم يكن له هاجرا . ولا عن مودته وصحبته نافرا . قال الامام أحمد رضي الله عنه اذا سلم الرجل على المبتدع فهو يحبه قال النبي صلى الله عليه وسلم ألا ادلكم على ما اذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم (تتمة) قال القاضي لا يجوز الهجرة بخبر الواحد بما يوجب الهجرة نص عليه لحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذ بالقرف ولا يصدق احدا على احد . والقرف التهمة يقال قرفته بكذا اذا اضفته اليه وعبته واتهمته وقال ابن عبد البر قال معاذ بن جبل اذا كان لك أخ في الله تعالى فلا تماره ولا تسمع فيه من أحد فربما قال لك ما ليس فيه فحال بينك و بينه وقد قيل في ذلك

ان الوشاة كثير ان أطعتهمو ... لا يرقبون بنا الا ولا ذمما

الال اختلف فيه واستشهد ابن الجوزي بهذا البيت على أنه القرابة وقيل أيضا

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم ... بسر ولا أرسلتهم برسول

أي برسالة

﴿ وقال كثير عزة ﴾

لعم أبي الواشين لا عم غيرهم ... لقد كلفوني خطة لا أريدها

ولا يلبث الواشون أن يصدعوا العصا ... اذا هي لم يصلب على المرء عودها

{ وقال غيره }

يا ملزمي بذنوب ما أحطت بها ... علما ولا خطرت يوما على فكري

صدقت فيّ أباطيل الظنون وكم ... كذبت فيك يقين السمع والبصر

ولما ذكر الناظم رحمه الله من يندب هجره ويجب أعقب ذلك بذكر من لا يجوز هجره من المسلمين فقال

وَحَظْرُ انْتِفَا التَّسْلِيمِ فَوْقَ ثَلَاثَةٍ ... عَلَى غَيْرِ مَنْ قُلْنَا بِهَجْرٍ فَأَكِّدِ

(وحظر) أي منع وهو منصوب على المفعولية بأكد والمراد بالحظر هنا الحرمة خلافا لظاهر كلام الامام ابن عقيل . قال في الآداب الكبرى فأما هجر المسلم العدل في اعتقاده وأفعاله فقال ابن عقيل يكره وكلام الأصحاب خلافه ولهذا قال شيخ الاسلام قدس الله روحه اقتصاره في الهجرة على الكراهة ليس بجيد بل من الكبائر على نص الامام أحمد اذ الكبيرة ما فيه حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة وقد صح قوله عليه الصلاة والسلام فيمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار (انتفا التسليم) اذا لقيه فيعرض عنه جانبا .ولا يكون لاخوة الاسلام مراقبا ولالخطة الشيطان مجانبا (فوق ثلاثة) من الايام أي أزيد منها لما ذكرنا من الحديث فظاهر كلام الناظم عدم الحظر في الثلاثة فما دون وظاهر كلام الأكثر هنا لا فرق بين ثلاثة أيام فأكثر وكلامهم في النشوز يدل على هذا وذلك لظاهر ما في الصحيحين عن أبي هريرة. رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا كما أمركم الله عز وجل المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا ويشير الى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه وفيها ولا تنافسوا ولا تهاجروا ولا تقاطعوا ان الله عز وجل لا ينظر الي صوركم ولا الى اموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم

وأعمالكم فقوله ولا تهاجروا نهي عن الهجرة وقطع الكلام وفي رواية ولا تهجروا وهو بمعنى الأولى وقيل يجوز أن يكون معنى ولا تهجروا أي لا تتكلموا بالهجر بضم الهاء وهو الكلام القبيح وفي رواية للبخاري وأبي داود وغيرهما ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ورواه الطبراني وزاد فيه يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا والذي يبدأ بالسلام يسبق الى الجنة وأخرج الامام مالك والبخاري ومسلم عن أبي أيوب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام (وأخرج) أبو داود والنسائي باسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم عن أبي هريرة مرفوعا لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار . وفي رواية لأبي داود أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لمؤمن أن يهجر مؤمنا فوق ثلاث فان مرت به ثلاث فليلقه فليسلم عليه فان رد عليه السلام فقد اشتركا في الأجر وان لم يرد فقد باء بالاثم وخرج المسلم من الهجرة وفي حديث عائشة عند أبي داود فاذا لقيه يسلم عليه ثلاث مرات كل ذلك لا يرد عليه فقد باء باثمه (وأخرج) الامام أحمد بسند صحيح وأبو يعلي والطبراني وابن حبان في صحيحه عن هشام بن عامر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم أن يهجر مسلما فوق ثلاث ليال فانهما ناكبان أي مائلان عن الحق ما داما على صرامهما وأولهما فيئا يكون سبقه بالفيء كفارة له وان سلم فلم يقبل ورد عليه سلامه ردت عليه الملائكة ورد على الآخر الشيطان فان ماتا علي صرامها لم يدخلا الجنة جميعا أبداً وروى الطبراني بسند صحيح عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من هجر أخاه فوق ثلاث فهو في النار الا أن يتداركه الله برحمته (وأخرج) مالك ومسلم واللفظ له وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض الاعمال في كل اثنين وخميس فيغفر الله عز وجل في ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيئا الا امرأ كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول اتركوا هذين حتي يصطلحا وفي رواية انه يكون ذلك ثلاثا

يعني قوله اتركوا هذين حتى يصطلحا الشحناء العداوة كانه شحن قلبه بغضا أي ملأه وكلامه في المستوعب وغيره على انه لا يحرم في الثلاثة أيام للاخبار التي ذكرناها وفي شرح مسلم قال العلماء رضي الله عنهم وانما عفي عنها في الثلاث لان الآدمي مجبول على الغضب وسوء الخلق ونحو ذلك فعفي عنها في الثلاث ليزول ذلك العارض وقيل ان الاخبار لا تدل على الهجر في الثلاث قال في شرح مسلم على مذهب من لا يحتج بالمفهوم قال في الآداب ويتوجه أو لان الخبر في الهجر بعذر شرعي انتهى قلت وقد ورد عن المصطفى صلى الله عليه وسلم ما يبطل التأويلين فروى الطبراني ورواته ثقات الا عبد الله بن عبد العزيز الليثي فوثقه مالك وسعيد بن منصور وقال البخاري منكر الحديث وضعفه النسائي وابو حاتم وقال أبو زرعة ليس بالقوي وقال يحيى ليس بشيء فهو مختلف فيه كما ترى عن أبي أيوب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله اخوانا هجر المؤمنين ثلاثا فان تكلما والا أعرض الله عز وجل عنهما حتى يتكلما فان هذا الحديث يبطل تأويل من لم يحتج بالمفهوم جزما ويوهي اتجاه صاحب الآداب لأن الاصل عدم العذر الا أن يقوم عليه دليل والله الموفق . وانما يحرم الهجر وانتفاء التسليم فوق ثلاثة أيام (على غير من) أي مسلم قلنا (بـ) جواز (هجر) ه لارتكابه المعاصي وتجاهره بها فانها تجره بالنواصي الى جهنم ولهبها أو قلنا بوجوب هجره لارتكابه البدع المكفرة أو المفسقة أو كونه داعيا الى بدعة مضلة أو مفسقة كما بيناه سابقا وقول الناظم (فأكد) فعل أمر من التاكيد أى أكد حظر انتفاء التسليم فوق ثلاثة أيام بلياليها على غير من قلنا بجواز هجره أو وجوبه (تنبيهان الأول) ظاهر ما ذكرنا من الأحاديث ان الهجر المحرم يزول بالسلام وذكره في الآداب والرعاية والمستوعب وزاد ولا ينبغي له ان يترك كلامه بعد السلام عليه وروي أبو حفص عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا السلام يقطع الهجران وذكر النووي ان مذهب مالك والشافعي ومن وافقهما يزول الهجر المحرم بالسلام وقال الامام أحمد وابن القاسم المالكى ان كان يؤذيه لم يقطع السلام هجرته قال الأثرم سمعت أبا عبد الله يسأل عن السلام يقطع الهجران

فقال قد يسلم عليه وقد صد عنه ثم قال أبو عبد الله رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم يقول يلتقيان فيصد هذا و يصد هذا فاذا كان قد عوده أن يكلمه وأن يصافحه ثم قال الا انه ما كان من هجران في شيء يخاف عليه فيه الكفر فهو جائز ثم قال أبو عبد الله النبي صلى الله عليه وسلم قال في قصة كعب بن مالك حين خاف عليهم ولم يدر ما يقول فيهم لا تكلموهم فظاهر كلام الامام أحمد رضي الله عنه انه لا يخرج من الهجرة بمجرد السلام بل بعوده الي حاله مع المهجور قبل الهجرة قال القاضي وانما لم يجعله أحمد خارجا من الهجرة بمجرد السلام حتى يعود الى عادته معه في الاجماع والمؤانسة لان الهجرة لا تزول الا بعودته معه انتهى وقد قال الامام أحمد للذي تشتمه ابنة عمه اذا لقيها سلم عليها اقطع المصارمة فظاهر هذه الرواية ان السلام يقطعها مطلقا وجزم به ابن حمدان والسامري وغيرهما وقطع به في الاقناع والله اعلم (الثاني) ظاهر كلام الاصحاب رضوان الله عليهم ان الهجر المحرم لا يزول بغير مشافهة ونص عليه الشافعي قال في الآداب الكبرى ويتوجه على قول من جعل من أصحابنا الكتابة والمراسلة كلاما ان يزول الهجر المحرم بها قال ثم وجدت ابن عقيل ذكره وللشافعية وجهان قال النووي أصحهما يزول لزوال الوحشة انتهى وظاهر كلام سيدنا الامام أحمد أنه يزول قال ابن رزين في مختصره فيما لو حلف أن لا يكلمه فكتب أو أرسل اليه نص أحمد على انه ينظر الى سبب يمينه فان كان نيته أو سبب يمينه يقتضي هجرانه وترك صلته حنث انتهي فدل هذا على ان الكتابة والمراسلة كلام والله تعالى الموفق لكل خير ولما تم الكلام على أحكام الهجر والانصرام أعقب ذلك في النظام بذكر السلام فقال

وَكُنْ عَالِمًا أَنَّ السَّلَامَ لَسُنَّةٌ ... وَرَدُّكَ فَرْضٌ لَيْسَ نَدْبًا بِأَوْطَدِ

(وكن) أيها المتشرع. الذى لعلم الآداب متشوق ومتطوع. (عالما) علم اخلاص وتحقيق. وامتثال وتدقيق. (أن السلام) أي ابتداءه وهو تحية أهل الاسلام ومعناه لغة الأمان قال الحجاوي في لغة اقناعه السلام من أسماء الله تعالى في التشهد السلام عليك معرفا ويجوز منكرا ومعناه اسم الله عليك أو سلم الله عليك

تسليما وسلاما ومن سلم الله عليه سلم (لسنة) مؤكدة صرحت بها الاخبار. وصحت بها الآثار. عن النبي المختار. ونطق بها الكتاب في قوله فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله فالسلام سنة عين من المنفرد وسنة على الكفاية من الجماعة والافضل السلام من جميعهم (و) كن عالما ان (ردك) السلام المسنون على من ابتداه عليك يعني حيث كان الابتداء في حالة يسن الابتداء فيها (فرض) على الكفاية من الجماعة وفرض عين على الواحد لقوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ولما ذكره من الاخبار النبوية (ليس) ردك السلام (ندبا) أي مندوبا بل واجب خلافا لظاهر كلام جماعة من الاصحاب. رحمهم الملك الوهاب (بأوطد) أى بأثبت وأشهر يقال وطد الشيء يطده وطدا فهو وطيد وموطود أثبته وثقله كوطده فتوطد ووطد الشيء دام وثبت ورسا والمتواطد الدائم الثابت الذي بعضه في اثر بعض كما في القاموس ونحوه في النهاية فالاثبت والاصح ان الرد واجب لامندوب وعلم منه ان ابتداء السلام ليس بواجب وذكره ابن عبد البر اجماعا وظاهر ما نقل عن الظاهرية وجوبه وذكر الشيخ رضي الله عنه أن ابتداء السلام واجب في أحد القولين في مذهب أحمد وغيره . واعلم انه ورد في افشاء السلام وفضائله عدة أحاديث منها ما رواه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الاسلام خير قال تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف (وأخرج) مسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخلوا الجنة حتي تؤمنوا ولا تؤمنوا حتي تحابوا ألا أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم وروى ابن حبان في صحيحه عن البراء رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفشوا السلام تسلموا (وأخرج) الترمذى وقال حسن صحيح عن أبي يوسف عبدالله بن سلام رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام (وأخرج) الطبراني باسناد حسن عن أنس رضي الله عنه قال كنا

اذا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفرق بيننا شجرة فاذا التقينا يسلم بعضنا على بعض (وأخرج) في الاوسط باسناد جيد وقال لا يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم الا بهذا الاسناد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعجز الناس من عجز في الدعاء وأبخل الناس من بخل بالسلام وروي ايضا عن عبد الله ابن معقل رضي الله عنه في معاجمه الثلاثة باسناد جيد قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم أسرق الناس الذى يسرق صلاته قيل يارسول الله وكيف يسرق صلاته قال لا يتم ركوعها ولا سجودها وأبخل الناس من بخل بالسلام (وأخرج) الامام احمد والبزار واسناد الامام أحمد لا بأس به عن جابر رضي الله عنه ان رجلا أتي النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لفلان في حائطي عذقا وانه قد آذاني وشق على مكان عذقه فأرسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعني عذقك الذى في حائط فلان قال لا قال فهبه لي قال لا قال فبعنيه بعذق في الجنة قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رايت الذى هو أبخل منك الا الذي يبخل بالسلام وفي الباب أحاديث متعددة اذا علمت هذا فاعلم ان للسلام عدة فوائد منها امتثال سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد قال من كان من أمتي فليستن بسنتي . ومنها الخروج من الحرمة على القول بوجوب ابتدائه وان كان الصحيح المعتمد عدم الوجوب . ومنها الخروج من البخل وقد ورد انه لا يدخل جنة عدن بخيل وقال صلى الله عليه وسلم أي داء أدوي من البخل والبخيل بغيض الى الله بغيض الى الناس بعيد من الجنة حبيب الى الشيطان قريب الي النير ان والجنة دار الاسخياء . ومنها أنه يكون من الاسباب التي تدخل صاحبها الجنة كما في حديث عبد الله بن سلام ويوجب دخولها له كما فى حديث ابي سرح رضي الله عنه أنه قال يارسول الله أخبرني بشيء يوجب الجنة قال طيب الكلام وبذل السلام واطعام الطعام رواه الطبراني وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه . ومنها أن بذله من موجبات المغفرة فقد روي الطبراني عن أبى سرح باسناد جيد قال قلت يارسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال ان من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام . ومنها أنه يوجب المحبة بينه وبين اخوانه المسلمين كما في حديث أبي هريرة المتقدم وغيره والمحبة شأنها عظيم وقدرها جسيم ومدار العالم العلوى والسفلى عليها وجميع الحركات

انما نشأت عنها وقد جاء في الحث عليها عدة أحاديث ذكرت طرفا منها في خاتمة كتابي البحور الزاخرة . ويكفي كونها علما للايمان والله ولى الاحسان . ومنها اداء حق أخيه المسلم ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حق المسلم على المسلم ست قيل وما هن يارسول الله قال اذا لقيته فسلم عليه واذا دعاك فأجبه واذا استنصحك فانصح له واذا عطس فحمد الله فشمته واذا مرض فعده واذا مات فاتبعه . ومنها أولويته بالله تعالى لما روي أبو داود والترمذي وحسنه عن ابي أمامة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أولي الناس بالله من بدأهم بالسلام ولفظ الترمذي قيل يارسول الله الرجلان يلتقيان ايهما يبدأ بالسلام قال أولاهما بالله تعالى . ومنها حوزه الفضيلة لما أخرج البزار وابن حبان في صحيحه عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلم الراكب علي الماشي والماشي على القاعد والماشيان ايهما بدأ فهو افضل (واخرج) الطبراني في الكبير والاوسط واحد اسنادى الكبير محتج بهم في الصحيح عن الاغراء اغر مزينة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرلي بجريب من تمر عند رجل من الانصار فمطلني به فكلمت فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اغديا ابا بكر فخذ له من تمره فوعدني ابو بكر المسجد اذا صلينا الصبح فوجدته حيث وعدني فانطلقنا فكلما رأي ابا بكر رجل من بعيد سلم عليه فقال ابو بكر رضى الله عنه أما ترى ما يصيب القوم عليك من الفضل لا يسبقك الى السلام احد فكنا اذا طلع الرجل من بعيد بادرناه بالسلام قبل ان يسلم علينا . ومنها ادراك الفضيلة في افشاء اسم الله السلام وفضل الدرجة بنشره لما اخرج البزار باسناد جيد قوي والطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال السلام اسم من اسماء الله تعالي وضعه في الارض فأفشوه بينكم فان الرجل المسلم اذا مر بقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة بتذكيره اياهم السلام فان لم يردوا عليه رد عليه من هو خير منهم . ومنها حصول الحسنات التي صحت بها الروايات . فأخرج ابو داود والترمذي وحسنه والنسائي والبيهقي وحسنه أيضا عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلي الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فرد عليه ثم جلس فقال النبي صلى الله

عليه وسلم عشر ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد فجلس فقال عشرون ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد فجلس فقال ثلاثون ورواه ابو داود عن معاذ مرفوعا بنحوه وزاد ثم اتي آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته فقال أربعون هكذا تكون الفضائل . ومنها حصول السلام كما في حديث البراء المتقدم ويحتمل قوله صلى الله عليه وسلم أفشوا السلام تسلموا يعني في الدنيا من الاثم والبخل او من اعم من ذلك من نكبات الدنيا ومن اهوال الآخرة وفضل الله واسع . ومنها دخول الجنة بسلام يعني بأمان أو متلبسين بسلام أو مصطحبين باسم الله تعالى . ومنها تصفية ود أخيك المسلم فقد روى الطبراني في الأوسط عن شيبة الحجبي عن عمه مرفوعا ثلاث يصفين لك ود أخيك تسلم عليه اذا لقيته وتوسع له في المجلس وتدعوه بأحب أسمائه اليه . ومنها حصول فضيلة الاسلام وخيريته كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وتقدم . ومنها احياء سنة أبينا آدم عليه الصلاة والسلام فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله آدم قال اذهب فسلم على أولئك نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يجيبونك فانها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوا ورحمة الله وقال مجاهد كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يأخذ بيدي فيخرج الى السوق يقول اني لا خرج وما لي حاجة الا لأسلم و يسلم علي فأعطي واحدة واحدة وآخذ عشرا يا مجاهد ان السلام من أسماء الله تعالى فمن أكثر السلام أكثر ذكر الله تعالى . ومنها موافقة تحية أهل الجنة فان تحية أهل الجنة فيها سلام كما قال جل شأنه وتحيتهم فيها سلام . والله ولي الانعام (تنبيهات الأول) صفة السلام أن يقول المبتدي السلام عليكم ورحمة الله و يقول الراد وعليكم السلام ورحمة الله و بركاته وان قال الراد وعليك أو وعليكم فقط وحذف المبتدا فظاهر كلام الناظم في مجمع البحرين أنه يجزيء وكذا ظاهر كلام الشيخ قال كرد النبي صلى الله عليه وسلم على الأعرابي . قال في الآداب الكبرى وصح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى أبي بن كعب وهو يصلي فقال يا أبي فالتفت ثم لم يجبه ثم صلى أي تخفف

ثم انصرف الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يا رسول الله قال وعليك ما منعك أن تجيبني اذ دعوتك الحديث قال الناظم رحمه الله تعالى في مجمع البحرين فيه دليل على جواز قول الراد للسلام وعليك بحذف المبتدا انتهى وكذا رد النبي صلى الله عليه وسلم على أبي ذر وهو في الصحيحين في فضائله وهذا أحد الوجهين للشافعية وظاهر الاقناع لا يجزيه ذلك لأنه قال ويجزي في الرد وعليكم السلام فدل بمنطوقه على الاجزاء بهذه الصيغة وبمفهومه على عدم الاجزاء بأقل منها بأن حذف المبتدا فقال وعليكم ومقتضى كلام شيخ الاسلام الاجزاء لانه قال المضمر كالمظهر الا ان يقال اذا وصله بكلام فله الاقتصار بخلاف ما اذا سكت ولولا أن الرد الواجب يحصل به لما أجزأ الاقتصار عليه في الرد على الذمي ومقتضى كلام ابن أبي موسى وابن عقيل وسيدنا الشيخ عبد القادر عدم الاجزاء قال الشيخ عبد القادر فان قال سلام لم يجبه و يعرفه انه ليس بتحية الاسلام لانه ليس بكلام تام قال ابن الاثير وكانوا يستحبون تنكير الابتدا وتعريف الجواب وتكون الالف واللام للعهد يعني السلام الاول قال في الاقناع و يخير بين تعريفه وتنكيره في سلامه على الحي وأما السلام على الميت فمعرف السلام عليكم دار قوم مؤمنين الي آخره (الثاني) انتهاء السلام ابتداء وردا و بركاته ويجوز أن يزيد الابتداء على الرد كعكسه قال ابن عقيل وآخره ورحمة الله وبركاته ابتداء وردا ولا يستحب الزيادة عليها قال الامام أحمد وقد سئل عن تمام السلام فقال وبركاته وفي الموطأ عن ابن عباس رضي الله عنهما ان السلام انتهى الى البركة قال القاضي ويجزي أن يزيد الابتداء على لفظ الرد والرد على لفظ الابتداء الا أن الانتهاء في ذلك الى البركات خلافا لمن أوجب مساواة الرد للابتداء أو أزيد لظاهر الآية وأما حديث أبي داود في الزيادة على البركات حيث قال وبركاته ومغفرته فقال أربعون وتقدم فضعيف وخلاف المشهور قال النووي يستحب أن يقول المبتدي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فيأتي بضمير الجمع وان كان المسلم عليه واحدا ويقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته لما قدمنا في حديث عمران بن حصين رضي الله عنه واستظهره ابن مفلح في آدابه وهو مقتضي كلام أبي داود وكذا قال

الشيخ وجيه الدين من أصحابنا وأكمله ذكر الرحمة والبركة ابتداء وكذا الجواب وأقله السلام عليكم وأوسطه ذكر الرحمة . قال في الاقناع ويجزئ في السلام السلام عليكم ولو على منفرد وفي الرد وعليكم السلام . قال في الآداب الكبرى فان كان واحدا فينوي ملائكته حيث أتى بميم الجمع (الثالث) أوجب في الاقناع زيادة الواو في الرد بان يقول وعليك أو وعليكم فان أسقطها فقال في الهدى فهل يكون ردا صحيحا قالت طائفة منهم المتولى لا يكون جوابا ولا يسقط به فرض الرد وذهبت طائفة الي انه صحيح انتهى قال في الآداب الكبري وتزاد الواو في رد السلام وذكر الشيخ وجيه الدين في شرح الهداية انه واجب وهو قول بعض الشافعية والاول أشهر يعني عدم وجوب زيادتها قلت وهو المذهب جزم به م ص في شرح المنتهى كالمصنف وهو ظاهر المتن لما في الصحيحين ان آدم عليه السلام قال للملائكة عليهم السلام السلام عليكم فقالوا له عليك السلام ورحمة الله كما تقدم ولان الله سبحانه قال قالوا سلاما قال سلام قال في الآداب قيل هو مرفوع خبر مبتدأ محذوف أي قولي سلام أي جوابي أو أمري وقيل هو مبتدأ والخبر محذوف أي سلام عليكم وأما النصب في الاول فقيل مفعول به محمول على المعنى كانه قال ذكروا سلاما وقيل هو مصدر أى سلموا سلاما وكره أن يقول سلام الله عليكم لانه اخبار عن الله عز وجل بالتسليم وهو كذب وفيه انه انشاء كقولك صلى الله على محمد بل الاولي ان علة الكراهة عدم الاتيان بالسلام علي الوجه المعروف المشهور كما في الآداب (الرابع) يكره السلام علي جماعة منهم المتوضي ومن في الحمام ومن يأكل أو يقاتل وعلى تال وذاكر وملب ومحدث وخطيب وواعظ وعلي مستمع لهم ومكرر فقه ومدرس وباحث في علم ومؤذن ومقيم ومن على حاجته ومتمتع باهله أو مشتغل بالقضاء ونحوهم فمن سلم في حالة لا يستحب فيها السلام لم يستحق جوابا وقد نظمهم الخلوتي وزاد عليهم جماعة فقال

رد السلام واجب الا على ... من في الصلاة أو بأكل شغلا
أو شرب أو قراءة أو أدعية ... أو ذكر او في خطبة أو تلبيه
أو في قضاء حاجة الانسان ... أو في اقامة أو الأذان

أو سلم الطفل او السكران | او شابة يخشى بها افتتان
او فاسق او ناعس او نائم | أوحالة الجماع او تحاكم
او كان في الحمام او مجنونا | فهي اثنتان قبلها عشر ونا

و رد النص في بعض هذه والبقية بالقياس على المنصوص واذا انتفى الوجوب بقي الاستحباب او الاباحة نعم في مواضع يكره الرد ايضا كالذى على حاجته ولعل مثله من مع اهله . ويحرم ان يرد وهو في الصلاة لفظا وتبطل به و يكره اشارة قدمها في الرعاية . وقيل لا كراهة للعموم ولان النبي صلى الله عليه وسلم لم ينكر على من سلم عليه من أصحابه وهو في الصحيحين ولانه صلى الله عليه وسلم رد على ابن عمر اشارة وعلى صهيب كما روى الامام أحمد والترمذي وصححه وان رد عليه بعد السلام فحسن لوروده في حديث ابن مسعود وان لقي طائفة فخص بعضهم بالسلام كره وكره السلام على امرأة أجنبية غير عجوز و برزة فان سلمت شابة على رجل رده عليها وان سلم لم ترد عليه قال ابن الجوزي المرأة لا تسلم على الرجال أصلا وروي من الحلية عن الزهري عن عطاء الخراساني يرفعه ليس للنساء سلام ولا عليهن سلام وكره الامام السلام على الشواب دون الكبيرة وقال شيخ الاسلام لا ينبغي أن يسلم على من لا يصلي ولا يجيب دعوته (الخامس) سئل الامام أحمد رضي الله عنه عن رجل مر بجماعة فسلم عليهم فلم يردوا عليه السلام فقال يسرع في خطاه لا تلحقه اللعنة مع القوم وقد ذكر ابن حزم وابن عبد البر وشيخ الاسلام ابن تيمية الاجماع علي وجوب الرد وذكر ابن عبد البر ان أهل العراق جعلوه فرضا متعينا على كل واحد من الجماعة المسلم عليهم وحكاه غيره عن أبي يوسف وحكاه المجد عن الحنفية نعم ذكر الحنفية لا يجب رد سلام سائل على باب داره لانه سلم لشعار سؤاله لا للتحية قال في الآداب الكبرى يجزي رد واحد من جماعة و يشترط ان يكونوا مجتمعين فأما الواحد المنقطع فلا يجزي سلامه عن سلام آخر منقطع ذكره ابن عقيل وظاهر كلام غيره خلافه وقد قال علي رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم يجزي عن الجماعة اذا مروا ان يسلم احدهم و يجزي عن الجلوس ان يرد أحدهم رواه أبو داود وفيه سعيد بن خالد الخزاعي ضعفه أبو زرعة وقال

البخاري فيه نظر قال صاحب المحرر ورد السلام سلام حقيقة لأنه يجوز بلفظ سلام عليكم فيدخل في العموم ولانه قدرد عليه مثل تحيته فلاتجب زيادة كزيادة القدر قال وانما لم يسقط يعني وجوب الرد برد غيرالمسلم عليهم لأنهم ليسوا من اهل هذاالفرض كمالا يسقط الاذان عن أهل بلدة بأذان بلدة اخرى واما لو قال كل من المتلاقيين لصاحبه عليكم السلام ابتداء لاجوابا فقال الحجاوي لم يستحق واحد منهما الجواب لأنها صيغة جواب لاابتداء وذكره الشيخ وجيه الدين والله أعلم (السادس) يجوز السلام على الصبيان تأديبا لهم وهو معنى كلام ابن عقيل وجزم به في الاقناع وقال القاضي في المجرد وصاحب عيون المسائل والشيخ عبدالقادر يستحب وذكره في شرح مسلم اجماعا قال شيخ الاسلام فاماالحدث الوضيء أى الجميل فلم يستثنوه وفيه نظرو ينبغى أن ينبنى على مسئلة النظر اليه وقدسلم النبي صلى الله عليه وسلم على الصبيان كما في عدة أحاديث كقول انس أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن صبيان فسلم علينا ومر انس على صبيان فسلم عليهم وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله متفق عليه والصبيان بكسر الصاد وضمها لغة (السابع) يسن أن يرفع صوته بابتداء السلام ليسمعه المسلم عليه سماعا محققا ومن سلم أو رد على أصم جمع بين لفظ واشارة وسلام اخرس وجوابه بالاشارة وان سلم على أيقاظ عندهم نيام أو على من لايعلم هل هم أيقاظ أو نيام خفض صوته بحيث يسمع الايقاظ ولا يوقظ النيام ولو سلم علي انسان علي بعد ثم لقيه علي قرب سن أن يسلم عليه ثانيا وثالثا ولا يترك السلام ان غلب علي ظنه عدم الرد في الاصح. وان دخل علي جماعة فيهم علماء سلم علي الكل ثم سلم علي العلماء سلاما ثانيا (الثامن) سئل الامام أحمد رضي الله عنه عن حديث حذف السلام سنة قال أبو عبدالله هذا أن يجيء الرجل الى القوم فيقول السلام عليكم ومد بها أبو عبد الله صوته ولكن ليقل السلام عليكم وخفف ابو عبدالله صوته قال يقول هكذا (التاسع) ان سلم من وراء جدار أو الغائب برسالة أو كتابة وجبت الاجابة عند البلاغ ويستحب ان يسلم علي الرسول فيقول وعليك وعليه السلام وان بعث معه السلام وجب تبليغه ان تحمله روى أبو جعفر عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا اني لارى لرد جواب الكتاب علي حقا كما أرى رد جواب

السلام . قال شيخ الاسلام المحفوظ عن ابن عباس وقفه قال ابن مفلح وقول الصحابي اذا لم يصح خلافه عن صحابي معمول به (العاشر) قال حرب قلت للامام أحمد كيف نكتب في عنوان الكتاب قال تكتب الى أبي فلان ولا تكتب لابي فلان فانه ليس له معنى اذا كتبت لابي فلان وقال المروذي كان أبو عبدالله يكتب عنوان الكتاب الى ابي فلان وقال هو أصوب من ان يكتب لابي فلان وقال سعيد بن يعقوب كتب الي أحمد بن حنبل بسم الله الرحمن الرحيم من أحمد بن محمد الى سعيد بن يعقوب امابعد فان الدنيا داء والسلطان داء والعالم طبيب فاذا رأيت الطبيب يجر الداء الى نفسه فاحذره والسلام عليك ، وقال حنبل كانت كتب ابي عبدالله أحمد بن حنبل التي يكتب بها الى فلان فسالته عن ذلك فقال النبي صلي الله عليه وسلم كتب الى كسري وقيصر وكتب كلما كتب على ذلك واصحاب النبي صلي الله عليه وسلم وعمر كتب الى عتبة بن فرقد وهذا الذى يكتب اليوم لفلان محدث لا أعرفه قلت فالرجل يبدأ بنفسه قال أما الاب فلا أحب أن يقدمه باسمه ولا يبدأ ولد باسمه علي والد والكبير السن كذلك يوقره به وغير ذلك لا بأس و في معني كبر السن العلم والشرف قال في الآداب وهو مراد الامام أحمد رضي الله عنه ان شاء الله والا فلا وجه لمراعاة شيخ لا علم عنده وترك عالم صغير السن قال ولم أجد عن الامام احمد رضى الله عنه ما يخالف هذا النص صريحا ولعل ظاهر حاله اتباع طريق من مضى في بداءة الانسان بنفسه مطلقا والله اعلم . وقد تذكرت هنا ابياتا احببت ذكرها كتب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه للامام احمد رضي الله تعالى عنه مالفظه

قالوا يزورك احمد وتزوره ... قلت الفضائل لا تفارق منزله
ان زارني فبفضله أو زرته ... فلفضله فالفضل في الحالين له

فأجابه الامام أحمد رضي الله عنه

ان زرتنا فبفضل منك تمنحنا ... أو نحن زرنا فللفضل الذي فيكا
فلا عدمنا كلا الحالين منك ولا ... نال الذي يتمني فيك شانيكا

وكتب الزبير بن بكار للمغيرة وقد عتب عليه على بطء المكاتبة

ما غير النأي ودا كنت تعهده ... ولا تبدلت بعد الذكر نسيانا

ولا حمدت اخاء من أخي ثقة | الا جعلتك فوق الحمد عنوانا

(الحادى عشر) ابتداء السلام أفضل من رده مع ان ابتداءه سنة ورده واجب وهذا أحد المواضع التي السنة فيها أفضل من الفرض . الثاني انظار المعسر فرض وابراؤه سنة وهو أفضل . الثالث التطهر قبل الوقت سنة و به يجب . وقد نظمها الجلال السيوطي فقال

الفرض أفضل من تطوع عابد | حتى ولو قد جاء منه بأكثر

الا التطهر قبل وقت وابتدا | ء السلام كذاك ابرا المعسر

وزاد الشيخ العلامة محمد الخلوتي الختان ونظمه فقال

وكذا ختان المرء قبل بلوغه | تمم به عقد الامام المكثر

(تتمة)لايجوز بداءة أهل الذمة بالسلام عند عامة العلماء سلفا وخلفا لانه عليه الصلاة والسلام نهي عن ذلك كما في الصحيحين وغيرهما فان سلم أحدهم وجب الرد عندنا وعند عامة العلماء لصحة الاحاديث بالامر بالرد خلافا لمالك وصفة الرد وعليك أو وعليكم بحذف الواو واثباتها لصحة هذه الالفاظ عن النبي صلى الله عليه وسلم واختار الاصحاب اثبات الواو خلافا لابن أبي موسى منا وابن حسين المالكي لانها تقتضى التشريك وكان سفيان بن عيينة يرويه بالحذف وقال الخطابي رواه عامة المحدثين بالواو وقيل الواو هنا للاستئناف لا للعطف والتشريك والتقدير وعليكم ما تستحقونه من الذم وذلك لأنهم يقولون السام عليكم يعني الموت او السلام عليك وهي الحجارة فيقال وعليك وان سلم على ذمي ولم يعلمه قال له رد علي سلامي والله أعلم .

وَيُجْزِئُ تَسْلِيمُ امْرِئٍ مِنْ جَمَاعَةٍ | وَرَدُّ فَتًى مِنْهُمْ عَلَى الْكُلِّ يَاعَدِى

(و)حيث علمت أن ابتداء السلام من الجماعة سنة كفاية ف(يجزئ تسليم)أي ابتداء السلام من (امرئ) حيث كان المرء المسلم (من) جملة (جماعة) عن جميعهم لان هذا شأن الكفاية أى يخاطب به الجميع لا كل واحد بعينه ويجزي من واحد وظاهره ويحصل لهم أصل السنة بتسليم من يجزئ سلامه والافضل السلام

من جميعهم وأما المنفرد فالسلام في حقه سنة عين وظاهر اطلاق كلامه كغيره اجزاء ابتداء السلام من المميز ويتوجه وكذا من المرأة لانه يلزم الرد علي سلامها ولا يلزمها رد اذا سلم عليها (و) يجزيء عن الجاعة (ردفى) واحد بالغ (منهم) أي من الجاعة المسلم عليهم دون رد واحد من غير المسلم عليهم ويكون فورا بحيث يعد جوابا للسلام والا لم يكن ردا كما فى الاقناع قال المجد لانه ليس من أهل هذا الفرض كما ذكرناه قريبا وانظر هل يشمل تعليله كل من لا يسن ابتداء السلام عليه كالآكل والمتوضيء لم أر من تعرض له والظاهر اجزاء ردهم والله أعلم لأن رد السلام كما علمت فرض كفاية وشأن فرض الكفاية أن يخاطب به الجمع ويسقط بمن يقوم به لان المقصود الاتيان به وقد حصل . وأخرج أبو داود عن علي رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزى عن الجماعة اذا مروا أن يسلم أحدهم ويجزى عن الجلوس أن يرد أحدهم نعم لابد أن يكون الراد مكلفا حتي يجزيي عن الباقين فلو رد كافر لم يجز وكذا ان كان فيهم صبي فرد وحده لم يسقط عنهم الفرض قال ابن حمدان ان سلم بالغ على بالغ وصبى رده البالغ ولم يكف رد الصبي انتهى ومفهوم كلامه انه لو كان بالغ وصبي فسلم الصبي علي بالغ وصبي اجزأ رد الصبي ولعله ليس مرادا لانه يلزم الرد علي تسليم الصبي في الاصح وقد علمت ان الرد لا يسقط بالصبي فتأمل وقال ابو المعالى والسلام على الصبي لا يستحق جوابا لعدم اهليته للخطاب والامر به فان سلم صبي على بالغين فوجهان في وجوب الرد مخرجان من صحة سلامه انتهى والمذهب الوجوب قال في الغاية ولا بأس به يعني السلام على الصبيان تأديبا لهم ولا يلزمهم رد ويلزم رد عليهم كشابة أجنبية سلمت وارسالها به لأجنبي وارساله اليها لا بأس به لمصلحة وعدم محذور انتهى وتقدم اعتبار اجتماع المسلمين فأما الواحد المنقطع فلا يجزي سلامه عن سلام آخر منقطع (تنبيه) استوجه العلامة في غايته اكتفاء رد واحد مع سلام جماعة تعاقبوا ان لم يكن رد على الأول ومثله تشميت وكأنه رحمه الله تعالى قاسه على الكفارة وفيه أن رد السلام فيه حق لآدمي وحقوق الآدميين لا تتداخل وعلى كلامه لا بد من قصده بالرد عليهم جميعا وقول الناظم رحمه الله تعالى (على

الكل) أي على كل الجماعة المسلمين أو المسلم منهم فلا بد من نيته بالرد على كلهم ولو كان المسلم بعضهم وفي نسخة ورد الفتى منهم عن الجمع ياعدي أي ويجزي رد فتى من جمع عن ذلك الجمع يعني رد واحد من جماعة عن تلك الجماعة لأن الرد فرض كفاية يخاطب به الجميع ويسقط بواحد وقد علم هذا بما شرحناه والله أعلم وقوله (يا عدى) أي يا فلان وأتى به حشوا لقافية البيت لا أنه قصد واحدا بعينه اسمه عدى ويحتمل على بعد ارادته شخصاً بعينه وان قصد تفهيمه الحكم الشرعي والله أعلم

وَتَسْلِيمُ نَزْرٍ وَالصَّغِيرِ وَعَابِرِ السَّبِيلِ وَرُكْبَانٍ عَلَى الضِّدِّ أَيِّدِ

(و) يسن (تسليم نزر) أي قليل سواء كان واحدا على اثنين فصاعدا أو جماعة على أكثر منهم عددا قال في القاموس النزر القليل كالنزير والمنزور وفي صفة كلام النبي صلى الله عليه وسلم لا نزر ولا هدر أي ليس بقليل فيدل على عي ولا بكثير فاسد (و) يسن تسليم (الصغير) على ضده وهو الكبير (وعابر السبيل) يعني الماشي في الطريق على الجالس (و) تسليم (ركبان) على خيل أو غيرها (على الضد) وهو الماشي (أيد) كل واحد ممن ذكر بابتداء السلام على ضده لقوله صلى الله عليه وسلم يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير . وفي حديث آخر يسلم الراكب على الماشي رواهما البخاري وفى الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعا يسلم الماشي على الجالس والراكب عليهما . وأخرج البزار وابن حبان في صحيحه عن جابر رضي الله عنه يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والماشيان أيهما بدأ فهو أفضل قال الامام الوزير عون الدين بن هبيرة رضي الله عنه من سلم على رجل فقد أمنه فالفارس أقوى من الراجل فأمر عليه السلام بسلام الأقوى على الأضعف وسلام القليل على الكثير أقل حرج هذا هو الأفضل

وَإِنْ سَلَّمَ الْمَأْمُورُ بِالرَّدِّ مِنْهُمُ فَقَدْ حَصَّلَ الْمَسْنُونَ إِذْ هُوَ مُبْتَدِي

(وان) عكس الأمر بأن (سلم) أي ابتدأ السلام (المأمور بالرد) أي برد السلام لكون ضدهم يسلم عليهم (منهم) أي من المسلمين المأمورين بنشر السلام بأن ابتدأ بالسلام الكثير على القليل والكبير على الصغير والجالس على الماشي والماشي على الراكب (فقد حصل) الأمر (المسنون اذ هو) أي المسلم (مبتدي) فحصل بالسلام من قلنا يبدأ غيره السنة بسلامه وصار مبتدئا يعنى حصل أصل السنة غير أن الأفضل أن يبدأ بالسلام القليل على الكثير كما ذكرنا وفي كلام الامام ابن مفلح هنا تردد في فهم شأن هذا البيت وهو ظاهر كما ترى ومراد الناظم والله أعلم أن من ابتدأ بالسلام من نحو الجالس والكثير الخ فقد حصل المسنون وفاز بالأجر المضمون . وحاز الفضل المكنون في الابتداء اذ الابتداء أفضل من الرد كما قدمنا فلا توقف والله أعلم . قال فقهاؤنا وسن حرص متلاقيين على بداءة سلام فان بدأ كل صاحبه معا وجب الرد على كل وسن لمن تلاقوا بطريق أن يسلم صغير وقليل وماش وراكب قال في الغاية ويتجه ومنحدر على ضدهم فان عكس حصلت السنة ويسلم وارد على ضده مطلقا يعنى سواء كان الوارد أكثر من ضده أو أقل راكبا أو ماشيا كبيرا أو صغيرا وظاهر النظم لو سلم الجالس على الوارد لحصل أصل السنة وعبارة الاقناع وغيره تعين كون السلام من الوارد لانه قال أما اذا وردوا على قاعد أو قعود فان الوارد يبدأ مطلقا والله أعلم ثم أشار الناظم رحمه الله تعالي الى مسنونية السلام علي من قام من مجلس قوم فقال

وَسَلِّمْ اِذَا مَا جِئْتَ بَيْتَكَ تَهْتَدِ ... وَسَلِّمْ اِذَامَا قُمْتَ عَنْ حَضْرَةِ امْرِئٍ

(وسلم) استحبابا كابتداء السلام وهــل يكون من جماعة سنة كفاية لم أر من تعرض لذلك ولعله كذلك لا سنة عين فيطلب من كل من قام من المجلس علي حدته نعم الافضل أن يأتي به كل واحد كابتــدائه للقادمين ونحوهم اذ لا فرق بين القادمين الى مجلس قوم والقائمين عنه والله أعلم (اذاما) تقدم ان اذا ظرف لما يســتقبل من الزمان وما زائدة كما في قوله واذا ما غضبوا هم يغفرون (قمت) عند انصرافك (عن حضرة امرئ) مسلم غـير واجب الهجر ولا مندو به وهــذا

مستفاد من لفظة عن اذ هي للمفارقة والمجاوزة أى اذا قمت من مجلس قوم واحدا واحدا فصاعدا فسلم عند انصرافك ومفارقتك لمجالسهم لما أخرج أبو داود والترمذي وحسنه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انتهى أحدكم الى المجلس فليسلم فاذا أراد أن يقوم فليسلم. فليست الاولى بأحق من الثانية ورواه النسائي وزاد فيه رزين ومن سلم على قوم حين يقوم عنهم كان شريكهم فيما خاضوا فيه من الخير بعده. وروى الامام أحمد من طريق ابن لهيعة عن زياد ابن فايد عن سهل بن معاذ عن أبيه عن رسول صلى الله عليه وسلم أنه قال حق على من قام علي جماعة ان يسلم عليهم وحق على من قام من مجلس أن يسلم فقام رجل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم فلم يسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسرع ما نسي وعن معاوية بن قرة عن أبيه رضى الله عنه قال يابني اذا كنت في مجلس ترجو خيره فعجلت بك حاجة فقل السلام عليكم فانك شريكهم فيما يصيبون في ذلك المجلس رواه الطبراني موقوفا هكذا ومرفوعا والموقوف أصح (وأخرج) ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا مر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مجلس فقال سلام عليكم فقال عشر حسنات ثم مر آخر فقال سلام عليكم ورحمة الله فقال عشرون حسنة ثم مر آخر فقال سلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال ثلاثون حسنة فقام رجل من المجلس ولم يسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما أوشك أي ما اسرع مانسي صاحبكم اذا جاء أحدكم الى المجلس فليسلم فان بدا له أن يجلس فليجلس وان قام فليسلم فليست الاولى بأحق من الآخرة ومن سلم على جماعة في دخوله اعاده في خروجه قطع به ابن عقيل وهو معنى كلام القاضى والشيخ عبد القادر وغيرهما وقال به الشافعية قال ابن عقيل والدخول آكد استحبابا وقد روى أبو داود عن أبي هريرة مرفوعا وموقوفا باسناد جيد اذا لقى أحدكم أخاه فليسلم عليه فان حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر ثم لقيه فليسلم عليه (وسلم) استحبابا (اذاما جئت) أى زمان مجيئك (بيتك) على أهله (تهتد) لمتابعة السنة الغراء وفعلك الذي هو خير وأحرى. أخرج الترمذى وقال حسن غريب عن أنس رضي الله عنه قال

قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يابني اذا دخلت على أهلك فسلم عليهم تكون بركة عليك وعلى أهل بيتك وقول الناظم بيتك مجاراة للفظ الحديث والا فبيت غيره كبيته فيسن أن يسلم ان دخل بيته أو بيتا مسكونا له او لغيره لقوله تعالى اذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله وعن أبي مالك الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ولج أحدكم بيته فليقل اللهم اني أسألك خير المولج وخير المخرج بسم الله ولجنا و بسم الله خرجنا وعلى الله ربنا توكلنا ثم ليسلم على أهله رواه ابو داود وشمل اطلاق قول الناظم وسلم اذا ما جئت بيتك ما اذا كان بيته خاليا وهو مراد قال في الآداب الكبرى ومن دخل بيتا خاليا سلم على نفسه وعلى الملائكة ورد هو السلام على نفسه كما في الرعاية ولم يذكر غيره انه يرد السلام على نفسه قال ابن مفلح و يعايى بهذه المسئلة ان المسلم هو يرد السلام ويتوجه منه تخريج فيمن عطس وليس بحضرته أحد انه يرد على نفسه وظاهر كلام بعضهم اختصاص البيت المسكون بالسلام دون الخالي واختاره ابن العربي من المالكية وروي سعيد باسناد جيد عن نافع ان ابن عمر رضي الله عنهما كان اذا دخل بيتا ليس فيه أحد قال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ولم يرد ابن عمر السلام على نفسه وقال الشيخ وجيه الدين في شرح الهداية اذا دخل بيتا خاليا أو مسجدا خاليا فليقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين لقوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم وقال ابن الجوزى في الآية أقوال قيل بيوت انفسكم فسلموا على اهاليكم وعيالكم وقيل المساجد سلموا على من فيها وقيل المعنى اذا دخلتم بيوت غيركم فسلموا عليهم والذى قاله وجيه الدين قاله جماعة من المالكية والشافعية وذكره القرطبي في تفسير الآية عن ابن عباس وجابر وعطاء فحصل مما ذكرنا ان من دخل بيتا خاليا سلم بقوله السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين والمعتمد لا يجب الرد خلافا لظاهر الرعاية ولعله ولا يستحب والله الموفق. ثم ان الناظم رحمه الله تعالى نبه على بعض فوائد السلام فقال

وَإِفْشاؤُكَ التَّسْلِيمَ يُوجِبُ مَحَبَّةً مِنَ النَّاسِ مَعْرُوفًا وَمَجْهُولاً اقصد

(وافشاؤك) اي نشرك واذا عتك التسليم مصدر سلم تسليما وسلاما يوجب اي يلزم ويحقق محبة والموجبة الكبيرة من الحسنات والسيئات التي توجب الجنة أو النار والمحبة أصلها الصفاء لأن العرب تقول لصفاء بياض الاسنان ونضارتها حبب الاسنان وقيل مأخوذة من الحباب وهو ما يعلو الماء عند المطر الشديد فهى غليان القلب وثورانه عند الاهتياج الى لقاء المحبوب وقيل مشتقة من اللزوم والثبات يقال احب البعير اذا برك فلم يقم كقول الشاعر

خلت عليه بالفلاة ضربا . ضرب بعير السوء اذ أحبا . فكان المحب قد لازم قلبه محبوبه فلم يرم عنه انتقالا وقيل مأخوذة من القلق والاضطراب ومنه سمي القرط حبا لقلقه في الاذن واضطرابه قال الشاعر . تبيت الحبة التنضاض منه . مكان الحب يستمع السرارا اراد بالحب القرط وقيل مأخوذة من الحب جمع حبة وهو لباب الشيء وخالصه واصله فان الحب اصل النبات والشجر وقيل مأخوذة من الحب وهو الاناء الواسع المعروف يوضع فيه الشيء فيمتلئ بحيث لا يسع غيره وكذلك قلب المحب لا يسع غير محبوبه وقيل من الحب وهو الخشبات الاربع التى يستقر عليها ما يوضع عليها من جرة وغيرها فسمي الحب بذلك لان المحب يتحمل لأجل محبوبه الاثقال كما تحمل الخشبات ثقل ما يوضع عليها وقيل مأخوذة من حبة القلب وهي سويداؤه ويقال ثمرته سميت بذلك لوصولها الى حبة القلب وفيها لغتان حب وأحب واختلفوا في حد المحبة على اقوال كثيرة فقيل هي الميل الدائم . بالقلب الهائم . وقيل ايثار المحبوب . على كل مصحوب . وقيل موافقة الحبيب . في المشهد والمغيب . وقيل اقامة الخدمة . مع القيام بالحرمة . الى غير ذلك من الاقوال وقد قدمنا ان شأن المحبة عظيم ومدار حركات العالم العلوى والسفلى عليها وقد نبه الناظم رحمه الله تعالى ان السلام من موجباتها وتقدم حديث ابي هريرة مرفوعا والذي نفسي بيده لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شيئ اذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم . وعن عائشة رضي الله عنها مرفوعا ما حسدتكم اليهود على شيئ ما حسدتكم على

السلام والتأمين وقال الشاعر

قد يمكث الناس دهراً ليس بينهمو ود فيزرعه التسليم واللطف

وقول الناظم (من الناس) متعلق بيوجب محبة يعنى يوقعها و يغرسها في قلوبهم للخبر وقوله رحمه الله (معروفا) مفعول مقدم (ومجهولاً) معطوف عليه وقوله (اقصد) فعل أمر مبني على السكون وحرك بالكسر للقافية أي اقصد بسلامك كل انسان سواء كان معروفا لك أو مجهولا عندك لا تعرفه وتقدم قوله صلى الله عليه وسلم وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف . وقال ابن مسعود رضي الله عنه ان من التواضع أن تسلم على من لقيت قال في الآداب الكبرى ولعل المراد من السلام على من عرف ومن لم يعرف انه يكثر منه ويفشيه و يشيعه لا انه يسلم على كل من رآه فان هذا في السوق ونحوه يستهجن عادة وعرفا ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم بمثل هذه المحافظة والمواظبة عليه لشاع وتواتر ونقله الجم الغفير خلفا عن سلف انتهى كذا قال وقد كان ابن عمر رضي الله عنهما يغدو الى السوق فلا يمر بأحد الا سلم عليه فقال له الطفيل بن أبى كعب ما تصنع في السوق وانت لا تقف على البيع ولا تسأل عن السلع ولا تسوم بها ولا تجلس في مجالس السوق فقال يا أبا بطن وكان الطفيل ذا بطن انما نغدوا من أجل السلام نسلم على من لقينا رواه مالك في الموطأ لكن مراد الشيخ رضي الله عنه ان السلام على كل فرد من مجامع الناس كالأسواق والمواسم والحجيج ونحوها مستهجن عرفا وعادة وهو كذلك ثم رأيت الحافظ ابن حجر ذكر في شرح البخاري عن الماوردى من الشافعية ان من مشى في الشوارع المطروقة كالسوق انه لا يسلم الا على البعض لانه لو سلم على كل من لقي لتشاغل به عن المهم الذي خرج لأجله ولخرج به عن العرف قال الحافظ ولا يعكر على هذا ما أخرجه البخاري في الادب المفرد وذكر خبر ابن عمر قال لأن مراد الماوردي من خرج في حاجة له فتشاغل عنها بما ذكر والاثر المذكور ظاهر بأنه خرج لقصد تحصيل ثواب السلام انتهى والله الموفق وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا من أشراط الساعة السلام للمعرفة ذكره ابن بطال في شرح البخارى ولما بين الناظم رحمه الله تعالى طرفا صالحا من أحكام

السلام أعقب ذلك بالكلام على لفظه فقال

وَتَعْرِيفُهُ لَفْظَ السَّلَامِ مُجَوَّزٌ وَتَنْكِيرُهُ أَيْضًا عَلَى نَصِّ أَحْمَدِ

(وتعريفه) أي المسلم (لفظ السلام) بالألف واللام (مجوز) أى جائز (و) يجوز (تنكيره) أي السلام (أيضا) بأن يقول سلام عليكم بلا فرق بين الاحياء والاموات والتحية والوداع (علي نص) الامام (أحمد) بن محمد بن حنبل وسنذكر طرفا من ترجمته هنا

وَقَدْ قِيلَ نَكِّرْهُ وَقِيلَ تَحِيَّةً كَلِلْمَيْتِ وَالتَّوْدِيعِ عَرِّفْ كَرُدَّدِ

(وقد قيل نكره) أفضل وعنه تعريفه أفضل والمعتمد جواز الامرين معا لأن النصوص صحت بهما (وقيل) الافضل تنكيره (تحية) أي في سلام التحية (كما) ان الافضل تعريفه في القول المعتمد في السلام (للميت) أى على الاموات (و) في السلام (التوديع) أى عند الانصراف من المجلس (عرف) لفظ السلام بأن تقول السلام عليكم ورحمة الله دار قوم مؤمنين في تحية الاموات وكذا عند التوديع من مجلس قمت منه فتقول السلام عليكم ورحمة الله قاله ابن البنا قال في شرح الاقناع كغيره قال ابن البنا سلام التحية منكر وسلام الوداع معرف وقال الحجاوي في شرح الآداب بعد ذكره كلام ابن البنا وقال ابن عقيل سلام الاحياء منكر وسلام الاموات معرف كذلك روي عن عائشة رضي الله عنها وقيل عكسه قال والذي استقر عليه المذهب تعريف السلام على الميت وقاله جماعة ونص عليه الامام أحمد لانه أشهر الاخبار ويخير في السلام على الحي فان شاء عرف وان شاء نكر انتهى وقول الناظم (كردد) أي كما ان الافضل تعريف السلام في الرد وتكرير الدال المهملة ضرورة وتقدم قول ابن الاثير كانوا يستحبون تنكير الابتداء وتعريف الجواب وتكون الالف واللام للعهد يعني السلام الاول ﴿فوائد الاولى﴾ لا بأس أن يقول لصاحبه كيف أمسيت وكيف أصبحت قال الامام أحمد رضي الله عنه لصدقة وهم في جنازة يا أبا محمد كيف أمسيت فقال مساك الله بالخير وقال أيضا للمروذى كيف

أصبحت يا أبا بكر فقال له صبحك الله بالخير يا أبا عبدالله وروى عبدالله بن الامام أحمد رضي الله عنه عن الحسن مرسلا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحاب الصفة كيف أصبحتم وروى ابن ماجه باسناد لين من حديث أبي أسيد الساعدي انه عليه الصلاة والسلام دخل على العباس فقال السلام عليكم فقالوا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته قال كيف أصبحتم قالوا بخير نحمد الله كيف أصبحت بأبينا وأمنا أنت يارسول الله قال أصبحت بخير أحمد الله. وروى أيضا عن جابر قلت كيف أصبحت يارسول الله قال بخير من رجل لم يصبح صائما ولم يعد سقيما وفيه عبدالله بن مسلم بن هرمز ضعيف . وفي حواشي تعليق القاضي الكبير عند كتاب النذور وأبو بكر البرقاني بأسناده عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لو لقيت رجلا فقال لى بارك الله فيك لقلت وفيك قال في الآداب الكبري فقد ظهر من ذلك الاكتفاء بنحو كيف أصبحت وكيف أمسيت بدلا من السلام وانه يرد على المبتدي بذلك وان كان السلام وجوابه أفضل وأكمل (الثانية) قال الخلال في الآداب كراهية قوله في السلام أبقاك الله أخبرنا عبد الله ابن الامام أحمد بن حنبل قال رأيت أبي اذا دعي له بالبقاء يكرهه و يقول هذا شيء قد فرغ منه وذكر شيخ الاسلام قدس الله روحه انه يكره ذلك وانه نص عليه أحمد وغيره من الائمة واحتج له بحديث أم حبيبة لما سألت ان يمتعها الله بزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم و بأبيها أبي سفيان و بأخيها معاوية فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم انك سألت الله لآجال مضروبة وآثار موطوءة وأرزاق مقسومة لا يعجل منها شيء قبل حله ولا يؤخر منها شيء بعد حله ولو سألت الله ان يعافيك من عذاب في النار وعذاب فى القبر كان خيرا لك رواه مسلم من حديث ابن مسعود وقوله حله بفتح الحاء المهملة وكسرها أي وجوبه قال ابن قرقول فى مطالع الانوار قبل حله أي يؤخره عن حله بفتح الحاء ضبطه أي وجوبه وكذلك بالمكان يحل حلولا وأحل احلالا خرج عن الشهر الحرام ومن ميثاق عليه انتهى وضبطه في الآداب الكبرى بالفتح والكسر والله أعلم وفي رواية وأيام معدودة وفي أخرى وآثار مبلوغة. وأخرج الترمذى عن سلمان الفارسي رضي الله عنه وقال حسن غريب ان رسول الله صلى

الله عليه وسلم قال لا يرد القضاء الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر قال في الآداب الكبرى اسناده جيد (الثالثة) من الاصطلاح المحدث كتبهم أطال الله بقاء سيدنا قال علي بن سليمان لاأدرى ممن أخذوه وزعموا أنه أجل الدعاء ونحن ندعو رب العالمين على غير هذا ومنع هذا ففيه إنقلاب المعنى • وقد حكى إسماعيل بن اسحق انه دعاء محدث وذكر ان أول من أحدثه الزنادقة قلت ولعل من كره شيئاً من ذلك انما كرهه لعدم الورود والا فالعلة فيه موجودة في غيره ومقادير الاشياء كلها قد فرغ منها من السعادة وكونه من أهل الجنة والنعيم ومن المقربين والمطيعين واضدادها كما لايخفى . وقدقال صلى الله عليه وسلم لأبي اليسر كعب بن عمرو اللهم أمتعنا به وهو آخر أهل بدر وفاة ومن دعائه عليه الصلاة والسلام اللهم أمتعني بسمعي و بصري واجعله الوارث مني ومنه اللهم عافني في جسدي وعافني في بصري واجعله الوارث مني والسنة مملوءة من مثل هذا وأضرابه والله الموفق (الرابعة) قال الخلال كراهية قوله في السلام جعلت فداك قال بشر بن موسى سأل رجل وأنا أسمع لابي عبد الله فقال جعلت فداك فقال لاتقل هكذا فان هذا مكروه قال أبو جعفر النحاس منهم من كرهه وهو قول مالك بن أنس واحتج بحديث يروي عن الزبير انه قال هذا للنبي صلي الله عليه وسلم وأجاز بعضهم ذلك واحتج بأن غير هذا الحديث أولى منه لصحة غيره ثم رواه بسنده عن عبد الله بن عمرو انه قال للنبي صلى الله وسلم جعلني الله فداك وذكره أيضاً عن غيره وقد قال حسان

فان أبي ووالدتي وعرضي　　لعرض محمد منكم وقاء

انتهى قلت وفي هذه القصيدة

أتهجوه ولست له بكفء　　فشركما لخيركما فداء

وقد قيل انه أنصف بيت قالته العرب . وفي الصحيحين عن أبي ذر أنه قال للنبي صلي الله عليه وسلم في ليلة جعلني الله فداك مرتين وقال الخلال قوله في السلام فداك أبي وأمي قال ابن منصور لابي عبد الله تكره ان يقول الرجل فداك أبي وأمي قال أكره أن يقول جعلني الله فداك ولا بأس أن يقول فداك أبي وأمي وهو قول جمهور العلماء لانه ليس بفداء حقيقة وانما هو بر وإعلام بمحبته ومنزلته عنده

مطلب فيه ذكر طرف من مناقب سيدنا الامام أحمد

وكرهه بعضهم و بعضهم خصه بالابوين يعني الكراهة دون وأنا فداك والمعتمد لا كراهة ان شاء الله تعالى لصحة الاخبار. وكثرتها عن المختار. فانها كادت تجاوز حد الحصر والله أعلم (تتمة) في بعض مناقب سيدنا الامام أحمد وطرف من ترجمته لمناسبة ذكره في قول الناظم على نص أحمد أقول هو الامام المبجل أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن ادريس بن عبد الله بن حيان بالمثناة تحت بن عبدالله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكاب بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بكسر الهاء واسكان النون وبعدها باء موحدة ابن افصى بالفاء والصاد المهملة ابن دعمي بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان الشيباني المروذي البغدادي هكذا ذكره الخطيب الحافظ ابو بكر البغدادي والبيهقي وابن عساكر وغيرهم قال ابن عبد الدائم البرماوي الشيباني لانه من بني شيبان بفتح الشين المعجمة ابن ذهل بضم الذال المعجمة ابن ثعلبة كما نسبه ولده عبدالله واعتمده الخطيب وغيره وغلط الخطيب عباسا الدورى وابا بكر بن داود بن ما كولا في قولهما انه من ذهل بن شيبان بن ثعلبة وقال وذهل بن ثعلبة هو عم ذهل بن شيبان قال الجوهرى وشيبان حي من بكر وهما شيبانان أحدهما شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل والآخر شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة وهو موافق لما قال الخطيب وقدم في المغني ذهل على شيبان والصواب تقديم شيبان كما ذكرنا . حملت به أمه بمرو وولد ببغداد ونشأ بها وأقام بها الى أن توفي ودخل مكة والمدينة والشام واليمن والكوفة والبصرة والجزيرة وسمع سفيان بن عيينة وابراهيم بن سعد ويحيى القطان وهشيما ووكيعا وابن علية وابن مهدي وعبد الرزاق وخلائق كثيرين ذكرهم الحافظ ابن الجوزي وغيره على حروف المعجم وروي عنه عبد الرزاق ويحيي بن آدم وأبو الوليد وابن مهدى ويزيد بن هارون وعلي بن المديني والبخاري ومسلم وابو داود وابو زرعة الرازى والدمشقي وابراهيم الحربي وابوبكر أحمد بن محمد بن هانيء الطائي الأثرم وعبد الله بن محمد البغوى وابو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا ومحمد بن اسحاق الصاغاني وابوحاتم الرازى وأحمد بن ابي الحواري وموسي بن هارون وحنبل

ابن اسحاق وعثمان بن سعيد الدارمي وحجاج بن الشاعر وولداه والمروذي وخلائق كثيرون ذكرهم الحافظ ابن الجوزي في المناقب علي حروف المعجم . واجتمع بالامام الشافعي وكل منهما أخذ عن الآخر ولم يرو البخاري عنه في الصحيح سوى حديث واحد آخر الصدقات تعليقا . وقال الحازمي ان البخاري روى عن الامام أحمد حديثا ثانيا بواسطة أحمد بن الحسن الترمذي وفضائل الامام أحمد رضوان الله عليه مشهورة . ومناقبه مأثورة . سارت بذكره الركبان . وبلغ صيته كل قاص ودان . وملأ ذكره الامصار والبلدان . وكل امام في علم رسول الله صلى الله عليه وسلم خضع له ودان قال فيه الامام الشافعي رضى الله عنهما خرجت من بغداد وما خلفت بها أحدا أورع ولا أتقى ولا أفقه ولا أعلم من أحمد بن حنبل. وقال أبو زرعة لولد الامام عبد الله كان أبوك يحفظ الف الف حديث فقال له عبد الله وما يدريك فقال ذاكرته فأخذت عليه الابواب قلت في ثمار منتهى العقول في منتهى النقول للامام الحافظ جلال الدين السيوطي مانصه انتهى الحفظ لابن جرير الطبرى فريد في علم التفسير وكان يحفظ كتبا حمل ثمانين بعيرا وحفظ ابن الانبارى في كل جمعة الف كراس وحفظ ثلثمائة الف بيت من الشعر استشهادا للنحو وكان الامام الشافعي يحفظ من مرة أو نظرة وابن سينا الحكيم حفظ القرآن في ليلة واحدة وأبو زرعة كان يحفظ الف الف حديث والبخارى حفظ عشرها أى مائة الف حديث والكل من بعض محفوظ الامام أحمد ابن حنبل رضي الله عنه لانتهى وذكر غير واحد من الحفاظ منهم ابن حجر العسقلاني انه لم يحط أحد بسنة المصطفي صلى الله عليه وسلم غير الامام أحمد بن حنبل وهذه منقبة امتاز بها عن سائر هذه الامة وعمن مضى . وعمن بقي من الائمة ولذا قال ابراهيم الحربي يقول الناس أحمد بن حنبل بالتوهم والله ما أجد لاحد من التابعين عليه مزية . ولا أعرف أحدا يقدر قدره . ولا يعرف من الاسلام محله . قال ولقد صحبته عشرين سنة صيفا وشتاء وحرا وبردا وليلا ونهارا فما لقيته في يوم الا وهو زائد عليه بالامس ولقد كان يقدم أئمة العلماء من كل بلد وامام كل مصر فهم بجلالتهم مادام الرجل منهم خارجا من المسجد فاذا دخل المسجد صار غلاما متعلما وقال الحربي أيضا قد رأيت رجالات الدنيا لم أر مثل ثلاثة أحمد بن حنبل وتعجز النساء ان تلد مثله ورأيت

بشر بن الحارث من قرنه الى قدمه مملوأ عقلا ورأيت أباعبيد القاسم بن سلام كأنه جبل نفخ فيه علم وقال عبد الوهاب الوراق ما رأيت مثل أحمد بن حنبل قالوا له وأي شيء بان لك من فضله وعلمه على سائر من رأيت قال رجل سئل عن ستين الف مسئلة فأجاب فيها بان قال حدثنا وأخبرنا وروينا . قلت وهذه كالاولى لا يعلم أحد من أئمة الدنيا فعلها وقد سئل كثير من الائمة عن معشار عشر ذلك فأحجم عن الجواب عن أكثرها والي هذا أشار الامام الصرصري في لاميته بقوله

حوى الف الف من أحاديث اسندت	واثبتها حفظا بقلب محصل
أجاب على ستين الف قضية	بأخبرنا لا من صحائف نقل
وكان اماما في الحديث وحجة	لنقد صحيح ثابت ومعلل
وكان اماما في كتاب وسنة	وعلم وزهد كامل وتوكل
فمنهجه في الحق اقوم منهج	ومورده في الشرع اعذب منهل
وهدد في القرآن بالسوط والظبا	فلم يخش من تهديد سوط ومنصل
فما قال شيئا لم يقل متصديا	لنصر الهدي فردا على الف جحفل
ومن قال في دين الهدى متخرصا	بآرائه ما لم يقل لم يعدل
فقد كان كالصديق في يوم ردة	وعثمان يوم الدار في الصبر اذ بلي
وفي الضرب اذ حلت سراويله دعا	فما فارقت حقوى محق مسرول
وسافر من بغداد من ورع الي	خراسان في رد البراع المسجل
ومن ورع قد كان يطوى ثمانيا	مواصلة في عسكر المتوكل
هو العلم المشهور لم يطو ذكره	ممات بل استعلى على كل معتل
امام عظيم كان لله حجة	على نفي تشبيه ودحض معطل

وقال علي بن المديني رحم الله روحه أن سيدي أحمد بن حنبل أمرني أن لا أحدث الا من كتاب وقال ان الله عز وجل أعز هذا الدين برجلين ليس لهما ثالث أبو بكر الصديق يوم الردة وأحمد بن حنبل يوم المحنة . وقال ماقام أحد بأمر الاسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قام أحمد بن حنبل قيل ياأبا الحسن ولاأبو

بكر الصديق قال ولا أبو بكر الصديق ان أبا بكر الصديق كان له أعوان وأصحاب وأحمد بن حنبل لم يكن له أعوان ولا أصحاب وقال ابو عبيد القاسم بن سلام أحمد بن حنبل امامنا اني لاتزين بذكره وقال أبو بكر الاثرم كنا عند أبي عبيد وأنا أنظر رجلاً عنده فقال الرجل من قال بهذه المسئلة فقلت من ليس في شرق ولا غرب مثله قال من قلت أحمد بن حنبل قال ابو عبيد صدق ليس في شرق ولا غرب مثله ما رأيت رجلا اعلم بالسنة منه وقال اسحاق بن راهويه رضي الله عنه احمد بن حنبل حجة بين الله وبين عبيده في ارضه وقال ابو زرعة الرازي مارأت عيناى مثل احمد بن حنبل في العلم والزهد والفقه والمعرفة وكل خير مارأت عيناى مثله وقال أيضا ما رأيت أحدا أجمع منه ومارأيت أحدا أكمل منه وقال المزني صاحب الشافعي أحمد بن حنبل ابو بكر يوم الردة وعمر يوم السقيفة وعثمان يوم الدار وعلي يوم صفين . وقال أبو داود السجستاني رأيت مائتي شيخ من مشايخ العلم فما رأيت مثل احمد بن حنبل لم يخض في شيء مما يخوض فيه الناس فاذا ذكر العلم تكلم وقال ابراهيم الحربي سعيد بن المسيب في زمانه وسفيان الثوري في زمانه واحمد بن حنبل في زمانه . وقال عبد الوهاب الوراق لما قال النبي صلى الله عليه وسلم فردوه الي عالمه رددناه الى احمد بن حنبل وكان اعلم اهل زمانه ومناقبه كثيرة ومآثره شهيرة رضى الله تعالى عنه . ونفعنا بمحبته . وقد صنف في مناقبه من المتقدمين والمتأخرين جماعة كابن منده والبيهقي وشيخ الاسلام الانصاري وابن الجوزي وابن ناصر وغيرهم ومناقبه وامامته ومآثره وسيادته و براعته وزهادته وروايته ودرايته ومجموع محاسنه كالشمس الا أنها لا تغرب رضي الله عنه وحشرنا في زمرته آمين . ولد رضوان الله عليه في ربيع الاول سنة أربع وستين ومائة وتوفي ببغداد يوم الجمعة لنحو من ساعتين من النهار لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة احدى واربعين ومائتين فمدة حياته رضي الله عنه سبعة وسبعون سنة ووهم المناوى في اول شرح الجامع الصغير فقال سبع وثمانون فزاد علي عمره عشر سنين وهو سبق بلا شك والله الموفق . صنف المسند ثلاثون الف حديث غير المكرر والتفسير مائة ألف وعشرون الفا والناسخ والمنسوخ والتاريخ

وحديث شعبة والزهد والمقدم والمؤخر في القرآن وجوابات القرآن والظاهر أنه الرد على الزنادقة والمناسك الكبير والصغير وأشياء أخر وكان رضي الله عنه شيخا وقورا كثير التواضع يحب الفقراء لم ير الفقير نفسه أعز منه في مجلس الامام أحمد ابن حنبل رضي الله عنه وكان حسن الخلق دائم البشر لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ يحب في الله و يبغض في الله واذا أحب رجلا أحب له ما يحب لنفسه و يكره له ما يكره لنفسه وقال يزيد المنادي كان الامام أبو عبد الله أحمد بن حنبل من احيى الناس وأكرمهم نفساً وأحسنهم عشرة وأدبا كثير الاطراق والغض معرضا عن القبيح واللغو لا يسمع منه الا المذاكرة بالحديث والرجال والطرق وذكر الصالحين والزهاد في وقار وسكون ولفظ حسن واذا لقيه انسان سر به وأقبل عليه وكان يتواضع تواضعاً شديدا وكانوا يكرمونه و يعظمونه و يحبونه وقال الطبراني كنا في مجلس بشر بن موسى يعني ابن صالح الأسدي ومعنا أبو العباس بن سريج الفقيه القاضي فخاضوا في ذكر محمد بن جرير الطبري وأنه لم يدخل ذكر أحمد ابن حنبل في كتابه الذي ألفه في اختلاف الفقهاء فقال أبو العباس بن سريج وهل أصول الفقه الا ما كان يحسنه أحمد بن حنبل حفظ آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعرفة بسنته واختلاف الصحابة والتابعين رضي الله عنهم . قلت لم يبق بعد ماذكره ابن سريج رحمه الله تعالى سوى القياس والرأي وانما يرجع اليه حيث لا نص واحمد رضي الله عنه قد احاط علمه بالمنقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين فهو اجدر الأئمة بالصواب والله اعلم . ونحن والشافعية والمالكية متفقون على انه لا يذهب الى القياس مع وجود النص وان اختلفا في الاحتجاج بأقوال الصحابة حيث لا يعارضها نص ولا مثلها فمذهبنا اتباع المنقول . وتقديم خبر الرسول . واقوال الصحابة الفحول . بالشروط المذكورة في الأصول على القياس والمعقول . والله الموفق . وقال الخلال حدثنا المروذي قال قال لي احمد ما كتبت حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم الا وقد عملت به حتى مر بي في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم واعطى ابا طيبة دينارا فأعطيت الحجام دينارا حين احتجمت وقال الحسين بن اسماعيل سمعت ابي يقول كان يجتمع في مجلس احمد بن حنبل

زهاء على خمسة آلاف ويزيدون اقل من خمسمائة يكتبون والباقي يتعلمون منه حسن الأدب وحسن السمت . وقال ابن مفلح في الآداب روي من غير طريق أن الشافعي كتب من مصر كتابا وأعطاه للربيع بن سلمان وقال اذهب به الى أبي عبد الله احمد بن حنبل وأتني بالجواب فجاء به اليه فلما قرأه تغرغرت عيناه بالدموع وكان الشافعي ذكر فيه أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وقال له اكتب الى أبي عبد الله احمد بن حنبل واقرأ عليه مني السلام وقل انك ستمتحن وتدعى الى خلق القرآن فلا تجبهم يرفع الله لك علما الى يوم القيامة فقال له الربيع البشارة فأعطاه قميصه الذى يلي جسده وجواب الكتاب فقال له الشافعي أي شيء دفع اليك قال القميص الذي يلي جسده قال ليس نفجعك به ولكن بله وادفع الينا الماء حتى نشركك فيه قال الربيع فغسلته وحملت ماءه اليه فتركه في قنينة وكنت أراه كل يوم يأخذ منه فيمسح على وجهه تبركا بأحمد بن حنبل رضي الله عنهم انتهى، وقد رويت هذه الحكاية من عدة طرق واشتهرت على ألسنة الخلق وتحلت بها الكتب المدونة. واشتهرت في المحافل على الألسنة . وأنشد اسماعيل بن فلان الترمذي الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه قصيدة له فيه وهو في السجن فمنها قوله

اذا ميز الاشياخ يوما وحصلوا ... فأحمد من بين المشايخ جوهر
اذا افتخر الاقوام يوماً بسيد ... ففيه لنا والحمد لله مفخر
فيا أيها الساعي ليدرك شأوه ... رويدك عن ادراكه ستقصر
حمى نفسه الدنيا وقد سمحت له ... فمنزله الا من القوت مقفر
فان يك في الدنيا مقلا فانه ... من الادب المحمود والعلم مكثر

وقال الامام بشر الحافي رضي الله عنه ان الامام أحمد رضى الله عنه قام مقام الانبياء وقال أيضا أدخل أحمد بن حنبل الكير فخرج ذهبة حمراء وقد روينا بالاسناد الي بشر قال سمعت المعافي بن عمران يقول سئل سفيان الثوري عن الفتوة فقال الفتوة العقل والحياء ورأسها الحفاظ وزينتها الحلم والادب وشرفها العلم والورع وحليتها المحافظة على الصلوات وبر الوالدين وصلة الرحم وبذل المعروف

وحفظ الجار وترك التكبر ولزوم الجماعة والوقار وغض الطرف عن المحارم ولين الكلام وبذل السلام وابر الفتيان العقلاء الذين عقلوا عن الله أمره ونهيه وصدق الحديث واجتناب الحلف واظهار المودة واطلاق الوجه واكرام الجليس والانصات للحديث وكتمان السر وستر العيوب وأداء الامانة وترك الخيانة والوفاء بالعهد والصمت في المجالس من غير عي والتواضع من غير حاجة واجلال الكبير والرفق بالصغير والرأفة والرحمة للمسكين والصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء وكمال الفتوة الخشية لله عز وجل فينبغي للفتى ان تكون فيه هذه الخصال فاذا كان كذلك كان فتى حقا قال بشر وكذلك كان احمد بن حنبل فتى لأنه قد جمع هذه الخصال كلها ﴿ خاتمة ﴾ ذكر ابن الجوزي وغيره من الأئمة انه لما توفي الامام أحمد رضوان الله عليه وجه ابن طاهر بمناديل فيها ثياب وطيب فقال الرسول لولده صالح الامير يقرئك السلام قد فعلت مالو كان أمير المؤمنين حاضرا لكان فعله قال صالح فأرسلت اليه ان أمير المؤمنين قد كان أعفاه مما يكره وهذا مما يكره فعاد اليه الرسول يقول يكون شعاره ولا يكون دثاره فأعدت اليه مثل ذلك فرد ذلك ولم يقبله وكانت جارية الامام رضي الله عنه أعدت له ثوبا عشاريا من غزلها قوم بثمانية وعشرين درهما فقطعوه له لفافتين وأخذوا من فوران لفافة أخرى قال ولده فادرجناه في ثلاث لفائف واشترينا له حنوطا وحضره نحو من مائة من بني هاشم عند تكفينه فجعلوا يقبلون جبهته حين وضع على السرير وأما الجمع الذين صلوا عليه فلم يسمع في الجاهلية والاسلام بمثله قاله عبد الوهاب الوراق وقد حزر الموضع مسحه على التصحيح فاذا هو نحو من ألف ألف وحزرنا على السور نحوا من ستين ألفا من النساء وفي رواية فاذا هو ألف ألف وستمائة ألف سوى ما كان في السفن . وفي أخرى ألفي ألف وخمسمائة ألف وقال عبدالله ابن الامام عن والده قولوا لاهل البدع بيننا وبينكم يوم الجنائز ويروي انه لم تر جنازة مثلها الا جنازة في بني اسرائيل رضي الله عنه ووقع المأتم بسبب موته رضي الله عنه في أربعة أصناف من الناس المسلمين واليهود والنصارى والمجوس وأسلم يوم موته عشرون الفا من اليهود والنصاري والمجوس . قلت وقد روى ان جميع الجن حضرت جنازته الا المردة ذكره ابن الجوزى ونعته الجن

المؤمنون والى ماذكرنا اشار الصرصري رحمه الله في اللامية بقوله

وعشرون ألفا أسلموا حين عاينوا ... جنازته من كل صنف مضلل
وصلى عليه ألف ألف موحد ... وستمئى ألف فاعظم واكمل
فقد بان بعد الموت للناس فضله ... كما كان حيا فضله ظاهر جلي
أقرله بالفضل اعيان وقته ... وأثنوا عليه بالثناء المبجل

الى ما يطول نقله . ويكثر عله ونهله . و جميع ماذكرنا من مآثره بالنسبة لما لم نذكره كقطرة من بحرلجي . وانما حلينا كتابنا هذا بطرف من ذكره ومناقبه ومآثره لتحصل له بركة ذكره فرضوان الله عليه . وأماتنا الله على طريقته وجبه ببركة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . وآله وحزبه انه جواد كريم رؤف رحيم . ثم ذكر الناظم رحمه الله تعالى الاستئذان واحكامه فقال

وَسُنَّةٌ اسْتِئْذَانُهُ لِدُخُولِهِ ... عَلَى غَيْرِهِ مِنْ أَقْرَبِينَ وَبُعَّدِ

(وسنة) بالتنوين وتقدم انها لغة الطريقة والعادة والسيرة حميدة كانت أو ذميمة والجمع سنن مثل غرفة وغرف وفي الاصطلاح ما أضيف الي النبي صلى الله عليه وسلم من قول او فعل او تقرير كما قدمنا والمراد هنا مايثاب على فعله ولا يعاقب على تركه (استئذانه) أى استئذان مريد الدخول وهو بالنقل للوزن أي طلب الاذن (لدخوله على غيره) فان أذن له دخل والا رجع وسواء كان أرباب المنزل المطلوب الدخول عليهم (من أقربين) للمستأذن يعنى أقاربا له ولو محارم أ(و) كانوا من (بعد) بضم الموحدة وفتح العين المهملة مشددة جمع بعيد ضد القريب والمراد بعيد من القرابة يعني أجنبياً وذلك لقوله تعالي ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتي تستأنسوا وتسلموا على أهلها . قال الامام الحافظ ابن الجوزى لايجوز أن تدخل بيت غيرك الا بالاستئذان لهذه الآية يعنى يجب الاستئذان اذا أراد الدخول الى بيت غيره ومعني تستأنسوا تستأذنوا .وقطع بوجوب الاستئذان ابن أبي موسي والسامري وابن تميم علي البعيد والقريب . قال في الآداب الكبري ولا وجه لحكاية الخلاف فيجب في الجملة على غير زوجة وأمة. وقد روى سعيد حدثنا ابن المبارك عن عاصم

مطلب في استئذان مريد الدخول على غيره

الاحول عن أبي قلابة عن أبي موسي الأشعري رضي الله عنه قال اذا دخل أحدكم علي والدته فليستأذن ثم روي عن ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهم نحو ذلك وعن عطاء بن يسار ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم أستأذن على أمي قال نعم فأمره ان يستأذن عليها وهو مرسل جيد قاله ابن مفلح وهو في الموطأ . وصح عن ابن عباس رضى الله عنهما وقيل له كيف تري في هذه الآية التي أمرنا فيها بما أمرنا ولا يعمل بها أحد ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم الى عليم حكيم قال ان الله حكيم رحيم بالمؤمنين يحب الستر وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجال فربما دخل الخادم أو الولد أو يتيمة الرجل والرجل على أهله فأمرهم الله تعالي بالاستئذان في تلك العورات فجاءهم الله بالستور والخير فلم أر أحدا يعمل بذلك بعد . الحجال جمع حجلة بالتحريك بيت كالقبة يستر الثياب وله أزرار كبار قال الحافظ ابن الجوزى أكثر المفسرين على ان هذه الآية محكمة وانه أصح من قول من قال هي منسوخة بقوله واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا. لان البالغ يستأذن في كل وقت والطفل والمملوك يستأذن في العورات الثلاث . وقال الامام العلامة الشيخ مرعي في كتابه قلائد المرجان في الناسخ والمنسوخ من القرآن قوله تعالي يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا من الانس ضد الوحشة وقرئ حتى تستأذنوا قالوا قال ابن عباس وابن جبير تستأنسوا خطأ وليس كذلك لقول أبي أيوب الانصارى قلنا يارسول الله ما الاستئناس قال يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة أو يتنحنح فمنهم من قال هذه الآية والتي بعدها محكمتان ومنهم من جعل الحكم عاما فى سائر البيوت ثم نسخت منها البيوت التي لا ساكن لها بقوله تعالي ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم أي منفعة لكم الآية والمراد بها الخانات وما بنى للسابلة أو جميع البيوت التي ليس لها ساكن لأن الاستئذان انما ورد لئلا يطلع على العورات فاذا أمن ذلك جاز الدخول بغير اذن وقال في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم الآية منسوخة بقوله واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا ثم ذكر كلام ابن عباس المتقدم ثم قال و بعضهم رأي أنها محكمة قالوا

سئل الشعبي عن هذه الآية أمنسوخة هي قال لا والله فقيل له ان الناس لا يعملون بها فقال المستعان بالله وقال ابن جبير ان ناسا يقولون نسخت هذه الآية لا والله مانسخت ولكنها مما تهاون بها الناس انتهى وأما الامام الحافظ ابن الجوزي فلم يذكر الآية في المنسوخ البتة في كتابه المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ نعم قال في قوله تعالى لاتدخلوا بيوتاً غير بيوتكم الآية قال بعض ناقلي التفسير نسخ من هذا النهي العام حكم البيوت التي ليس لها أهل يستأذنون بقوله ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتاً غير مسكونة قال وهذا تخصيص لانسخ والله أعلم (تنبيه) ظاهر النظم ان الاستئذان سنة يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه كما هو شأن كل مسنون والمعتمد أنه واجب يثاب على فعله ويعاقب على تركه الا ان يشاء الله كما هو شأن الواجبات جزم به في الاقناع والغاية وغيرهما والذي ذكره الناظم قدمه في الرعاية وعبارته ويسن ان يستأذن في الدخول علي غيره ثلاثا فقط قال الحجاوي قد لا يكون في كلام صاحب الرعاية حجة اعني في كون الاستئذان نفسه سنة ويحتمل قوله يسن أن يستأذن في الدخول على غيره ثلاثا فقط أن المراد صفة الاستئذان الاتراه قال بعده فقط أي لايزيد المستأذن على الثلاث اذا لم يجب لئلا يكون مخالفا للسنة ويحتمل كلام الناظم أيضا هذا المعنى ألا ترى أنه أعقبه بقوله

ثَلاَثاً وَمَكْرُوهٌ دُخُولٌ لِهَاجِمٍ وَلاَ سِيَّمَا مِنْ سَفْرَةٍ وَتَبَعُّدِ

(ثلاثا) أي وسنة استئذانه لدخوله ثلاث مرات فان لم يحمل على هذا فهو ضعيف جدا . ومن ثم قال ابن مفلح ولا وجه لحكاية الخلاف كما ذكرنا والتثليث في الاستئذان سنة الا أن يجاب قبلها ولا يزيد على الثلاث ان سمع أحد صوته والا زاد حتى يعلم أو يظن أنه سمع فان أذن له والا رجع ويأتي في النظم . وفي الصحيحين عن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . اذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع وصفة الاستئذان السلام عليكم أأدخل واستأذن رجل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيت فقال أألج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخادمه أخرج الى هذا فعلمه الاستئذان فقال له قل

مطلب في صفة الاستئذان

السلام عليكم أأدخل فسمعه الرجل فقال السلام عليكم أأدخل فأذن له النبي صلى الله عليه وسلم فدخل رواه الامام أحمد وأبو داود وغيرهما باسناد صحيح وهذا هو الذي ذكره الشيخ عبد القادر وابن الجوزي وابن حمدان في الرعاية الكبرى وقدم في الآداب الكبرى أن صفة الاستئذان سلام عليكم وقال قال علي بن سعيد سألت أباعبد الله عن الاستئذان فقال اذا استأذن ثلاثا والاستئذان السلام والحديث دل على تقديم السلام على الاستئذان خلافا لبعضهم ودليل القول الذي قدمه في الآداب ما روى أبو داود عن عبد الله بن بسر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ويقول السلام عليكم. وذلك أن الدور لم يكن عليها يومئذ ستور حديث حسن وأخرج الامام أحمد حدثنا روح حدثنا ابن جريج أخبرني عمرو بن أبي سفيان أن عمر وبن صفوان أخبره ان كلدة بن الجنيد أخبره أن صفوان بن أمية بعثه في الفتح بلبأ وجداية وضغابيس والنبي صلى الله عليه وسلم بأعلى الوادي قال فدخلت عليه ولم أسلم ولم أستأذن فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجع فقل السلام عليكم أأدخل وذلك بعد ما أسلم صفوان حديث جيد. وعمرو بن صفوان هو عبد الله ابن صفوان ورواه أبو داود. وفي لفظ بلبن ولم يقل ولم أستأذن ولم يزد أأدخل ورواه النسائي والترمذي وقال حسن غريب لا نعرفه الا من حديث ابن جريج الجداية من أولاد الظباء ما بلغ ستة أشهر أو سبعة بمنزلة الجدى في أولاد المعز. وفي حياة الحيوان الجداية بكسر الجيم وفتحها الذكر والأنثى من أولاد الظباء اذا بلغ ستة أشهر أو سبعة وخص بعضهم بها الذكر منها وقال الأصمعي الجداية بمنزلة العناق من الغنم ثم ذكر أن في سنن البيهقي أن صفوان بن أمية بعث مع أخيه لامه كلدة بن الجنيد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنا وضغابيس وجداية. قال والضغابيس صغار القثاء انتهى واحدتها ضغبوس وقيل هو نبت ينبت في أصول الثمام يسلق بالخل والزيت ويؤكل والثمام نبت معروف قال في القاموس يقال لما لا يعسر تناوله على طرف الثمام لانه يطول انتهى ثم قال الناظم رحمه الله تعالى (ومكروه) كراهة تنزيه (دخول ا) رجل (هاجم) أي بغتة على أهله من غير

تنحنح ولا استئذان ولا تحرك نعل يقال هجم عليه هجوما انتهى اليه بغتة أو
دخل بغير اذن كما في القاموس . وفي النهاية الهجوم على القوم الدخول عليهم
انتهى . قال الامام أحمد يستحب أن يحرك نعله في استئذانه عند دخوله حتى الى
بيته وقال الامام رضي الله عنه اذا دخل على أهله يتنحنح وقال مهنا سألت أحمد
عن الرجل يدخل الى منزله فينبغي أن يستأذن على أهله أعني زوجته قال ما أكره
ذاك ان استأذن ما يضره قلت زوجته وهو يراها في جميع حالاتها فسكت عني
فهذه نصوصه لم يستحب فيها الاستئذان واستحب النحنحة أو تحريك النعل لئلا
يراها على حالة لا تعجبها ولا تعجبه (ولا سيما) هذه كلمة تدخل ما بعدها فيما قبلها بطريق
الاولي أي يكره دخول الهاجم من غير استئذان ولا اعلام كراهة اشد من الاولى حيث
كان الهاجم قادما (من سفرة) كان قد سافرها ولو كانت قريبة (و) اشد من ذلك
حيث كان قادما من مكان ذي (تبعد) اي بعد فاذا كان الانسان مسافرا سفرا بعيداً
كره له ان يأتي اهله ليلا لان النبي صلي الله عليه وسلم نهى اذا أطال الرجل الغيبة
ان يأتي أهله طروقا وفي رواية نهي ان يطرق اهله لئلا يتخونهم او يطلب عثراتهم
قال الخلال اخبرني محمد بن موسي ان ابا عبد الله سئل عن حديث النبي صلى الله
عليه وسلم لا تأتوا النساء طروقا قال نعم يؤذنهم قبل بكتاب وهذا الخبر في الصحيحين
من حديث جابر وفي آخره كي تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة . وفي مسلم يتخونهم
أو يطلب عثراتهم وفيهما عن جابر نهى رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا أطال الرجل
الغيبة ان يجيء أهله طروقا وهو بضم الطاء أي ليلا يقال لكل من أتاك ليلا طارق
ومنه قوله تعالى والسماء والطارق يعني النجم لانه يطرق بطلوعه ليلا وقوله في الحديث
تستحد اي تصلح من شأن نفسها والاستحداد مشتق من الحديد وهو ازالة الشعر
بالموسى وقوله المغيبة يعني ذات العانة يقال استعان الرجل اذا حلق عانته واستعمل
الاستحداد على طريق الكناية والتورية والمراد كي تمتشط وتهيئ حالها وتزيل الشعر
الذى تعافه النفوس وهو شعر العانة . قال النووى في شرح مسلم معني هذه الروايات
كلها انه يكره لمن طال سفره ان يقدم على أمراته ليلا بغتة قال واما من كان سفره
قريبا تتوقع أمراته اتيانه ليلا فلا بأس انتهي (تنبيهان الاول) استوجه صاحب الآداب

الكبري ان من طرق اهله ليلاً طلبا لعثراتهم وتتبعا لعوراتهم حرم عليه ذلك لانه من التجسيس والا كره قال وانما خص النبي صلى الله عليه وسلم الليل بذلك لانه الغالب لالاختصاص الحكم وقول الامام أحمد يؤذنهم بكتاب يقتضي ذلك والا لكان قال الامام يدخل نهارا وهو ظاهر اطلاق الناظم فان كلامه يشمل النهار كالليل (الثاني) ظاهر اطلاق كلام الناظم عدم الفرق بين السفر القصير والبعيد بل يدل عطفه البعيد على السفر ان المراد بالمعطوف عليه القصير كما هو شأن العطف نعم ظاهر كلام الحجاوي عدم الكراهة في السفر القريب كما قال النووي والله أعلم

وَوَقْفَتُهُ تِلْقَاءَ بَابٍ وَكُوَّةٍ ... فَإِنْ لَمْ يُجَبْ يَمْضِي وَإِنْ يُخْفَ يَزْدَدِ

(و) مكروه للمستأذن أيضا (وقفته تلقاء) أي عند (باب) مستأذن عليه مقابلا له لان الاستئذان انما شرع من أجل النظر قال في الآداب الكبري ولا يواجه الباب في استئذانه لان رجلا استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فقام مستقبل الباب فقال عليه السلام هكذا عينك وهكذا فانما الاستئذان من النظر وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه اذا دخل البصر فلا اذن حديثان حسنان رواهما أبو داود. واخرج الطبراني من حديث اسحاق بن يحيى عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ولم يسمع منه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الاستئذان في البيوت فقال من دخلت عينه قبل أن يستأذن ويسلم فلا اذن له وقد عصى ربه قال المنذرى رواته ثقات (و) مثل الباب وقفته تلقاء (كوة) بفتح الكاف وتضم الخرق والثقب في الحائط ويقال كو من غير تانيث قال في القاموس التذكير للكبير والتأنيث للصغير جمعه كوى وكواء لانها في معنى الباب بجامع توصل النظر من كل منها. وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اطلع في بيت قوم بغير اذنهم فقد حل لهم ان يفقؤا عينه. وفي رواية للنسائي أنه صلى الله عليه وسلم قال من اطلع في بيت قوم ففقؤا عينه فلا دية له ولا قصاص وفي رواية ابي داود ففقؤا عينه فقد هدرت ومثل الكوة خصاص الباب لما في الحديث الثابت ان أعرابيا أتى باب النبي صلى الله عليه وسلم فالقم عينه خصاصة الباب فبصر به النبي صلى الله عليه وسلم فتوخاه بحديدة أو عود

ليفقأ عينه فلما ابصره انقمع فقال له النبي صلى الله عليه وسلم امااتك لو ثبت لفقأت عينك وخصاصة الباب بفتح الخاء المعجمة وصادين مهملتين هي الثقب فيه والشقوق ومعناه انه جعل الشق الذي في الباب محاذيا عينه ومعني توخاه بتشديد الخاء المعجمة قصده ومعني انقمع رد بصره ورجع يقال أقمعت الرجل عني اقماعا اذا طلع عليك فرددته عنك فكان المردود أو الراجع قد دخل في قمعه ومنه حديث منكر ونكير فينقمع العذاب عندذلك أي يرجع ويتداخل . وفي الصحيحين عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه ان رجلا اطلع على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جحر في حجرة النبي صلى الله عليه وسلم ومع النبي صلى الله عليه وسلم مدراة يحك بها رأسه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو علمت انك تنظر لطعنت بها في عينك انما جعل الاستئذان من اجل البصر وعند الطبراني من طرق احدها جيد عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تأتوا البيوت من ابوابها ولكن ائتوها من جوانبها فاستأذنوا فان اذن لكم فادخلوا والا فارجعوا وهو معني قول الناظم رحمه الله (فان) استأذن بقوله السلام عليكم أأدخل أو السلام عليكم فقط على مامر و(لم يجب) بالبناء للمفعول اى لم يجبه رب المنزل (يمض) لما في الاخبار المارة وغيرها قال ابن الجوزى وغيره فلا يقف على الباب ويلازمه للآية وفي الصحيحين عن ابي سعيد رضي الله عنه مرفوعا اذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع وتقدم والمراد ان علم او ظن انهم سمعوا صوته (وان) حرف شرط جازم و (يخف) فعل مضارع مبني للمجهول فعل الشرط مجزوم بحذف الألف لأنه معتل بها ونائب الفاعل مستتر عائد على المستأذن يعني وان يخف صوته (يزدد) جواب الشرط وحرك بالكسر للقافية والمعني انه متي علم أو ظن أنهم لم يسمعوا صوت استئذانه زاد على الثلاث مرات حتي يعلم او يظن أنهم سمعوه . قال في الآداب الكبرى وقيل لا يزيد على الثلاث مطلقا قاله بعض العلماء عملا بظاهر الحديث وهو ظاهر كلام بعض الاصحاب واراد به الامام العلامة المحقق ابن القيم حيث قال وهذا القول مخالف للسنة يريد انه لا يزيد على الثلاث مطلقا عملا بظاهر الحديث لكن جزم في الاقناع والغاية انه لا يزيد على ثلاث الا ان ظن عدم سماعهم قال م ص في شرح الاقناع فيزيد

بقدر ما يظن انهم سمعوه

وتَحْرِيكُ نَعْلَيهِ وَإِظْهَارُ حِسِّهِ   لِدَخْلَتِهِ حَتَّى لِمَنْزِلِهِ اشْهَدِ

(و) يستحب للمستأذن (تحريك نعليه) تثنية نعل وهي مؤنثة التي تلبس في المشي قال في النهاية وتسمي الآن تاسومة وفي الخبر ان رجلا شكا اليه صلى الله عليه وسلم رجلا من الانصار فقال يا خير من يمشي بنعل فرد وصفها بالفرد وهو مذكر لان تانيثها غير حقيقي والفرد هي التي لم تخصف ولم تطارق وانما هي طاق واحد والعرب تمدح برقة النعال وتجعلها من لباس الملوك يقال نعلت وانتعلت اذا لبست النعل وانتعلت الخيل ومنه الحديث ان غسان تنعل خيلها (و) يستحب للمستأذن ايضا (اظهار حسه) بكسر الحاء المهملة الحركة وان يمر بك قريبا فتسمعه ولا تراه كالحس والصوت كما في القاموس والمراد والله اعلم اتيان شيء من تحريك نعل او نحنحة أو صوت كما مر في كلام الامام رضي الله عنه وذلك لئلا يرى امرا يكرهه الداخل اواهل المنزل ولانه ربما افضي الى الشحناء بين الاهل لانه قد يرى من عوراتهم ما لا يحب فاذا حرك نعله أو تنحنح أو أظهر حسه انتفى ذلك وقالت زينب امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما كان عبد الله اذا دخل تنحنح وصوت مختصر من حديث طويل فينبغي لكل مكلف اظهار حسه (ا) أجل (دخلته) لكل دخلة دخلها (حتى) يفعل ذلك من تحريك نعله واظهار حسه (ا) لدخول منزله على امرأته وامته فلا يختص ذلك بدخوله على الاجانب وقوله (اشهد) فعل أمر من الاشهاد وحرك بالكسر للقافية اي اعلم ذلك واشهده ولا تتوقف فيه : وقد مر ان مهنا سأل الامام أحمد رضي الله عنه عن الرجل اذا دخل على أهله ينبغي له أن يستأذن قال يحرك نعله اذا دخل وقال اذا دخل على أهله تنحنح وقال ابن أبي موسى رحمه الله ورضي عنه يستحب لمن دخل منزله أن يقول ما شاء الله لا قوة الا بالله ويسلم على أهل بيته اذا دخل يكثر خير بيته وفي الترمذي وحسنه عن أنس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا بني اذا دخلت على أهلك فسلم عليهم تكون بركة عليك وعلى أهل بيتك وروى أبو داود عن أبي مالك الاشعري مرفوعا اذا ولج الرجل بيته فليقل اللهم اني

أسألك خير المولج وخير المخرج بسم الله ولجنا و بسم الله خرجنا و على الله ربنا توكلنا ثم يسلم على أهله . وأخرج أبو داود أيضا باسناد جيد عن أبي امامة رضي الله عنه مرفوعا ثلاثة كلهم ضامن على الله عز وجل رجل خرج غازيا في سبيل الله فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة أو يرده بما نال من أجر وغنيمة ورجل راح الى المسجد فهو ضامن على الله و رجل دخل بيته بسلام فهو ضامن على الله عز وجل قال الخطابي ضامن على الله معناه مضمون فاعل بمعنى مفعول يريد كل واحد منهم قال وقوله دخل بيته بسلام يحتمل وجهين أحدهما أن يسلم اذا دخل منزله كما قال تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة والثاني ان يكون أراد ان لزوم البيت طلبا للسلامة من الفتن يرغب بذلك في العزلة ويأمر باقلال الخالطة والله اعلم (فوائد) الاولى يستحب للمستأذن اذا قيل له من أنت أو من هذا ان يقول فلان فيسمي نفسه بما يعرف به من اسم أو كنية لما في حديث الاسراء ثم صعد بي الى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا فقال جبريل قيل ومن معك قال محمد متفق عليه . وفي حديث ابي ذر قال خرجت ليلة من الليالى فاذا رسول الله يمشي وحده فجعلت امشي في ظل القمر فالتفت فرآني فقال من هذا فقلت ابو ذر وكره للمستأذن اذا قيل من هذا ان يقول انا ولا يسمي نفسه لعدم الفائدة . وفي الصحيحين عن جابر رضي الله عنه قال اتيت رسول الله صلي الله عليه وسلم فدققت الباب فقال من هذا فقلت انا فقال انا انا كأنه كرهها قال المروذي قال ابو عبد الله رضي الله عنه ما أكثر ما نلقى من الناس يدقون الباب فيقولون أنا أنا ألا يقول أنا فلان . قال في الآداب الكبرى وليزول اللبس فيذكر ما يعرف به من كنية أو غيرها لقول أم هانيء أم هانيء وقول أبي قتادة أبو قتادة للنبي صلى الله عليه وسلم . وقال عبد الله ولد الامام دق أبي رضى الله عنه الباب فقيل من هذا فقال أبو عبد الله (الثانية) ظن من لا تحقيق لديه من علم الآثار . ولا له مزيد اطلاع علي أسرار الاخبار . ان علة كراهة قول المستأذن انا مشابهة ابليس المبعود في قوله انا خير منه وهذا غلط فان النبي صلى الله عليه وسلم قال انا في عدة اخبار منها قوله أنا النبي

لا كذب . أنا ابن عبد المطلب . وخبر علي رضى الله عنه انا الذي سمتني امى حيدرة . وحديث الصديق أي سماء تظلني او اي ارض تقلني اذا انا قلت في كتاب الله عزوجل بما لا يريدمع قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم انما انا نذير مبين . ولي من ابيات

أنا عبدك الجاني وأنت السيد ورجاك ألحاني وأنت المقصد

يا واحدا في ملكه انا واقف في باب جودك بالدعا أتعبد

واذا بحثت عن الحقيقة ألتقى عبدا ضعيفا بالقضاء مقيد

والسنة طافحة بامثال ذلك منها مارواه ابن خزيمة في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح منكم اليوم صائما فقال ابو بكر انا فقال من اطعم منكم اليوم مسكينا فقال ابو بكر انا فقال من اتبع منكم اليوم جنازة فقال ابو بكر انا قال من عاد منكم اليوم مريضا قال ابو بكر انا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمعت هذه الخصال قط في رجل الا دخل الجنة . ومقتضى نص امامنا أنه لو قال أنا فلان أو أنا أبو فلان لم يكره كما في الآداب الكبرى وهو عين الصواب ثم رأيته صحيحا فأخرج البخاري في الادب المفرد وصححه الحاكم من حديث بريدة ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى المسجد وأبو موسى يقرأ قال فجئت فقال من هذا قلت أنا بريدة . وفي الصحيح في حديث أم هانئ فقلت أنا أم هانئ ولذا قال النووى وغيره ولا بأس أن يقول أنا الشيخ فلان أو القارئ فلان أو القاضى فلان اذا لم يحصل التميز الا بذلك وانما علة الكراهة لعدم حصول الفائدة بقوله انا فانه مازاد على ان ثم علي الباب انسانا وذلك حاصل بالاستئذان (الثالثة) ينبغي للمستأذن أن لا يدق الباب بعنف لنسبة فاعل ذلك عرفا الى قلة الادب لا سيما ان كان رب المنزل شيخه ولذا كانوا يقرعون بيوت الاشياخ بالاظافر . وأخرج البخارى في الأدب المفرد من حديث أنس ان ابواب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تقرع بالاظافر وأخرجه الحاكم في علوم الحديث من حديث المغيرة بن شعبة وهذا محمول منهم على المبالغة في الأدب وهو حسن لمن قرب محله من بابه واما من بعد عن الباب فيقرع بحسب ما يحصل به المقصود . (الرابعة) اذا دخل

يجلس حيث أجلسه رب المنزل وقيل بل حيث انتهى منه كذا في الرعاية . وفي الآداب الكبرى وحاصل ذلك وتحقيقه انه ان أمره صاحب المنزل بالجلوس في مكان منه لم يجز ان يتعداه لانه ملكه وسلطانه وتكرمته ولهذا لو لم يأذن في الدخول لم يجز ولو أمره بالخروج لم يجزله المقام فيه وهذا واضح وان لم يأمره بالجلوس في مكان منه فهل يجلس وأين يجلس ينبغي ان ينظر الى عرف صاحب المنزل وعادته في ذلك فلا يجوز أن يتعداه يعني عرفه وعادته لانه خاص فيقيد المطلق كالكلام فان خالف صاحب المنزل عادته معه بأن أمره اوأذن له في شيء وافقه انظن ذلك منه ظاهرا و باطنا وكذا ان شك حملا لحال المكلف على الصحة والسلامة اجابه وان ظن انه فعل معه ذلك ظاهرا لا باطنا لمعنى من المعاني لم يجبه لان المقاصد معتبرة ثم يجلس فيما يظن اذنه فيه ظاهرا و باطنا و يعمل في ذلك بالقرائن والامارات وظواهر الحال فان لم يكن له عرف ولا عادة فالعرف والعادة في ذلك الجلوس بلا اذن خاص فيه لحصول الاذن فيه بالاذن فى الدخول ثم ان شاء جلس ادنى المجلس لتحقق جوازه مع سلوك الادب وهذا أولى وان شاء عمل بالظن في جلوسه فيما يأذن فيه صاحب المنزل وهو أقرب الى عوائد الناس ودخل خارجة بن يزيد النحوي على ابن سيرين بنية زائرا له فوجده جالسا بالارض الى وسادة قال فقلت له اني قد رضيت لنفسي مارضيت لنفسك فقال اني لا أرضى لك في بيتي بما أرضى به لنفسي فاجلس حيث تؤمر (الخامسة) يكره للرجل ان يجلس في وسط الحلقة. قال أبو داود رأيت أحمد بن حنبل اذا كان في الحلقة فجاء رجل فقعد خلفه يتأخر يعني يكره ان يكون وسط الحلقة لما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال في الآداب الكبرى و يتوجه تحريم ذلك لانه عليه الصلاة والسلام لعن من جلس وسط الحلقة رواه الامام أحمد وأبو داود والترمذي وصححه . قال في النهاية لانه اذا جلس في وسطها استدبر بعضهم بظهره فيؤذيهم بذلك و يسبونه ويلعنونه (السادسة) ليس له ان يفرق بين اثنين فيجلس بينهما الا باذنهما لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعا لا يجلس بين رجلين الا باذنهما وفي رواية لايحل لرجل يفرق بين اثنين الا باذنهما رواهما أبو داود وهما حسنان كما ذكره ابن مفلح و روى الثاني

الترمذي وحسنه والله أعلم (السابعة) لا بأس أن يستأذن الرجل اذا أراد ان يقوم من المجلس قال ابن منصور لابي عبد الله اذا جلس قوم الى رجل يستأذنهم اذا أراد ان يقوم قال قد فعل ذلك قوم ما أحسنه . وقال اسحاق بن راهويه كما قال المروذي كنا عند أبي عبد الله اذا اراد القيام يضع يده على فخذه مرتين او ثلاثا فكنت ربما غمزت بعض أصحابنا فأقول قم فانه يريد ان يقوم وقال ابو داود كنا نقعد اليه يعني الامام كثيرا فيقوم ولا يستأذننا والله الموفق ولما ذكر الناظم رحمه الله السلام والاستئذان وأحكامها ذكر أشياء تتعلق بذلك فمنها القيام و بدأ به فقال

وَكُلُّ قِيَامٍ لاَ لِوَالٍ وَعَالِمٍ ... وَوَالِدِهِ أَوْ سَيِّدٍ كُرْهَهُ امْهَدِ

(وكل قيام) قامه الانسان مكروه للنهي عنه في عدة أخبار سنذكر منها ما يليق بهذا الشرح (لا) يكره القيام مطلقا بل يباح (لوال) الامر وظاهر اطلاق نظامه ولو غير عادل وأطلقه جماعة لانه نائب عن الشريعة وقائم بالسياسة فيقام له اكراما لمنزلته. وقيل لا بد من كونه عادلا قال ابن تميم لا يستحب القيام الا للامام العادل (و)لا يكره القيام أيضا ا(عالم) لانه الحامل لكتاب الله الناقل لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الدال على الله وأحكامه. المبين لحلال الشيء وحرامه. المنبه على عظمته وآياته . وفي الحديث علماء أمتي كانبياء بني اسرائيل أى في حفظ الحدود والشريعة . وكونهم لامتثال الاوامر واجتناب النواهي أقوي ذريعة . (و)لا يكره القيام أيضا (والده) أي القائم لانه السبب في وجوده . والباذل في تربيته وحفظ حياته غاية مجهوده . فالقيام للوالدين من اظهار البر والاجلال . والانخفاض والامتثال . وهو من جملة ودهما. وما عساه أن يفعل في جنب كدهما . وقد ربياه صغيرا . واسهرا اعينهما لحفظه سهرا كثيرا. وقد قرن الله بشكره شكرهما لعظيم حقهما عليه . وأمره أن يخفض لهما جناح الذل لكبر طاعتهما لديه . وسيأتي ذلك ان شاء الله مفصلا بأدلته الكثيرة المنيرة. عند قول الناظم وان عقوق الوالدين كبيرة. (أو) أي لا يكره القيام أيضا (لسيد) قوم لقول النبي صلى الله عليه وسلم قوموا الى سيدكم . وهذا في

الصحيحين وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما حكم سعد بن معاذ في بني قريظة أرسل اليه فجاء راكبا على حمار وكان مجروحا فقال قوموا الى سيدكم . وفي البخاري قال للانصار قوموا الى سيدكم واعترض بأن هذا أمر بالقيام اليه لا له والقيام اليه لاجل تلقيه لضعفه بالجراحة و يؤيده ماعند الامام أحمد قوموا الى سيدكم فانزلوه لكن ينصر كون الامر بالقيام له آخر الخبر وكان رجال من بني الاشهل يقولون قمنا له على أرجلنا صفين يحييه كل رجل منا حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في السيرة الشامية . ويحتمل ان الناظم أراد بالسيد الشريف القرشي ونحوه من ذوي الانساب وهو ظاهر مانقل عن الامام أحمد رضي الله عنه قال عبد الله رأيت أبي اذا جاء الشيخ اوالحدث من قريش أوغيرهم من الأشراف لم يخرج من باب المسجد حتى يخرجهم فيكونوا هم يتقدمونه ثم يخرج من بعدهم وقال ابن تميم لا يستحب القيام الا للامام العادل والوالدين وأهل العلم والدين والورع والكرم والنسب وهو معنى كلامه في المجرد والفصول . وكذلك ذكر سيدنا الشيخ عبد القادر أغدق الله الرحمة على ضريحه والحاصل ان في القيام ثلاث روايات احداها لا يقام الا للوالدين لان الامام قال في رواية حنبل لا يقوم أحد لأحد الا الولد لوالده أو أمه أما غير الوالدين فلا لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك (الثانية) يكره القيام الا لقادم من سفر لانه قال في رواية مثنى لا يقوم أحد لاحد وأما اذا قدم من سفر فلا أعلم به بأساً اذا كان على التدين محبة في الله أرجو لحديث جعفر ان النبي صلى الله عليه وسلم اعتنقه وقبل بين عينيه (الثالثة) تؤخذ من نصوصه وهي موافقة لما قاله الاصحاب أن يقام للامام العادل وأهل العلم والدين والورع والنسب والوالدين ولمن هو أسن منه وكريم قوم قال المروذي كان أبو عبد الله من اشد الناس اكراما لاخوانه ومن هو اسن منه وجاء ابو ابراهيم الزهري احمد بن سعد الى الامام احمد فسلم عليه فلما رآه وثب اليه اوقام اليه قائما فأكرمه فلما ان مشى قال له ابنه عبد الله يا ابت ابو ابراهيم شاب وتعمل به هذا وتقوم اليه فقال له يا بني لا تعارضني في مثل هذا ألا أقوم الى ابن عبد الرحمن بن عوف . وقد قام طلحة رضي الله عنه لكعب بن مالك رضي

الله عنه لما تاب الله عليه وكان بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينكر ذلك .
وقال الامام الحافظ ابن الجوزى اعلى الله مناره . وأبقى على ممر الايام آثاره . ترك القيام كان شعار السلف ثم صار ترك القيام كالاهوان بالشخص فينبغي ان يقام لمن يصلح قال شيخ الاسلام ابن تيمية رضوان الله عليه في الفتاوي المصرية ينبغي ترك القيام في اللقاء المتكرر والمعتاد ونحوه لكن اذا اعتاد الناس القيام وقدم من لا يرى كرامته الا به فلا بأس به . فالقيام دفعا للعداوة والفساد خير من تركه المفضي الى الفساد وينبغي مع هذا ان يسعي في الاصطلاح على متابعة السنة . وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام ليس منا من لا يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا . واخرجه الترمذي بلفظ ويعرف شرف كبيرنا . واخرج الامام أحمد عن عبادة مرفوعا ليس من أمتى من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه . وقال صلى الله عليه وسلم البركة مع أكابركم رواه ابن حبان في صحيحه باسناد جيد ولابي داود باسناد جيد من حديث ابي موسى ان من اجلال الله اكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير المغالى فيه ولا الجافي عنه واكرام ذي السلطان المقسط قال ابن حزم اتفقوا على ايجاب توقير أهل القرآن والاسلام والنبي صلى الله عليه وسلم وكذلك الخليفة والفاضل والعالم وما عدا من ذكرنا من الذين يقام لهم من السلطان والعالم والوالد والسيد ومن نبهنا عليهم من الكريم والحسيب والشائب فالقيام لغيرهم (كرهه) أي كراهته تنزيها (امهد) فعل امر من مهد كمنع وحرك بالكسر للقافية يقال مهده كمنعه وتمهيد الامر تسويته واصلاحه وتمهيد العذر بسطه وقبوله فيحتمل ان الناظم أراد اقبل كراهة القيام لغير من ذكر وهو الاظهر ويحتمل أنه اراد ابسط كراهة ذلك ووطئها وانشرها وهيئها والله أعلم فيكره القيام لاهل المعاصي والفجور والذى يقام له ينبغي أن يكره ذلك ظاهرا وباطنا ولا يطلبه لما أخرج أبو داود بأسناد صحيح والترمذي وحسنه عن معاوية رضى الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من أحب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار (واخرج) أبو داود وابن ماجه باسناد حسن عن ابي امامة الباهلي رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا على عصى فقمنا اليه فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضهم بعضا ولذا قال بعض علمائنا النهي قد وقع علي السرور بتلك

الحال فاذا لم يسر بالقيام له وقاموا اليه فغير ممنوع وقال شيخ الاسلام أبو بكر والقاضي ومن تبعها فرقوا بين القيام لاهل الدين وغيرهم فاستحبوه لطائفة وكرهوه لاخري والتفريق في مثل هذا بالصفات فيه نظر وقال بعض الاصحاب وغيرهم في النهي عن النهى عن ذلك انما هو تحذير من الفتنة والعجب والخيلاء مع ان ابن قتيبة قال انما معناه ما تفعله الاعاجم والامراء في زماننا هذا ان يجلس والناس قيام بين يديه تكبرا وعجبا ولذا قال ابن مسعود في من يمشي الناس خلفه أكراما أنها ذلة للتابع فتنة للمتبوع ورد الامام المحقق ابن القيم في حاشية السنن على هذا القول بان سياق حديث معاوية يدل على خلاف ذلك وانما يدل على أنه كره القيام له لما خرج تعظيما ولان هذا لا يقال له القيام للرجل وانما هو القيام على رأس الرجل أو عند الرجل قال والقيام ينقسم الى ثلاث مراتب قيام على راس الرجل وهو فعل الجبابرة وقيام اليه عند قدومه ولا بأس به وقيام له عند روٴيته وهو المتنازع فيه انتهي. وقد ورد في خصوص القيام على رأس الكبير الجالس ما أخرجه الطبراني في الاوسط عن انس قال انما هلك من كان قبلكم بأنهم عظموا ملوكهم بان قاموا وهم قعود. وقال ابو الوليد بن رشد ان القيام يقع علي أربعة أوجه. الاول محظور وهو ان يقع لمن يريد ان يقام له تكبرا وتعاظما علي القائمين اليه. والثاني مكروه وهو ان يقع لمن لا يتكبر ولا يتعاظم علي القائمين ولكن يخشي أن يدخل نفسه بسبب ذلك ما يحذر ولما فيه من التشبه بالجبابرة. والثالث جائز وهو أن يقع على سبيل الاكرام لمن لا يريد ذلك ويوٴمن معه التشبه بالجبابرة والرابع مندوب وهو ان يقوم لمن قدم من سفر فرحا بقدومه ليسلم عليه أو الى من تجددت له نعمة فيهنيه أو مصيبة فيعزيه انتهي. والحاصل من ذلك كله ان القيام لغير من ذكرنا مكروه والقاعدة زوال الكراهة بأدنى حاجة فكيف بالمصلحة الراجحة. وقد قام النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة منهم سيدة نساء العالم فاطمة بضعته الشريفة عليها السلام. قالت سيدتنا وأمنا عائشة الصديقية رضوان الله عليها ما رأيت أحدا كان أشبه سمتا وهديا ودلا برسول الله صلى الله عليه وسلم من فاطمة كانت اذا دخلت عليه قام اليها فأخذ بيدها وقبلها وأجلسها في مجلسه رواه النسائي والترمذي وقال حسن صحيح. ومنهم جعفر بن أبي طالب فان النبي صلى الله عليه وسلم

تلقاه لما قدم من الحبشة فالتزمه وقبل ما بين عينيه رضوان الله عليه وروى البيهقي عن واثلة بن الخطاب رضي الله عنه وهو صحابي سكن دمشق قال دخل رجل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فتحرك له النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل ان في المكان سعة فقال للمؤمن أو للمسلم حق ومنهم عكرمة بن أبي جهل لما دخل عليه مسلما مهاجرا قام اليه فرحا بقدومه رواه البيهقي من طريق الواقدي بسنده مرفوعا ورواه مالك عن الزهري مرسلا ومنهم زيد بن حارثة رضي الله عنه روى الترمذي وحسنه عن عائشة رضي الله عنها قالت دخل زيد بن حارثة المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي فأتاه فقرع الباب فقام اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عريانا يجر ثوبه والله ما رأيته عريانا قبله ولا بعده فاعتنقه وقبله . ومنهم عبد الله بن أم مكتوم قال الخطابي في باب الضرير يولى من كتاب الأمارة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم لابن أم مكتوم كلما أقبل ويقول مرحبا بمن عاتبني فيه ربي عز وجل وذكره جماعة غير الخطابي من غير لفظ القيام . وروى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس معنا في المجلس يحدثنا فاذا قام قمنا قياما حتى نراه قد دخل بيوت أزواجه وعن جرير رضي الله عنه أنه قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فألقى له كساءه ثم أقبل على أصحابه فقال اذا جاءكم كريم قوم فأكرموه رواه البيهقي من أوجه كلها ضعيفة عندهم وروى مرسلا عن الشعبي باسناد صحيح اليه وروى أبو داود عن عمرو بن السائب أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم عليه أبوه من الرضاعة فأجلسه على بعض ثوبه ثم أقبلت أمه فوضع شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجلسه بين يديه مرسل جيد الى غير ذلك من الأخبار والآثار . ولذا قال أبو المعالي من أئمتنا واكرام العلماء واشراف القوم بالقيام سنة مستحبة وكره ان يطمع في القيام له للحديث . وقال شيخ الاسلام اذا اعتاد الناس قيام بعضهم لبعض فقيامهم لكتاب الله أحق (تنبيه) قال الامام مجد الدين بن تيمية في منتقى الاحكام عن قيام المغيرة بن شعبة على رأس النبي صلى الله عليه وسلم

بالسيف في صلح الحديبية فيه استحباب الفخر والخيلاء في الحرب لارهاب العدو وأنه ليس بداخل في ذمه لمن أحب أن يتمثل له الرجال قياما وكذا قال غيره وقال الخطابي فيه دليل على أن اقامة الرئيس الرجال على رأسه في مقام الخوف ومواطن الحروب جائز وأن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من أراد أن يتمثل له الرجال صفوفا فليتبوأ مقعده من النار انما هو فيمن قصد به الكبر وذهب مذهب النخوة والجبرية انتهى كلامه قال في الآداب الكبرى ولعل المراد أن من فعل ذلك لمقصود شرعي لا بأس به . وقال في السيرة الشامية في قيام المغيرة على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف فيه جواز القيام على رأس الأمير به بقصد الحراسة ونحوها من ترهيب العدو ولا يعارضه النهي عن القيام على رأس الجالس لأن محله اذا كان على وجه العظمة والكبر انتهى ولما ذكر القيام بعد الاستئذان وهما من متعلقات السلام ذكر المصافحة لأنها من متعلقاته أيضا فقال

وَصَافِحْ لِمَنْ تَلْقَاهُ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ ... تُنَاثَرْ خَطَايَاكُمْ كَمَا فِي الْمُسْنَدِ

(وصافح) أيها الأخ الحريص على اقتفاء المأثور . وامتثال الوارد المسطور . عن النبي الأواب . المبعوث بالسنة والكتاب . والمصافحة مفاعلة مأخوذة من إلصاق صفح الكف بالكف وإقبال الوجه على الوجه يقال صافحته أفضيت بيدي الى يده . وفي القاموس المصافحة الأخذ باليد كالتصافح (لمن) أي رجلا مسلما وكذا صبيا حيث وثقت من نفسك وأمنت من الفتنة به لقصد تعليمه حسن الخلق وكذا عجوزا الا الشابة الاجنبية فتحرم مصافحتها للرجل كما في الفصول والرعاية وجزم به في الاقناع كغيره لان المصافحة شر من النظر واطلق في رواية ابن منصور كراهة مصافحة النساء . وقال محمد بن عبد الله بن مهران ان أبا عبد الله سئل عن الرجل يصافح المرأة قال لا وشدد فيه جدا قال قلت فيصافحها بثوبه قال لا والتحريم اختيار الشيخ وعلل بأن الملامسة أبلغ من النظر (تلقاه من كل مسلم) ما عدا ما ذكرنا من الشابة الاجنبية ومن يخاف به فتنة وأفهم انه لا يصافح غير المسلم وهو كذلك فقد سئل الامام أحمد رضي الله عنه عن مصافحة اهل الذمة فقال لا يعجبني وشمل اطلاقه مصافحة الرجل

مطلب في المصافحة

الرجل والمرأة المرأة وكذا الامرد الامرد بالشرط المذكور وهو كذلك فان تفعل من مصافحة مَن تلقاه (تناثر) بالبناء للمفعول أو للفاعل بحذف احدى التاءين تخفيفا والاصل تتناثر وهو مجزوم في جواب الامر والتناثر من النثر يقال نثر الشيء ينثره وينثره نثرا ونثارا رماه متفرقا كنثره فتناثر والمعنى تتساقط (خطاياكم) جمع خطيئة وهي الذنب اوما يتعمد منه كالخطء بالكسر والخطأ مالم يتعمد والمراد هنا مطلق الذنوب العمد وغيرها وأراد خطايا المتصافحين على لغة من يرى الجمع ما زاد على الواحد كما في قوله تعالى فان كان له اخوة فلأمه السدس يعني اخوين فصاعدا (كما في) الحديث (المسند) مخففا وشدده ضرورة للوزن وفي ذلك غدة أخبار. عن النبي المختار . صلى الله عليه وسلم ما تعاقب الليل والنهار . منها مارواه أبو داود والترمذي وحسنه عن البراء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان الا غفر لهما قبل أن يتفرقا . وفي رواية لابي داود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا التقى المسلمان فتصافحا وحمدا الله تعالى واستغفراه غفر لهما (وأخرج) الامام أحمد واللفظ له والبزار وأبو يعلى عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن مسلمين التقيا فأخذ أحدهما بيد صاحبه الا كان حقا على الله عزوجل أن يحضر دعاءهما ولا يفرق بين أيديهما حتى يغفر لهما . وقال أنس رضي الله عنه كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تلاقوا تصافحوا واذا قدموا من سفر تعانقوا (وأخرج) الطبراني في الاوسط باسناد جيد عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن اذا لقى المؤمن فسلم عليه وأخذ بيده فصافحه تناثرت خطاياهما كما يتناثر ورق الشجر وهذا الخبر الذي أشار اليه الناظم رحمه الله. وروى البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم لقي حذيفة فأراد أن يصافحه فتنحى حذيفة فقال اني كنت جنبا فقال ان المسلم اذا صافح أخاه تحاتت خطاياهما كما يتحات ورق الشجر . والطبراني عن سلمان باسناد حسن مرفوعا ان المسلم اذا لقي أخاه فأخذ بيده تحاتت عنهما ذنوبهما كما يتحات الورق عن الشجرة اليابسة في يوم ريح عاصف والا غفر لهما ولو كانت ذنوبهما مثل زبد

البخر . وفي الترمذي عن ابن مسعود مرفوعا من تمام التحية الاخذ باليد وفي البخاري والترمذي عن قتادة قلت لانس رضي الله عنه أكانت المصافحة في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم (وأخرج) أبو داود عن أيوب ابن بشير العدوى عن رجل من عنزة واسمه عبد الله كما قال المنذري قال وهو مجهول قال قلت لأبي ذر حيث سير الى الشام اني أريد أن أسألك عن حديث من حديث رسول الله قال اذن أخبرك به الا أن يكون سرا قلت انه ليس بسر هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصافحكم اذا لقيتموه قال مالقيته قط الا صافحني و بعث الي ذات يوم ولم أكن في اهلي فجئت فأخبرت انه أرسل الي فأتيته وهو على سريره فالتزمني فكانت تلك أجود وأجود . وقال عطاء الخراساني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تصافحوا يذهب الغل وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء رواه الامام مالك هكذا معضلا وقد أسند من طرق فيها مقال (وأخرج) الطبراني باسناد فيه نظر عن أبي هريرة مرفوعا ان المسلمين اذا التقيا فتصافحا وتسائلا أنزل الله بينهما مائة رحمة تسعة وتسعين لأبشهما وأطلقهما وأبرهما وأحسنهما مسايلة باخيه ومعنى لأبشهما أكثرهما بشاشة وهي طلاقة الوجه مع التبسم وحسن الاقبال واللطف في المسألة ومعني أطلقهما أكثرهما وأبلغهما طلاقة وهي بمعني البشاشة . وروي عن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا التقي الرجلان المسلمان فسلم أحدهما على صاحبه فان أحبهما الى الله أحسنهما بشرا لصاحبه فاذا تصافحا نزلت عليهما مائة رحمة للبادئ منهما تسعون وللمصافح عشرة . وفي الحديث الصحيح عن أنس لما جاء أهل اليمن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءكم أهل اليمن وهم أول من جاء بالمصافحة رواه أبو داود وروى الطبراني عن أبي داود الأعمى وهو متروك قال لقيني البراء بن عازب رضي الله عنهما فأخذ بيدي وصافحني وضحك في وجهي ثم قال تدري لم أخذت بيدك قلت لا الا انني ظننت انك لم تفعله الا لخير فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم لقيني ففعل بي ذلك ثم قال أتدري لم فعلت بك ذلك قلت لا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان المسلمين اذا التقيا وتصافحا وضحك كل

واحد منهما في وجه صاحبه لا يفعلان ذلك الا لله لم يتفرقا حتى يغفر لهما الى غير ذلك من الاخبار والآثار والله الحليم الستار (تنبيهات) الأول منها أول من صافح وعانق سيدنا ابراهيم خليل الله الرحمن الرحيم . كما في مثير الغرام والانس الجليل والاوائل وذلك انه لما اجتمع عليه الاسكندر الاكبر . في الحرم المكي المفضل الموقر . صافحه خليل الرحمن وعانقه وقبله بين عينيه قبل المفارقة واعطاه الراية وعممه . واهداه للخير وعممه . وتشرع الاسكندر بشريعته . ودخل معه في ملته . وقد بينت ذلك في كتابي الجواب المحرر . في الخضر والاسكندر . ولا ينافي هذا مافي خبر أنس . كما لا يخفى على ذى حدس (الثاني) سئل شيخ الاسلام [illegible] اغدق الله الرحمة علي روحه الزكية . عن المصافحة بعد العصر والفجر هل هي سنة مستحبة أم لا . أجاب رضي الله عنه بقوله اما المصافحة عقب الصلاة فبدعة لم يفعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يستحبها أحد من العلماء انتهي . قلت وظاهر كلام ابن عبد السلام من الشافعية انها بدعة مباحة وظاهر كلام الامام النووى أنها سنة قال الحافظ ابن حجر في شرح البخارى قال النووى وأصل المصافحة سنة وكونهم حافظوا عليها في بعض الاحوال لا يخرج ذلك عن أصل السنة قال الحافظ وللنظر فيه مجال وبعضهم أطلق تحريمها انتهي قلت ويتوجه مثل ذلك عقب الدروس ونحوها من أنواع مجامع الخيرات (الثالث) الحديث المسلسل بالمصافحة رويناه عن عدة أشياخ منهم سيدنا الامام الورع خاتمة من رأينا متخلقا بأخلاق السلف الصالح شيخنا الشيخ عبد القادر التغلبي الشيباني مفتى السادة الحنابلة والشيخ عبد الرحمن المجلل الامام الاوحد والشيخ العارف شيخنا الشيخ عبد الغنى النابلسى وجماعة قال شيخنا التغلبي صافحني الشيخ أبو زكريا يحيى بن محمد الشاوي المغربي وذكر سنده في ثبته الى أنس بن مالك رضي الله عنه قال صافحت بكفي هذه كف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ارخزا ولا حريرا ألين من كفه صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث مختصر من حديث في صحيح مسلم وجامع الترمذي والله أعلم (الرابع) صرح في الفصول ان للرجل مصافحة العجوز والبرزة وظاهر اطلاقه بل صريحه ولو كانت البرزة شابة أجنبية وذكره عنه في

مطلب أول من صافح وعانق سيدنا ابراهيم عليه السلام

الآداب وظاهر الاقناع والغاية بخالفه وعبارة الغاية وحرم مصافحة امرأة أجنبية شابة انتهي فلم يستثن سوى ما أفهمه من قوله أجنبية ذوات محارمه يعني وزوجته وأمته و بقوله شابة العجوز ولم يقل خفرة حتى تخرج البرزة وهذا المذهب بلاريب وهو الصواب بلاشك والله أعلم . ثم ذكر حكم السجود لغير الله لانه من متعلقات السلام

وَلَيْسَ لِغَيْرِ اللهِ حَلَّ سُجُودُنَا وَيُكْرَهُ تَقْبِيلُ الثَّرَى بِتَشَدُّدِ

(وليس لغير الله) عز وجل (حل) أي شرع (سجودنا) معشر العباد وأما المالك [illegible] فقد شرعه جل شأنه فتارة يكون فرضا وأخرى طاعة ونفلا قال أبو بكر بن الانباري من أئمة مذهبنا السجود يرد لمعان منها الانحناء والميل من قولهم سجدت الدابة واسجدت اذا خفضت رأسها لتركب ومنها الخشوع والتواضع ومنها التحية وقال في قوله تعالى وخروا له سجدا أنهم سجدوا ليوسف اكراما وتحية وانه كان يحيي بعضهم بعضا بذلك و بالانحناء فحظره رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر كلامه الامام الحافظ ابن الجوزي ولم يخالفه فدل على موافقته وأما الامام ابن القيم في الهدي فجزم بتحريم السجود والانحناء والقيام على الرأس وهو جالس وقال ابن السكيت يقال سجد الرجل اذا طأطأ رأسه وسجد اذا وضع جبهته بالارض انتهي فاذن كان السجود بوضع الجبهة على الارض لايحل لغير الله لأنه لاخضوع أعظم منه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها رواه الامام أحمد (وروى) الحافظ أبو نعيم من طريق غيلان بن سلمة الثقفي قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره فرأينا منه عجبا جاء رجل فقال يا رسول الله انه كان لي حائط فيه عيشي وعيش عيالي ولي فيه ناضحان فحلان قد منعاني أنفسهما وحائطي وما فيه فلا يقدر أحد أن يدنو منهما فنهض نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الحائط فقال لصاحبه افتح فقال أمرهما عظيم فقال افتح فلما حرك الباب أقبلا ولهما جلبة أي صوت ورغاء فلما انفرج الباب ونظرا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركا ثم سجدا فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم برؤسهما ثم دفعهما لصاحبهما وقال استعملهما وأحسن علفهما فقال القوم تسجد لك

مطلب السجود يرد لمعان

البهائم أفلا تأذن لنا في السجود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ورواه الطبراني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ورواته ثقات . (وروى) الامام أحمد عن أنس رضي الله عنه قال كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يستنون عليه وأن الجمل استصعب عليهم فمنعهم ظهره فجاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكوا اليه استصعابه وقالوا قد عطش الزرع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه قوموا فقاموا فدخل الحائط والجمل في ناحيته فمشى النبي صلى الله عليه وسلم نحوه فقالت الأنصار يا نبي الله انه قد صار مثل الكلب الكلب وانا نخاف عليك صولته فقال ليس علي منه بأس فلما نظر الجمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بناصيته أذل ما كانت حتى أدخله في العمل فقال له أصحابه يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك قال لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها (وأخرج) أيضا نحوه من حديث جابر رضي الله عنه وقال الامام الحافظ ابن رجب في كتابه الذل والانكسار للعزيز الجبار السجود أعظم ما يظهر فيه ذل العبد لربه عز وجل حيث جعل العبد أشرف ماله من الاعضاء وأعزها عليه وأعلاها حقيقة أوضع ما يمكنه فيضعه في التراب معفرا ويتبع ذلك انكسار القلب وتواضعه وخشوعه ولهذا كان جزاء العبد اذا فعل ذلك أن يقربه الله اليه فان أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد كما صح ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم . وقال تعالى واسجد واقترب وهو مما كان يأنف منه المشركون المتكبرون عن عبادة الله وكان بعضهم يقول أكره أن أسجد فتعلوني أستي . وانما طرد الله ابليس لما استكبر عن السجود حين أمره الله به ولهذا يبكي اذا سجد المؤمن ويقول أمر ابن آدم بالسجود ففعل فله الجنة وأمرت فعصيت فلي النار . وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليلة في سجوده أقول كما قال أخي داود عليه السلام أعفر وجهي في التراب لسيدي وحق لوجه سيدي أن تعفر الوجوه لوجهه قال ومر عصام

ابن يوسف بحاتم الأصم وهو يتكلم في مجلسه فقال يا حاتم تحسن تصلي قال نعم قال كيف تصلي قال حاتم أقوم بالأمر وأمشي بالخشية وأدخل بالنية وأكبر بالعظمة وأقرأ بالترسل والتفكر وأركع بالخشوع وأسجد بالتواضع وأجلس للتشهد بالتمام وأسلم بالسبيل والسنة وأسلمها الى الله عز وجل وأرجع على نفسي بالخوف فأخاف أن لا تقبل مني واحفظه بالجهد الى الموت فقال تكلم فأنت تحسن تصلي فالسجود من أعظم ما يظهر به التواضع والذل للمعبود وهو المقصود الاعظم من الصلاة فلهذا لا يحل الا لله عز وجل. فيحرم لاحد من الخلق (ويكره) كراهة شديدة كما في الآداب الكبرى (تقبيل) من القبلة وهي عربية والبوس فارسي (الثرى) اصله الندى والتراب الندي أو الذي اذا بل لم يصر طينا لازبا والمراد هنا تقبيل الارض فيكره (بتشدد) لانه يشبه السجود لكنه ليس بسجود لان السجود الشرعي وضع الجبهة بالارض على طهارة لله وحده الى جهة مخصوصة وهذا انما يصيب الارض منه فمه وذلك لا يجزى في السجود قاله الناظم قال في الآداب الكبري وهذا يعني تقبيل الارض لا يفعل غالبا الا للدنيا وهو أشد من الانحناء ومن تقبيل اليد للدنيا

وَيُكْرَهُ مِنْكَ الانْحِنَاءُ مُسَلِّمَا ... وَتَقْبِيلُ رَأْسِ الْمَرْءِ حِلٌّ وَفِي الْيَدِ

(ويكره) تنزيها (منك الانحناء) أي الالتواء والانعطاف (مسلما) مفعول لاجله أي يكره منك الانحناء لاجل السلام أو في السلام فيكون منصوبا بنزع الخافض لما روى الترمذي وحسنه عن أنس رضي الله عنه قال قال رجل يارسول الله الرجل منا يلقى أخاه وصديقه أينحنى له قال لا قال أفيلزمه ويقبله قال لا قال أفيأخذه بيده ويصافحه قال نعم ورواه الامام أحمد وابن ماجه وقدم في الآداب الكبرى عن ابي المعالي ان التحية بانحناء الظهر جائز وقيل هو سجود الملائكة لآدم قال ولما قدم ابن عمر الشام حياه أهل الذمة كذلك فلم ينههم وقال هذا تعظيم للمسلمين ولعل مراده بالجواز عدم الحرمة فلا ينافي الكراهة والله أعلم. واما تقبيل رأس الانسان ويده ونحوها فحلال ولذا قال رحمه الله (وتقبيل رأس المرء) أي الانسان تدينا (حل) في الشرع (و) كذا تقبيله (في اليد) بلا كراهة لثبوت ذلك في عدة أخبار

مطلب في كراهة الانحناء وجواز تقبيل الرأس واليد

مطلب يباح تقبيل اليد والمعانقة تدينا

عن النبي المختار . قال في الآداب الكبرى وتباح المعانقة وتقبيل اليد والرأس تدينا واكراما واحتراما مع أمن الشهوة وظاهر هذا عدم اباحتـه لامر الدنيا واختاره بعض الشافعية والكراهة أولى قال المروذي سألت ابا عبد الله عن قبلة اليد فقال ان كان على طريق التدين فلا بأس قبل ابو عبيدة يد عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وان كان على طريق الدنيا فلا الا رجلا تخاف سيفه أو سوطه . وقال المروذي أيضا وكرهها على طريق الدنيا . وقال تميم بن سلمة التابعي القُبلة سنة وقال مهنا بن يحيى رأيت أبا عبد الله كثيرا يقبل وجهه ورأسه وخده ولا يقول شيئا ورأيته لا يمنع من ذلك ورأيت سليمان بن داود الهاشمي يقبل جبهته ورأسه ولا يمتنع من ذلك ولا يكرهه وقال عبدالله بن الامام رأيت كثيرا من العلماء والفقهاء والمحدثين وبني هاشم وقريش والانصار يقبلونه يعني أباه بعضهم يده وبعضهم رأسه ويعظمونه تعظيما لم أرهم يفعلون ذلك بأحد من الفقهاء غيره ولم اره يشتهي ان يفعل به ذلك . وقال له اسماعيل بن اسحاق الثقفي ترى ان يقبل الرجل راس الرجل أو يده قال نعم وقال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى تقبيل اليد لم يكونوا يعتادونه الا قليلا وذكر ما رواه ابو داود وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما أنهم لما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم عام موته وقالوا نحن الفرارون قال بل انتم العكارون انا فيئة المؤمنين فقبلوا يده . وفي شرح البخاري للحافظ بن حجر ان ابا البادية وكعب بن مالك وصاحبيه قبلوا يد النبي صلى الله عليه وسلم حين تاب الله عليهم . ذكره الابهري وقبل زيد بن ثابت يد ابن عباس حين اخذ ابن عباس بركابه قال ابن عبد البر صلى زيد بن ثابت على جنازة امه فقربت له بغلته ليركب فأخذ ابن عباس بركابه فقال خل عنها يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن عباس هكذا نفعل بالعلماء لانه كان يأخذ عنه العلم فقبل زيد يده وقال هكذا امرنا ان نفعل بأهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم . قال ورخص فيه اكثر العلماء كاحمد وغيره على وجه التدين وكرهه آخرون كمالك وقال سليمان بن حرب هي السجدة الصغرى وقال ابن عبد البر يقال تقبيل اليد احدي السجدتين . قال سليمان بن حرب واما ابتداء الانسان بمد يده للناس ليقبلوها وقصده لذلك فهذا ينهى عنه بلا نزاع كائنا من

كان بخلاف ما اذا كان المقبل هو المبتدي بذلك انتهى ولما تناول ابو عبيدة بن الجراح يد
عمر رضي الله عنهما ليقبلها قبضها فتناول رجله فقال ما رضيت منك بتلك فكيف
هذه وقبض هشام بن عبد الملك يده من رجل أراد أن يقبلها وقال مه فانه لم يفعل
هذا من العرب الا هلوع ومن العجم الا خضوع وقال الحسن البصرى قبلة
يد الامام العادل طاعة . وقال علي رضي الله عنه قبلة الوالد عبادة وقبلة الولد
رحمة وقبلة المرأة شهوة وقبلة الرجل أخاه دين وقد صرح الامام الحافظ ابن
الجوزي بان تقبيل يد الظالم معصية الا أن يكون عند خوف وقال في مناقب
أصحاب الحديث ينبغي للطالب أن يبالغ في التواضع للعالم و يذل له قال ومن
التواضع تقبيل يده وقبل سفيان بن عيينة والفضيل بن عياض أحدهما يد حسين
ابن علي الجعفي والآخر رجله . قال الامام أبو المعالى في شرح الهداية اما
تقبيل يد العالم والكريم لرفده والسيد لسلطانه فجائز وأما ان قبل يده لغناه فقد
روي من تواضع لغني لغناه فقد ذهب ثلثا دينه انتهى . وقد علمت ان الصحابة
قبلوا يد المصطفي كما في حديث ابن عمر المار عند قدومهم من غزوة موتة . وروى
الامام أحمد والترمذي والنسائى وغيرهم بأسانيد صحيحة وصححه الترمذي عن
صفوان بن عسال قال قال يهودي لصاحبه اذهب بنا الى هذا النبي فأتيا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسألا عن تسع آيات بينات فذكر الحديث الي قوله فقبلا
يده و رجله وقالا نشهد انك نبي الله وروى أبو داود عن أم ابان بنت الوازع
ابن زارع عن جدها زارع وكان في وفد عبد القيس قال فجعلنا نتبادر من
رواحلنا فنقبل يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجله وكذا رواه البيهقي كما في
السيرة الشامية . وفيها ثم جاء منذر الاشبج حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقبلها وهو سيد الوفد وكان دميما فلما نظر رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى دمامته قال يا رسول الله انه لا يسقى في مسوك أى جلود الرجال انما
يحتاج من الرجل الى اصغريه لسانه وقلبه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
فيك خلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والاناءة الحديث . وروى أيضا قصة أسيد
ابن حضير لما طعنه النبي صلي الله عليه وسلم في خاصرته بعود فقال اصبرني فقال

اصطبر أى قدني فقال اتقد قال ان عليك قميصا وليس على قميص فرفع النبي صلي الله عليه وسلم عن قميصه فاحتضنه وجعل يقبل كشحه قال انما أردت هذا يارسول الله اسناده ثقات . وروي نحوه في غزوة بدر. قلت وفي السيرة النبوية في غزوة حنين لما انكشف أول عسكر النبي صلى الله عليه وسلم قال أبو سفيان ابن الحارث ابن عمه صلى الله عليه وسلم واخوه من الرضاعة لما لقينا القوم يوم حنين اقتحمت عن فرسي و بيدي السيف مصلتا والله اعلم اني اريد الموت دونه صلى الله عليه وسلم وهو ينظر الي فقال له العباس يا رسول الله اخوك وابن عمك ابو سفيان فارض عنه قال غفر الله له كل عداوة عادانيها ثم التفت وقال يا أخى فقبلت رجله في الركاب وقال صلي الله عليه وسلم ابو سفيان بن الحارث سيد فتيان اهل الجنة . وقال النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ (انا النبي لا كذب . انا بن عبد المطلب .) وقوله عليه الصلاة والسلام لابى سفيان بن الحارث غفر الله له كل عداوة عادانيها لانه كان يؤذى النبي صلى الله عليه وسلم وهجاه وهو الذي رد عليه حسان في قوله

الا ابلغ ابا سفيان عنى مغلغلة فقد برح الخفاء
بأن سيوفنا تركتك عبدا وعبد الدار سادتها الإماء

فلما كان عام الفتح لقي أبو سفيان بن الحارث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالابواء وابن له وعبد الله بن ابي امية بن المغيرة ابن عمته وصهره والتمسا الدخول عليه فلم يؤذن لهما فكلمته ام سلمة فيهما فقالت يارسول الله ابن عمك وابن عمتك وصهرك لا يكونا اشقي الناس بك قال لا حاجة لى بهما اما ابن عمي فهتك عرضي فانه كان شديد الاذية لرسول الله كثير الهجو له مع انه كان قبل البعثة آلف الناس اليه قال وأما ابن عمتى وصهري فهو الذى قال بمكة ماقال أي لن نؤمن لك حتى تعرج الى السماء في سلم ونحن ننظر وتأتى بصك واربعة ملائكة يشهدون انك رسول الله ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه كما أخبر الله عنه في سورة الأسراء فلما خرج الخبر اليهما بذلك ومع أبي سفيان بني له فقال والله ليأذنن لي أو لآخذن بيد بني هذا ثم نذهبن في الارض حتى نموت عطشا وجوعا فلما بلغ ذلك رسول الله

صلى الله عليه وسلم رق لهما رقا شديدا ثم أذن لهما فدخلا عليه وأسلما . وفي الهدي للامام العلامة ابن القيم قدس الله روحه أن عليا رضوان الله عليه قال لأبي سفيان رضي الله عنه ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه فقل له ماقال اخوة يوسف ليوسف عليهم السلام تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فانه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه قولا ففعل ذلك أبوسفيان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين . فأنشده أبو سفيان رضي الله عنه معتذرا

لعمرك اني يوم أحمل راية	لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكالمدلج الحيران أظلم ليله	فهذا أواني حين أهدى وأهتدي
هداني هاد غير نفسي ودلني	على الله من طردته كل مطرد
أصد وأنأى جاهدا عن محمد	وأدعى كأن لم أنتسب من محمد
هموما همو من لم يقل بهواهمو	وان كان ذا رأي يلم ويفند
أريد لأرضيهم ولست بلائط	مع القوم مالم أهد في كل مقعد
فقل لثقيف لا أريد قتالها	وقل لثقيف تلك غيري أوعد
فما كنت في الجيش الذي نال عامرا	وما كان عن جري لساني ولا يدي
قبائل جاءت من بلاد بعيدة	نزايع جاءت من سهام وسودد

قال في الهدى كابن اسحاق وجماعة أن أبا سفيان لما قال ودلني على الله من طردته كل مطرد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال أنت طردتني كل مطرد (٣) وحسن اسلامه رضي الله عنه . قال في الهدى ويقال انه ما رفع رأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلم حياء منه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه وشهد له بالجنة كما ذكرنا وقال أرجو أن تكون خلفا من حمزة ولما حضرته الوفاة رضي الله عنه بكى عليه أهله فقال لا تبكوا علي فما نطقت بخطيئة منذ أسلمت انتهى

وَحَلَّ عِتَاقٌ لِلْمُلَاقِي تَدَيُّنًا	وَيُكْرَهُ تَقْبِيلُ الْفَمِ فَهِمْ وَقَيِّدِ

(وحل) لكل من المتلاقيين من سفر (عناق) بكسر العين المهملة وهو الالتزام يقال عانقه اذا جعل يديه على عنقه وضمه الى نفسه (ا) لشخص المسلم ا (لملاقي) غيره من سفر ولا فرق بين أن يبدأ بالعناق القادم من السفر أو المقيم للقادم كما لا يخفى وأما لغير القدوم من السفر فظاهر النظم كالارشاد لا يطلب قال في الإرشاد المعانقة عند القدوم من السفر حسنة قال الشيخ فقيدها بالقدوم من السفر وأطلق القاضي والمنصوص في السفر انتهي . وقال أبو المعالى تستحب زيارة القادم ومعانقته والسلام عليه . قال الامام رضى الله عنه لما سئل عن المعانقة والقيام اما اذا قدم من سفر فلا أعلم به باسا اذا كان على التدين يحبه الله أرجو لحديث جعفر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اعتنقه وقبله بين عينيه . وقد قال الشعبي كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اذا التقوا صافحوا بعضهم فاذا قدموا من سفر عانق بعضهم بعضا ونقدم في حديث أبي ذر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عانقه وكذا في حديث زيد بن حارثة . وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من النهار لا يكلمني ولا أكلمه حتي جاء سوق بني قينقاع ثم انصرف حتى أتى خباء فاطمة رضي الله عنها فقال أثم لكع أثم لكع يعنى حسنا فظننا انه انما تحبسه أمه لأن تغسله وتلبسه سخابا فلم يلبث ان جاء يسعى حتى اعتنق كل واحد منهما صاحبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني أحبه فأحبه وأحب من يحبه . قوله في الحديث في طائفة أى قطعة منه وقينقاع بتثليث النون ولكع هنا الصغير والخباء بكسر الخاء والمد بينها باء موحدة والسخاب بكسر السين جمعه سخب القلادة من القرنفل والمسك والعود ونحوها من اخلاط الطيب يعمل على هيئة السبحة ويجعل قلادة للصبيان والجواري وقيل هو خيط سمي سخابا لصوت خرزه عند حركته من السخب بفتح السين المهملة والخاء المعجمة ويقال الصخب بالصاد المهملة وهو اختلاط الاصوات . وفي الحديث في صفته صلى الله عليه وسلم ولا صخاب في الاسواق . وفي حديث جبريل لخديجة وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا وصب وفيه لباس الصبيان القلائد والسخب من الزينة وتنظيفهم

مطلب في كراهة العناق عند مالك وأنه بدعة

لاسيما عند لقاء أهل الفضل وملاطفة الصبي والتواضع له وكره مالك معانقة القادم من سفر وقال بدعة واعتذر عن فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بجعفر حين قدم من الحبشة بانه خاص له فقال له سفيان ما تخصه بغير دليل فسكت مالك قال القاضي عياض وسكوته دليل لتسليم قول سفيان وموافقته وهو الصواب حتي يقوم دليل التخصيص انتهي. وقول الناظم تدينا أي لأجل الدين والاحترام. والمودة والاكرام كما نص عليه الامام رضي الله عنه الملك السلام. وظاهر النظم عدم حله لاجل الدنيا والكراهة أولى كما قدمناه عن الآداب الكبرى (ويكره) تنزيهاً من غير شهوة ومعها يحرم اتفاقاً (تقبيل) الرجل (الفم) من الانسان معروف وفيه تسع لغات تثليث الفاء مع تخفيف الميم وفتحها وضمها مع تشديد الميم وتثليثها مقصورا مخفف الميم والتاسعة فم بالنقص واتباع الفاء الميم في الحركات الاعرابية تقول هذا فمه وقبلت فمه ونظرت الى فمه من محرمه. قال ابن منصور لأبي عبدالله رضوان الله عليه يقبل الرجل ذات محرم منه قال اذا قدم من سفره ولم يخف على نفسه لان النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم من الغزو قبل فاطمة رضي الله عنها وكذا خالد بن الوليد قبل أخته وتقدم تقبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة في حديث عائشة. وفي صحيح البخاري في هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ان أبا بكر اشترى من عازب رحلاً فحمله معه ابنه البراء رضي الله عنهم قال البراء فدخلت مع أبي بكر على أهله فاذا عائشة بنته مضطجعة قد أصابتها حمى فرأيت أباها يقبل خدها وقال كيف أنت يا بنية ورواه الامام أحمد ومسلم وقول الناظم رحمه الله (افهم) والمراد افهم الحكم المراد من النظم بالاخبار الواردة في سنة النبي صلى الله عليه وسلم (وقيد) الحل بذوات المحارم يعنى من لا يحرم النظر اليهن واياك من حمل كلامي على الاطلاق. فانه لا يحل بالاتفاق. هذا سر قول النظم افهم وقيد وهذا ظاهر ولله الحمد وأما اختصاص الكراهة بالتقبيل علي الفم فنصوا عليها قالوا ولكن لا يفعله على الفم أبداً بل على الجبهة والرأس وذلك قل أن يقع كرامة بل شهوة كما هو مشاهد والمراد أيضاً غير الزوجة والامة المباحة فلا يكره تقبيلهما على الفم وهو مفهوم أيضاً من قول الناظم افهم وقيد وهذا ظاهر لا خفاء فيه ولله الحمد

وَنَزْعُ يَدٍ مِنْ مَنْ يُصَافِحُ عَاجِلاً   وَأَنْ يَتَنَاجَى الْجَمْعُ مَا دُونَ مُفْرَدِ

(و) يكره تنزيهاً للمصافح (نزع يد) ه (من) يد (من) أي الذي (يصافحه) (عاجلاً) أي سريعاً حتي ينزع الاجنبي يده قال في الرعاية والفصول يكره نزع يده من يد من يصافحه قبل نزعه هو الا مع حياء أو مضرة التأخير. وقال سيدنا الشيخ عبد القادر ولا ينزع يده حتي ينزع الآخر يده اذا كان هو المبتدئ قال شيخ الاسلام طيب الله ثراه الضابط ان من غلب على ظنه ان الآخر سينزع أمسك والا فلو استحب الامساك لكل منهما أفضى الى دوام المعاقدة لكن تقييد الشيخ عبد القادر حسن ان النازع هو المبتدي انتهى كلامه . وروي أبو داود عن أنس رضي الله عنه ما رأيت رجلاً التقم اذن رسول الله صلي الله عليه وسلم فينحي رأسه حتي يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه وما رأيت رجلاً أخذ بيده فترك يده حتى يكون الرجل هو الذي يدع يده (و) يكره كراهة تنزيه اذا كان هناك جمع (أن يتناجى) من المناجاة وهي المسارة يقال ناجاه مناجاة ساره وانتجاه خصه بمناجاته كما في القاموس وقال في النهاية المناجي هو المخاطب للانسان والمحدث له يقال ناجاه يناجيه مناجاة فهو مناج والنجي فعيل منه وقد تناجينا مناجاة وانتجاء ومنه حديث لا يتناجي اثنان دون الثالث. وفي رواية لا يتناجى اثنان دون صاحبهما أي لا يتسارران منفردين عنه لان ذلك يسوءه (الجمع) فاعل يتناجى والمراد به اثنان فأكثر (ما) زائدة (دون) انسان واحد (مفرد) لما أخرج البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتي يختلطوا بالناس من أجل أن ذلك يحزنه وفي رواية أجل أن ذلك يحزنه باسقاط من وهي رواية البخاري في الصحيح. وفي الأدب المفرد له باسناد الصحيح بزيادة من قال الخطابي نطقوا بهذا اللفظ باسقاط من وذكر له شاهدا ويجوز كسر همزة أن والمشهور فتحها انتهى قال الخطابي انما يحزنه لأجل معنيين أحدهما أنه ربما يتوهم أن نجواهما التبييت رأي أو تدسيس غائلة له والثاني من أجل الاختصاص بالكرامة وهو يحزن صاحبه. وأخرج الامام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه

مطلب في كراهة مناجاة الاثنين دون الثالث حال الرفقة

وسلم لا يحل لثلاثة يكونون بأرض فلاة يتناجى اثنان دون الثالث . قال في الآداب الكبرى والنهي عام وفاقا للمالكية والشافعية وخصه بعض العلماء بالسفر وزعم بعضهم أنه منسوخ وأنه كان في أول الاسلام والله أعلم . (تنبيهات الاول) ظاهر هذا الحديث الحرمة لا الكراهة فانه متى انتفى الحل خلفه الحظر وجزم به النووي ومن ثم قال بعضهم بنسخه والمعتمد فقها يكره ذلك تنزيها والله أعلم (الثاني) مفهوم كلام الناظم لو كانوا أربعة فتناجى ثلاثة دون الرابع ان ذلك مكروه قال في الرعاية و يكره أن يتناجي اثنان دون ثالثهما . وفي المجرد ولا يتناجي اثنان دون واحد . قال في الآداب ومرادهم جماعة دون واحد اقتصر عليه وقال الحجاوي ولا يكره الا اذا كانوا ثلاثة لا أربعة فأكثر فقول الناظم الجمع يحمل على الاثنين لانه اقل الجمع على قول ولا يستقيم أن يكون مراده بالجمع الثلاثة لانه يفضي الى الكراهة اذا كانوا اربعة واستدل لذلك بحديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث أخرجاه وزاد ابو صالح قلت لابن عمر فأربعة قال لا يضرك رواه مالك في الموطأ عن عبد الله بن دينار وقال كنت أنا وابن عمر عند دار خالد بن عقبة التي في السوق فجاء رجل يريد ان يناجيه وليس مع ابن عمر احد غيري فدعا ابن عمر رجلا آخر حتى كنا أربعة فقال لي وللرجل الثالث الذي دعا استأخرا شيئاً فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يتناجى اثنان دون واحد فان كانوا أربعة فيتناجى اثنان دون اثنان لم يكره لقصة ابن عمر وأما ان تناجى من الاربعة ثلاثة دون واحد فالاظهر الكراهة وأنت خبير بأن في كلام الحجاوي رحمه الله مسامحة في حمل كلام الناظم على ما حمله وهل أحد قال ان الجمع اثنان فقط وانما قالوا أقل الجمع اثنان على مذهب وهو مرجوح وقليل بالنسبة الى ما قابله من أن أقل الجمع ثلاثة والقرآن مملوء بذلك واما كون اقل الجمع اثنين انما ورد في حجب الام من الثلث الى السدس وهذا الجمع قليل جدا في كلام العرب لكن ما أحد قال ان الجمع لا يطلق على الثلاثة فأكثر وصاحب الآداب الكبرى قال مرادهم جماعة دون واحد واستشهد بكلام الناظم ولم يذكر خلافه وأما استدلال الحجاوى

بقصة ابن دينار مع ابن عمر ومناداته للرجل الرابع فلا دليل له بذلك فان ظاهر كلام الناظم مشعر بذلك حيث قيد انفراد الذي لم يدخل معهما أو معهم في المناجاة فان مفهومه متى كان معه واحد فأكثر لم يكره اختصاص بعض الجمع بالمناجاة وهذا ظاهر لا غبار عليه وهو المذهب بلا ريب وانما المكروه انفراد الجمع بالمناجاة دون واحد منفرد ليس معه من يناجيه ولا يستأنس به ولا سيما اذا كانوا في سفر أو موضع مخيف والعلة التي ذكروها في الاثنين دون الثالث موجودة في الثلاث فأكثر دون واحد فالأظهر والله أعلم ابقاء كلام الناظم على عمومه وأما لفظ الحديث فهذا مفهوم عدد . وقد اختلف فيه علماء الأصول هل يكون مفهومه حجة أولا الأكثر على أنه لا مفهوم للعدد وأيضا مراد النبي صلى الله عليه وسلم والله أعلم أن الثلاثة أقل ما يمكن انفراد اثنين دون واحد هذا ما ظهر لي الآن والله ولي الاحسان ثم رأيت الحافظ ابن حجر في شرح البخاري صرح بما قلنا قال وقد نقل ابن بطال عن أشهب عن مالك قال لا يتناجى ثلاثة دون واحد ولا عشرة لانه قد نهي ان يترك واحد قال وهذا مستنبط من حديث الباب يعني حديث ابن مسعود الذي ذكرناه قال لان المعنى في ترك الجماعة للواحد كترك الاثنين للواحد وقال المازرى ومن تبعه لا فرق في المعنى بين الاثنين والجماعة لوجود المعنى في حق الواحد زاد القرطبي بل وجوده في العدد الكثير امكن واشد فليكن المنع اولى قال وانما خص الثلاثة بالذكر لانه اول عدد يتصور فيه ذلك المعنى فمهما وجد المعنى فيه ألحق به في الحكم انتهى (الثالث) محل الكراهة ما لم يأذن الواحد المنفرد للجمع في المناجاة فان اذن فلا كراهة لان الحق له قاله في الآداب عن بعضهم وذكر النهي عن الاصغاء الى من يتحدث سرا بدون اذنه قال وان كان اذنه استحياء فذكر صاحب النظم يكره وقد ذكر ابن الجوزى ان من أعطى مالا حياء لم يجز الاخذ قال في الرعاية وهو معنى ما في الفصول انتهى ويتجه مثله هنا ان لو أذن لهم في المناجاة حياء منهم بأن استأذنوه فأذن لهم على جهة الحياء كره انفرادهم عنه ولا يكون هذا الاذن منافيا للكراهة والله تعالى أعلم

وَأَنْ يَجْلِسَ الإِنْسَانُ عِنْدَ مُحَدِّثٍ بِسِرٍّ وَقِيلَ احظُرْ وَإِنْ يَأْذَنِ اقْعُدِ

(و) يكره (ان يجلس الانسان) أي جلوسه والمراد به الواحد من الانسان الذي هو نوع العالم قال الجوهري تقدير الانسان فعلان وانما زيد في تصغيره ياء كما زيد في تصغير رجل واو فقيل رويجل وقال قوم أصله انسيان فحذفت الياء استخفافا لكثرة مايجري على الالسنة فاذا صغروه ردوها واستدلوا عليه بقول ابن عباس رضي الله عنهما انما سمي الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسي والاناس لغة في الناس وهو الاصل فخفف قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وهو اعتداله وتسوية اعضائه لانه خلق كل شيء منكبا على وجهه وخلقه سويا وله لسان ذلق واصابع يقبض بها مزينا بالعقل مؤدبا بالامر مهذبا بالتمييز يتناول مأكوله ومشروبه بيده قال ابو بكر بن العربي ليس لله خلق احسن من خلق الانسان فان الله خلقه حيا عالما قادرا متكلما سميعا بصيرا مدبرا حكيما . ويروي ان موسى بن عيسى الهاشمي كان يحب زوجته حبا شديدا فقال لها يوما انت طالق ثلاثا ان لم تكوني احسن من القمر فاحتجبت عنه وقالت طلقت و بات بليلة عظيمة فلما اصبح اتى المنصور فاستحضر الفقهاء وسألهم فاجاب كلهم بالطلاق الا واحدا فقال لا تطلق لقوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم فقال المنصور الامر كما قال ثم ارسل الى زوجته بذلك (عند محدث) لغيره (بـ) حديث (سر) لم يدخلاه أو يدخلوه ان كانوا اكثر من اثنين في حديثهما اوحديثهم قال في الرعاية وان لا يدخل احد في سر قوم لم يدخلوه فيه والجلوس والاصغاء الى من يتحدث سرا بدون اذنه (وقيل احظر) اي امنع منع تحريم لا كراهة لقوله عليه الصلاة والسلام من حديث ابن عباس رضي الله عنهما من تحلم بحلم لم يره كلف ان يعقد بين شعيرتين ولن يفعل ومن استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب في اذنيه الآنك ومن صور صورة عذب وكلف ان ينفخ الروح وليس بنافخ رواه البخاري وغيره . والآنك بمد الهمزة وضم النون هو الرصاص المذاب وروى الامام احمد في المسند عن سعيد المقبري قال رأيت ابن عمر يناجي رجلا فدخل رجل بينهما فضرب صدره

مطلب في كراهة الجلوس والاصغاء الى من يتحدث سرا بغير اذنه

وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تناجى اثنان فلا يدخل بينهما الثالث الا باذنهما و بالكراهة جزم صاحب المجرد والفصول وعبارة الآداب الكبرى ولا يجوز الاستماع الى كلام قوم يتشاورون ويجب حفظ سر من يلتفت في حديثه حذرا من اشاعته لانه كالمستودع لحديثه انتهى وتقدم الكلام علي افشاء السر وكتمانه فظاهر عبارته الحرمة وهو ظاهر والله اعلم . والمستمع لحديث من يتناجون احد الثمانية المستحقين للصفع وقد جمعهم بعضهم في قوله

قد خص بالصفع في الدنيا ثمانية لا لوم في واحد منهم اذا صفعا
المستخف بسلطان له خطر وداخل في حديث اثنين قد جمعا
وآمر غيره في غير منزله وجالس مجلسا عن قدره ارتفعا
ومتحف بحديث غير حافظه وداخل بيت تطفيل بغير دعا
وقارئ العلم مع من لا خلاق له وطالب النصر من أعدائه طمعا

مطلب في النظم الجامع لمن يستحقون الصفع

(وان يأذن) المحدث بغيره أو كل منها أو منهم (اقعد) أمر اباحة من القعود وحرك بالكسر للقافية لان الحق له أو لهم ولمفهوم حديث لا يدخل بينهما الثالث الا باذنهما وحديث البخاري ومن استمع حديث قوم وهم له كارهون . نعم ان علم أو ظن انه انما أذن له حياء لم يقعد عملا بقرائن الاحوال وتقدم نظيره والله أعلم

وَمَرأَى عجوزٍ لَمْ تُرَدْ وَصِفَاحُهَا وَخَلْوَتُهَا اكْرَهْ لاَ تَحِيَّتُهَا اشْهَدِ

(ومرأى) المراد رؤيتها والنظر فيها بلا شهوة والعجوز الشيخ والشيخة والمراد هنا الكبيرة من النساء ولا تقل عجوزة او هي لغة رديئة كما في القاموس وجمعها عجائز وعجز (لم ترد) بالبناء للمفعول ونائب الفاعل ضمير يعود الى العجوز أي لم تردها النفس ولم تطلبها لكبرها (وصفاحها) أي العجوز التي لم ترد للجماع ودواعيه يعني مصافحتها (وخلوتها) أي الخلوة بها (أكره) ذلك أي اعتقده مكروها لا حراما لان الامام أحمد رضي الله عنه جوز أخذ يد عجوز وفي الرعاية وشوهاء وانما كرهت الخلوة بها مع كونها غير مطلوبة للنفس ولا مرادة لها لعموم قوله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم منها فان ثالثهما

الشيطان رواه الامام أحمد والعجوز وان كبرت لاتخرج عن كونها امرأة ومفهوم نظامه ان روية الشابة يعني غير الفجأة ومصافحتها والخلوة بها حرام وهو كذلك . وتقدم الخلاف في مصافحتها هل تكره أو تحرم والثاني اختيار الشيخ وحمل رواية الكراهة على العجوز ورواية التحريم على الشابة . . (لا) تكره (تحيتها) أي العجوز يعني سلامها ولاالسلام عليها (اشهد) بذلك أو اعلم واعتقد ان السلام على العجوز يجوز بلا كراهة كما قدمنا

وَتَشْمِيتُهَا وَاكْرَهْ كِلاَ الْخَصْلَتَيْنِ لِلشَّبَابِ مِنَ الصِّنْفَيْنِ بِعْدَى وَأَبْعَدِ

(و) كذا لايكره (تشميتها) أى العجوز اذا عطست وحمدت الله قاله الاصحاب وحيث انتفت الكراهة خلفتها الاباحة فلا يجب تشميتها ويأتى (واكره) أى اعتقد الكراهة وكره (كلاالخصلتين) يعني السلام والتشميت وكلمة كلا وكلتا اذا أضيفتا الى ظاهر لزمت حالة واحدة تقول جاءني كلا الرجلين ورأيت كلا الرجلين ونظرت الى كلا الرجلين واما اذا أضيفتا الى ضمير اعربتا اعراب المثنى بالالف رفعا وبالياء نصبا وخفضا والله أعلم (للشباب) جمع شاب وهو الفتى والمراد هنا من ليس بشيخ (من) كلا (الصنفين)أى من الرجال والنساء من امرأة (بعدى و) رجل (أبعد) أي كونهما أجنبيين فظاهر نظامه رحمه الله تعالى ان الشاب لا يسلم ولا يشمت المرأة وان عجوزا والمذهب خلافه في العجوز . قال في الاقناع وتشميت المرأة المرأة والرجل الرجل والمرأة العجوز البرزة ولا يشمت الاجنبية الشابة ولا تشمته وقال في مكان آخر ويكره أن يسلم على امرأة أجنبية الا أن تكون عجوزا أو برزة انتهى فظاهر عبارته في التشميت اعتبار كونها عجوز ابرزة وفي السلام الاكتفاء باحدهما ولم يتكلم الشارح على ذلك ولم ينبه عليه نعم قال في قوله الا أن تكون عجوزا أي غير حسناء كما يعلم مما تقدم في حضورها الجماعة وفي قوله أو الا أن تكون برزة أى فلا يكره السلام عليها والمراد لا تشتهى لأمن الفتنة انتهى والذي يظهرعدم الفرق بين المسئلتين وهو ظاهر الغاية والله اعلم . قال ابن تميم لا يشمت الرجل الشابة ولا تشمته وفي الرعاية الكبرى للرجل أن يشمت

فصل في جواز تشميت العجوز

امرأة أجنبية وقيل عجوزا أو شابة برزة ولا تشمته هي وقيل ولا يشمتها قال الامام الحافظ ابن الجوزي روينا عن أحمد رضي الله عنه انه كان عنده رجل من العباد فعطست امرأة الامام أحمد فقال لها العابد يرحمك الله فقال احمد رضي الله عنه عابد جاهل وعنه رواية لا يشمت الرجل امراة مطلقا وظاهر النظم ان الشابة لا تسلم على الرجل ولا تشمته وان كان شيخا ومفهوم كلام الاصحاب يوافقه وان كانت المرأة غير اجنبية لم يكره شيء من ذلك

وَيَحْرُمُ رَأْيُ الْمُرْدِ مَعْ شَهْوَةٍ فَقَطْ ۝ وَقِيلَ وَمَعْ خَوْفٍ وَلِلْكُرْهِ جَوِّدِ

(ويحرم رأى) اى النظر في الاحداث (المرد) جمع امرد وهو من لم تنبت لحيته لصغره بأن لم يأت أوان نباتها لا من فات أو ان نباتها وايس منه فيسمي ثطا بالثاء المثلثة لا امرد وانما تحرم رؤيتهم (مع شهوة) اليهم كما في غيرهم من جميع الحيوانات ولا فرق بين الامرد وذي اللحية والبهيمة وانما قصد الناظم التنبيه على عدم حرمة النظر الى الامرد بلا شهوة كما هو راي النووي من الشافعية وبعض علمائنا وقال شيخ الاسلام من كرر النظر الى الامرد الجميل وزعم انه لا يشتهى فقد كذب فلذا قال (فقط) اى لا بدون شهوة (وقيل) يحرم النظر اليهم بشهوة (ومع خوف) للشهوة والفتنة به لان من حام حول الحمى يوشك ان يرتع فيه والمعتمد عدم الحرمة نعم يكره ذلك واليه اشار بقوله (وللكره) اى الكراهة (جود) اي قل هو فقه جيد لخوف الوقوع في المحذور ولا نقل حرام لانه لا يعلم فهو كدخول الحمام مع خوف الوقوع في المحرم فان علم حرم فيما يظهر والله اعلم . ولما تم الكلام على السلام ولواحقه التي آخرها مصافحة الاجنبية وتشميتها اعقب ذلك بالكلام على صلة الارحام وبر الوالدين ومتعلقات ذلك فقال

وَكُنْ وَاصِلَ الْأَرْحَامِ حَتَّى لِكَاشِحٍ ۝ تُوَفَّرْ فِي عُمْرٍ وَرِزْقٍ وَتُسْعَدِ

(وكن) انت وهو خطاب لكل من يصلح له الخطاب . من أهل السنة والكتاب . الذين لهم تمام الاقتداء بنبي الهدى والاصحاب (واصل الارحام)

مطلب في النظر الى الامرد

جمع رحم وهو القرابة والصلة ضد القطيعة قال الله تعالى واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام اي واتقوا الارحام أن تقطعوها وقال تعالى والذين يصلون ما أمر الله به ان يوصل يعنى من الرحم وغيرها (واخرج) البخارى ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت (واخرج) ابو يعلى باسناد جيد عن رجل من خثعم قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في نفر من اصحابه فقلت انت الذي تزعم انك رسول الله قال نعم قال قلت يارسول الله اي الاعمال أحب الى الله قال الايمان بالله قلت يارسول الله ثم مه قال ثم صلة الرحم قال قلت يارسول اي الاعمال ابغض الى الله قال الاشراك بالله قال قلت يارسول الله ثم مه قال ثم قطيعة الرحم قال قلت يارسول الله ثم مه قال الامر بالمنكر والنهى عن المعروف (واخرج) البخارى ومسلم وغيرهما عن ابي ايوب رضي الله عنه ان اعرابيا عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في سفر فأخذ بخطام ناقته أو بزمامها ثم قال يارسول الله أو يامحمد اخبرني بما يقربني من الجنة ويباعدني من النار قال فكف النبي صلى الله عليه وسلم ثم نظر في اصحابه ثم قال لقد وفق او لقد هدى قال كيف قلت قال فاعادها فقال النبي صلى الله عليه وسلم تعبد الله لاتشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم دع الناقة وفى رواية وتصل ذا رحمك فلما ادبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تمسك بما امر به دخل الجنة واخرجا (أيضا) عن عائشه رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله (واخرجا) ايضا عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم زاد فى رواية البيهقى فأخذت بحقوى الرحمن فقال مه فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم اما ترضين ان اصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى قال فذلك لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى

الارض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم . قوله فأخذت بحقوى الرحمن قيل معناه الاستجارة والاعتصام بالله عز وجل يقال عـذت بحقوي فلان اذا استجرت به وقيل الحقو الازار وازاره عزه فلاذت الرحم بعزة الله تعالى من القطيعة . وقال العلامة الشيخ مرعي في أقاويل الثقات الحقو هو ما تحت الخاصرة ويطلق على الازار قال وقال الخطابى لا أعلم أحدا من العلماء حمل الحقو على ظاهر مقتضاه في اللغة وانما معناه اللياذ والاعتصام وتمثيلا له بفعل من اعتصم بحبل ذى عزة واستجار بذى ملكة وقدرة وقال البيهقي معناه عند أهل النظر انها استجارت واعتصمت بالله كما تقول العرب تعلقت بظل جناحه أى اعتصمت به وقال بعضهم قوله فأخذت بحقوى الرحمن معناه فاستجارت بكنفي رحمته والاصل في الحقو معقد الازار ولما كان من شأن المستجير أن يتمسك بحقوي المستجار به وهما جانباه الايمن والايسر استعير الاخذ بالحقو فى اللياذ بالشئ انتهى (وأخرج) الامام أحمد باسناد جيـد قوى وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرحم شجنة من الرحمن تقول يا رب اني قطعت يارب أني أسيء الى يا رب اني ظلمت يارب يارب فيجيبها ألا ترضين ان أصل من وصلك وأقطع من قطعك (وأخرج) الامام أحمـد أيضاً باسناد رواته ثقات والبزار عن سـعيد بن زيد رضى الله عنـه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان من أربى الربا الاستطالة فى عرض المسلم بغير حق وان هذه الرحم شجنة من الرحمن عز وجـل فمن قطعها حرم الله عليه الجنة قوله شجنة من الرحمن قال أبو عبيد يعنى قرابة مشتبكة كاشتباك العروق وفيها لغتان كسر الشين وضمها واسكان الجيم (وأخرج) البزار باسـناد حسن عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسـلم انه قال الرحم حجنة متمسكة بالعرش تكلم بلسان ذلق اللهم صـل من وصلني واقطع من قطعني فيقول الله تبارك وتعالى أنا الرحمن الرحيم واني شققت الرحم من اسمي فمن وصلها وصلته ومن بتكها بتكته . قوله حجنة هى بفتح الحاء المهملة والجيم وتخفيف النون صنارة المغزل وهي الحديدة العقفاء التي يعلق بها الخيط ثم يفتل الغزل وقوله بلسان ذلق الذلق بالذال المعجمة

كفرح ونصر وكرم أي حديد بليغ بين الذلاقة ولسان ذلق طلق وقوله من بتكها بتكته أى من قطعها قطعته وقول الناظم (حتى لكاشح) حتى حرف للغاية والتدريج أما الغاية فبأن يكون ما بعدها غاية لما قبلها في زيادة أو نقص ينقطع الحكم عندها وأما التدريج فبأن ينقضي ما قبلها شيئاً فشيئاً الى أن يبلغ الغاية ولذا اعتبر في المعطوف أن يكون بعضاً مما قبلها كما في قول الناظم حتى لكاشح فان ذا الرحم الكاشح من ذوي رحمه اذ عداوته لا تخرجه عن كونه من ذوي رحمه أو منزلا منزلة البعض كما في قول الشاعر

ألقى الصحيفة كي يخفف رحله والزاد حتى نعله ألقاها

لان المراد ألقى ما يثقله حتى انتهى الالقاء الى نعله فالمراد الحث على صلة الرحم حتى على الكاشح وهو الذى يضمر عداوته في كشحه وهو خصره . (وأخرج) الطبرانى وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وقال على شرط مسلم عن أم كلثوم بنت عقبة رضى الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح يعني أفضل الصدقة على ذى الرحم المضمر العداوة في باطنه وهو في معنى قوله صلى الله عليه وسلم وتصل من قطعك (وأخرج) الامام أحمد بسند رجاله ثقات عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت بيده فقلت يا رسول الله أخبرني بفواضل الاعمال فقال يا عقبة صل من قطعك وأعط من حرمك وأعرض عمن ظلمك وفي لفظ واعف عمن ظلمك (وأخرج) الطبراني عن علي رضوان الله عليه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ألا أدلك على أكرم أخلاق الدنيا والآخرة أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وأن تعفو عمن ظلمك والطبراني عن معاذ بن أنس مرفوعا ان أفضل الفضائل أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عمن شتمك ورواه البزار عن عبادة بن الصامت مرفوعا بلفظ ألا أدلكم على ما يرفع به الدرجات قالوا نعم يا رسول الله قال تحلم على من جهل عليك وتعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك ورواه الطبراني أيضا بلفظ ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان ويرفع به الدرجات فذكره الى غير ذلك من الاخبار النبوية فان علمتها وعملت بموجبها (توفر) بالبناء للمفعول أى

يوفرك الله تعالى والتوفير بالفاء التكثير قال في القاموس وفره توفيرا أكثره كوفر له وفرا ووفره توفيرا أكمله وجعله وافرا والوفر الغني ومن المال والمتاع الكثير الواسع والعام من كل شيء ولذا قال (في عمر) يعني يبسط لك في عمرك وينسأ لك في أجلك (ورزق) وهو اسم لما يسوقه الله تعالى للحيوان فيأكله من حلال وحرام خلافا للمعتزلة في زعمهم أن الحرام ليس برزق و يلزمهم أن من أكل الحرام طول عمره لم يكن الله رازقه مع أنه لا رازق الا الله تعالى وحده ولكن العبد يستحق الذم والعقاب على أكل الحرام لسوء مباشرة أسبابه باختياره (وتسعد) مجزوم في جواب الامر يقال سعد كعلم فهو سعيد وأسعده الله فهو مسعود ولا يقال مسعد وأسعده أعانه ولبيك وسعديك أي اسعادا بعد اسعاد كما في القاموس. وقال الحجاوي في لغة اقناعه سعد فلان في دين أو دنيا يسعد سعدا من باب تعب والفاعل سعيد والجمع سعداء والسعادة اسم منه انتهى. والسعادة من الكلمات الجامعة للخيرات. المشعرة في الدنيا بالسعة وفي الآخرة بعلو الدرجات . وانما وصف الناظم واصل الرحم بهذه الأوصاف وخصه بهذه المزايا. لعدة أخبار نبوية صحت عن خير البرايا (فأخرج) البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له فى أثره فليصل رحمه . قوله ينسأ بضم الياء المثناة تحت وتشديد السين المهملة مهموزا أي يؤخر له في أجله والبخاري عن أبي هريرة مرفوعا من سره أن يبسط له فى رزقه أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه ورواه الترمذي بلفظ تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فان صلة الرحم محبة فى الاهل مثراة في المال منسأة في الأثر ومعنى منسأة في الأثر يعني به الزيادة في العمر ومعنى مثراة في المال يعنى به الزيادة في المال (وأخرج) عبد الله ابن الامام أحمد فى زوائده والبزار باسناد جيد والحاكم عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يمد له فى عمره و يوسع له فى رزقه ويدفع عنه ميتة السوء فليتق الله وليصل رحمه (وأخرج) البزار باسناد لا بأس به والحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مكتوب في التوراة من أحب أن يزاد في عمره ويزاد في رزقه

فليصل رحمه (وأخرج) الطبراني باسناد حسن والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليعمر بالقوم الديار ويثمر لهم الاموال وما نظر اليهم منذ خلقهم بغضا لهم قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال بصلتهم أرحامهم (وأخرج) ابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الاسناد عن ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ولا يرد القدر الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر . وروي الامام احمد عن عائشة مرفوعا صلة الرحم وحسن الجوار وحسن الخلق يعمران الديار ويزيدان في الاعمار (وأخرج) الطبراني وابن حبان في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه قال أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بخصال من الخير اوصاني ان لا انظر الى من هو فوقي وان انظر الى من هو دوني وأوصاني بحب المساكين والدنو منهم واوصاني ان اصل رحمي وان ادبرت واوصاني ان لا اخاف في الله لومة لائم واوصاني ان اقول الحق وان كان مرا واوصاني ان اكثر من لا حول ولا قوة الا بالله فانها كنز من كنوز الجنة (واخرج) البخاري وأبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس الواصل بالمكافي ولكن الواصل الذى اذا قطعت رحمه وصلها . الي غير ذلك من الآثار والاخبار . الواردة عن النبي المختار . صلى الله عليه وسلم ما كر الليل والنهار . (تنبيهات الاول) صلة الرحم واجبة صرح بذلك الحجاوي في شرح الآداب وفي المستوعب وعلى المؤمن أن يستغفر الله لوالديه وللمؤمنين وأن يصل رحمه وعليه موالاة المؤمنين والنصيحة . وفي الآداب الكبرى عليه صلة رحمه قال الحجاوى في شرح هذه المنظومة يجب على الانسان صلة رحمه لما في هذا الحديث يعني حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة تحت العرش يوم القيامة . القرآن يحاج العباد له ظهر وبطن والامانة والرحم تنادى ألا من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله . قال الحجاوي وقطيعة الرحم من الكبائر انتهى . وقال شيخ مشايخنا البلباني في آدابه اعلم انه يجب عليك أن تصل بقية رحمك وهم كل قرابة لك من النسب فصلتهم فرض عين عليك وقطيعتهم محرمة عليك تحريما مؤكدا فهي من أكبر الكبائر عند الله تعالى

وقد قرن الله سبحانه الارحام باسمه الكريم في قوله جل من قائل . واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا . وذلك تنبيه عظيم على أن صلتها بمكان منه سبحانه ومقرب اليه وقطعها حظر عظيم عنده ومبعد عنه سبحانه . قال المروذي أدخلت على أبي عبد الله رجلا قدم من الثغر فقال لي قرابة بالمراغة فترى لي أن أرجع الى الثغر أو ترى لي أن أذهب فأسلم على قرابتي وانما جئت قاصدا لاسألك فقال له أبو عبد الله قدروي . بلوا أرحامكم ولو بالسلام . استغفر الله واذهب فسلم عليهم وقد ذكر أبو الخطاب وغيره في مسألة العتق بالملك قد توعد الله سبحانه بقطع الارحام باللعن واحباط العمل ومعلوم أن الشرع لم يرد صلة كل رحم وقرابة اذ لو كان ذلك لوجب صلة جميع بني آدم فلم يكن بد من ضبط ذلك بقرابة تجب صلتها واكرامها ويحرم قطعها وتلك قرابة الرحم المحرم وقد نص عليه بقوله صلى الله عليه وسلم لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها ولا على بنت أخيها وأختها فانكم اذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم قال الامام ابن مفلح في آدابه الكبرى وهذا الذي ذكره ابو الخطاب من انه لا تجب الا صلة الرحم المحرم اختاره بعض العلماء ونص الامام أحمد تجب صلة الرحم محرما كان أولا وظاهر كلام أبي الخطاب لا يكفي في صلة الرحم مجرد السلام وكلام الامام أحمد ظاهره الاكتفاء قال مثنى قلت لأبي عبد الله الرجل يكون له القرابة من النساء فلا يقومون بين يديه فأي شيء يجب عليه من برهم وفي كم ينبغي أن يأتيهم قال اللطف والسلام وفي الحديث بلوا أرحامكم ولو بالسلام رواه البزار من حديث ابن عباس مرفوعاً والطبراني من حديث أبي الطفيل والبيهقي من حديث أنس رضى الله عنهم وقال الفضل بن عبد الصمد لابي عبد الله رجل له اخوة واخوات بأرض غصب ترى ان يزورهم قال نعم يزورهم ويراودهم على الخروج منها فان أجابوا الى ذلك والا لم يقم معهم ولا يدع زيارتهم (الثاني) الرحم بوزن كتف وفيه اللغات الاربع في الفخذ وهي فتح الراء وكسر الحاء وكسر الراء بوزن ابل ويجوز اسكان الحاء مع فتح الراء وكسرها قال ابن سيدة وغيره من أهل اللغة وهذه اللغات الاربعة جائزة

مطلب في بيان ذوي الرحم الذين تجب صلتهم

في كل اسم أو فعل ثلاثي عينه حرف حلق مكسور كشهد لا فيما لامه حرف حلق كبلع أو كان حرف الحلق فاؤه كحرف قال ابن عباد وهو بيت منبت الولد ووعاؤه في البطن وقال الجوهرى الرحم رحم الانثي وهي مؤنثة والرحم القرابة قال صاحب المطالع يقال رحم ورحم وهي معنى من المعاني وهو النسب والاتصال الذى يجمع رحم والده فسمى المعنى باسم ذلك المحل تقريباً للافهام. واستعارة جارية في فصيح الكلام. ليفهم الخلق عظيم حقها. ووجوب صلة المتصفين بها. وعظيم الاثم في قطعها. و بذلك سمي قطيعاً لانه قطع تلك الصلة انتهى. وفي القاموس الرحم بالكسر وككتف بيت منبت الولد ووعاؤه والقرابة أو أصلها وأسبابها جمعها أرحام انتهى. قال في المطلع يطلق ذو الرحم على كل قرابة وعلى من ليس بذى فرض ولا عصبة انتهى والله أعلم (الثالث) قطيعة الرحم من الكبائر وقد ذكرها الحجاوي في منظومته المشتملة على الكبائر الواقعة في اقناعه وقد شرحتها شرحاً لطيف الحجم. غزير الفوائد والعلم. قال فيها

مطلب قطيعة الرحم من الكبائر

وأمن لمكر الله ثم قطيعة لذى رحم والكبر والخيلا اعدد

وقد قال تعالى فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم وتقدم كلام البلباني في ذلك. (وأخرج) الامام بسند رواته ثقات عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أعمال بني آدم تعرض كل خميس ليلة الجمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم وروى ابن حبان وغيره عن أبي موسى رضي الله عنه مرفوعاً ثلاثة لا يدخلون الجنة مدمن الخمر وقاطع الرحم ومصدق بالسحر (وأخرج) الشيخان والترمذى وغيرهم عن جبير بن مطعم رضى الله عنه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة قاطع قال سفيان يعنى قاطع رحم (وأخرج) الطبرانى عن الاعمش قال كان ابن مسعود جالساً بعد الصبح فى حلقة فقال أنشد الله قاطع رحم لما قام عنا فانا نريد أن ندعو ربنا وان أبواب السماء مرتجة دون قاطع رحم والمرتجة بضم الميم وفتح التاء المثناة فوق وتخفيف الجيم المغلقة وورد فى عدة أخبار ان الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم وان الملائكة

لاتنزل على قوم فيهم قاطع رحم.قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري قال الطيبي يحتمل ان يراد بالقوم الذين يساعدونه على قطيعة الرحم ولا ينكرون عليه ويحتمل أن يراد بالرحمة المطر وانه يحبس عن الناس عموماً بشؤم التقاطع انتهى . قلت وظاهر صنيع ابن مسعود يدل على رحمة أخص من المطر وعلى عموم من حضر المجلس الذى فيه قاطع رحم كما يظهر بالتأمل.(الرابع) تقدم كلام أبي الخطاب ونص الامام في الاكتفاء في صلة الرحم بالسلام وعدمه وقال شيخ مشايخنا البلباني في آدابه مانصه واعلم ان المراد بصلة الرحم موالاتهم ومحبتهم أكثر من غيرهم لاجل قرابتهم وتأكيد المبادرة الى صلحهم عند عداوتهم والاجتهاد في ايصالهم كفايتهم بطيب نفس عند فقرهم والاسراع الى مساعدتهم ومعاونتهم عند حاجتهم ومراعاة جبر خاطرهم مع التعطف والتلطف بهم وتقديمهم في اجابة دعوتهم والتواضع معهم مع غناه وفقرهم وقوته وضعفهم ومداومة مودتهم ونصحهم في كل شؤونهم والبداءة بهم في الدعوة والضيافة قبل غيرهم وايثارهم في الاحسان والصدقة والهدية على من سواهم لأن الصدقة عليهم صدقة وصلة وفي معناها الهدية ونحوها . ويتأكد فعل ذلك مع الرحم الكاشح المبغض عساه أن يرجع عن بغضه الى مودة قريبه ومحبته. وفي الحديث الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذى الرحم ثنتان صدقة وصلة انتهى . واعلم أن هذا كله ليس بواجب بل أكثره مندوب كما يعلم. وفي النهاية قد تكرر في الحديث صلة الرحم وهي كناية عن الاحسان الى الأقربين من ذوي النسب والأصهار والتعطف عليهم والرفق بهم والرعاية لأحوالهم وكذلك ان بعدوا وأساؤا وقطع الرحم ضد ذلك كله يقال وصل رحمه يصلها وصلا وصلة والهاء فيها عوض من الواو المحذوفة فكأنه بالاحسان اليهم قد وصل ما بينه وبينهم من علاقة القرابة والصهر انتهى .وفي الفتح قال القرطبي الرحم التي توصل عامة وخاصة فالعامة رحم الدين وتجب مواصلتها بالتواد والتناصح والعدل والانصاف والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة . وأما الرحم الخاصة فتزيد النفقة على القريب وتفقد أحوالهم والتغافل عن زلاتهم وتتفاوت مراتب استحقاقهم في ذلك كما في الحديث الاقرب فالاقرب وقال ابن أبي جمرة تكون صلة الرحم بالمال

و بالعون على الحاجة و بدفع الضرر و بطلاقة الوجه و بالدعاء . والمعنى الجامع ايصال ما أمكن من الخير ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة وهذا انما يستمر اذا كان أهل الرحم أهل استقامة فان كانوا كفارا أو فجارا فمقاطعتهم في الله هي صلتهم بشرط بذل الجهد في وعظهم ثم اعلامهم اذا أصروا بأن ذلك بسبب تخلفهم عن الحق ولا يسقط مع ذلك صلتهم بالدعاء لهم بظهر الغيب أن يعودوا الى الطريق المثلى انتهى والله تعالى أعلم . (الخامس) المراد بما ذكرنا مع الرحم الموافق في الدين أما اذا كان الشخص مسلما وهم كفار فلا يوالهم ولا يوادهم لقوله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا أباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم الآية ذكره البلباني وفيه نظر الا أن حمل على عدم الوجوب . وفي حديث أسماء المتفق عليه و يأتي في بر الوالدين جاءتني أمي مشركة فسألت النبي صلى الله عليه وسلم أصلها قال نعم . وروى الامام أحمد عن عامر بن عبد الله بن الزبير أنه نزل فيها لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين الى آخر الآية فأمرها النبي صلى الله عليه وسلم أن تقبل هديتها وأن تدخلها بيتها قال الامام الحافظ ابن الجوزي طيب الله مثواه وهذه الآية رخصة في صلة الذين لم ينصبوا الحرب للمسلمين وجواز برهم وان كانت الموالاة منقطعة وذكر عن بعضهم نسخها والتي بعدها بآية السيف وقال قال ابن جرير الطبري لا وجه له لأن بر المؤمن المحارب بين قرابة كانوا أوغير قرابة لا يحرم اذا لم يكن فيه معونة وتقوية على الحرب بكراع أو سلاح أو دلالة على عورة أهل الاسلام لحديث أسماء ولأن عمر رضي الله أهدى حلة الحرير لاخيه المشرك وفي شرح مسلم في حديث أسماء وفيه جواز صلة القريب المشرك ففي كلام البلباني اجمال ظهر مما ذكرنا وهو المنع من موالاتهم مما فيه تقوية على حربنا دون غيره والله سبحانه الموفق (فوائد الاولى) تقدم في الاحاديث أن صلة الرحم تبسط الرزق وتنسأ في الاجل قال النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم بسط الرزق بتوسيعه وكثرته وقيل بالبركة فيه وأما التأخير في الاجل ففيه سؤال مشهور وهو ان الآجال والارزاق مقدرة لاتزيد ولا تنقص فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة

مطلب في جواب العلماء عن كيفية بسط الرزق وتأخير الاجل

ولا يستقدمون. وأجاب العلماء بأجوبة. منها وهو أصحها ان هذه الزيادة بالبركة في عمره والتوفيق للطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة وصيانتها عن الضياع في غير ذلك أو بالنسبة الى مايظهر للملائكة في اللوح المحفوظ ونحوه فيظهر لهم أن عمره ستون سنة مثلا الا أن يصل رحمه فان وصلها يزاد له أربعون وقد علم الله تبارك وتعالى ما سيقع له من ذلك وهو من معني قوله يمحوا الله مايشاء و يثبت وعنده أم الكتاب. وأما بالنسبة الى علم الله تعالى وما سبق به قدره فلا زيادة بل هي مستحيلة وأما بالنسبة الى ماظهر للمخلوقين فتنعقد الزيادة وهو مراد الحديث انتهي (الثانية) ينبغي للعاقل أن يبادر الي صلة ذي الرحم الكاشح وان يدفع ماعنده من الضغن والبغضاء. بالاحسان والاغضاء. وان يقتل شيطان حقده وحسده. بسهام بره وموالاته وتفقده. كما قال تعالى ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك و بينه عداوة كأنه ولى حميم فكيف بالحميم الذي هو القريب. قال الامام المحقق ابن القيم في اعلام الموقعين وسأله صلى الله عليه وسلم رجل فقال ان لى قرابة أصلهم و يقطعوني وأحسن و يسيئون واعفو و يظلمون أفأكافئهم فقال لا اذن تكونوا جميعا ولكن خذ الفضل وصلهم فانه لن يزال معك ظهير من الله ما كنت على ذلك رواه الامام أحمد. وعند مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ان رجلا قال يارسول الله ان لي قرابة أصلهم و يقطعوني وأحسن اليهم و يسيئون الى وأحلم عليهم و يجهلون على فقال ان كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير عليهم مادمت على ذلك. قوله المل بفتح الميم وتشديد اللام والملة هو الرماد الحار يعنى كأنك تسفى في وجوههم الرماد الحار. وقال الازهري الملة الترية المحماة تدفن فيها الخبزة. وقال القتبي المل الجمر قال في النهاية أراد انما تجعل المل لهم سفوفا يستفونه يعني ان اعطاءك اياهم حرام عليهم ونار في بطونهم انتهى. وعلى كل حال الاحسان والمودة يقلبان العداوة صداقة بلا محال وما أحسن قول عبد الله بن المعتز العباسى في تائيته التي أولها

ألا عللاني قبل أن يأتي الموت ... و يبنى لجسماني بدار البلى بيت

ألا عللاني كم حبيب تمدرت ... مودته عن وصله قد تسليت

ألارب دساس لي الكيد حامل | ضباب الحقود قد عرفت وداويت
فعاد صديقا بعد ما كان شانيا | بعيد الرضى عني فصافي وصافيت
ألا عللاني ليس سعي بمدرك | ولا بوقوفي بالذى حظني فوت
فأهلكني ما أهلك الناس كلهم | صروف المنى والحرص واللو والليت
وعرفني ربي طريق سلامتي | وبصرني لكنني قد تعاميت
الى أن قال ومن عجب الايام بغي معاشر | غضاب على سبقي اذا أنا جاريت
لهم رحم دنيا وهم يعدونها | اذا أنهكوها بالقطيعة أبقيت
يصدون عن شكري وتهجر سنتي | على قرب عهد مثل ما يهجر الميت
فذلك دأب البرمكي ودأبهم | اذا قتلوا نعماى بالكفر أحييت
وأعيي احتيالي مابهم فرميتهم | ورائي وما أنسيتهم بل تناسيت
يغيظهم فضلي عليهم وجهلهم | كأني قسمت الحظوظ فحابيت
وكم كربة أخاذة بحلوقهم | معممة البلوى كشفت وجليت

وهذه القصيدة عزيزة الفوائد فريدة العوائد والله أعلم . (الثالثة) حكي صاحب الزواجر وغيره من الأئمة المعتبرين ان رجلا حج فلما أراد أن يطلع الى الجبل أودع رجلا موسوما بالأمانة مالاله خطر فلما رجع لقي الرجل قد انتقل بالوفاة فسأل ورثته عن ماله فلم يكن لهم به علم فسأل العلماء عن قضيته فدله بعض العارفين بانه يأتي زمزم في جوف الليل وينادي الرجل باسمه فان يكن من أهل الخير فسيجيبه ففعل ذلك ليالي فلم يجبه فرجع الى العارف وأخبره الخبر فقال لعل الرجل ذهب به ذات الشمال فاذهب الى اليمن فأت بئرا في وادي برهوت فناد صاحبك فذهب الرجل الى اليمن وقصد البئر في جوف الليل ونادى يا فلان فأجابه فقال له أين الامانة فوصفها له في داره ثم قال له ما الذي صيرك الى هنا مع اشتهارك بالامانة والخير فقال له اخت كان قاطعا لها وتوسل اليه في مصالحتها فلما رجع دعا أولاد الرجل وأمرهم بأن يحفروا الموضع الذي عينه له فوجد ماله بختمه ثم أخبر أولاده بما صار اليه والدهم وبما قال له فقالوا أنت أولى بهذا الامر فطلب منهم أن يدلوه على عمتهم فوجدها تتكفف الناس فذهب اليها ورجع أولاد أخيها فسألها عن حال أخيها فنالت منه وقالت لا تذكره

لي فلم يزل بها الى أن سامحته ودفع اليها مالا له خطر فطابت نفسها فذ كر لها القصة فرقت لاخيها وبكت وسامحته من جميع حقوقها ودعت له بخير فلما كان وسط الليل ذهب الرجل الي زمزم ونادى يا فلان فأجابه لبيك لبيك جزاك الله عني أحسن الجزاء ما أيمن طلعتك علي وأبركها قد نقلت من العذاب والجحيم الى الراحة والنعيم ببركة طلعتك على ومسامحة أختي لي فانظر رحمك الله الى هذه الحكاية التي يكاد الصلد لها أن يلين . واياك والقطيعة فان فيها العذاب المهين . فصل رحمك رحمك مولاك . وخالف بذلك نفسك وهواك . واصبر على أذاهم فان بذلك نبيك أوصاك و بالغ في الاحسان الي من أساء اليك منهم تحمد بذلك عقباك . وحسن اخلاقك معهم ترض خلاقك . وتنل راحتك و يطيب مثواك . والله المسؤل أن يوفقني واياك وجميع المسلمين والمسلمات لما فيه السعادة . وأن يرزقنا الحسنى وزيادة . ببركة ينبوع الحكم الربانية . ومعدن الاسرار الروحانية . النبي الاواب . من جاء بالسنة والكتاب . اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وصحبه ما دجت الاحلاك . ودارت الافلاك . ثم ان الناظم رحمه الله تعالى حث علي عموم تحسين الاخلاق . وخص الوالدين بالمزية التي وقع عليها الاتفاق . فقال

وَيَحْسُنُ تَحْسِينٌ لِخُلْقٍ وَصُحْبَةٍ . وَلَا سِيَّمَا لِلْوَالِدِ الْمُتَأَكِّدِ

مطلب في بيان حسن الخلق

(ويحسن) أى يجمل ويلايم والمراد به هنا يشرع لانه تارة يكون واجبا وأخرى مندوبا وأصل الحسن بضم الحاء المهملة الجمال وضده القبح وهما للشئ بمعنى ملايمة الطبع ومنافرته كحسن الحلو وقبح المر فالحسن صفة الكمال والقبح صفة النقص كحسن العلم وقبح الجهل وذلك عقلي وأما ترتب المدح والذم عاجلا والثواب والعقاب آجلا كحسن الطاعة وقبح المعصية فشرعي فلا يحكم به الا الشرع المبعوث به الرسل عليهم الصلاة والسلام (تحسين لخلق) حسن الخلق هو القيام بحقوق المسلمين والخلق صورة الانسان الباطنة . قال في القاموس الخلق بالضم وبضمتين السجية والطبع والمروءة والدين ومثله في المطالع . وقال الجوهري الخلق والخلق السجية وفلان يتخلق بغير خلقه أي يتكلف قال الشاعر

يا أيها المتحلي غير شيمته ان التخلق يأتي دونه الخلق

وفي النهاية الخلق بضم اللام وسكونها الدين والطبع والسجية وحقيقته أنه لصورة الانسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها ولها أوصاف حسنة وقبيحة والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر ما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة ولذا تكررت الأحاديث في مدح حسن الخلق وذم سوئه (و) يحسن تحسين (صحبة) من يصحبه من المسلمين فان ذلك ركن من أركان الدين. فان معنى الدين سفر الى الله سبحانه وتعالى ومن أركان السفر حسن الصحبة في منازل السفر مع المسافرين. والخلق كلهم مسافرون يسير بهم العمر سير السفينة براكبها في البحر وأقل درجات حسن الصحبة كف الاذى عنهم وهذا واجب. وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن من أمنه الناس والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر السوء والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة عبد لا يأمن جاره بوائقه رواه الامام أحمد وأبو يعلى والبزار واسناد الامام أحمد جيد وفوق ذلك أن ينفعهم ويحسن اليهم وأعلى من ذلك ان يحتمل الاذى منهم ويحسن مع ذلك اليهم وهذه درجة الصديقين. ومن كلام الحكماء من أحسن الى من أساء اليه فقد أخلص لله شكراً ومن أساء الى من أحسن اليه فقد استبدل نعمة الله كفراً وقد سئل سيدنا الامام أحمد عن حسن الخلق فقال أن لا تغضب ولا تحقد وعنه انه قال حسن الخلق أن تحتمل ما يكون من الناس. وقال الحسن حسن الخلق الكرم والبذلة والاحتمال وعن الشعبي البذلة والعطية والبشر الحسن وكان الشعبي كذلك وعن ابن المبارك بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى وسئل سلام بن مطيع عن حسن الخلق فأنشد قول الشاعر

تراه اذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذي أنت سائله

فلو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله

هو البحر من أي النواحي أتيته فلجته المعروف والبحر ساحله

وقد ورد في مدح حسن الخلق وذم سوء الخلق عدة أحاديث سنذكر منها

مطلب في الآثار الواردة في حسن الخلق

طرقاً صالحاً. وكان نهاية هذا العالم في حسن الخلق نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم ولذا قال الله تعالى في حقه وانك لعلى خلق عظيم فما بالك بما يستعظمه الحق جل شأنه وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها انها سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان خلقه القرآن أي كان متمسكا بآدابه وأوامره ونواهيه وما يشتمل عليه من مكارم الاخلاق ومحاسن الامور صلى الله عليه وسلم (وأخرج) مسلم والترمذي عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس (وفي الصحيحين) والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً وكان يقول ان من خياركم أحسنكم أخلاقاً (وأخرج) الترمذي وابن حبان في صحيحه عن أبي الدرداء رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن وان الله يبغض الفاحش البذي قال الترمذى حديث حسن صحيح وزاد في رواية له وان صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة (وأخرج) الترمذي وصححه والبيهقي في الزهد وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال الفم والفرج (وأخرج) الترمذي وحسنه والحاكم وصححه عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أكمل المؤمنين ايماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله وعنها رضي الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم رواه ابو داود وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطهما ولفظه ان المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجات قائم الليل وصائم النهار وفي هذا المعنى عدة احاديث وفي رواية عند الطبراني من حديث انس مرفوعا ان العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وانه لضعيف العبادة وانه ليبلغ بسوء خلقه اسفل درجة في جهنم وقال صلى الله عليه وسلم لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف

ولا حسب كحسن الخلق رواه ابن حبان من حديث أبي ذر وروى محمد بن نصر المروذى في كتاب الصلاة مرسلا عن العلي بن الشخير أن رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه فقال يا رسول الله أي العمل أفضل قال حسن الخلق ثم أتاه عن يمينه فقال اي العمل افضل قال حسن الخلق ثم اتاه عن شماله فقال يا رسول الله اي العمل افضل قال حسن الخلق ثم اتاه من بعده يعني من خلفه فقال يارسول الله اى العمل افضل فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك لا تفقه حسن الخلق هو أن لا تغضب ان استطعت وروى أبو داود وابن ماجه والترمذي وحسنه عن أبي امامة رضي الله عنه أنا زعيم ببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه والترمذي وحسنه عن جابر مرفوعا من احبكم الي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا الحديث وروى الطبراني في الكبير والاوسط عن عمار رضي الله عنه مرفوعا حسن الخلق خلق الله الاعظم حديث ضعيف والطبراني في الاوسط عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن الله تعالى قال ان هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلح له الا السخاء وحسن الخلق فأكرموه بهما ماصحبتموه وروى في الاوسط أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا أوحى الله الى ابراهيم ياخليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مدخل الابرار وان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه أن أظله تحت عرشي وانأسقيه من حظيرة قدسي وان أدنيه من جواري . وروى عنه أيضا مرفوعا ماحسن الله خلق رجل وخلقه فيطعمه النار أبدا ضعفه المنذري وغيره (وأخرج) ابن أبي الدنيا والطبراني والبزار وابو يعلى باسناد جيد رواته ثقات واللفظ له عن أنس رضي الله عنه قال لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا ذر فقال يا أبا ذر ألا أدلك على خصلتين هما أخف على الظهر وأثقل في الميزان من غيرهما قال بلى يارسول الله قال عليك بحسن الخلق وطول الصمت فوالذى نفسي بيده ماعمل الخلائق بمثلها وفي لفظ عند أبي الشيخ بن حيان يا أبا ذر ألا أدلك على أفضل العبادة وأخفها على البدن وأثقلها في الميزان وأهونها علي اللسان فقلت بلى فداك أبي وأمي قال عليك بطول الصمت وحسن الخلق فانك لست بعامل بمثلها ورواه بنحوه من حديث أبي

الدرداء (وأخرج) الامام أحمد بسند جيد رواته ثقات عن جابر مرفوعا ان أحسن الناس اسلاما أحسنهم خلقا والطبراني بسند صحيح عن اسامة بن شريك مرفوعا قالوا من أحب عباد الله الى الله قال أحسنهم خلقا والبزار وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة مرفوعا ألا أخبركم بخياركم قالوا بلى يا رسول الله قال أطولكم أعمارا وأحسنكم أخلاقا وفيه ابن اسحق لم يصرح بالسماع والترمذي وقال حسن صحيح عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن (وأخرج) الامام أحمد بسند رواته ثقات عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم كما أحسنت خلقي فأحسن خلقي وفي رواية عن ابن مسعود مرفوعا اللهم أحسنت خلقي فأحسن خلقي وصحح ابن حبان خبر ابن مسعود ورواه البيهقي في كتاب الدعوات وقال فيه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر الى وجهه في المرآة فذكره ورواه أبو بكر بن مردويه من حديث أبي هريرة وعائشة رضي الله عنهما مرفوعاً وفي آخره وحرم وجهي على النار . وروي الطبراني بسند ضعيف عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً ان أحبكم الي أحاسنكم أخلاقاً الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون وان أبغضكم الي المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة المتلمسون للبرآء العيب (وأخرج) الطبراني والبزار عن أنس رضي الله عنه قال قالت أم حبيبة يا رسول الله المرأة يكون لها زوجان ثم تموت فتدخل الجنة هي وزوجاها لايهما تكون للاول أو للآخر قال تخير أحسنهم خلقاً كان معها في الدنيا يكون زوجها في الجنة يا أم حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة ورواه الطبراني أيضاً في الكبير والاوسط من حديث أم سلمة وكلاهما ضعيف وفي اعلام الموقعين للامام ابن القيم سئل صلى الله عليه وسلم عن المرأة تتزوج الرجلين والثلاثة مع من تكون منهم يوم القيامة قال تخير فتكون مع أحسنهم خلقاً انتهى ولفظ حديث أم سلمة في آخر حديث طويل ذكرته في كتابي البحور الزاخرة مع بيان ضعفه قلت يا رسول الله المرأة منا تتزوج الزوجين والثلاثة والاربعة في الدنيا ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها من يكون زوجها منهم

مطلب اذا كان للمرأة أزواج لمن تكون في الآخرة

قال يا أم سلمة انها تخير فتختار أحسنهم خلقاً فتقول أي رب ان هذا كان أحسنهم معي خلقاً في دار الدنيا فزوجنيه. يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة. وروي الطبراني في الكبير والاوسط والبيهقي عن ابن عباس مرفوعاً الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد والخلق السوء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل ضعفه المنذري (وأخرج) أبو يعلى والبزار من طرق أحدها حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق ورواه أبو حفص العكبري فى الادب له عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً بلفظ انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فليسعهم منكم طلاقة الوجه وحسن البشر (واخرج) الامام أحمد ورواته رواة الصحيح والطبراني وابن حبان في صحيحه عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحبكم الي وأقربكم مني في الآخرة محاسنكم أخلاقاً وان أبغضكم الي وأبعدكم مني فى الآخرة أسوأكم أخلاقاً الثرثارون المتفيهقون المتشدقون ورواه الترمذي من حديث جابر وحسنه ولم يذكر فيه أسوأكم أخلاقاً وزاد في آخره قالوا يارسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون قال الحافظ المنذرى الثرثار بثاءين مثلثتين مفتوحتين هو الكثير الكلام تكلفا والمتشدق هوالمتكلم بملء شدقيه تفاصحاً وتعظيماً لكلامه والمتفيهق أصله من الفهق وهو الامتلاء وهو بمعنى المتشدق لانه الذي يملأ فاه بالكلام ويتوسع فيه اظهاراً لفصاحته وفضله واستعلاء على غيره ولهذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم بالمتكبر. (وأخرج) الامام أحمد وابو داود عن رافع بن مكيث وكان ممن شهد الحديبية رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حسن الخلق نماء وسوء الخلق شؤم والبر زيادة في العمر والصدقة تدفع ميتة السوء ورواه الطبراني في الاوسط عن جابر مرفوعاً الشؤم سوء الخلق ورواه فيه أيضاً عن عائشة مرفوعا بلفظ ما الشؤم قال سوء الخلق وهما ضعيفان كما اشار اليه الحافظ المنذرى ورجال حديث الامام أحمد ثقات سوى راو لم يسم. الشؤم ضد اليمن يقال تشاءمت بالشيء وتيمنت به والله اعلم. وروى الطبراني في الصغير بسند ضعيف عن عائشة مرفوعا مامن شيء

الا له توبة الا صاحب سوء الخلق فانه لايتوب من ذنب الا عاد في شر منه ورواه الاصبهاني عن رجل من اهل الجزيرة لم يسمه عن ميمون بن مهران قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من ذنب اعظم عند الله عز وجل من سوء الخلق وذلك ان صاحبه لايخرج من ذنب الا وقع في ذنب وهذا مرسل (واخرج) ابو داود والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو يقول اللهم اني اعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الاخلاق . وفي البخاري وغيره عن البراء رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها وأحسنهم خلقا والامام احمد والترمذي عن ابن مسعود مرفوعا حرم على النار كل هين لين قريب من الناس وابو داود والترمذي وصححه عن أبي الدرداء مرفوعا مامن شيء في الميزان أثقل من خلق حسن وروي الخلال عن سهل بن سعد رضي الله عنه مرفوعا ان الله كريم يحب الكريم ومعالي الاخلاق و يكره سفسافها وروى أيضا عن جابر مرفوعا أن الله يحب مكارم الاخلاق و يكره سفسافها . قال في الآداب الكبرى السفساف الامر الحقير والردي من كل شيء ضد المعالى والمكارم وفي القاموس السفساف الردي من كل شيء والامر الحقير ومن الدقيق ما يرتفع من غبارة عند النخل ومن الشعر رديه وما دق من التراب انتهى . وقال الحسن رحمه الله تعالى معالي الاخلاق للمؤمن قوة في لين . وحزم في دين . وايمان في يقين . وحرص على العلم . واقتصاد في النفقة . و بذل في السعة . وقناعة في الفاقة . ورحمة للمجهود . واعطاء في كرم . و بر في استقامة . وقال الاشعث بن قيس يوما لقومه انما أنا رجل منكم ليس في فضل عليكم ولكني أبسط لكم وجهي وأبذل لكم مالي وأقضي حقوقكم وأحوط حريمكم فمن فعل مثل فعلي فهو مثلي ومن زاد علي فهو خير مني ومن زدت عليه فأنا خير منه قيل له يا أبا محمد ما يدعوك الى هذا الكلام قال احضهم على مكارم الاخلاق وفي حديث ضعيف غير ان له شواهد ما جبل ولي لله الا على السخاء وحسن الخلق والاخبار والآثار في ذلك كثيرة جدا (تنبيهات الاول) مقتضى ما ذكرنا من الاخبار والآثار ان العبد يمكنه تحسين خلقه والا لما أمر النبي صلى

الله عليه وسلم به في عدة أحاديث من قوله صلى الله عليه وسلم وخالق الناس بخلق حسن وحسن خلقك للناس الى غير ذلك من الاحاديث. وحكى في شرح مسلم في باب كثرة حيائه صلى الله عليه وسلم ان القاضي عياض قال حكى الطبراني خلافا للسلف هل هو غريزة ام مكتسب انتهى. وقال الماوردي في قوله تعالى في حق نبيه صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم الطبع الكريم فسمى خلقا لانه يصير كالخلقة في صاحبه فاما ما طبع عليه فيسمي الخيم فيكون الخيم الطبع الغريزي والخلق الطبع المتكلف قال الامام العلامة ابن مفلح في آدابه الكبري فيكون هذا وهذا كما قيل ان العقل غريزة ومنه ما يستفاد بالتجارب وغير ذلك وهذا متوجه انتهى يعني أن حسن الخلق منه ما هو غريزة مركوز في طبع الانسان خلقه الله فيه كملكة العقل وغيره ومنه ما يكون مكتسبا من التجارب والتخلق به ولذا قال الجوهري وفلان يتخلق بغير خلقه أي يتكلف وقدمنا قول الشاعر *ان التخلق يأتي دونه الخلق* وأما الخيم بالكسر فقال الجوهرى هو السجية والطبيعة لا واحد له من لفظه وهذا من الجوهري يدل على أن الخلق والخيم مترادفان والله أعلم. أقول الخيم بكسر الخاء المعجمة وبعدها ياء مثناة تحت فميم وفي شعر حسان رضي الله عنه في مدح أمنا عائشة الصديقة بنت الصديق رضوان الله عليهما

حصان رزان لا تبوء بريبة ... وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
عقيلة حي من لؤي بن غالب ... كرام المساعي مجدهم غير زائل
مهذبة قد طيب الله خيمها ... وطهرها من كل سوء وباطل
فان كنت قد قلت الذي قد زعمتمو ... فلا رفعت سوطي الى أناملي
وكيف وودى ما حييت ونصرتي ... لآل رسول الله زين القبائل

والشاهد في خيمها أي سجيتها وطبيعتها رضوان الله عليها وقال الحافظ ابن رجب في قوله صلى الله عليه وسلم وخالق الناس بخلق حسن هذا من تمام التقوى فلا تتم الا به وانما أفرده صلى الله عليه وسلم بالذكر للحاجة الى بيانه فان كثيرا من الناس يظن أن التقوى هي القيام بحق الله دون حقوق عباده فنص صلى الله

عليه وسلم على الأمر باحسان العشرة للناس فانه صلى الله عليه وسلم كان قد بعث معاذا رضي الله عنه الذى وصاه بهذه الوصية الى اليمن معلما لهم ومفقها وقاضيا ومن كان كذلك فانه يحتاج الى مخالقة الناس بخلق حسن ما لا يحتاج اليه غيره ممن لاحاجة للناس به ولا يخالطهم وكثيرا ما يغلب على من يعتني بالقيام بحقوق الله والاعتكاف على محبته وخشيته وطاعته اهمال حقوق العباد بالكلية اوالتقصير فيها والجمع بين حقوق الله وحقوق عباده عز يز جدا لا يقوى عليه الا الكمل من الانبياء والصديقين . وقد قال الحارث المحاسبي ثلاثة أشياء عزيزة أو معدومة حسن الوجه مع الصيانة وحسن الخلق مع الديانة وحسن الاخاء مع الأمانة وقال بعض السلف جلس داود عليه السلام خاليا فقال الله عزوجل مالي أراك خاليا قال هجرت الناس فيك يا رب العالمين قال يا داود ألا أدلك على ما تستثني وجوه الناس وتبلغ فيه رضائي خالق الناس بأخلاقهم واحتجز الايمان بيني و بينك ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال حسن الخلق زمام من رحمة الله تعالى في أنف صاحبه والزمام بيد الملك والملك يجره الى الخير والخير يجره الى الجنة وسوء الخلق زمام من عذاب الله تعالى في أنف صاحبه والزمام بيد الشيطان والشيطان يجره الى الشر والشر يجره الى النار والله أعلم (الثاني) قال الحافظ ابن رجب قال بعض أهل العلم حسن الخلق كظم الغيظ لله واظهار الطلاقة والبشر الا للمبتدع والفاجر والعفو عن الزالين الا تأديبا أو اقامة حد وكف الأذى عن كل مسلم أو معاهد الا تغيير منكر وأخذ المظلمة من مظلوم من غير تعد وهذا في غاية التحقيق . والله ولي التوفيق (الثالث) قدمنا أن حسن الخلق القيام بحقوق المسلمين وهي كثيرة . منها أن يحب لهم ما يحب لنفسه وأن يتواضع لهم ولا يفخر عليهم ولا يختال فان الله لا يحب كل مختال فخور . ولا يتكبر ولا يعجب فان ذلك من عظائم الامور . وان تكبر عليه غيره فليحمل منه ذلك ويعامله باللين . ويغض طرف الطرف عن أهل الرقاعة من المتكبرين . لقوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين . وأن يوقر الشيخ الكبير . ويرحم الطفل الصغير . ويعرف لكل ذى حق حقه مع طلاقة الوجه وحسن التلقي ودوام

البشر ولين الجانب وحسن المصاحبة وسهولة الكلمة مع اصلاح ذات بين اخوانه. وتفقد أقرانه وأخدانه . وأن لا يسمع كلام الناس بعضهم في بعض وأن يبذل معروفه لهم لوجه الله لا لاجل غرض مع ستر عوراتهم واقالة عثراتهم واجابة دعواتهم وان لا يقف مواقف التهم وأن يحلم عن من جهل عليه ويعفو عن من ظلم وان لا يجالس الموتى الذين هم اهل الحطام لقوله عليه أفضل الصلاة وأتم السلام اياكم ومجالسة الموتى قيل ومن هم قال الاغنياء اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين ولا يجالس الا من يفيده في الدين ا. ويستفيد منه المعرفة والتمكين الى غير ذلك من حقوق أهل الاسلام . المعروفة للانام . من كتاب الله وسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام . والله ولي الانعام . (تتمة) روى الزهري عن ابي الدرداء رضي الله عنه مرفوعا اذا سمعتم بجبل زال عن مكانه فصدقوا واذا سمعتم برجل زال عن خلقه فلا تصدقوا به فانه يصير الى ما جبل عليه حديث منقطع وهو ثابت الى الزهري رواه الامام أحمد وهذا يؤيد قولهم الطبع غلب التطبع . وقد روى البيهقي في شعبه عن الاصمعي قال دخلت البادية فاذا انا بعجوز بين يديها شاة مقتولة وجرو ذئب مقع فنظرت اليها فقالت اتدرى ما هذا قلت لا قالت جرو ذئب اخذناه وادخلناه بيتنا فلما كبر قتل شاتنا وقلت في ذلك قلت ما هو فأنشدت

بقرت شويهة وفجعت قوما وانت لشاتنا ابن ربيب
غذيت بدرها وربيت فينا فمن انباك ان أباك ذيب
اذا كان الطباع طباع سوء فلا أدب يفيد ولا حليب

ويشبه هذا ما ذكره البيهقي في آخر شعب الايمان أيضا عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أنه سأل يونس بن حبيب عن المثل المشهور كمجير ام عامر فقال كان من حديثه أن قوما خرجوا الى الصيد في يوم حار فبينما هم كذلك اذ عرضت لهم أم عامر وهي الضبع فطردوها فاتبعتهم فالجأوها الى خباء اعرابي فاقتحمت فخرج اليهم الاعرابي فقال ما شانكم فقالوا صيدنا وطريدتنا قال كلا والذي نفسي بيده لا تصلون اليها ما ثبت قائم سيفي بيدي قال فرجعوا وتركوه فقام الى لقحة يحلبها وقرب منها ذلك وقرب اليها ماء فاقبلت مرة تلغ من هذا ومرة من هذا حتى عاشت واستراحت فبينما الاعرابي

نائم في جوف بيته اذ وثبت عليه فبقرت بطنه وشربت دمه واكلت حشوته وتركته فجاء ابن عم له فوجده على تلك الصورة فالتفت الى موضع الضبع فلم يرها فقال صاحبي والله واخذ سيفه وكنانته واتبعها فلم يزل يتبعها حتى ادركها فقتلها وانشأ يقول

ومن يفعل المعروف مع غير أهله ... يلاقي الذي لاقى مجير ام عامر
ادام لها حين استجارت بقربه ... قراها من البان اللقاح الغزائر
واشبعها حتى اذا ما تملأت ... فرته بأنياب لها وأظافر
فقيل لذي المعروف هذا جزاء من ... غدا يصنع المعروف مع غير شاكر

انتهي والله تعالى اعلم. ثم خص الناظم الوالدين بحسن الخلق لهما والصحبة معهما فقال (ولا سيما) فان كلمة لاسيما تدخل مابعدها فيما قبلها بطريق اولى فقولهم نستحب الصدقة في شهر رمضان ولا سيما في العشر الاواخر معناه واستحبابها في العشر الاواخر آكد وافضل فهو مفضل على ماقبله وقال الامام العلامة ابن هشام في مغني اللبيب ودخول الواو على لا واجب قال ثعلب من استعمله على خلاف ماجاء في قول امرئ القيس * ولا سيما يوم بدارة جلجل * فهو مخطئ انتهى كلام ثعلب قال ابن هشام وذكر غيره انه قد يخفف وتحذف الواو كقول الشاعر

و بالعهود وبالايمان لا سيما ... عقد وفاء به من أعظم القرب

وفي القاموس ولا سيما زيد مثلا لا مثل زيد وما لغو و يرفع زيد مثل دع ما زيد وتخفف الياء انتهى قال ابن هشام ويجوز في الاسم الذى بعد ما الجر والرفع مطلقا والنصب أيضا اذا كان نكرة وقد روي بهن ولا سيما يوم فالجر أرجحها وهو على الاضافة وما زائدة بينهما مثلها في أيما الأجلين والرفع على انه خبر بمضمر محذوف وما موصولة أو نكرة موصوفة بالجملة والتقدير ولا مثل الذي هو يوم أو ولا مثل شيء هو يوم و يضعفه في نحو ولاسيما زيد حذف العائد المرفوع مع عدم الطول واطلاق ما على من يعقل وعلى الوجهين ففتحة سي اعراب لانه مضاف والنصب علي التمييز كما يقع التمييز بعد مثل نحو ولو جئنا بمثله مددا وما كافة عن الاضافة والفتحة فتحة بناء مثلها في لا رجل وأما انتصاب المعرفة نحو ولا سيما زيدا فمنعه الجمهور وقال ابن الدهان لا أعرف له وجها و وجهه بعضهم بأن

ما كافة ولا سيما نزلت منزلة الا في الاستثناء ورد بأن المستثنى مخرج وما بعده داخل من باب اولي وأجيب بانه مخرج كما أفهمه الكلام السابق من مساواته لما قبلها وعلى هذا فيكون استثناء منقطع انتهى وفي لغة الاقناع قال ابن يعيش ولا يستثنى بسيما الا ومعها جحد وقال ثعلب من قاله بغير اللفظ الذى جاء به امرؤ القيس فقد أخطأ ووجه ذلك ان لا سيما تساق لترجيح مابعدها على ماقبلها فيكون كالمخرج عن مساواته الى التفضيل وقال ابن الحاجب لايستثنى بها الا مايراد تعظيمه و بعضهم يستثني بسيما انتهى. قلت وقد ولع به جماعة من المتأخرين فتحصل أن الازجح أن يقال ولا سيما بالواو ولا وتشديد الياء كما في كلام امرئ القيس والناظم هنا و يقال لاسيما من غير واو بالتشديد وعدمه و يقال سيما من غيرواو ولا لا والظاهر انعدم التشديد يجيء في الثلاث حالات وانه ضرورة والله سبحانه وتعالى أعلم (للوالد) المعروف في الذهن يعني جنس الوالد فيشمل الام والاب وان علوا (المتأكد) في القرب والمستحق للبر كما أخبر الرب فبر الوالدين من أعظم القربات. وعقوقها من أكبر الموبقات كما سنذكره من الآيات المحكمات والآثار المسندات. ورأيت في عدة نسخ مكان هذا البيت بدله ما لفظه (وان عقوق) أي ايذاء (الوالدين) تثنية والد يقال عق والده يعقه عقوقا فهو عاق اذا آذاه وعصاه وخرج عليه وهو ضد البر به وأصله من العق الذي هو الشق والقطع (كبيرة) الكبيرة من الذنوب ما فيه حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة و زاد شيخ الاسلام أونفى ايمان أو لعن مبعد وفي منظومة الكبائر

فما فيه حد في الدنا أو توعد ... بأخري فسم كبرى على نص أحمد

و زاد حفيد المجد أو جا وعيده ... بنفي لايمان ولعن مبعد

(فبرهما) أى الوالدين والبر الصلة والحسنة والخير والاتساع في الاحسان فهو ضد العقوق قاله في القاموس وفي المطالع في قوله صلى الله عليه وسلم وان الصدق يهدي الي البر. البر اسم جامع للخير قال و بر الابوين كله من الصلة وفعل الخير والتوسع فيه واللطف والطاعة (تبرر) أي يبرك أولادك أو أعم من ذلك جزاء لبرك والديك فان من بر والديه بره أولاده كما ياتي في الخبر ومن عقهما عقه

أولاده جزاء وفاقا قال بعض الحكماء من عصى والديه لم ينل السرور من ولده .
وعن ثابت البناني قال رأيت رجلا يضرب أباه في موضع فقيل له ما هذا
فقال الاب خلوا عنه فاني كنت أضرب أبي في هذا الموضع فابتليت بابني
يضربني في هذا الموضع (وتحمد) مجزوم في جواب الطلب وكسر
للقافية يعني تحمد في الدنيا بحسن الثناء من الخلق والملا الاعلى . وتحمد في الاخرة
لدى رب السموات العلى . وتحمد عاقبة برك لهما في الدار الآخرة كما حصلت لك
بركته في الاولى . قال جل شأنه وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما
يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما
واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا الى غير ذلك
من الآيات القرآنية واما الاخبار المصطفوية والآثار المحمدية فهي اكثر من ان تحصر .
في مثل هذا المختصر . ولكن لا بد من ذكر طرف صالح منها (ففي الصحيحين) وغيرهما
عن ابن مسعود رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم اى العمل
احب الى الله تعالى قال الصلاة على وقتها قلت ثم اي قال بر الوالدين قلت ثم
اي قال الجهاد في سبيل الله (وفي صحيح) مسلم وابي داود والترمذي وابن ماجه عن
أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا يجزى ولد والده
الا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه (وفي الصحيحين) عن عبد الله بن عمرو بن العاص
رضي الله عنهما قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في الجهاد فقال احي
والداك قال نعم قال ففيهما فجاهد وفي رواية لمسلم أقبل رجل الى رسول الله صلي الله عليه
وسلم فقال أبايعك على الهجرة والجهاد ابتغي الاجر من الله قال فهل من والديك احد حي
قال نعم بل كلاهما حي قال فتبتغي الاجر من الله قال نعم قال فارجع الي والديك
فاحسن صحبتهما (واخرج) ابن ماجه عن ابي أمامة رضي الله عنه ان رجلا قال يارسول
الله ما حق الوالدين على ولدهما قال هما جنتك ونارك (وأخرج) ابن ماجه ايضا
والنسائي واللفظ له والحاكم وقال صحيح الاسناد عن معاوية بن جاهمة ان جاهمة
جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اردت ان اغزو وقد جئت ان
استشيرك فقال هل لك من ام قال نعم قال فالزمها فان الجنة عند رجلها وروى الطبراني

مطلب في ذكر الاخبار المصطفوية في بر الوالدين

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لطلحة بن معاوية السلمي امك حية قال نعم قال النبي صلى الله عليه وسلم الزم رجلها فثم الجنة اشار الحافظ المنذرى الى ضعفه (واخرج) الترمذي وصححه وابن ماجه عن ابي الدرداء رضي الله عنه ان رجلا اتاه فقال ان لي امرأة وان امي تأمرني بطلاقها فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الوالد اوسط ابواب الجنة فان شئت فضع ذلك الباب او احفظه ورواه ابن حبان في صحيحه بلفظ ان رجلا أتي ابا الدرداء فقال ان ابي لم يزل بي حتى زوجني وانه الآن يأمرني بطلاقها قال ما انا بالذى آمرك ان تعق والديك ولا بالذى آمرك أن تطلق امرأتك غير انك ان شئت حدثتك ماسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته يقول الوالد اوسط ابواب الجنة فحافظ على ذلك ان شئت اودع قال فاحسب عطاء قال فطلقها (واخرج) الامام أحمد بسند صحيح عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يمد له في عمره ويزاد في رزقه فليبر والديه وليصل رحمه (واخرج) ابو يعلى والطبراني والحاكم وصححه عن معاذ بن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بر والديه طوبى له زاد الله في عمره (واخرج) الترمذى وقال حسن غريب عن سلمان رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يرد القضاء الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر (واخرج) الحاكم وصححه عن ابي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم ومن أتاه أخوه متنصلا فليقبل ذلك محقا كان أو مبطلا فان لم يفعل لم يرد على الحوض وأخرجه الطبراني باسناد حسن من حديث بن عمر مرفوعا بلفظ بروا آباءكم تبركم أبناؤكم وعفوا تعف نساؤكم ورواه الطبراني أيضا هو وغيره من حديث عائشة رضي الله عنها (وأخرج) مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رغم أنفه ثم رغم أنفه ثم رغم أنفه قيل من يارسول الله قال من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة ومعنى رغم أنفه أي لصق بالرغام وهو التراب (وأخرج) الامام احمد من طرق أحدها حسن عن مالك بن عمرو القشيري رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه

وسلم يقول من أعتق رقبة مسلمة فهيَ فداه من النار ومن أدرك أحد والديه ثم لم يغفر له فأبعده الله زاد في رواية واسحقه (وأخرج) البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت الى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم قال رجل منهم اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالاً فنأى بي طلب شجر يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أغبق قبلهما أهلا اومالا فلبثت والقدح على يدي انتظرت استيقاظهما حتى برَق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج زاد بعض الرواة والصبية يتضاغون عند قدمي . قال النبي صلى الله عليه وسلم قال الآخر اللهم كانت لي ابنة عم كانت أحب الناس الي فأردتها على نفسها فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى اذا قدرت عليها قالت لا أحل لك أن تفض الخاتم الا بحق فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي أحب الناس الي وتركت الذهب الذي أعطيتها اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها قال النبي صلى الله عليه وسلم وقال الثالث اللهم استأجرت اجراء واعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الاموال فجاءني بعد حين فقال ياعبدالله أد الى أجري فقلت كلما ترى من أجرك من الابل والبقر والغنم والرقيق فقال ياعبدالله لا تستهزئ بي فقلت اني لا أستهزئ بك فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون . قوله في الحديث وكنت لاأغبق قبلهما أهلا ولا مالا: الغبوق بفتح الغين المعجمة هو الذي يشرب بالعشي ومعناه كنت لا أقدم عليهما في شرب اللبن أهلا ولا

غيرهم وقوله يتضاغون بالضاد والغين المعجمتين أي يضجون من الجوع والسنة العام المقحط الذى لم تنبت الارض فيه شيئا سواء نزل غيث أم لم ينزل وقوله تفض الخاتم هو بتشديد الضاد المعجمة كناية عن الوطء والله أعلم. وفي رواية للبخاري قال بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر فمالوا الى غار في الجبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض انظروا أعمالا عملتموها لله عز وجل صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها فقال أحدهم اللهم انه كان لي أبوان شيخان كبيران ولي صبية صغار كنت أرعى فاذا رحت عليهم فحلبت بدأت بوالدي أسقيهما قبل ولدي وانه نأى بي الشجر فما أتيت حتى أمسيت فوجدتهما قدناما فحلبت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب فقمت عند رؤسهما أكره أن أوقظهما من نومهما وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما والصبية يتضاغون عند قدمي فلم يزل ذلك دأبي ودأبهما حتى طلع الفجر فان كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج لنا فرجة نرى منها السماء ففرج الله عز وجل لهم حتى يروا منها السماء وذكر الحديث. وعند ابن حبان من حديث ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً خرج ثلاثة فيمن كان قبلكم يرتادون لاهليهم فأصابهم السماء فلجؤا الى جبل فوقعت عليهم صخرة فقال بعضهم لبعض عفا الأثر ووقع الحجر ولا يعلم بمكانكم الا الله فادعوا الله بأوثق أعمالكم الحديث (وأخرج) ابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعا رضا الله في رضا الوالدين وسخط الله في سخط الوالدين ورواه الترمذي ورجح وقفه والطبراني من حديث أبي هريرة بلفظ طاعة الله طاعة الوالد ومعصية الله معصية الوالد والبزار من حديث عبد الله بن عمرو أو ابن عمر بلفظ رضا الرب تبارك وتعالى في رضا الوالدين وسخط الرب تبارك وتعالى فى سخط الوالدين الى غير ماذكرنا من الاحاديث. وأما ماجاء في العقوق وجرمه وعظيم قبحه وإثمه فمن ذلك مارواه البخاري وغيره عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله حرم عليكم عقوق الامهات ووأد البنات ومنعا وهات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال (وأخرج) البخارى ومسلم

وغيرهما عن أبي بكرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا قلنا بلى يارسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئاً فجلس فقال ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت والبخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس والبخاري ومسلم والترمذي عن أنس رضي الله عنه قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر فقال الشرك بالله وعقوق الوالدين الحديث وفي كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الذي كتبه الى أهل اليمن وبعث به مع عمرو ابن حزم وان أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة الاشراك بالله وقتل النفس المؤمنة بغير الحق والفرار في سبيل الله يوم الزحف وعقوق الوالدين ورمي المحصنة وتعلم السحر وأكل الربا وأكل مال اليتيم الحديث رواه ابن حبان في صحيحه (وأخرج) النسائي والبزار واللفظ له باسنادين جيدين والحاكم وقال صحيح الاسناد عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لاينظر الله اليهم يوم القيامة العاق لوالديه ومدمن الخمر والمنان عطاءه وثلاثة لايدخلون الجنة العاق لوالديه والديوث والرجلة من النساء . وروى ابن حبان في صحيحه شطره الاول قال الحافظ المنذرى الديوث بتشديد الياء هو الذى يقر أهله على الزنا مع علمه بهم والرجلة بفتح الراء وكسر الجيم هي المترجلة المتشبهة بالرجال (وأخرج) الامام أحمد واللفظ له والنسائي والبزار والحاكم وقال صحيح الاسناد عن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة حرم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة مدمن الخمر والعاق والديوث الذى يقر الخبث في أهله وروى الطبراني في الصغير عن أبي هريرة يرفعه براح ريح الجنة من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحه منان بعمله ولا عاق ولا مدمن خمر حديث ضعيف . وروى ابن عاصم باسناد حسن عن أبي امامة رضي الله عنه مرفوعاً ثلاثة لا يقبل الله عز وجل منهم صرفاً ولا عدلا عاق ومنان ومكذب بقدر . والحاكم وقال صحيح الاسناد عن أبي هريرة مرفوعاً أربع حق على الله أن لايدخلهم الجنة ولا يذيقهم

نعيمها مدمن الخمر وآكل الربا وآكل مال اليتيم بغير حق والعاق لوالديه · والطبراني في الكبير بسند ضعيف عن ثوبان رضي الله عنه مرفوعاً ثلاثة لا ينفع معهن عمل الشرك بالله وعقوق الوالدين والفرار من الزحف (وأخرج) البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا يارسول الله وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه · وفي رواية للشيخين ان من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه قيل يارسول الله وكيف يلعن الرجل والديه قال يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه (وأخرج) الامام أحمد والطبراني باسنادين أحدهما صحيح عن عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله شهدت أن لا أله الا الله وانك رسول الله وصليت الخمس وأديت زكاة مالي وصمت رمضان فقال النبي صلى الله عليه وسلم من مات على هذا كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا ونصب أصبعيه مالم يعق والديه ورواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما باختصار (وأخرج) الامام احمد وغيره عن معاذ ابن جبل رضي الله عنه قال أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر كلمات قال لا تشرك بالله شيئاً وان قتلت وحرقت ولا تعقن والديك وان أمراك أن تخرج من أهلك ومالك الحديث (وروي) عن جابر رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن مجتمعون فقال يا معشر المسلمين اتقوا الله وصلوا أرحامكم فانه ليس من ثواب أسرع من صلة الرحم واياكم والبغي فانه ليس من عقوبة أسرع من عقوبة بغي واياكم وعقوق الوالدين فان ريح الجنة يوجد من مسيرة الف عام والله لا يجدها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء انما الكبرياء لله رب العالمين والكذب كلمة اثم الا ما نفعت به مؤمناً أو دفعت به عن دين وان في الجنة لسوقاً ما يباع فيها ولا يشترى ليس فيها الا الصور فمن أحب صورة من رجل أو امرأة دخل فيها رواه الطبراني في الاوسط · وفي مرفوع حديث أبي هريرة عند الطبراني والحاكم وقال صحيح الاسناد ملعون من عق والديه · وفي مرفوع حديث ابن عباس عند ابن حبان في صحيحه ولعن الله من سب والديه

(وأخرج) الحاكم والأصبهانى وقال الحاكم صحيح الاسناد عن أبى بكرة رضي الله عنه مرفوعاً كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء الى يوم القيامة الا عقوق الوالدين فان الله يعجله لصاحبه في الحياة قبل الممات . وروى الطبراني بسند ضعيف عن عبد الله ابن أبي أوفى رضي الله عنه قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه آت فقال شاب يجود بنفسه قيل له قل لا اله الا الله فلم يستطع فقال كان يصلي فقال نعم فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهضنا معه فدخل على الشاب فقال له لا اله الا الله فقال لا أستطيع فقال لم قال كان يعق والدته فقال النبي صلى الله عليه وسلم أحية والدته قالوا نعم قال ادعوها فدعوها فجاءت فقال هذا ابنك فقالت نعم فقال لها أرأيت لو أججت نار ضخمة فقيل لك ان شفعت له خلينا عنه والا حرقناه بهذه النار أكنت تشفعين له قالت يارسول الله اذن أشفع قال فأشهدي الله وأشهديني انك قد رضيت عنه قالت اللهم اني أشهدك وأشهد رسولك اني قد رضيت عن ابني فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا غلام قل لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد ان محمداً عبده ورسوله فقالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي أنقذه بي من النار ورواه الامام احمد مختصرا ويروي ان اسم الشاب علقمة وان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر أمه بالرضى عليه أبت فدعا بحزم الحطب والنار فقالت ما تصنع بذلك قال أحرق ولدك علقمة فرضيت عليه أو كما ورد . وروى الاصبهاني وغيره عن العوام بن جوشب قال نزلت مرة حياً والى جانب ذلك الحي مقبرة فلما كان بعد العصر انشق منها قبر فخرج منه رجل رأسه رأس حمار وجسده جسد انسان فنهق ثلاث نهقات ثم انطبق عليه القبر فاذا عجوز تغزل شعرا أو صوفا فقالت امرأة ترى تلك العجوز قلت ما لها قالت تلك أم هـذا قلت وما كان قصته قالت كان يشرب الخمر فاذا راح تقول له أمه يا بني اتق الله الى متى تشرب هذا الخمر فيقول لها انما أنت تنهقين كما ينهق الحمار قالت فمات بعد العصر قالت فهو ينشق عنه القبر بعد العصر كل يوم فينهق ثلاث نهقات ثم ينطبق عليه القبر قال الاصبهانى حدث به أبو العباس الاصم املاء بنيسابور بمشهد من الحفاظ فلم ينكروه والله أعلم . ويحسن تحسين

الخلق والصحبة للوالد

وَلَوْ كَانَ ذَا كُفْرٍ وَأَوْجِبْ طَوْعَهُ ۝ سِوَى فِي حَرَامٍ أَوْ لِأَمْرٍ مُؤَكَّدِ

(ولو كان) الوالد (ذا) أى صاحب (كفر) يعني ولو كان الوالد كافرا قال في المستوعب فان كان الوالدان كافرين فليصاحبهما في الدنيا معروفا ولا يطعهما في كفر ولا معصية الله قال السامرى لانه لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق (وأوجب) أنت اعتمادا على الكتاب والسنة (طوعه) أي الوالد من الاب والام قال ابن حزم في كتاب الاجماع قبل السبق والرمي اتفقوا على أن بر الوالدين فرض واتفقوا على أن بر الجد فرض قال في الآداب الكبرى كذا قال ومراده والله أعلم واجب ونقل الاجماع في الجد فيه نظر ولهذا عندنا يجاهد الولد ولا يستأذن الجد وان سخط وقال القاضي في المجرد وغيره بر الوالدين واجب وقال أبو بكر في زاد المسافر من أغضب والديه وأبكاهما يرجع فيضحكهما لان رجلا جاء للنبي صلى الله عليه وسلم يبايعه فقال جئت لابايعك على الجهاد وتركت أبوي يبكيان قال ارجع اليهما فأضحكهما كما أبكيتهما وقال شيخ الاسلام بعد قول أبي بكر هـذا يقتضى قوله أن يبرا في جميع المباحات فما أمراه ائتمر وما نهياه انتهى وهذا فيما كان فيه منفعة لهما ولا ضرر عليه فيه ظاهر مثل ترك السفر وترك المبيت عنهما ناحية ولذا قال الناظم اوجب طاعة الوالدين (سوى في) معاطاة شيء (حرام) فلا طاعة لهما على الولد في ذلك لان الله الذي خلق الخلق أشد طاعة فلا يعصى لاجل طاعتهما (أو) أى وسوى (لامر) من أمور الدين وفي نسخة أو لفعل وفي أخرى ذكرها صاحب الآداب الكبرى اولنفل (مؤكد) عليه اتيانه ومعاطاته كالراتبة وهي أصح واقتصر الحجاوي على ذكر النسخة الاولى يعني أو لامر ومراده لامر غير واجب اذا نهياه عنه فلا تجب طاعتهما بل عليه أن يبادر لفعل الامر المؤكد عليه ولا يلتفت لنهيهما نعم يأخذ بخاطرهما و يدار يهما

كَتِطْلَابِ عِلْمٍ لَا يَضُرُّهُمَا بِهِ ۝ وَتَطْلِيقِ زَوْجَاتٍ بِرَأْيٍ مُجَرَّدِ

(٢) ما اذا نهياه عن (تطلاب علم) غير واجب عليه حيث (لا يضرهما) أى الوالدين (به) أى بطلبه. قال شيخ الاسلام ابن تيمية رضوان الله عليه والذي ينتفع به الابوان ولا يتضرر هو بطاعتهما فيه قسمان قسم يضرهما تركه فهذا لا يستراب في وجوب طاعتهما فيه بل عندنا هذا يجب للجار وقسم ينتفعان به ولا يضرهما أيضا يجب طاعتهما فيه على مقتضى كلامه فأما ما كان يضره طاعتهما فيه لم تجب طاعتهما فيه لكن ان شق عليه ولم يضره وجب وانما لم يقيده الامام بل قال بر الوالدين واجب مالم يكن معصية لان فرائض الله تعالى من الطهارة وأركان الصلاة والصوم تسقط بالضرر فبر الوالدين لا يتعدى ذلك وعلى هذا بنينا أمر التملك فانا جوزنا له أخذ ماله ما لم يضره فأخذ منافعه كأخذ ماله وهو معنى قوله أنت ومالك لابيك فلا يكون الولد بأكثر من العبد ثم ذكر شيخ الاسلام رضي الله عنه أن نصوص الامام تدل على انه لا طاعة لهما في ترك الفرض وهي صريحة في عدم ترك الجماعة وعدم تأخير الحج وقال رضي الله عنه في رواية الحارث في رجل تسأله أمه أن يشتري لها ملحفة للخروج قال ان كان خروجها في باب من أبواب البر كعيادة مريض أو جار أو قرابة أو لامر واجب لا بأس وان كان غير ذلك فلا يعينها على الخروج وقيل له رضي الله عنه ان أمرني ابي باتيان السلطان له علي طاعة قال لا وذكر ابو البركات ان الوالد لا يجوز له منع ولده من السنن الراتبة وكذا المكرى والزوج والسيد قال في الآداب ومقتضى هذا ان كل ما تأكد شرعا لا يجوز له منع ولده فلا يطيعه فيه وقال ولذا ذكر صاحب النظم لا يطيعها في ترك نفل مؤكد كطلب علم لا يضرهما به (و) كأمرهما له بـ(تطليق زوجات) له او بيع أمة له (برأي) اي اعتقاد (مجرد) عن مستند شرعي قال في القاموس الراي الاعتقاد جمعه آراء قال في الآداب الكبرى فان امره ابوه بطلاق امراته لم يجب ذكره أكثر الاصحاب وسأل رجل الامام رضي الله عنه فقال ان ابي يأمرني ان أطلق امرأتي قال لا تطلقها قال اليس عمر أمر ابنه عبد الله ان يطلق امرأته قال حتى يكون ابوك مثل عمر رضي الله عنه قال في الآداب واختار ابو بكر من اصحابنا أنه يجب لامر النبي صلى الله عليه وسلم لابن عمر وروي عن الامام انه قال اذا أمرته امه بالطلاق لا يعجبني ان يطلق

مطلب هل اذا أمر الابوان او الام ولدها بتطليق زوجته يجيبها أم لا

لان حديث ابن عمر في الأب وكذا نص على ذلك في رواية محمد بن موسى انه لا يطلق لأمر أمه فان امره الاب بالطلاق طلق اذا كان عدلا يعني الاب وقال شيخ الاسلام فيمن تأمره امه بطلاق امرأته قال لايحل له أن يطلقها بل عليه ان يبرها وليس تطليق امرأته من برها انتهى وقال رجل للامام رضي الله عنه لي جارية وامي تسألني ان ابيعها قال تتخوف أن تتبعها نفسك قال نعم قال لاتبعها قال انها تقول لا أرضى عنك أوتبيعها قال ان خفت على نفسك فليس لها ذلك قال شيخ الاسلام لانه اذا خاف على نفسه يبقى امساكها واجبا أو لان عليه في ذلك ضررا ومفهوم كلامه اذا لم يخف على نفسه يطيعها في بيعها لأنه لا ضرر عليه فيه لا دينا ولا دنيا. وقال أيضا قيد أمره ببيع السرية اذا خاف على نفسه لأن بيع السرية ليس بمكروه ولا ضرر عليه فيه فانه يأخذ الثمن بخلاف الطلاق فانه مضر في الدين والدنيا وأيضا فانه يتهم في الطلاق مالا يتهم في بيع السرية والمعتمد عدم وجوب طاعة كل واحد من الابوين في طلاق زوجته لقوله عليه الصلاة والسلام لا ضرر ولا ضرار وطلاق زوجاته بمجرد هوى ضرر بها وبه. واما طاعتهما في ترك ماهو مسنون فالأقيس وجوبها وينبغي لهما أن لا ينهياه عما هو مندوب وقد قال الامام رضي الله عنه في رواية هارون بن عبد الله في غلام يصوم وأبواه ينهيانه عن الصوم ما يعجبني أن يصوم اذا نهياه ولا أحب أن ينهياه يعني عن التطوع وقال في رواية يوسف بن موسى اذا أمره أبواه أن لا يصلي الا المكتوبة قال يداريهما ويصلي. قال شيخ الاسلام ففي الصوم كره الابتداء فيه اذا نهياه واستحب الخروج منه وأما الصلاة فقال يداريهما ويصلي انتهى قال تلميذه في الآداب الكبرى وقد نص أحمد رضي الله عنه على خروجه من صلاة النفل اذا سأله أحد والديه ذكره غير واحد وقال في رواية أبي بكر بن حماد المقري في الرجل يأمره والده بان يؤخر الصلوات ليصلي به قال يؤخرها قال القاضي في الجامع الكبير فلو كان تأخيرها يفضي الى خروج الوقت لم يجز لانه قال في رواية أبي طالب في الرجل ينهاه أبوه عن الصلاة في جماعة قال ليس له طاعته في الفرض وقال القاضي أيضا في التعليق عن رواية أبي بكر بن حماد فقد أمر بطاعة أبيه

في تأخير الصلاة وترك فضيلة أول الوقت والوجه فيه انه قد ندب الى طاعة أبيه في ترك صوم النفل وصلاة النفل وان كان ذلك قربة وطاعة . وقال الامام أحمد رضي الله عنه في رجل يصوم تطوعا فسأله أبواه أو أحدهما أن يفطر له أجر البر والصوم اذا أفطره وقال رضي الله عنه في رواية أبي داود وان كان له ابوان يأمرانه بالتزويج امرته أن يتزوج أو كان شابا يخاف على نفسه العنت أمرته أن يتزوج وقال الشيخ الامام موفق الدين في حج التطوع ان للوالد منع الولد من الخروج اليه لان له منعه من الغزو وهو من فروض الكفايات فالتطوع أولى. وقال في مسئلة لا يجاهد من أبواه مسلمان الا باذنهما يعني تطوعا وأن ذلك يروى عن عمر وعثمان وأنه قول مالك والشافعي وسائر أهل العلم واستدل بعدة أحاديث ثم قال ولان ذلك فرض عين والجهاد فرض كفاية وفرض العين مقدم فان تعين عليه الجهاد سقط اذنهما وكذلك كل فرائض الاعيان وكذا كل ما وجب كالحج وصلاة الجماعة والجمع والسفر للعلم الواجب لأنها فرض عين فلم يعتبر اذن الابوين فيها كالصلاة وظاهر هذا التعليل اعتبار اذنهما في التطوع كما نقوله في الجهاد وهو غريب والمعروف اختصاص الجهاد بهذا الحكم قاله في الآداب قال والمراد والله أعلم انه لا يسافر لمستحب الا باذنه كسفر الجهاد وأما ما يفعله في الحضر كالصلاة النافلة ونحو ذلك فلا يعتبر فيه اذنه ولا أظن أحدا يعتبره ولا وجه له والعمل على خلافه قال ويتوجه أن يراد بالسفر ما فيه خوف كالجهاد مع انه يراد به الشهادة ومثله الدخول فيما يخاف منه في الحضر كاطفاء حريق ونحو ذلك انتهى والمراد ما لم يتعين عليه والله أعلم (تنبيهات الاول). ظاهر النظم وجوب طاعة الوالد ولو كافرا وقاله في الآداب الكبرى قال وجزم به صاحب النظم ثم قال وظاهر كلامه في المستوعب في قوله وان كانا فاسقين ان الكافرين لا تجب طاعتهما ويوافقه ما ذكره الاصحاب انه لا اذن للكافر في الجهاد تعين عليه أم لا ويعاملهما بما ذكره الله تعالى وقالت أسماء ابنة أبي بكر الصديق رضي الله عنهما جاءتني أمي مشركة فسألت النبي صلى الله عليه وسلم أصلها قال نعم متفق عليه ويروي انه نزل فيها لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين

الى آخر الآية فأمرها النبي صلى الله عليه وسلم أن تقبل هديتها وان تدخلها بيتها. قال الامام الحافظ ابن الجوزي وهذه الآية رخصة في صلة الذين لم ينصبوا الحرب للمسلمين وجواز برهم وان كانت الموالاة منقطعة وتقدم في صلة الرحم وبهذا تعلم انه لا تجب طاعة الاب المشرك كالمسلم لا سيما في ترك النوافل والطاعات قال في الآداب الكبرى وهذا أمر ظاهر ولذا قال الخطابي لا سبيل للوالدين الكافرين من منعه من الجهاد فرضا كان أو نفلا وطاعتهما حينئذ معصية لله معونة للكفار وانما عليه أن يبرهما و يطيعهما فيما ليس بمعصية كذا قال قال في الآداب الكبرى ولعل مراده بقوله وانما عليه على سبيل الاستحباب. والله أعلم بالصواب (الثاني) قد علم أن بر الوالدين واجب لكن يقدم بر الام على بر الاب لما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أبوك ففي هذا الحديث دليل على ان محبة الام والشفقة عليها ينبغي أن تكون ثلاثة أمثال الاب لذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الام ثلاث مرات وذكر الاب مرة واحدة والسر في ذلك كما قاله ابن بطال ان الام تنفرد عن الاب بثلاثة أشياء صعوبة الحمل وصعوبة الوضع وصعوبة الرضاع فهذه تنفرد بها الام وتشقى بها ثم تشارك الاب في التربية (الثالث) ذكر شيخ الاسلام أغدق الله الرحمة على ضريحه انه ليس لاحد الابوين أن يلزم الولد بنكاح من لا يريدها وانه اذا امتنع لا يكون عاقا واذا لم يكن لاحد أن يلزمه بأكل ماينفر طبعه عنه مع قدرته على أكل ما تشتهيه نفسه كان النكاح بذلك أولى فان أكل المكروه مرارة ساعة وعشرة المكروه من الزوجين على طول يؤذي صاحبه ولا يمكنه فراقه والله أعلم (نوادر) الاولى في تفسير أبي السعود ان شيخا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان ابني هذا له مال كثير ولا ينفق على من ماله فجاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان هذا الشيخ قال في ولده أبياتا ماسمع بمثلها فأنشدها في الحال بين يديه صلى الله عليه وسلم و يروى ان الولد جاء النبي صلى الله عليه وسلم فاشتكى على والده بانه أخذ ماله

مطلب في تقديم بر الام على بر الاب

فأرسل خلفه فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد أخبره جبريل بانه قد قال الابيات فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان ابنك هذا يزعم انك أخذت ماله فقال له الرجل سله هل أنفقته الا علي اخواته وعماته فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هيه دعنا من هذا ما أبيات قلتها في نفسك لم تسمعها اذناك فقال والله يا رسول الله لا يزال الله يربنا منك الحق لقد قلت أبياتا ما سمعتها أذناى فاستنشده الابيات فقال قلت

غذوتك مولودا وصنتك يافعا ... تعل بما أجني عليك وتنهل
اذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت ... لسقمك الا ساهرا أتململ
كأني أنا المطروق دونك بالاذى ... طرقت به دوني وعيني تهمل
تخاف الردى نفسي عليك وانها ... لتعلم ان الموت وقت مؤجل
فلما بلغت السن والغاية التي ... اليها مدى ما كنت فيك أؤمل
جعلت جزائي غلظة وفظاظة ... كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك اذ لم ترع حق أبوتي ... فعلت كما الجار المجاور يفعل
فاوليتنى حق الجوار ولم تكن ... علي بمالي دون مالك تبخل

فروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابنه حينئذ أنت ومالك لابيك (الثانية) قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه روضة المحبين ونزهة المشتاقين قال سالم بن عبد الله كانت عاتكة ابنة زيد تحت عبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وكانت قد غلبته على رأيه وشغلته عن سوقه فأمره أبو بكر رضي الله عنه بطلاقها واحدة ففعل فوجد عليها فقعد لابيه علي طريقه وهو يريد الصلاة فلما بصر بأبي بكر بكى وأنشد يقول

ولم أر مثلي طلق اليوم مثلها ... ولا مثلها في غير جرم تطلق
لها خلق جزل وحلم ومنصب ... وخلق سوي في الحياة ومصدق

فرق له أبو بكر رضي الله عنه وأمره بمراجعتها فلما مات قالت ترثيه

آليت لا تنفك عيني سخية ... عليك ولا ينفك جلدى أغبرا
فلله عينا من رأى مثله فتى ... أعف وأمضى في الهياج وأصبرا

اذا شرعت فيه الاسنة خاضها الى الموت حتى يترك الرمح أحمرا

فلما حلت تزوجها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأولم عليها فاستأذنه علي رضي الله عنه أن يدخل رأسه الى عاتكة فيكلمها فأذن له فأدخل علي رضي الله عنه رأسه اليها وقال لها ياعدوة نفسها

آليت لاتنفك عيني قريرة عليك ولا ينفك جلدي أصفرا

فبكت فقال له عمر رضي الله عنه ما ذا دعاك الي هذا ياأبا الحسن كل النساء يفعلن هذا ثم تزوجها الزبير بعد عمر ثم خطبها علي رضي الله عنهم بعد قتل الزبير فقالت اني لاضن بك عن القتل (الثالثة) ذكر في الآداب الكبرى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال انما رد الله عقوبة سليمان عن الهدهد لبره كان بأمه انتهى يعني لما توعده سيدنا سليمان في قوله مالي لاأرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين . وذلك لما فقده لاجل الماء فدعا سليمان عريف الطير وهو النسر فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله وقال بحق الذي قواك وأقدرك على الا رحمتيني فتركته وقالت ثكلتك أمك ان نبي الله حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى أو ليأتيني بسلطان مبين فلما قرب من سليمان عليه السلام أرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا له فلما دنا منه أخذ رأسه فمده اليه فقال يانبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فارتعد سليمان عليه السلام وعفا عنه قيل كان عذاب سليمان للطير أن ينتف ريشه و يشمسه وقيل أن يطلى بالقطران و يشمس وقيل أن يلقى للنمل يأكله وقيل ايداعه القفص وقيل التفريق بينه و بين الفه وقيل لزمته صحبة الاضداد وقد ذكر بعضهم أن أضيق السجن معاشرة الاضداد وقيل لزمته خدمة أقرانه . قال عكرمة انما صرف سليمان عن ذبح الهدهد انه كان بارا بوالديه ينقل الطعام اليهما فيزقهما ذكره في حياة الحيوان . وفي الكامل وشعب الايمان للبيهقي ان نافعا سأل ابن عباس رضي الله عنهما فقال سليمان مع ماخوله الله من الملك وأعطاه كيف عنى بالهدهد مع صغره فقال له ابن عباس انه احتاج الى الماء والهدهد كانت الارض

له كالزجاج فقــال ابن الازرق لابن عباس قف ياوقاف كيف يبصر الماء من تحت الارض ولايرى الفخ اذا غطي له بقدرأنملة من تراب فقال ابن عباس رضي الله عنهما اذا نزل القضاء عمي البصر وأنشـدوا في ذلك لابي عمر الزاهد رحمه الله تعالى

اذا أراد الله أمرا بامرئ ... وكان ذا رأي وعقل و بصر
وحيــلة يفعلها في دفع ما ... يأتي به محتوم أسباب القدر
غطى عليه سمعه وعقــله ... وسل منه ذهنه سل الشعر
حتى اذا أنفذ فيه حكمه ... رد عليه عقــله ليعتــبر

مطلب بر الوالدين كفارة الكبائر

والله أعلم (فوائد الاولى) قال سيدنا الامام أحمد رضي الله عنه بر الوالدين كفارة الكبائر وكذا ذكر ابن عبد البر عن مكحول قلت ويشهد لهذا ما رواه الترمذي واللفظ له وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال أتي النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال اني أذنبت ذنباً عظيماً فهل لي من توبة فقال هل لك من أم • وفي رواية ابن حبان والحاكم هل لك والدان قال لا قال فهل لك من خالة قال نعم قال فبرها (الثانية) رأى ابو هريرة رضي الله عنه رجلا يمشي خلف رجل فقال من هذا قال أبي قال لاتدعه باسمه ولا تجلس قبله ولا تمش أمامه ذكره في الآداب الكبري • وذكر أبو الليث السمرقندي في تنبيه الغافلين ان من حقوق الوالد على ولده ان يطعمه اذا احتاج الى طعمة ويكسوه اذا قدر • وذكر ان في الحديث في تفسير قوله تعالى وصاحبهما في الدنيا معروفاً عنه صلى الله عليه وسلم قال المصاحبة بالمعروف أن يطعمهما اذا جاعا و يكسوهما اذا عريا ومن حقوقهما خدمتهما اذا احتاجا أو أحدهما الى خدمة واجابة دعوتهما وامتثال أمرهما ما لم يكن معصية على ما مر والتكلم معهما باللين وأن لا يدعوهما باسمهما وأن يمشي خلفهما وأن يدعو الله لهما بالمغفرة وذكر عن بعض الصحابة رضي الله عنهم ان ترك الدعاء للوالدين يضيق العيش على الولد انتهى وقد قال الشاعر في ابنه

يود الردى لي من سفاهة رأيه ... ولو مت بانت للعدو مقاتله

اذا مارآني مقبلا غض طرفه　　كأن شعاع الشمس دوني يقابله

(الثالثة) ينبغي احترام المعلم الذي هو الشيخ وتوقيره والتواضع له وكلام العلماء في ذلك معروف وذكر بعض الشافعية ان حقه آكد من حق الوالد لانه سبب لتحصيل الحياة الابدية والاب سبب لحصول الحياة الفانية فعلى هذا تجب طاعته وتحرم مخالفته قال في الآداب الكبرى وأظنه يعنى بعض الشافعية صرح بذلك قال وينبغي أن يكون فيما يتعلق بأمر العلم لا مطلقاً انتهى وقد قال علماء المصطلح الاشياخ آباء في الدين وقال لي شيخنا أبو التقى الشيخ عبد القادر التغلبي الشيباني أغدق الله الرحمة على رمسه شيخك أبوك بل أعظم حقا من والدك لانه احياك حياة سرمدية ولا كذلك والدك أو كلاما هذا معناه وقال لي الناس يقولون فلان يعني نفسه لا ولد له وهل لاحد من الولد مثل مالي يعني تلامذته رضوان الله عليه (الرابعة) ذكر الامام ابن عقيل رحمه الله تعالى ورضي عنه انه كما يجب الاغضاء عن زلات الوالدين يجب الاغضاء عن زلات القرون الثلاثة الذين قال النبي صلى الله عليه وسلم فيهم خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم واذا سميناهم بالوالدين يجب توقيرهم واحترامهم كما في الوالدين انتهى (الخامسة) لو أمره والده بتناول المشتبه هل تجب عليه طاعته أو لا تجب ينبغي أن يبنى على جواز تناوله وعدمه والذي استقر عليه المذهب عدم الحرمة بل يكره ذلك وقوة الكراهة فيه وضعفها بحسب كثرة الحرام وقلته وهذا الذى قدمه الآزجي وغيره وجزم به في المغني وغيره وقطع به في الاقناع وغيره وعن أبي هريرة مرفوعا اذا دخل أحدكم على أخيه المسلم فأطعمه طعاما فليأكل من طعامه ولا يسأله عنه وان سقاه شرابا من شرابه فليشرب من شرابه ولا يسأل عنه رواه الامام أحمد وروى جماعة من حديث سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل عن ذر بن عبد الله عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلا سأله فقال لي جار يأكل الربا ولا يزال يدعوني فقال مهنأه لك وإثمه عليه قال الثوري ان عرفته بعينه فلا تأكله ومراد ابن مسعود وكلامه لا يخالف هذا وروى جماعة أيضاً عن سلمان رضي الله عنه قال اذا كان لك صديق عامل فدعاك الى طعام فاقبله فان مهنأه لك وإثمه عليه . وقال منصور

مطلب لو أمره أبوه بتناول المشتبه هل تجب طاعته

قلت لابراهيم النخعي عريف لنا يصيب من الظلم و يدعوني فلا أجيبه فقال ابراهيم للشيطان غرض بهذا ليوقع عداوة قد كان العمال يهمطون و يصيبون ثم يدعون فيجابون قلت نزلت بعامل فنزلني وأجازني قال اقبل قلت فصاحب ربا قال اقبل ما لم تره بعينه قال الجوهري الهمط الظلم والأخذ بلا تقدير قال في الآداب الكبرى ولأن الأصل الاباحة وكما لو لم يتيقن محرما فانه لا يحرم بالاحتمال وان كان تركه أولى قال و ينبني على هذا حكم معاملته وقبول هديته وضيافته ونحو ذلك والله أعلم (تتمة) ذكر أبو الليث السمرقندي في كتابه تنبيه الغافلين انه لو لم يذكر الله تعالى في كتابه حرمة الوالدين ولم يوص بهما لكان يعرف بالعقل أن حرمتهما واجبة وكان الواجب على العاقل أن يعرف حرمتهما و يقضي حقهما فكيف وقد ذكر الله تعالى في جميع كتبه التوراة والانجيل والزبور والفرقان وقد أمر في جميع كتبه وأوحى الى جميع رسله وأوصاهم بحرمة الوالدين ومعرفة حقهما وجعل رضاه في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما وذكر بسنده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو علم الله شيئاً من العقوق أدنى من أف لنهى عن ذلك فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة وليعمل البار ماشاء أن يعمل فلن يدخل النار . وقال ابن عباس رضي الله عنهما ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث آيات لا يقبل واحدة منها بغير قرينتها أولها أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فمن صلى ولم يؤد الزكاة لا تقبل منه الصلاة والثاني قوله تعالى أشكر لي ولوالديك فمن شكر الله ولم يشكر والديه لم يقبل منه والثالث قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعو الرسول فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه . وذكر أبو الليث أيضا أن رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان أمي خرفت عندي وأنا أطعمها بيدي وأسقيها بيدي وأوضيها وأحملها على عاتقي فهل جزيتها قال لا ولا واحدا من مائة ولكنك قد أحسنت والله يثيبك على القليل كثيرا . قلت وقد روينا أن المقول له ابن عمر رضي الله عنه وأنه قال للسائل ولا بطلقة واحدة ولكنك أحسنت الخ ولما ذكر الناظم وجوب بر الوالدين وحذر من عقوقهما أعقب ذلك بالتوصية بحسن الصحبة الى أصحابه بعد موته لأن ذلك من بره فقال

وَأَحْسِنْ الَى أَصْحَابِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ ... فَهَذَا بَقَايَا بِرِّكَ الْمُتَعَوَّدِ

(وأحسن) بالمودة وتحسين الأخلاق وحسن الصحبة ولين الجانب واطلاق الوجه وحسن البشاشة (الى أصحابه) أي الوالد سواء كان الأب أوالأم بأن يكرم صويحباتها (بعد موته) أي والده ولعل هذا القيد أغلبي فيحسن الى أصحابه ولو حيا لكن لما كان الأغلب انما يحتاجونه بعد وفاة والده قيدوه بكونه بعد الموت (فهذا) أي احسانك الى أصحاب والدك (بقايا) أي كمال (بره) منك فان لم تفعل فليس برك له كاملا بل عليك الاحسان لاصحاب والدك لكمال بره (المتعود) منك يعني المعتاد وفي بعض النسخ المتزود يعنى المتخذ زادا لكون ذلك صدر منك ووالدك في دار البرزخ فكانك أرسلته زاداله أحوج ما هو اليه وذلك لما أخرج أبو داود وابن ماجه عن أبي أسيد مالك بن ربيعة رضي الله عنه قال بينا نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي من برابوي شيء أبرهما به بعد موتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عبدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما واكرام صديقهما ورواه ابن حبان في صحيحه وزاد في آخره قال الرجل ما أكثر هذا يارسول الله واطيبه قال فاعمل به وتقدم حديث ابن عمر في الذى قال له النبي صلى الله عليه وسلم هل لك من خالة (وأخرج) مسلم عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان رجلا من الاعراب لقيه بطريق مكة فسلم عليه عبد الله بن عمر وحمله على حمار كان يركبه واعطاه عمامة كانت على رأسه قال ابن دينار فقلنا اصلحك الله انهم الاعراب وهم يرضون باليسير فقال عبد الله بن عمران ابا هذا كان ود العمر بن الخطاب واني سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول ان ابر البر صلة الولد اهل ود ابيه (وأخرج) ابن حبان في صحيحه عن أبي بردة قال قدمت المدينة فأتاني عبد الله بن عمر فقال أتدري لم أتيتك قال قلت لاقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من احب ان يصل اباه في قبره فليصل اخوان أبيه وانه كان بين ابي عمر

مطلب في بر الرجل أبويه بعد موتهما

و بين ابيك اخاء وود فأحببت أن أصل ذاك . وقدورد في هذا الباب عدة أخبار من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الود يتوارث والبغض يتوارث وقوله ثلاث يطفين نور العبد أن يقطع ودابيه و يبدل سنة صالحة و يزني ببصره في الحجرات . وذكر في الآداب الكبري قال مكتوب في بعض كتب الله لا تقطع من كان أبوك يصله فيطفى نورك انتهى . وقال عبد العزيز بن أبى الرواد اذا كان الرجل بارا بابويه في حياتهما ثم لم يف بعد موتهما بنذورهما ولم يقض ديونهما كتب عند الله تبارك وتعالي عاقا واذا كان لم يبرهما وأوفي بنذورهما وقضى ديونهما كتب عند الله سبحانه وتعالى بارا ذكره الحجاوي رحمه الله . وقال أبو الليث في تنبيهه فان سأل سائل ان الوالدين اذا ماتاساخطين على الولد هل يمكنه ان يرضيهما بعد وفاتهما قيل له بل يرضيهما بثلاثة أشياء أولها أن يكون الولد صالحا في نفسه لأنه لا يكون شيء أحب اليهما من صلاحه والثاني ان يصل قرابتهما واصدقاءهما والثالث ان يستغفر لهما و يدعو لهما و يتصدق عنهما . وذكر عن بعض التابعين ان من دعا لأبويه في كل يوم خمس مرات فقد ادى حقهما لقوله تعالى ان اشكر لي ولوالديك الي المصير . فشكر الله أن تصلي في كل يوم خمس مرات وكذا شكر الوالدين ان تدعو لهما في كل يوم خمس مرات والله أعلم . ولما انهى الكلام على حقوق الوالدين ذكر شذرة من أحكام القرآن العظيم فقال

وَيُكْرَهُ فِي الحَمَّامِ كُلُّ قِرَاءَةٍ ... وَذِكْرُ لِسَانٍ وَالسَّلَامُ لِمُبْتَدِي

(و يكره) كراهة تنزيه (في) داخل (الحمام) وما يتبعه في بيع من المسلخ والسطح والقميم (كل قراءة) لقرآن في المنصوص على الاصح صيانة له ورواه سعيد عن علي وحكاه الامام ابن عقيل عن علي وابن عمر قال في شرح الكبير ولم يكرهه النخعي ومالك ومفهوم قوله كل قراءة يعني كثيرها وقليلها ومثل الحمام جميع المحال القذرة (نادرة) ذكر الامام الحافظ جلال الدين السيوطي في أوائله ان أول من دخل الحمام النبي سليمان عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام . وصنعت له النورة من أجل بلقيس وذلك انه لما تزوج بلقيس قالت لم يمسني حديد قط فكره

سليمان الموسى فسأل الجن فقالوا لا ندري فسأل الشياطين فقالوا انا نحتال لك حتى تبقي كالفضة البيضاء فاتخذوا النورة والحمام فلما دخله وجد حره وغمه فقال أواه من عذاب الله اواه قبل أن يكون اواه ورواه الطبراني عن ابي موسى الاشعري مرفوعا قلت وذكر بعض الاطباء ان اول من وضعه الاستاذ كالبيمارستان قاله ابن جبريل استفاده من شخص دخل غارا وسقط في ماء حار من الكبريت وبه تعقيد العصب فزال فحدث الحكيم ان اسخان الماء في موضع يسخن فيه الهواء جيد فأحدثه قال هذا الطبيب وأفضل الحمام مطلقا حمام عال مرتفع في البناء لئلا يحصر الانفاس المختلفة فيفسد بها و ينحل الهواء فيه بسرعة بعد تحلحل وانبساط ويلطف البخار الصاعد الى الاعلى كما تشاهده من قبة الانبيق فان اتسع مع ذلك كان أقوى في تفريق الهواء وتلطيفه وقبوله التكيف فيما ذكر لاسيما ان طال عهده وقدم بناؤه لفساد الجديد بأبخرة الاحجار والطين وعفونة ما يشرب من الماء في أجزائه و برده قال ولا يصدق علي الحمام القدم الا بعد سبع سنين فحينئذ يكون غاية خصوصا ان عذب ماؤه ولطف هواؤه وأحكم صانعه مزاجه وينبغي مع ذلك ان يكون مسلخه لطيف الصنعة واسع الفضاء وان يشتمل داخله على البيوت الكثيرة الرطوبة اللطيفة أولا وليكن دخوله على التدريج بأن يمكث أولا في الاول حتى يألف الهواء الحار بالنسبة الى الذي كان فيه ثم الثاني لانه يشبه الاول من وجه ولا يدخل الثالث الا عند ارادة الخروج فانه يجفف قوى التحليل ويقدم يساره في الحمام والمغتسل دخولا والاولى ان يغسل قدميه وابطيه بماء بارد عند دخوله ويلزم الحائط ويقصد موضعا خاليا ويقلل الالتفات ولا يطيل المقام الا بقدر الحاجة ويغسل قدميه عند خروجه بماء بارد فانه يذهب الصداع كما في المستوعب قال ابن الجوزي في منهاج القاصدين يكره دخول الحمام قريبا من الغروب وبين العشاءين لانتشار الشياطين انتهى وفي الاقناع لا يكره ذلك وكره الامام رضي الله عنه بناء الحمام وبيعه واجارته وشراءه وقال الذى يبني حماما للنساء ليس بعدل وعمدة الحمام الدلك والدهن والانتقاع ويكون كل واحد من هذه الثلاثة باعتدال من غير افراط ولا تفريط وأفضل الانتقاع ما كان في الابازين يعني المغاطس • وقد قال بعض

مطلب في الحمام وكيفية الدخول فيها والاستحمام

الاطباء من دخل الحمام ولم يتغمز ولم ينتقع فقد جلب الضرر الى نفسه أراد بالغمز الدلك وقيل التكبيس ولامنافاة فان الغمز والدلك والتكبيس المراد بها واحد وينبغي التدريج في الخروج منه فان خرج دفعة واحدة حصل له بعض ضرر خصوصا في الشتاء وينبغي الراحة بعده كالنوم • قال بعض الاطباء نومة بعد الحمام خير من شربة وليتدثر فان نكاية البرد عقبه شديدة وهذه فوائد أجنبية ودخول الحمام مباح للرجال فان خيف محرم كره وان علم حرم والله أعلم (و) يكره في الحمام أيضا كل (ذكر لسان) أى كل ذكر من أذكار الله حيث كان باللسان بخلاف ذكر القلب فانه لا يكره وحجة كراهة الذكر في الحمام ماروى سعيد في سننه ان عمر رضي الله عنه كتب لايدخل أحد الحمام الا بمئزر ولا يذكر الله تعالى فيه حتى يخرج وهذا احدى الروايتين والمعتمد عدم الكراهة جزم به فى الاقناع وغيره لان ذكر الله تعالى في كل مكان حسن مالم يرد المنع منه وروى ان أبا هريرة رضي الله عنه دخل حماما فقال لااله الا الله وكان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه (و) يكره في الحمام أيضا (السلام) حيث كان (لمبتدى) يعني يكره ابتداء السلام في الحمام خلافا لما في المغني وأما الرد فمباح هنا قال في الشرح الكبير الاولى جوازه من غير كراهة لعموم قوله عليه السلام أفشوا السلام بينكم ولانه لم يرد فيه نص والاشياء على الاباحة • وفي الآدب لايسلم ولايرد على مسلم وتوسط الحجاوى كالناظم في شرح المنظومة فكره الابتداء دون الرد وهو ظاهر الاقناع والمنتهى وغيرهما خلافا لما قدمه الشيخ م ص والله أعلم (فوائد) في أشياء من آداب قراءة القرآن (الاولى) تكره القراءة حال خروج الريح ومع الجنازة جهرا لاحال لمس الذكر أو الزوجة • قال فى الاقناع ولا بأس بالقراءة في كل حال قائما وجالسا ومضطجعا وراكبا وماشيا ولاتكره فى الطريق نصا ولامع حدث أصغر ونجاسة بدن وثوب ولاحال مس الذكر والزوجة والسرية وتكره في المواضع القذرة واستدامتها حال خروج الريح وجهره بها مع الجنازة ولا تمنع نجاسة الفم القراءة انتهي قال في شرحه ذكره القاضي • وقال ابن تميم الاولى المنع وفي الآداب الكبرى ويحتمل أن يمنع منها نجس الفم وقال ابن تميم لاتمنع نجاسة الفم قراءة القرآن

ذكره القاضي والاولى المنع انتهى . قال في الآداب وزاد القاضي فيما لا تكره القراءة فيه حال أكله لحم الجزور وغسله للميت على احتمال فيه لعدم استقرار تلك الحال انتهى . ويكره الحديث عند القرآن بما لا فائدة فيه لقوله تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون وكره الامام السرعة في القراءة وتأوله القاضي اذا لم يبين الحروف وترك السرعة أكمل . وكره أصحابنا قراءة الادارة قاله في الاقناع تبعاً للآداب الكبرى وقال حرب هي حسنة . وفي المستوعب قراءة الادارة وتقطيع حروف القرآن مكروه عنده قال في الاقناع وهي ان يقرأ قارئ ثم يقطع ثم يقرأ غيره قال م ص أي بما بعد قراءته أما لو أعاد ما قرأه الاول وهكذا . فلا ينبغي الكراهة لان جبريل كان يدارس النبي صلى الله عليه وسلم القرآن وفي رمضان . وحكى شيخ الاسلام رضي الله عنه عن أكثر العلماء انها حسنة كالقراءة مجتمعين بصوت واحد وكره الامام احمد رضي الله عنه قراءة الالحان وقال هي بدعة وفي الحديث في اشراط الساعة ان يتخذ القرآن مزامير يقدمون أحدهم ليس باقرئهم ولا أفضلهم الا ليغنيهم غناء . وقال رضي الله عنه في رواية يعقوب لا يعجبني أن يتعلم الرجل الالحان الا أن يكون حزمه مثل حزم أبي موسى . وفي لفظ الا أن يكون ذلك حزمه فيقرأ بحزن مثل صوت أبي موسى . وذكر الشافعي رضي الله عنه في موضع أكره القراءة بالألحان . وفي موضع لا أكرهها . وقال القاضي عياض اختلفوا في القراءة بالالحان فكرهها مالك والجمهور لخروجها عما جاء القرآن له من الخشوع والتفهم . وأباحها ابو حنيفة وجماعة من السلف للأحاديث ولان ذلك سبب للرقة واثارة الخشية واقبال النفوس على استماعه . وقال شيخ الاسلام قدس الله روحه قراءة القرآن بصفة التلحن الذي يشبه تلحن الغناء مكروه مبتدع نص علي ذلك مالك والشافعي واحمد وغيرهم من الأئمة رضي الله عنهم . وفي الاقناع فان حصل معها أي الالحان تغير نظم القرآن وجعل الحركات حروفاً حرم . ولا يكره الترجيع وتحسين القراءة بل ذلك مستحب لحديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً ما أذن الله لشئ كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن يجهر به رواه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن بأصواتكم . وقال ليس منا من لم يتغن بالقرآن . قالت طائفة من العلماء معناه

مطلب في قراءة القرآن بالالحان

تحسين قراءته وترنمه به ورفع صوته بها . وذكر ابو عبيدة وجماعة يتغنى به وكره ابن عقيل القراءة في الاسواق يصيح فيها اهلها بالنداء والبيع ورفع الصوت بقراءة تغلط المصلين . لما روي الامام أحمد في المسند عن علي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يرفع الرجل صوته بالقراءة قبل العشاء وبعدها يغلط اصحابه وهم يصلون . وقال شيخ الاسلام من كان يقرأ القرآن والناس يصلون تطوعاً فليس له ان يجهر جهراً يشغلهم به فان النبي صلى الله عليه وسلم خرج على اصحابه وهم يصلون من السحر فقال ايها الناس كلكم يناجي ربه فلا يجهر بعضكم على بعض في القراءة • وذكر الحافظ ابو موسى وغيره ان من جملة الآداب ان لا يجهر بين مصلين او نيام او تالين جهراً يؤذيهم (الثانية) يستحب ترتيل القراءة واعرابها وتمكين حروف المد واللين من غير تكلف • قال الامام احمد رضي الله عنه تعجبني القراءة السهلة • وسئل رضي الله عنه في رواية جعفر بن احمد اذا قام الرجل من الليل أحب اليك الترسل أو السرعة فقال أليس قد جاء بكل حرف كذا وكذا حسنة قالوا له في السرعة قال اذا صور الحرف بلسانه ولم يسقط من الهجاء قال القاضي وظاهر هذا انه اختار السرعة وقد قدمنا انه كره السرعة اذا لم يبين الحروف فلا منافاة . قال القاضي أقل الترتيل ترك العجلة في القرآن عن الابانة ومعناه انه اذا بين ما يقرأ به فقد أتى بالترتيل وان كان مستعجلا في قراءته واكمله ان يرتل القراءة ويتوقف فيها ما لم يخرجه ذلك الى التمديد والتمطيط فاذا انتهى الى التمطيط كان ممنوعاً قال وقد أومأ الامام احمد الى معنى هذا فقال في رواية أبي الحارث تعجبني قراءة القرآن السهلة ولا تعجبني هذه الالحان . قال شيخ الاسلام طيب الله روحه ونور ضريحه التفهم فيه يعني القرآن والاعتبار مع قلة القراءة أفضل من ادراجه بغير تفهم وقال قراءة القرآن اول النهار بعد الفجر افضل من قراءته آخره وكان ذلك لقوله تعالى وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهوداً • وقال الامام احمد رضي الله عنه يحسن القارئ صوته بالقرآن ويقرأ بحزن وتدبر وهو معنى قوله عليه السلام ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن نص عليه • قال الامام العلامة في الآداب الكبرى قوله اذن بكسر الذال المعجمة ومعناه الاستماع • وقوله كاذنه هو بفتح الهمزة

والذال وهو مصدر أذن يأذن اذنا كفرح يفرح فرحا. وفي رواية في الصحيح كاذنه بكسر الهمزة واسكان الذال قال القاضي عياض هو على هذه الرواية يعني الحث على ذلك والأمر به انتهى . قلت والذي في مطالع الأنوار تهذيب الامام الحافظ أبي اسحاق ابراهيم بن يوسف بن ابراهيم المعروف بابن قرقول قوله ما أذن الله كاذنه بفتح الذال في المصدر وكسرها في الماضي ومعناه استمع استماعه قال ووقع في مسلم من رواية يحيى بن أيوب كاذنه من الاذن يعني بالكسر وسكون الذال قال والأول أولى بمعنى الحديث وأشهر في الرواية وقد غلط الخطابي هذه الرواية لأن مقصد الحديث لا يقتضي أنه أراد الاذن والفعل واذا كان بمعنى الاعلام قيل فيه اذن ايذانا انتهى . وفي لفظ في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعا ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به ومعنى أذن استمع . وروى الامام أحمد وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم والبيهقي عن فضالة بن عبيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لله أشد أذنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قينته وقال الحاكم صحيح على شرطهما والقينة بفتح القاف واسكان الياء المثناة تحت بعدهما نون هي الأمة المغنية والله الموفق . (الثالثة) ذكر جماعة من أصحابنا وغيرهم منهم الآجري والحافظ أبو موسى وابن مفلح في الآداب والحجاوي في اقناعه وشرح منظومة الآداب وغيرهم لقراءة القرآن آدابا منها ادمان تلاوته والبكاء فان لم يكن فالتباكي وحمد الله عند قطع القراءة على توفيقه ونعمته وسؤال الثبات والإخلاص والسواك ابتداء وسؤال الرحمة عند آية رحمة وأن يتعوذ عند آية عذاب والجهر بالقراءة ليلا لا نهارا وأن يوالي قراءته ولا يقطعها بحديث الناس ما لم تعرض حاجة وأن يقرأ بالقراءة المستفيضة لا الشاذة الغريبة وأن تكون قراءته يعني ابتداءها على الصالحين العدول العارفين بمعانيها وأن يقرأ ما أمكنه في الصلاة لأنها أفضل أحوال العبد . وفي الحديث ان القراءة في الصلاة تضاعف على القراءة خارجا عنها وأن يتحرى قراءته متطهرا وأن يستقبل القبلة ان كان قاعدا وأن يكثر التلاوة في رمضان وأن يتحرى أن يعرضه كل عام على من هو أقرأ منه وأن يقرأه بالاعراب

وتقدم . قال في الآداب الكبرى قال بعض أصحابنا ان المعنى الاجتهاد على حفظ اعرابه لا أنه يجوز الاخلال به عمداً فان ذلك لا يجوز و يؤدب فاعله لتغييره القرآن وأن يفخمه لأنه روي عنه عليه السلام نزل القرآن بالتفخيم . قال الحافظ أبو موسى معناه أن يقرأه على قراءة الرجال ولا يخضع الصوت به ككلام النساء وليس معناه كراهة الامالة ويحتمل ارادتها ثم رخص فيها وأن يفصل كل سورة مما قبلها بالوقف أو التسمية ولا يقرأ من أخرى قبل فراغ الأولى وأن يقف على رؤوس الآي وان لم يتم الكلام قاله أبو موسى وفيه خلاف بينهم كوقفه عليه السلام في قراءة الفاتحة على كل آية وان لم يتم الكلام قال أبو موسى ولأن الوقف على آخر السور لا شك في استحبابه وقد يتعلق بعضها ببعض كسورة الفيل مع قريش وأن يعتقد جزيل ما أنعم الله تعالى به عليه اذ أهله لحفظ كتابه و يستصغر عرض الدنيا أجمع في جنب ما خوله تعالى ويجتهد في شكره وأن يترك المباهاة وأن لا يطلب به الدنيا بل ما عند الله وأن لا يقرأ في المواضع القذرة وينبغي أن يكون ذا سكينة ووقار وقناعة ورضا بما قسم الله تعالى مجانبا للدنيا محاسبا لنفسه يعرف القرآن في خلقه وسمته لانه صاحب كتاب الملك والمطلع على ما وعد فيه وأوعد وحث عليه وهدد فاذا بدرت منه سيئة بادر محوها بالحسنة . وروى الحافظ أبو موسى باسناده عن ابن مسعود رضي الله عنه . قال ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله اذا الناس نائمون . و بنهاره اذا الناس مفطرون . و بحزنه اذا الناس يفرحون . و ببكائه اذا الناس يضحكون . وبصمته اذا الناس يخلطون . وبخشوعه اذا الناس يختالون . وينبغي أن يكون باكيا محزونا حكيما عليما سكينا ولا يكون جافيا ولا غافلا ولا صخابا ولا صياحا ولا حديدا.

(الرابعة) استحب الامام أحمد رضي الله عنه التكبير من أول سورة الضحى الى ان يختم ذكره في الآداب عن ابن تميم وغيره قال وهو قراءة أهل مكة أخذها البزي عن ابن كثير عن مجاهد واخذها مجاهد عن ابن عباس واخذها عن ابي بن كعب واخذها ابي عن النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم روى ذلك جماعة منهم البغوي في تفسيره والسبب في ذلك انقطاع الوحي. وهذا حديث غريب راويه أحمد بن محمد بن عبد

الله البزي وهو ثبت في القراءة ضعيف في الحديث ومن ثم قال ابو حاتم الرازي هذا حديث منكر . وسئل شيخ الاسلام رضي الله عنه عن جماعة قرؤا يعني ختموا بغير تهليل ولا تكبير . قال اذا قرؤا بغير حرف ابن كثير كان تركهم لذلك هو الافضل بل المشروع المسنون . (الخامسة) يسن التعوذ قبل القراءة فان قطعها قطع ترك واهمال اعاد التعوذ اذا رجع وان كان لعذر عازما على اتمامها اذا زال العذر كفاه التعوذ الأول وان تركها قبل القراءة فاستوجه ابن مفلح في آدابه أنه يأتي بها ثم يقرأ لان وقتها قبل القراءة للاستحباب فلا يسقط بتركها ولان المعنى يقتضي ذلك اما لو تركها حتى فرغ سقطت لعدم القراءة ويستحب قراءة البسملة في أول كل سورة في الصلاة وغيرها نصا والمراد سوى براءة فيكره وان اعتقد ذلك قربة منع منه فان قرأ من بعض السورة فلا بأس بقرآتها نصا وان قرأ في غير صلاة فهو بالخيار بين الجهر والاخفات نصا قال القاضي محصول المذهب انه بالخيار في الجهر والاسرار كما كان مخيرا في أصل القراءة بين الجهر والاسرار والاستعاذة وعنه يجهر بها مع القراءة وعنه لا . (السادسة) قراءة القرآن في المصحف أفضل قال القاضي انما اختار الامام أحمد قراءة المصحف للاخبار أي وليجمع بين فضيلتي الذكر والنظر فان النظر في القرآن عبادة . وروى الطبراني عن عثمان بن عبد الله بن أويس الثقفي عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءة الرجل القرآن في غير المصحف ألف درجة وقراءته في المصحف تضاعف على ذلك الى الفي درجة . قال صاحب الآداب الكبرى كذا نقلته من خط ضياء الدين قال وذكر الحافظ ابو موسى في الوظائف في ذلك آثارا . قال وفي الحديث النظر في المصحف عبادة . وروى ابن ابي داود باسناده عن ابي الدرداء رضي الله عنه مرفوعا من قرأ مائتي آية كل يوم نظرا شفع في سبعة قبور حول قبره وخفف العذاب عن والديه وان كانا مشركين وهذا والله أعلم غير ثابت ومن ثم حذفه اليونيني في مختصره للآداب الكبرى ومن ثم عقد صاحب الآداب الكبرى بعد ذكره لهذا الاثر وامثاله فصلا تكلم فيه على اختلاف الناس في العمل بالحديث الضعيف فهذا الخبر كالذين قبله اقل مراتبها الضعف وقال ابن الجوزي وينبغي لمن كان عنده مصحف أن يقرأ فيه كل يوم ولو آيات يسيرة لئلا يكون مهجورا والله أعلم

(السابعة) يستحب ختم القرآن العظيم في كل أسبوع نصا لقوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما اقرأ القران في كل أسبوع ولا تزيدن على ذلك رواه ابو داود وان قرأه في ثلاثة أيام فحسن لما روي عن عبد الله بن عمر وقال قلت يارسول الله ان لى قوة قال اقرأه في ثلاث رواه ابو داود ايضا . ولا بأس بالختم فيما دونها احيانا وفي الاوقات الفاضلة كرمضان خصوصا في الليالي التي تطلب فيها ليلة القدر كاوتار العشر الاخير وفي الاماكن الفاضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها فيستحب الاكثار فيها من قراءة القران اغتناما للزمان والمكان قال في الآداب وتجوز قراءته كله في ليلة واحدة وعنه تكره المداومة على ذلك قال وعنه ان ذلك غير مقدر بل هو على حسب حاله من النشاط والقوة لانه روي عن عثمان رضي الله عنه انه كان يختمه في ليلة وروى ذلك عن جماعة من السلف ويكره تاخير ختمه اكثر من اربعين يوما بلا عذر نصا وحرم ان خاف نسيانه ويكون الختم في الشتاء اول الليل وفي الصيف اول النهار قال ذلك ابن المبارك وذكره ابوداود للامام احمد فكانه أعجبه . وروي طلحة بن مصرف قال ادركت اهل الخير من صدر هذه الامة يستحبون الختم أول الليل وأول النهار يقولون اذا ختم في أول النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي واذا ختم في أول الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح ورواه الدارمي عن سعد بن أبي وقاص باسناد حسن ويجمع أهله وولده عند الختم ندبا رجاء عود البركة عليهم أجمعين وقد نص على ذلك الامام رضي الله عنه قال كان أنس رضي الله عنه اذا ختم القرآن جمع أهله وولده فاذا ختم شرع في أخرى لحديث أنس خير الاعمال الحل والراحلة قيل وما هما قال افتتاح القرآن وختمه ويدعو ولا يكرر سورة الصمد ولا يقرأ الفاتحة وخمسا من البقرة عقب الختم نصا قال في الشرح الكبير ولعله لم يثبت عنده أثر صحيح وقيل يجوز بعد الدعاء وقيل يستحب ذكره في الآداب الكبري (الثامنة) قال في الاقناع وغيره لايجوز أن يجعل القرآن بدلا من الكلام مثل أن يرى رجلا جاء في وقته فيقول ثم جئت على قدر يا موسى . قال في المغنى والشرح الكبير لانه استعمال له في غير ماهو له أشبه استعمال المصحف في التوسد

مطلب لايجوز أن يجعل القرآن بدلا من الكلام

وفي الرعاية في الاعتكاف ان ذلك مكروه وهو الذي ذكره في التلخيص وفي الآداب الكبري سئل ابن عقيل رحمه الله تعالى عن وضع كلمات وآيات من القرآن في أواخر فصول خطبة وعظية فقال تضمين القرآن لمقاصد تضاهي مقصود القرآن لا بأس به تحصينا بالكلام كما يضمن في الرسائل الى المشركين آيات مقتضية الدعاية للاسلام فاما تضمين كلام فاسد فلا ككتب المبتدعة . وقد انشدوا في الشعر

ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنينا

ولم ينكر على الشاعر ذلك لما قصد مدحة الشرع وتعظيم شأن أهله كما ان تضمين القرآن في الشعر شائع لصحة القصد وسلامة الوضع والله أعلم (التاسعة) يجوز تفسير القرآن العظيم بمقتضى اللغة العربية لا بالرأي من غير لغة ولا نقل فمن قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار وأخطأ ولو أصاب . لما روي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار رواه أبو داود والنسائي والترمذي وحسنه ومعنى قال في القرآن برأيه أي فسره بحدسه وفهمه وعقله ومعنى فليتبوأ أي فليتخذ ويتهيأ وينزل منزله من النار . (وأخرج) أبو داود والنسائي وابن ماجه والترمذي وقال غريب عن جندب مرفوعا من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ . قال في الآداب ويقبل تفسير الصحابي ويلزم قبوله ان قلنا قوله حجة وقال ابن تميم يرجع الى تفسير الصحابة للقرآن قال وقال تفسير الصحابي كقوله فان قلنا هو حجة لزم المصير الى تفسيره وان قلنا ليس بحجة ونقل كلام العرب في ذلك صير اليه وان فسره اجتهادا وقياسا على كلام العرب لم يلزم والمذهب أن قول الصحابي حجة مالم يخالف نصا أو يعارض بمثله أو بأقوى منه فيرجع الى تفسير الصحابة رضي الله عنهم لأنهم شاهدوا التنزيل . وحضروا التأويل فهو أمارة ظاهرة لا التابعي لان قوله ليس بحجة على المشهور . قال في الفروع الا أن ينقل ذلك عن العرب ولا يعارضه مانقله المروذى عن الامام تنظر ماكان عن النبي صلى الله عليه وسلم فان لم يكن فعن الصحابة فان لم يكن فمن التابعين

مطلب في الاستماع للقراءة والخشوع

لامكان حمله على اجماعهم لا على ما انفرد فيه أحدهم قاله القاضي والله تعالى أعلم
(العاشرة) يستحب استماع القراءة للآية الشريفة وحكي ابن المنذر الاجماع على عدم
وجوب الاستماع للقراءة في غير الصلاة والخطبة وقد تكلم شيخ الاسلام رضي
الله عنه على الخشوع وفضله وذم قسوة القلب والغفلة فقال ان قيل فخشوع
القلب لما نزل من الحق واجب قيل نعم لكن الناس فيه على قسمين مقتصد
وسابق والسابقون يختصون بالمستحبات والمقتصدون الابرار هم عموم المؤمنين
المستحقين للجنة ومن لم يكن من هؤلاء ولا هؤلاء فهو ظالم لنفسه . والمروي
عنه عليه الصلاة والسلام وعن الصحابة رضى الله عنهم عن استماعه انما هو فيض
الدموع واقشعرار الجلود ولين القلوب كما قال الله تعالى الله نزل أحسن
الحديث كتابا الآية وقرأ ابن مسعود عليه صلى الله عليه وسلم النساء
فلما بلغ الى قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك فالتفت اليه واذا عيناه
تذرفان متفق عليه . وأما الصعق والغشي ونحو ذلك فحدث في التابعين لقوة الوارد
وضعف المورود عليه والصحابة رضى الله عنهم لقوتهم وكمالهم لم يحدث فيهم .
قال في الآداب الكبرى فأقدم من علمت هذا عنه الامام الرباني من أعيان
التابعين الكبار الربيع بن خيثم رحمه الله سمع ابن مسعود رضي الله عنه يقرأ اذا
رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا فصعق وكان قبل الظهر فلم يفق
الى الليل وكذا الامام القاضي التابعي المتوسط زرارة بن أوفى رحمه الله تعالى قرأ
في الصلاة فلما بلغ فاذا نقر في الناقور شهق فمات وكان هذا الحال يحصل كثيرا
للامام علما وعملا الشيخ الامام شيخ سيدنا الامام أحمد يحيي بن سعيد القطان
وكان الامام أحمد يقول لو قدر أحد أن يدفع هذا عن نفسه دفعه يحيي وحدث
ذلك لغير هؤلاء فمنهم الصادق في حاله ومنهم غير ذلك ولعمري ان الصادق منهم
عظيم القدر لانه يدل على حضور قلب حي وعلم معنى المسموع وقدره واستشعار
معنى المطلوب وفخامة أمره لكن الحال الاول أكمل والمتصف به أرقى وأفضل
فانه يحصل لصاحبه ما يحصل لهؤلاء وأعظم مع ثبات قوة جنانه ورسوخ بنيانه
نعم كثر لا سيما في هذه الازمان التزوير والتلبيس وأكثر من ترى ممن يدعي

ذلك في عصرنا اذا حققت في الامعان عن حاله تلفيه من حزب ابي مرة ابليس مع الدعوى العريضة ، والقلوب الميتة أو المريضة ، والجهل بالاوامر ، وعدم معرفة الناهي الآمر ، مع الرياء والسمعة ، والجهل والبدعة . والتهافت على حطام الدنيا وقاذوراتها ولا تهافت الذباب ، والحرص على العكوف على لذاتها والاختلاس لها ولا اختلاس الذئاب ، واطراق الرؤس عند سماع رقى الشيطان ، وغفلة القلب عند حضور مجالس الذكر والقرآن . فالله يعاملنا بالصفح والغفران ، ويثبتنا على الاسلام والايمان ، انه ولي الاحسان ، وقال في الآداب الكبري روى النسائي ان أباهريرة رضي الله عنه لما حدث بحديث الثلاثة الذين تسعر بهم النار زفر زفرة وخر مغشيا عليه ثم ثانية ثم ثالثة ثم حدث به والحديث في صحيح مسلم وغيره بدون هذه الزيادة فان صح فهو أول من علمت حدث له ذلك . وذكر الحافظ ابن الاحصر فيمن روى عن الامام أحمد في ترجمة ابراهيم بن عبد الله القلانسي قال قيل للامام أحمد بن حنبل الصوفية يجلسون في المساجد بلا علم على سبيل التوكل قال العلم أجلسهم فقيل ليس مرادهم من الدنيا الا كسرة خبز وخرقة قال لا أعلم على وجه الأرض أقواما أفضل منهم قيل أنهم يسمعون ويتواجدون فقال دعوهم يفرحوا مع الله تعالى ساعة فقيل منهم من يغشى عليه ومنهم من يموت فقال وبدالهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون . قال في الآداب الكبرى كذا روي في هذه الرواية والمعروف خلاف هذا عنه ولعل مراده أنهم يستمعون ويتواجدون عند القرآن فيحصل لبعضهم ما يحصل من الغشي والموت كما كان يحصل ليحيى بن سعيد القطان وعذره الامام احمد رضي الله عنهم فلا مخالفة والله أعلم انتهى . فان قلت أليس قد ذكر أبو طاهر المقدسي من حديث أنس وصاحب العوارف أن النبي صلى الله عليه وسلم أنشد بحضرته رجل

قد لسعت حية الهوى قلبي | فلا طبيب لها ولا راقي
الا الحبيب الذي شغفت به | فانه علتي وترياقي

قال فتواجد النبي صلى الله عليه وسلم وتواجد أصحابه رضي الله عنهم حتى سقط رداؤه عن منكبه فلما فرغوا آوى كل واحد الى مكانه ثم قال عليه الصلاة والسلام

يستحب للأثر ودعاء الرغبة ببطن الكف والرهبة بظهره مع قيام السبابة لفعله عليه الصلاة والسلام قال القاضي تستحب الاشارة الى نحو السماء في الدعاء . قال الامام ابن القيم في الكلم الطيب والعمل الصالح الذكر أفضل من الدعاء لان الذكر ثناء على الله عز وجل بجميل أوصافه وآلائه وأسمائه والدعاء سؤال العبد حاجته فأين هذا من هذا ولهذا في الحديث من شغله ذكري عن مسئلتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ولذا كان المستحب في الدعاء أن يبدأ الداعي بحمد الله والثناء عليه بين يدي حاجته ثم يسأل حاجته كما جاء في عدة أحاديث وذكر منها طرفا . منها ما رواه الامام أحمد والترمذي وقال حسن صحيح والحاكم في صحيحه عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يدعو في صلاته لم يمجد الله ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له أو لغيره اذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو بعد بما شاء وقوله صلى الله عليه وسلم في دعاء الكرب لا اله الا الله الحليم العظيم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات ورب الارض رب العرش الكريم . وينبغي تحري المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم ويمد يديه في حال الدعاء مع الانكسار والخضوع . والمسكنة والخشوع . واظهار الذل وسفك الدموع . ولا يتكلف السجع في الدعاء فانه يشغل القلب ويذهب الخشوع . وان دعا بدعوات محفوظة معه له أو لغيره من غير تكلف سجع فليس بممنوع . ويخفض صوته بالدعاء ويكثر من الاستغفار والتلفظ بالتوبة والتوسل بعظيم كرمه جل شأنه . وتعالى سلطانه وليجتنب الاعتداء فيه وليكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وتقدمت الاشارة الى ذلك

وَنَقْطٌ وَشَكْلٌ فِي مُقَالٍ لِمُصْحَفٍ ... وَلاَ تَكْتُبَنْ فِيهِ سِوَاهُ وَحَدِّدِ

(و) يكره في رواية مرجوحة (نقط) المصحف يقال نقطه ونقطه أعجمه والاسم النقطة بالضم والجمع نقط كصرد ونقاط ككتاب (و) كذا يكره (شكل) جمع شكلة

يقال شكل الكتاب أي أعجمه كأشكله كأنه أزال عنه الاشكال (في مقال) أي قول (لمصحف) بتثليث الميم والضم أشهر مأخوذ من أصحف بالضم أي جعلت فيه الصحف جمع صحيفة الكتاب . وفي الآداب الكبرى الصحيفة الكتاب والجمع صحف وصحائف . قال أبو جعفر وقيل مصحف لانه مجمع الورق الذي يصفح فيه من مصحف كمكرم ومن قال مصحف بفتح الميم جعله من صحفت مصحفا مثل جلست مجلسا ومن كسر الميم شبهه بمنقل قال في الآداب الكبري في كراهة نقط المصحف وشكله وكتابة الاخماس والاعشار وأسماء السور وعدد الآيات روايتان ومثل ذلك كتابة الاجزاء والاحزاب والارباع والأثمان ومكية ومدنية فقيل يكره وهي اختيار الناظم لان ذلك محدث ولانه اذا جرد لا يكون فيه الا كلام الله تعالى الذى نزله على رسوله و به قال الشعبي والنخعي وعنه مستحب نقطه قال ابن حمدان ومثله شكله و يكره التعشير يعنى ونحوه وعنه لا بأس به والمذهب عدم الكراهة جزم به في الاقناع وغيره لان ذلك صيانة له عن اللحن والتصحيف وأجيب عن القول بالكراهة ان ذلك كان خوفا من التغيير وقد أمن الآن ولا يمنع لكونه محدثا فان من المحدثات ما هو حسن بل وواجب كتصنيف كتب العلم فعلم أن ما ذكره الناظم مما ذكرنا ومن قوله (ولا تكتبن) نهي كراهة مؤكد بالنون الخفيفة (فيه) أي المصحف (سواه) أي القرآن العظيم مما ذكرنا من الاجزاء والاحزاب والانصاف والارباع والأثمان مرجوح ويتخرج على ذلك كتب السجدة في هامش المصحف و رموز القراء وأسماؤهم و ينبغي أن يميز ذلك باختلاف الخط بأن يكتب ذلك جميعه بالحبر الاحمر ونحوه (وحدد) على ذلك فلا تبح الكتابة في المصحف الكريم سوى القرآن العظيم بل كره ذلك . وقد علمت انه مرجوح نعم يحرم مخالفة خط مصحف عثمان رضي الله عنه في واو وياء والف وغير ذلك نص عليه وجاز تقبيل المصحف قدمه في الرعاية وعنه يستحب لأن عكرمة بن ابي جهل رضي الله عنه كان يفعل ذلك رواه جماعة منهم الدارمي باسناد صحيح قال كان يضع المصحف على وجهه ويقول كتاب ربي كتاب ربي ولا يكره تطيب المصحف

مطلب في أول من جمع القرآن وسماه مصحفا

ولا جعله على كرسي أو كيس حرير نص عليه بل يباح ذلك وتركه بالأرض وتكره تحليته بذهب او فضة وعنه لا يكره ومر كلام سيدنا شيخ الاسلام ان الناس اذا اعتادوا القيام لبعضهم او لتوقيعات الامام فقيامهم لكلام رب الانام أولى لانه احري بالتعظيم والاحترام. والله ولي الانعام. (تنبيهات الاول) قال السيوطي في مجمع اللغات اول من جمع القرآن وسماه مصحفا ابو بكر الصديق رضي الله عنه وأول من جمع اللغات في القرآن الشريف على لغة واحدة بلغة قريش عند ظهور الاختلاف في اللغات عثمان بن عفان رضي الله عنه كما في اوائله وقال الامام العلامة الشيخ مرعي في كتابه قلائد المرجان قد اشتهر ان عثمان رضي الله عنه اول من جمع المصاحف وليس كذلك بل أول من جمعها في مصحف واحد ابو بكر الصديق رضي الله عنه قال العلماء كان القرآن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم مفرقا في صدور الرجال ولم يحفظه الا ثلاثة زيد بن ثابت وابي بن كعب وعبد الله بن مسعود وزاد بعضهم وسالم مولى ابي حذيفة رضي الله عنهم . وقد كتب الناس منه في صحف وفي جريد وخزف واقتاب واكتاف واحجار وغير ذلك فلما وقع القتل في اهل اليمامة في خلافة الصديق رضي الله عنه قتل خلق كثير من حملة القرآن فجاء عمر رضي الله عنه الى ابي بكر رضي الله عنه فقال قد علمت من قتل من حملة القرآن واني اخشى ان يقع القتل في القراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن لا يوعى واني أرى ان تأمر بجمع القرآن فقال لعمر كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر هو والله خير فلم يزل يراجع أبا بكر في ذلك الى ان شرح الله صدر أبي بكر لذلك فأرسل الى زيد بن ثابت فقالا يا زيد انت رجل شاب وانت كنت تكتب الوحي فتتبع القرآن فاجمعه قال زيد والله لو كلفاني نقل جبل لنقلته ولكان اهون علي مما أمراني به من جمع القرآن فقلت لهما كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا هو خير فلم يزالا يراجعاني حتى شرح الله صدري لما شرح الله صدرهما وانما اختارا زيدا لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعرض القرآن على جبريل في كل رمضان مرة واحدة فلما كان العام الذى قبض فيه عرضه عليه مرتين فقرأه زيد آخر العرض فلذلك اختاراه قال

فتتبعت القرآن من الرقاع والاكتاف والاقتاب والجريد والصدور وروي انه فقد آخر سورة التوبة لقد جاءكم رسول الى آخرها فوجدها مع خزيمة الانصاري لم يجدها مع غيره فألحقها في سورتها وفي رواية فقدت آية من الاحزاب حين نسخنا الصحف قد كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها فلم أجدها مع أحد الا مع خزيمة الانصاري من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فألحقناها في سورتها وذكر البخاري والترمذي أن أبا بكر رضي الله عنه قرن مع زيد ثلاثة من قريش سعيد بن أبي العاص وعبد الرحمن بن الحارث وعبد الله ابن الزبير فلما جمعوا القرآن في الصحف أخذها أبو بكر رضي الله عنه فكانت عنده الى أن مات ثم عند عمر الى ان مات فجعلت عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهما فلما كانت خلافة عثمان رضي الله عنه اختلفت الناس في القراءة قال انس رضي الله عنه اجتمع القراء في زمن عثمان رضي الله عنه من اذربيجان وارمينية والشام والعراق واختلفوا حتى كاد ان يكون بينهم فتنة وسبب الخلاف حفظ كل منهم من مصاحف انتشرت في خلال ذلك في الآفاق كتبت عن الصحابة كمصحف ابن مسعود ومصحف ابي ومصحف عائشة وفي البخارى عن انس ان حذيفة قدم على عثمان رضي الله عنهم وكان يغازي اهل الشام في فتح ارمينية واذربيجان مع اهل العراق وأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال لعثمان أدرك هذه الامة قبل ان يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان الي حفصة ان ارسلي الينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها اليك فأرسلت بها اليه فأمر زيد بن ثابت وعبد الله ابن الزبير وسعيد بن ابي العاص وعبد الرحمن بن الحارث وقال للثلاثة اذا اختلفتم انتم وزيد في شئ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلسانهم ففعلوا حتي نسخوا الصحف في المصاحف ثم رد عثمان الصحف الى حفصة رضي الله عنهم اجمعين وأرسل في كل أفق مصحفا وامر بما سوى ذلك من صحيفة ومصحف فحرق وروي ان عدة المصاحف التي كتبها عثمان رضي الله عنه اربعة وقيل ستة وقيل سبعة والله تعالي اعلم (الثاني) اول من نقط المصحف الكريم ابو الاسود الدؤلي رحمه الله تعالى بأمر عبد الملك بن مروان وقيل اول من نقطه الحسن البصرى

ويحيى بن يعمر وقيل نصر بن عاصم الليثي رحمهم الله كما في اوائل السيوطي وقال العلامة في قلائد المرجان ذكر شكل المصحف ونقطه روي ان عبد الملك بن مروان اقتربه وعمله وجرد له الحجاج بواسطة وجد فيه وزاد تحزيبه وامر والى العرق الحسن بن يحيى بن يعمر بذلك والف اثر ذلك كتابا في القران جمع فيه ما روي من اختلاف الناس الى أن الف مجاهد كتابه في القرآن وقيل اول من نقط المصحف ابو الأسود الدؤلى انتهى. وقال الامام الحافظ ابن الجوزي في منتخب المنتخب اول من نقط المصحف يحيى بن يعمر والله اعلم (الثالث) ذكر العلماء في ترتيب سور القرآن العظيم خلافا هل كان توقيفا او اجتهادا قال شيخ الاسلام تقي الدين رضوان الله عليه ترتيب السور بالاجتهاد لا بالنص في قول جمهور العلماء من الحنابلة والمالكية والشافعية فيجوز قراءة هذه قبل هذه وكذا في الكتابة ولذا تنوعت مصاحف الصحابة في كتابتها لكن لما اتفقوا على المصحف زمن عثمان صار هذا مما سنه الخلفاء الراشدون. وقد دل الحديث على أن لهم سنة يجب اتباعها واما ترتيب الآيات فثبت بالنص اجماعا (الرابع) قال الامام النووي في التبيان وابن مفلح في الآداب وغيرهما أجمع المسلمون على وجوب تعظيم القرآن العظيم على الاطلاق وتنزيهه وصيانته واجمعوا على ان من جحد حرفا مما اجمع عليه او زاد حرفا لم يقرأ به أحد وهو عالم بذلك فهو كافر. وقال القاضي عياض اعلم أن من استخف بالقرآن او بالمصحف او بشيء منه او جحد حرفا منه أو كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم او خبر اوأثبت مانفاه او نفى ما اثبته وهو عالم بذلك او شك في شيء من ذلك فهو كافر باجماع المسلمين وكذلك ان جحد التوراة اوالانجيل او كتب الله تعالى المنزلة أو كفربها او سبها او استخف بها فهو كافر قال وقد اجمع المسلمون على أن القرآن المتلو في جميع الاقطار المكتوب في المصحف الذي بأيدي المسلمين مما جمعه الدفتان من اول الحمد لله رب العالمين الي آخر قل أعوذ برب الناس كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان جميع ما فيه حق وان من نقص منه حرفا قاصدا لذلك او بدله بحرف آخر مكانه او زاد فيه حرفا لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع عليه الاجماع

وأجمع عليه أنه ليس بقرآن عامدا لكل هذا فهو كافر قال النووي قال ابو عثمان ابن الحذا جميع من ينتحل التوحيد متفقون على ان الجحد بحرف من القرآن كفر وقال هو وابن مفلح وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن شنبوذ المقري أحد أئمة المقرئين المتصدرين بها مع ابن مجاهد لقراءته واقرائه بشواذ من الحروف مما ليس في المصحف وعقدوا عليه الرجوع عنه والتبري منه سجلا أشهد فيه على نفسه في مجلس الوزير ابن مقلة سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة وكذا محمد بن الحسين بن مقسم ابو بكر المقري النحوي أحد الائمة استتيب من قراءته بما لا يصح نقله وكان يقرأ بذلك في المحراب ويعتمد على ما يسوغ في العربية وان لم يعرف له قاريء توفي بعد الخمسين وثلثمائة والله أعلم (فائدة) جملة عدد حروف القرآن كما في قلائد المرجان للعلامة الشيخ مرعي قال روى عن ابن مسعود رضي الله عنه انها ثلثمائة الف واربعة آلاف وسبعمائة وأربعون وقيل ثلثمائة الف وعشرون الفا ومائتان وأحد عشر الفا وقيل غير ذلك . قال وعدد كلماته على ماروي عن ابن مسعود رضي الله عنه سبع وسبعون الفا وتسعمائة وأربعة وثلاثون وقيل سبعون الفا واربعمائة وست وثلاثون وقيل غير ذلك قال وعدد نقطه مائة وخمسون الفا وأحد وثمانون وعدد آياته ستة آلاف وستمائة وستة وستون وقيل غير ذلك وعدد جلالاته الفان وستمائة وأربعة وتسعون وعدد سوره مائة واربعة عشر ويقال نصف القرآن بالحروف حرف الفاء من قوله تعالى في الكهف وليتلطف أو لقد جئت شيئا نكرا . ونصفه بالآيات قوله في الشعراء وهم فيها يختصمون . ونصفه بالسور قد سمع وفي كل آية منها جلالة وأطول آية فيه آية الدين وأقصر آية ثم نظر . واطول كلمة ليستخلفنهم والله سبحانه وتعالى أعلم .

وَغَيِّرْ بِغَيْرِ الْاَسْوَدِ الشَّيْبَ وَابْقِهِ ‏ وَلِلْقَزَعِ اكْرَهْ ثُمَّ تَدْلِيسَ نُهَّدِ

(وغير) أنت استحبابا (بغير) الخضاب (الاسود الشيب) مفعول غير فيسن خضاب الشيب بالحناء والكتم بفتح الكاف والتاء المشددة والمشهور التخفيف كما في نهاية ابن الاثير هو نبت يخلط مع الوسمة و يصبغ به الشعر وقيل هو الوسمة وفي الحديث ان ابابكر رضي الله عنه كان يصبغ بالكتم قال في النهاية ويشبه ان يقال استعمال الكتم

مطلب في عدد حروف القرآن وكلماته وآياته ونقطه وجلالاته وسوره

مفردا عن الحناء فان الحناء اذا خضب به مع الكتم جاء أسود وقد صح النهي عن السواد قال ولعل الحديث بالحناء أو الكتم على التخيير ولكن الروايات على اختلافها بالحناء والكتم انتهى . وفي لغة الاقناع الكتم بفتحتين نبت فيه حمرة يخلط بالوسمة ويختضب به للسواد وقد قيل هو الوسمة . وفي كتب الطب الكتم من نبات الجبال ورقه كورق الآس يخضب به مدقوقا وله ثمر قدر الفلفل ويسود اذا نضج وقد يعتصر منه دهن يستصبح به في البوادى انتهى . والحناء بالمد والتشديد شجر معروف وهو جمع واحده حنان وقال الفراء جمع الحناء حنات بالكسر يقال حنأت رأسي مهموزا وحناه تحنيا وتحنية . واليرناء بضم التحتية وفتح الراء ممدودة يقال يرنأ أي صبغ باليرناء وهو الحناء وهو نبت كالسدر ببلاد العرب بالعين المهملة وهو كثير معروف ببلاد مصر وورقه شبيه بورق الآس يؤخذ فى كل عام مرتين وأصله يسمي البلند كسمند كما في الروضة الغناء في منافع الحناء لسبط المرصفي وقال بعض الاطباء الحناء نبت يزرع ولا يوجد بدون الماء ويعظم حتي يقارب الشجر الكبار بجزائر السويس وما يليها ورقه كورق الزيتون لكنه أعرض يسيرا ونوره أبيض واذا أطلقت الفاغية فالمراد زهره والحناء فورقه وليس لعيدانه نفع واجوده الخالص الحديث وتبطل قوته بعد أربع سنين ولا يكون سحقه بدون الرمل فينبغى ترويقه عند استعماله وليس في المخضبات أكثر سريانا منه اذا خضبت به الرجل أواليد اشتدت حمرة البول بعد عشر درج فبذلك يطرد الحرارة ويفتح السدد وهو يصلح الشعر خصوصا بماء الكسفرة والزفت (فائدة) نقل الامام المحقق في الهدى النبوى وابن مفلح في الآداب الكبرى وسبط بن المرصفي وأكثر من أن أحصي من ذكر ذلك عدا ان الحناء اذا طلي به أسفل الرجلين أول خروج الجدرى أمن على العينين منه وقال بعض الاطباء ان الحناء اذا جعل بماء الورد و يسير العصفر والزعفران ولطخ به أسفل الرجلين عند مبادي الجدري حفظ العين منه فزادنا هذا الطبيب هذه الكيفية والله أعلم اذا علمت هذا فاعلم ان تغيير الشيب بغير السواد مندوب . وفعله مسنون مطلوب . نص عليه امام الأئمة . ومجلي دجى الظلمات المدلهمة . سيدنا الامام أحمد رضوان الله عليه قيل له ما نستحي نخضب فقال سبحان الله سنة رسول الله صلى الله

مطلب في الخضاب وفوائد الحناء

عليه وسلم وأني لا رى الشيخ المخضوب فأفرح به (وفي الصحيحين) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم قال في الآداب الكبرى ويستحب بحناء وكتم لفعل النبي صلى الله عليه وسلم رواه الامام أحمد وابن ماجه واسناده ثقات ولفعل أبي بكر رضي الله عنه متفق عليه ولا بأس بالورس والزعفران قاله القاضي وجزم به الاقناع وغيره وفي التلخيص والشرح وقدم بعض الاصحاب ان خضابه بغير السواد سنة وقال نص عليه وهو ظاهر اطلاق الناظم رحمه الله لما روى أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يلبس النعال السبتية ويصفر لحيته بالورس والزعفران وكان ابن عمر رضي الله عنهما يفعل ذلك قال ابن مفلح حديث حسن ورواه النسائي وقال أبو مالك الاشجعي عن أبيه كان خضابنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالورس والزعفران رواه الامام أحمد وأما بالسواد فمكروه نص عليه قال في الآداب الكبرى قيل له تكره السواد قال أي والله لقول النبي صلى الله عليه وسلم عن والد أبي بكر رضي الله عنهما وجنبوه السواد رواه مسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون قوم يخضبون في آخر الزمان بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة رواه أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الاسناد. قال في الآداب اسناد جيد وكذا قال الحافظ المنذري اشارة (وأخرج) الطبراني وابن أبي عاصم من حديث ابي الدرداء رفعه من خضب بالسواد سود الله وجهه يوم القيامة سنده لين والله اعلم قال في الآداب الكبري والكراهة في كلام الامام احمد للتحريم أو للتنزيه على وجهين .. وقال في الفروع ويكره بالسواد اتفاقا نص عليه وفي المستوعب والتلخيص والغنية في غير حرب ولا يحرم وظاهر كلام ابي المعالي يحرم وهو متجه قال في الاقناع وغيره فان حصل به تدليس في بيع او نكاح حرم قال في الفروع وللشافعية خلاف واستحبه في الفنون بالسواد في الحرب وان ماورد من ذمه والنهى عنه فانه في بيع اونكاح كسائر التدليس وقال في المستوعب انه لا يكره يعني الخضاب بالسواد في الحرب لقول النبي صلى الله عليه وسلم اخضبوا بالسواد فانه انس للزوجة

ومكيدة للعدو . قال في الآداب وهذا خبر لا يصح . وفي الاحكام السلطانية ان المحتسب يمنع من يخضب بالسواد في الجهاد وغيره . قال في الآداب وعند الشافعية يستحب خضاب الشيب للرجل والمرأة بصفرة اوحمرة ويحرم بالسواد على الاصح عندهم . وقال بعض السلف والخلف ترك الخضاب افضل مع انه كان ابن عمر وابو هريرة وآخرون يخضبون بالصفرة وروي عن علي وخضب جماعة منهم بالحناء والكتم وبعضهم بالزعفران وبعضهم بالسواد وروي عن عثمان والحسن والحسين ابني علي وعقبة بن عامر رضي الله عنهم اجمعين وكذا ابن سيرين وابي بردة وآخرين يقال صبغ يصبغ بضم الباء وفتحها كان عقبة بن عامر يخضب بالسواد ويتمثل نسود اعلاها وتأبي اصولها ولا خير في اعلى اذا فسد الاصل

وكان سيدنا الحسن بن علي رضوان الله عليهما يخضب بالسواد ويتمثل

نسود أعلاها وتأبي أصولها فياليت مايسود منها هوالاصل

وقال آخر يا أيها الرجل المسود شيبه كيما يعد به من الشبان

اقصر فلو سودت كل حمامة بيضاء ما عدت من الغربان

وما أحسن قول الامام أبي محمد جعفر السراج الحنبلي صاحب كتاب مصارع العشاق

ومدع شرخ شباب وقد عممه الشيب على وفرته

يخضب بالوسمة عثنونه يكفيه أن يكذب في لحيته

وقال في القاموس العثنون اللحية أو مافضل منها بعد العارضين ونبت على الذقن وتحته سفلا أو هو طولها وشعرات طوال تحت حنك البعير انتهى (وفي الصحيحين) عن عبيد بن جريج قال لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما رأيتك تلبس النعال السبتية ورأيتك تصبغ بالصفرة فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس النعال التى فيها شعر ويتوضأ فيها فأنا أحب أن ألبسها وأما الصفرة فاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبغ بها فأنا أحب أن أصبغ (وفي صحيح) مسلم عن جابر رضي الله عنه قال أتي بأبي قحافة عام الفتح ورأسه ولحيته مثل الثغامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غيروا هذا بشيء وجنبوه السواد (وأخرج)

الامام أحمد وابن حبان عن أنس رضي الله عنه قال جاء أبو بكر بأبيه أبي قحافة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة يحمله حتى وضعه بين يديه فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم لو أقررت الشيخ في بيته لأتيناه تكرمة لأبي بكر فاسلم ورأسه ولحيته كالثغامة فقال غيروهما وجنبوه السواد قال قتادة هو أول مخضوب في الاسلام . (وأخرج) البيهقي بسند جيد قوي عن وهب قال أخبرني ابن جريج عن ابن الزبير عن جابر رضي الله عنهما ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اخذ بيد أبي قحافة فأتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال غيروه ولا تقربوه سوادا (وأخرج) الامام أحمد والطبراني برجال ثقات ومحمد بن عمر والبيهقي عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت لما كان عام الفتح وذكرت الحديث الى أن قالت فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد خرج أبو بكر بابيه رضي الله عنهما يقوده وكان رأس أبي قحافة ثغامة فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه فيه فقال أبو بكر رضي الله عنه يارسول الله هو أحق أن يمشي اليك من أن تمشي أنت اليه فأجلسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال أسلم تسلم فاسلم الحديث قال في السيرة الشامية كثيره الثغامة بثاء مثلثة مفتوحة فغين معجمة شجرة اذا يبست ابيضت اغصانها يشبه بها الشيب (نادرة) قال ابن الجوزى في منتخب المنتخب ان قال قائل هل تعرفون اربعة رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نسقا فالجواب ابو قحافة وابنه أبو بكر وابنه عبد الرحمن وابنه محمد ويكنى أبا عتيق لا يعرف سواهم انتهى ومراده من الرجال والا فعبد الله بن الزبير وأمه اسماء وأبوها الصديق وأبوه أبو قحافة واسمه عثمان قلت ولعل المراد من اتفق الناس عليهم والا فقد روي ان اسامة بن زيد كان له ابن قال بعض أهل العلم لم أعرف اسمه ولعل اسمه محمد وأبوه اسامة وأبوه زيد بن حارثة وأبوه حارثة على القول باسلامه فهذه النادرة ينبغي التفطن لها فلا يوجد فى الصحابة بعد من ذكرنا بهذه المثابة أحد والله أعلم . (تنبيه) ذكر الامام الحافظ زين الدين بن رجب فى

مطلب في الاربعة الذين رأوا النبي صلى الله عليه وسلم نسقا

مطلب في ذكر طرف من فضائل ابن الجوزي

مطلب في كراهة نتف الشيب

طبقات الاصحاب رضى الله عنهم أنه ذكر غير واحد ان الامام الحافظ أبا الفرج بن الجوزي شرب حب البلادر فسقطت لحيته فكانت قصيرة جدا وكان يخضبها بالسواد الي أن مات وصنف فى جواز الخضاب بالسواد مجلدا قلت وغاية الخضاب بالسواد على المذهب المعتمد الكرهة وهي تزول بأدنى حاجة مع ان له رضي الله عنه بسيدنا عثمان والحسين وغيرهم من الصحابة الكرام اسوة رضوان الله عليهم أجمعين . وابن الجوزي كان علي أتم غاية من سعة الاطلاع على المنقول . والعلم بالفروع والاصول . وجودة الخاطر وادراك المعقول . قال ابن رجب في الطبقات كان ابن الجوزي لطيف الصوت حلو الشمائل رخيم النغمة موزون الحركات والنغمات لذيذ المفاكهة يحضر مجلسه مائة الف أو يزيدون لا يضيع من زمانه شيئا يكتب في اليوم أربع كراريس يرتفع له كل سنة من كتابته ما بين خمسين مجلدا الى ستين وله في كل علم مشاركة لكنه كان في التفسير من الاعيان وفي الحديث من الحفاظ وفي التواريخ من المتوسعين ومناقبه ومآثره رضي الله عنه أكثر من أن يحيط بها مثل كتابي هذا وهو أجل وأعظم وأكبر من أن ينبه عليه وعلى فضائله مثلي فانه نادرة الزمان . وانسان سواد عين الانسان . ومن اطلع على مصنفاته أو بعضها . علم بعد غوره في الاطلاع على السنة ونقلها . والله تعالى أعلم وقول الناظم رحمه الله تعالى (وأبقه) أي الشيب اشارة الى أن نتف الشيب مكروه قال في الفروع و يكره نتف الشيب اتفاقا و يتوجه احتمال يحرم للنهي لكنه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعا رواه الخمسة وحسنه الترمذي انتهى وقطع في الاقناع والمنتهى بالكراهة فقط ولفظ حديث عمرو بن شعيب الذي أشار اليه صاحب الآداب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنتفوا الشيب فانه ما من مسلم يشيب شيبة في الاسلام الا كانت له نورا يوم القيامة وفي رواية كتب الله له بها حسنة وحط عنه بها خطيئة رواه أبوداود والترمذي وقال حديث حسن ولفظه ان النبي صلي الله عليه وسلم نهى عن نتف الشيب وقال انه نور المسلم رواه النسائي وابن ماجه وأخرج البزار والطبراني في الكبير والاوسط من رواية ابن لهيعة و بقية اسناده ثقات عن فضالة بن عبيد رضي

الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من شاب شيبة في الاسلام كانت له نورا يوم القيامة فقال له رجل عند ذلك فان رجالاً ينتفون الشيب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شاء فلينتف نوره (وأخرج) النسائي والترمذي وقال حسن صحيح عن عمر بن عيسة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من شاب شيبة في الاسلام كانت له نورا يوم القيامة وابن حبان في صحيحه عن الامام عمر بن الخطاب رضوان الله عليه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شاب شيبة في سبيل الله كانت له نورا يوم القيامة (وأخرج) مسلم عن أنس رضي الله عنه قال كان يكره أن ينتف الرجل الشعرة البيضاء من رأسه ولحيته وابن حبان فى صحيحه عن أبي هريرة مرفوعا لا تنتفوا الشيب فانه نور يوم القيامة من شاب شيبة كتب الله له بها حسنة وحط عنه بها خطيئة ورفع له بها درجة وأما حديث أنس مرفوعا عند الديلمي أيما مسلم نتف شعرة بيضاء متعمدا صارت رمحا يوم القيامة يطعن به فغير ثابت . وما أحسن قول يحيى بن منصور الكاتب في نتف الشيب

أمد كفى الى البيضاء أقلعها ... من لحيتي فتفديها بسوداء

هذي يدي وهي مني لا تطاوعني ... على مرادى فما ظني باعدائي

مطلب فيأول من شاب واختتن

(فوائد الاولى) أول من شاب ابراهيم خليل رب العالمين عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام فقال يارب ما هذا فقال تعالي هذا وقارك فقال ابراهيم عليه السلام رب زدني وقارا فما برح حتي ابيضت لحيته الشريفة . وعن علي رضي الله عنه قال كان الرجل يبلغ الهرم ولم يشب وكان في القوم الوالد وولده فلا يعرف الابن من الاب فقال ابراهيم عليه السلام يا رب اجعل لي شيئا أعرف به فأصبح رأسه ولحيته أبيضين أزهرين أنورين . وقال القرطبي في تذكرته ما نصه وفي الاسرائيليات ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما رجع من تقريب ولده الي ربه عز وجل رأت سارة في لحيته شعرة بيضاء . وكان عليه الصلاة والسلام أول من شاب فأنكرتها وأرته اياها فجعل يتأملها فأعجبته وكرهتها سارة وطالبته بازالتها فأبى واتاه ملك فقال

السلام عليك يا ابراهيم وكان اسمه ابرم فزاده في اسمه هاء والهاء في السريانية للتفخيم والتعظيم ففرح بذلك فقال اشكر الهي واله كل شيء فقال له الملك ان الله قد صيرك معظما في اهل السموات وأهل الأرض وقد وسمك بسمة الوقار في اسمك وفي خلقك أما اسمك فلأنك تدعى في أهل السماء واهل الارض ابراهيم وأما خلقك فقد انزل الله نورا ووقارا على شعرك فأخبر سارة بما قال له الملك وقال هـذا الذي كرهتيه نور ووقار . قالت فأني كارهة له قال لكني احبه اللهم زدني وقارا ونورا فأصبح وقد ابيضت لحيته كلها . وروى الحافظ ابن عساكر بسنده عن القاسم بن أمامة قال بينما ابراهيم عليه السلام ذات يوم يصلي صلاة الضحى اذ نظر الى كف خارجة من السماء بين اصبعين من اصابعها شعرة بيضاء فلم تزل تدنو حتى دنت من رأس ابراهيم عليه الصلاة والسلام فألقت الشعرة البيضاء في رأسه ثم قالت أشعل وقارا وفي رواية اشعل خده فأشعل رأسه منها شيبا فأوحى الله الى ابراهيم عليه السلام ان يتطهر فتوضأ ثم اوحى اليه ان يتطهر فاغتسل ثم اوحى اليه ان يتطهر فاختتن فكان ابراهيم عليه السلام اول من شاب واختتن. وقد مضت سنة النساء وعادتهن على كراهية الشيب وهذا مشاهد في العيان وقد اكثر الشعراء من ذكر ذلك في الجاهلية والاسلام قال علقمة بن عبدة الفحل الجاهلي من قصيدة له طويلة من الطويل مطلعها

طحابك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

الى ان يقول فيها

فان تسألوني بالنساء فانني خبير بأدواء النساء طبيب

اذا شاب رأس المرء او قل ماله فليس له في ودهن نصيب

يردن ثراء المال حيث علمنه وشرخ الشباب عندهن عجيب

﴿ وقال محمد بن عيسى المخزومي في ذلك ﴾

قالت احبك قلت كاذبة غري بذا من ليس ينتقد

لو قلت لي اشناك قلت نعم الشيب ليس يحبه احـد

﴿ وقد تلطف من قال وأفاد استجلاب ودهن بالمال ﴾

وخود دعتني الى وصلها وعصر الشبيبة مني ذهب
فقلت مشيبي لا ينطلي فقالت بلى ينطلي بالذهب

وقال يزيد بن الحكم بن أبي العاص البصري وأنشدهما الحجاج بن يوسف الثقفي الخبيث

فما منك الشباب ولست منه اذا سألتك لحيتك الخضابا
وما يرجو الكبير من الغواني اذا ذهبت شبيبته وشابا

فقال له الحجاج الخبيث فضحتنا عند النساء وقالوا

وخيرها ابو هابين شيخ كثير المال أو حدث صغير
فقالت ان عزمت فكل شيء احب الي من وجه الكبير

وقال غيره

ولما رأت شيب رأسي بدا فقالت عسى غير هذا عسى
فقلت البياض لباس السرور واما السواد لباس الأسى
فقالت صحيح ولكنه قليل النفاق بسوق النسا

وقال آخر

لكلب عقور اسود اللون حالك على صدر سوداء الذوائب كاعب
احب اليها من معانقة الذي له لحيه بيضاء بين الغرائب

(الثانية) قال الشيخ علي دده في اوائله أول من خضب بالحناء والكتم ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام. وفي اوائله كالسيوطي اول من خضب بالسواد فرعون واول من خضب بالسواد في الاسلام المغيرة بن شعبة رضي الله عنه خرج على الناس وكان عهدهم انه أبيض الشعر فعجب الناس منه قال السيوطي وأول من خضب بالوسمة بمكة عبد المطلب قيل له لما نزل اليمن هل لك ان تغير هذا البياض فتعود شابا فخضب فدخل مكة كأن شعره حلك غراب فقال له بعض النساء يا شيبة الحمد لو دام لك هذا لكان حسنا فأنشد عبد المطلب

فلو دام لي هذا السواد حمدته فكان بديلا من شباب قد انصرم
تمتعت منه والحياة قصيرة ولا بد من موت تبكيه او هرم

وماذا الذي يجري على المرء حفظه ونعمته ذوما اذا عرشه انهدم

ومن شعر الخليفة المستنجد يوسف بن محمد العباسى على مانقله صلاح الدين الصفدي في الوافي بالوفيات قوله

عيرتني بالشيب وهو وقار ليتها عيرت بما هو عار

ان تكن شابت الذوائب مني فالليالى تنيرها الاقمار

قلت وقد نسب الأبيات في الكتاب المذكور ليحيى بن نصر السعدى البغدادي في ترجمته وذكر له قبلها قوله

لو كنت ذا مال وذا ثروة والشيب ما آن ولا قيل كاد

لجاملت جمل بميعادها وساعدت بالوصل منها سعاد

﴿ و يعجبني من شعر الخليفة المستنجد رحمه الله تعالى قوله ﴾

اذا مرضنا نوينا كل صالحة وان شفينا فمنا الزيغ والزلل

نرضى الاله اذا خفنا ونعصيه اذا أمنا فلا يزكو لنا عمل

ومن شعره في الشمعة

وصفراء مثلي في القياس ودمعها سجام على الخدين مثل دموعي

تذوب كما في الحب ذبت صبابة وتحوي حشاها ما حوته ضلوعي

وهذا الخليفة هو الذى كان الامام ابن هبيرة وزيره ووزير والده من قبله المقتفي رحمهم الله تعالي ﴿ الثالثة ﴾ ذكر جماعة من علماء التفسير منهم القرطبي وغيره ان النذير في قول الله تعالى أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير قيل هو الشيب والى هذا أشرت في قصيدة لي

فوأسفي ذهب الشباب وحل بي نذير أتاني انني سوف أذهب

ولى في أخرى

اليك أشكو رسول الله من وجلي نأى شبابي سدى واحتاط بي اجلي

نأى الشباب وجاء الشيب ينذرني بأنني راحل للقبر واخجلي

واخجلتي من مقام لست أنكره اذا بدا لى على روس الملا زللي

ياسيدي يارسول الله خذ بيدى اني أتيت بلا علم ولا عمل

وقال الامام أبو محمد رزق الله التميمي رحمه الله ورضي عنه توفي سنة ٤٨٨ كما ذكره ابن رجب

وماشانَ الشيب من أجل لونه — ولكنه حاد الى البين مسرع
اذا ما بدت منه الطليعة آذنت — بأن المنايا خلفها تتطلع
فان قصها المقراض صاحت بأختها — فتظهر تتلوها ثلاث وأربع
وان خضبت حال الخضاب لأنه — يغالب صنع الله والله أصنع
فيضحي كريش الديك فيه تلمع — وافظع ما يكساه ثوب ملمع
اذا ما بلغت الاربعين فقل لمن — يودك فيما تشتهيه ويسرع
هلموا لنبكي قبل فرقة بيننا — فما بعدها عيش لذيذ ومجمع
وخلي التصابي والخلاعة والهوى — وأم طريق الحق فالحق أنفع
وخذ جنة تنجي وزادا من التقى — وصحبة مأمون فقصدك مفزع

واعلم ان العرب ما بكت على شيء ما بكت على الشباب . وما أحسن قول من قال

شيئان لو بكت الدموع عليهما — عيناي حتى يؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما — فقد الشباب وفرقة الاحباب

ومن البكاء على الشباب قول أبي الغصن الأسدي وهو أبكى بيت قيل فيه

تأمل رجعة الدنيا سفاها — وقد صار الشباب الى الذهاب
فليت الباكيات بكل أرض — جمعن لنا فنحن على الشباب

وقال القرطبي المرتضي

ضحك المشيب برأسه — فبكي بأعين كأسه
رجل تخونه الزما — ن بيؤسه و بيأسه
فجرى علي غلوائه — طلق الجموح بفأسه

ومن كلام دعبل في الشيب

أين الشباب وأية سلكا — لا أين يطلب ضل بل هلكا
لا تعجبي يا سلم من رجل — ضحك المشيب برأسه فبكى
يا سلم ما بالمشيب منقصة — لا سوقة يبقى ولا ملكا

قصر الغواية عن هوى قمر * وجد السبيل اليه مشتركا

وقال بعضهم وقد أحسن

اذا كان البياض لباس حزن * بأندلس فذاك من الصواب

ألم ترني لبست ثياب شيبي * لاني قد حزنت على الشباب

مطلب في عدد ما شاب من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم

(الرابعة) كان الشيب الذى في شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم أقل من عشرين شعرة كما ثبت ذلك في عدة أخبار مع ان الذين كانوا أصغر منه سناً كالصديق قد شابوا قالوا والحكمة في ذلك لطف الباري جل شأنه بنسائه صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن لان من عادة النساء أن تنفر طباعهن من الشيب ومن نفر طبعه من الرسول خشي عليه فلطف الله بهن فلم يشب شيباً تعافه النساء مع ان الشيب في حد ذاته غير منفر ولكن جلت حكمة الباري • وفي بعض الآثار ان الله ليستحي أن يعذب ذا شيبة في الاسلام ثم بكى الرسول عليه الصلاة والسلام فقيل له ما يبكيك يا رسول الله قال أبكي ممن يستحي الله منه وهو لا يستحي من الله .ورواه البيهقي من حديث أنس مرفوعاً بلفظ يقول الله اني لأستحي من عبدي وأمتي يشيبان في الاسلام ثم أعذبهما الحديث • وذكره الامام الحافظ ابن الجوزى في الموضوعات وتعقب ورواه الامام أحمد في الزهد وله شاهد من حديث سلمان أخرجه ابن أبي الدنيا وذكر الديلمي عن جابر رضي الله عنه بلا سند مرفوعاً من لم يرعو عند الشيب ويستحي من العيب ولم يخش الله في الغيب فليس لله فيه حاجة فلا ينبغي للعاقل أن يكره الشيب لانه نور الاسلام ووقار من الملك السلام ولا تغتر بفسقة الشعار وما لهم في ذلك من الاشعار مثل قول يعقوب بن صابر المنجنيقي كما في الوافي بالوفيات

قالوا بياض الشيب نور ساطع * يكسو الوجود مهابة وضياء

حتى سرت وخطاته في مفرقي * فوددت أن لا أفقد الظلماء

وعدلت أستبقى الشباب تعللا * بخضابها فصبغتها سوداء

لو ان لحية من يشيب صحيفة * لمعاده ما اختارها بيضاء

{ وقول شهاب الدين التلعفري في ذلك }

لا تعجلن فوالذى جعل الدجى   من ليـل طرتي البهيم ضياء
لو أنها يوم المعاد صحيفتي   ما سر قلبي كونهـا بيضاء

ولكن اعتمد على قول صاحب الرسالة مصباح الهدى وماحي الضلالة كما رواه البخاري في تاريخه والبيهقي في شعب الايمان ان من اجلال الله اكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن . وقـد ذكره الحافظ ابن الجوزى في الموضوعات وتعقبه الجلال السيوطي والحافظ ابن حجر وغيرهما وهو عند أبي داود باسناد حسن والله أعلم وما أحسن قول الخليفة العباسي عبد الله بن المعتز وهو أول من اخترع علم البديع حيث يقول في تائيته

مطلب في أول من اخترع علم البديع

وكنت امرأ مني التصابي الذي يرى   وقد بلغت سني النهى فتناهيت
وقلت أيا نفسي وهل بعد شيبة   نذير فما عذري اذا ما تماديت
وقد أبصرت عيني المنية تنتضي   سيوف مشيبي فوق رأسي فاشفيت
فخليت شيطان التصابي لاهله   وأدبرت عن شأن الغوي ووليت
وقالوا مشيب الرأس يحدو الي الردى   فقلت أراني قد قربت ودانيت
تبـدل قلبي ما تبدل مفرقي   بياض النقا فقد نزعت وأبقيت

وقال الامام الحافظ ابن الجوزي فى جزئه تنبيه النائم الغمر على موسم العمر لنفسه

قد رأيت المشيب نوراً تبدى   نور الطرق ثم ما ان تعدى
أن ثوب الشباب عارية عنـ   ـدي فجاء المعير حتى استردا
جاءنى ناصح أتاني نذير   بياض اراني الامر جدا
دع حديث الصبا ورامة والغو   ر ونجد يا سعد واهجر سعدا
ثم خلي حديث ليلى ونعم   وسعاد ودع فديتك دعدا
وتزود زاد الشتاء فقد فا   ت ربيع ضيعت فيه الوردا
قف على الباب سائلا عفو مولا   ك فما ان يراك يرحم عبدا

(ولى من قصيدة)

أفق ياقلب من خمر التصابي   فقد آن الرحيل وأنت صابي

و باد العمر في حب الغواني و ر بات الـبراقع والنقاب

فمن سن الصبا في اللهو حتى بدا وازفرني هذا التغابي

وأخبار الشيب أكثر من أن تذكر وأشهر من أن تشهر وفيما ذكرنا كفاية لمن أدركته العناية (والقزع) وهو كما في الاقناع والمنتهى حلق بعض الرأس وترك بعضه (اكره) كراهة تنزيه لما روى أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا نهى عن القزع وقال احلقه كله أودعه كله حديث صحيح قال في القاموس القزع أن تحلق رأس الصبي وتترك مواضع منه متفرقة غير محلوقة تشبيها بقزع السحاب ومثله في النهاية وعلم منه عدم كراهة حلق كل الرأس وهو المعتمد وثم رواية يكره حلقه لكن الذى استقر عليه المذهب عدم الكراهة قال في الشرح لكن تركه أفضل قال ابن عبد البر أجمع العلماء في جميع الامصار على اباحة الحلق . قال في الآداب الكبرى وأما أخذه بالمقراض واستيصاله فلا يكره رواية واحدة نعم يكره حلق القفا منفردا لغير حاجة نحو حجامة قال في رواية المروذي هو من فعل المجوس ومن تشبه بقوم فهو منهم . قال في الآداب وهذا يعنى كلام الامام يقتضي التحريم لكن جزم في الاقناع والمنتهى وغيرهما بالكراهة فقط (ثم) اكره أيضا (تدليس) أى كتمان عيب (نهد) جمع ناهد من نهد الثدى كمنع ونصر نهودا كعب والمرأة كعب ثديها كنهدت فهى منهد وناهد وناهدة وظاهر نظامه رحمه الله أن تدليس المرأة بنحو وشم و وشر و وصل مكروه والمذهب الحرمة قال في الاقناع والمنتهى وغيرهما يحرم نمص و وشر و وشم و وصل شعر بشعر ولو بشعر بهيمة أو أذن زوج ولا تصح الصلاة ان كان نجسا ولا بأس بما يحتاج اليه لشد الشعر كالقرامل واباح الامام ابن الجوزى النمص وحده وحمل النهى على التدليس أو انه شعار الفاجرات (فقد أخرج) البخارى ومسلم وغيرهما عن أسماء رضي الله عنها ان امرأة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان ابنتي أصابتها الحصبة فتمزق شعرها واني زوجتها أفأصل فيه فقال لعن الله الواصلة والموصولة . وفي رواية لهما قالت أسماء لعن النبي صلي الله عليه وسلم الواصلة والمستوصلة (وأخرجا) وغيرهما عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم لعن الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة (وفي الصحيحين) وأبي داود والترمذي وغيرهم عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انه قال لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فقالت له امرأة في ذلك فقال ومالي لا ألعن من لعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله.. قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا. (وأخرج) أبو داود وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لعنت الواصلة والمستوصلة والنامصة والمتنمصة والواشمة والمستوشمة من غير داء. فالمتفلجة هي التي تفلج أسنانها بالبرد ونحوه للتحسين. والواصلة التي تصل الشعر بشعر نساء أو دواب. والمستوصلة المعمول بها ذلك والنامصة التي تنقش الحاجب حتى ترقه كذا قال أبو داود. وقال الخطابي وغيره وصرح به فقهاؤنا هو نتف الشعر من الوجه. والمتنمصة المعمول بها ذلك. والواشمة التي تغرز اليد أو الوجه ونحوهما بالابر ثم يحشى ذلك المكان بكحل. قال بعضهم أو مداد. والمستوشمة المعمول بها ذلك. (وأخرج) البخاري ومسلم وغيرهما عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أنه سمع معاوية رضي الله عنه عام حج على المنبر وتناول قصة من شعر كانت في يد حرسي فقال يا أهل المدينة أين علماؤكم سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ينهى عن مثل هذا ويقول انما هلكت بنو اسرائيل حين اتخذها نساؤهم. وفي رواية لهما عن ابن المسيب قال قدم معاوية المدينة فخطبنا وأخرج كبة من شعر فقال ما كنت أرى أن أحداً يفعله الا اليهود وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه فسماه الزور. وفي أخرى لهما أن معاوية قال ذات يوم انكم قد أحدثتم زي سوء وأن نبي الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الزور قال قتادة يعني ما يكثر به النساء أشعارهن من الخرق قال وجاء رجل بعصا على رأسها خرقة فقال معاوية ألا هذا الزور. وفي كتاب أدب النساء للامام الحافظ ابن الجوزي عن عائشة رضي الله عنها قالت يامعشر النساء اياكن وقشر الوجه قال فسألتها امرأة عن الخضاب قالت لا بأس بالخضاب وقالت رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الصالقة والحالقة والخارقة والقاشرة. وعنها رضي الله عنها قالت كان

رسول الله صلى الله عليه وسلم يلعن القاشرة والمقشورة والواشمة والمستوشمة والواصلة والمستوصلة فالقاشرة هي التي تقشر وجهها بالدواء ليصفو لونها . والصالقة هي التي ترفع صوتها بالصراخ عند المصائب . والحالقة هي التي تحلق شعرها عند النوائب . والخارقة التى تخرق ثوبها عند المصيبة . قال ابن الجوزي قدس الله روحه فظاهر هذه الأحاديث تحريم هذه الأشياء التى قد نهي عنها على كل حال وقد أخذ باطلاق ذلك ابن مسعود على ما روينا ويحتمل أن يحمل ذلك على أحد ثلاثة أشياء اما أن يكون ذلك قد كان شعار الفاجرات فيكن المقصودات به أو أن يكون مفعولا للتدليس على الرجل فهذا لا يجوز أو أن يكون يتضمن تغيير خلقة الله تعالى كالوشم الذي يؤذي اليد ويؤلمها ولا يكاديستحسن وربما أثر القشر في الجلد تحسنا في العاجل ثم تأذى به الجلد فيما بعده وأما الأدوية التي تزيل الكلف وتحسن الوجه للزوج فلا أرى بها بأسا وكذلك أخذ الشعر من الوجه للتحسن للزوج ويكون حديث النامصة محمولا على أحد الوجهين الأولين . وقال قال شيخنا عبدالوهاب بن المبارك الانماطي اذا أخذت المرأة من وجهها لأجل زوجها بعد رؤيته اياها فلا بأس وانما يذم اذا فعلته قبل أن يراها لأن فيه تدليساً ثم ذكر عن أم حليلة قالت شهدت امرأة سألت عائشة رضي الله عنها ما تقولين في قشر الوجه قالت ان كان شيء ولدت وهو بها فلا يحل لها ولا آمرها ولا أنهاها وان كان شيء حدث فلا بأس تعمد الى ديباجة كساها فتنحيها من وجهها لا آمرها ولا أنهاها وقال قال مسلم وحدثتنا بحسة الراسبية قالت حدثتنى أم نصرة قالت قالت عائشة رضي الله عنها لو كان في وجه بنات أخي لأخرجته ولو بشفرة قال وعن بكرة بنت عقبة أنها دخلت على عائشة رضي الله عنها فسألتها عن الحناء فقالت شجرة طيبة وماء طهور وسألتها عن الحفاف فقالت لها ان كان لك زوج فاستطعت أن تنتزعي مقلتيك فتصنعيهما أحسن مما هما فافعلي انتهى قال في الآداب الكبرى ولا بأس بالقرامل ونحوها زاد بعضهم لكن تركه أفضل وعنه هي كالوصل بالشعر قيل للامام تصل المرأة بالقرامل فكرهه وظاهر الاقناع والمنتهى عدم منع وصل شعر بغير شعر وصرح به الشراح قالوا لأنه لا تدليس فيه بل فيه مصلحة من تحسين المرأة لزوجها من غير مضرة لكن يكره ما زاد عما يحتاج

اليه وظاهر الاخبار المـارة المنع . قال الامام ابن الجوزي طيب الله ثراه. قال أبو عبيد رحمه الله تعالى وقد رخصت الفقهاء في القرامل و كل شيء وصل الشعر به مالم يكن الوصل شعرا والله اعلم

وَإِعْفَاءُ اللِّحَى نَدْبٌ وَقِيلَ خُذَنْ لِمَا ... يَلِي الْحَلْقَ مَعْ مَازَادَ عَنْ قَبْضَةِ الْيَدِ

(واعفاء) اى ترك (اللحا) بالقصر جمع لحية بالكسر شعر الخدين والذقن ولا يأخذ منها شيئا (ندب)أى مندوب قال الامام ابن الجوزى ما لم يستهجن طولها (وقيل خذن) فعل امر مؤكد بنون التوكيد الخفيفة (لما) اى للشعر الذي (يلي الحلق) من الموالاة اي يدنو و يقرب منه وهو الحلقوم قال في النهاية والميم في الحلقوم أصلية يقال حلقمه اذا قطع حلقومه اى حلقه كما في القاموس فالمذهب المعتمد كما في الاقناع وغيره انه لا يكره اخذ ما تحت حلقه (مع ما) اى شعر (زاد عن) قدر (قبضة اليد) المعروفة وهذا الذي حكاه بقيل هو المذهب المعتمد قال في الاقناع وشرح المنتهى وغيرهما لا يكره اخذ مازاد على القبضة من لحيته ولا اخذ ما تحت حلقه واخذ الامام احمد رضي الله عنه من حاجبيه وعارضيه نقله ابن هانئ وقال في الفروع ولا يكره اخذ مازاد على القبضــة ونصه لا بأس باخذه وتحت حلقه لفعل ابن عمر رضي الله عنهما لكن انما فعله اذ حج او اعتمر رواه البخاري . وفي المستوعب وتركه أولى وقيل يكره والمعتمد في المذهب حرمة حلق اللحية . قال في الاقناع ويحرم حلقها وكذا في شرح المنتهى وغيرهما. قال في الفروع ويحرم حلقها ذكره شيخنا انتهى . وذكره في الانصاف ولم يحك فيه خلافا (وفي الصحيحين) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خالفوا المشركين وفروا اللحي وأحفوا الشوارب زاد البخاري وكان ابن عمر اذا حج او اعتمر قبض على لحيته فما فضل اخذه

وَيُشْرَعُ إِيكَاءُ السِّقَا وَغِطَا الْإِنَا ... وَإِيجَافُ أَبْوَابٍ وَطَفْءُ الْمُوَقَّدِ

(ويشرع) اي يستحب ويسن ويندب شرعا (ايكاء)مصدراً كاكنع استوثق

اكاءة وايكاء والوكاء ككساء رباط (السقا) ككسا ايضا جلد السخلة اذا أجذع يكون للماء واللبن جمعه أسقية وأسقيات واساق كما في القاموس يقال وكا السقا والقربة واوكاها واوكأ عليها والمراد كل ما شد رأسه من وعاء من نحو قربة (و) يشرع لك ايضا ايها المتشرع الذي لآداب الشريعة واقتفاء آثارها متشوف ومتطلع (غطا) أسيء تغطية (الانا) وهو الوعاء وجمعه آنية وجمع الآنية اواني . لما روى ابو داود من حديث ابي هريرة رضي الله عنه امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نغطي الاناء ونوكي السقاء . وفي الصحيحين عن ابي حميد الساعدي قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بقدح من لبن من النقيع ليس مخمرا فقال الاخمرته ولو تعرض عليه عودا زاد مسلم قال ابو حميد انما امرنا بالاسقية ان توكأ ليلا و بالابواب ان تغلق ليلا والصحابي أعلم . قال في مشارق الانوار قوله بقدح لبن من النقيع قال وحمى النقيع على عشرين فرسخا من المدينة ومساحته ميل في بريد وفيه شجر ويستحم حتى يغيب فيه الراكب . قال واختلف الرواة في ضبطه فمنهم من قيده بالنون منهم النسفي وابو ذر والقابسي قال وكذلك قيدناه في مسلم عن الصدفي وغيره وكذلك لابن ماهان وكذلك ذكره الهروي والخطابي قال الخطابي وقد صحفه بعض اصحاب الحديث بالباء قال وانما الذي بالباء فهو مدفن اهل المدينة ووقع في كتاب الأصيلي بالفاء مع النون وهو تصحيف وانما هو بالنون والقاف وقال البكري ابو عبيد هو بالباء مثل بقيع الغرقد مدفن أهل المدينة المنورة وهو البقيع الذي حماه النبي صلى الله عليه وسلم ثم عمر وهو الذي يضاف اليه في الحديث غرس البقيع وفي نهاية ابن الاثير وفيه ان عمر حمى غرس النقيع وهو موضع حماه لنعم الفيء وخيل المجاهدين فلا يرعاه غيرها وهو موضع قريب من المدينة كان يستنقع فيه الماء اي يجتمع . وفي الصحيحين عن جابر رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم اوك سقاك واذكر اسم الله وخمر اناءك واذكر اسم الله وخمر اناءك واذكر اسم الله ولو ان تعرض عليه عودا وفي لفظ لهما وخمروا الطعام والشراب قال همام واحسبه قال ولو بعود قال في الآداب ظاهره التخيير ويتوجه ان ذلك عند عدم ما يخمر به لرواية مسلم فان لم يجد أحدكم الا أن يعرض على انائه عودا

مطلب في اغلاق الابواب وطفء الموقد

وفي رواية في الصحيحين ولو ان تعرض عليه شيأ وفي رواية فيهما بزيادة فان الشيطان لايفتح باباً مغلقا وفي رواية عند الطبراني فان الشيطان لايفتح باباً مجافاً ولا يكشف غطاء ولا يحل وكاء وحكمة وضع العود اما ليعتاد تخميره ولا ينساه واما لرد دبيب أو بروزه يعني الدبيب على العود (و) يشرع أيضاً (اجاف) أي اغلاق (أبواب) جمع باب وهو الفرجة المتوصل منها الى الدخول والخروج قال في الاقناع واغلاق الباب أي يسن وعبارة بعضهم ويرخي الستر قال شيخ مشايخنا البلباني في آدابه كغيره من علمائنا وغيرهم يسن لمن أراد ان ينام ان يوكئ سقاه ويطفي سراجه ويغلق بابه وكذا في الاقناع يسن تخمير الأناء ولو ان يعرض عليه عودا وايكاء السقاء اذا أمسى واغلاق الباب فقيد بالمساء ويأتي الكلام عليه قريباً (و) يشرع (طفء) أي اطفاء (الموقد) بتشديد القاف يعني النار قال في القاموس الوقد محركة النار واتقادها كالوقد والوقود والقدة والوقدان والتوقد والاستيقاد والفعل وقد كوعد والوقود كصبور الحطب وكلامه رحمه الله يشمل المصباح وغيره لما في الصحيحين عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال احترق بيت على أهله في المدينة من الليل فلما حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذه النار عدو لكم فاذا نمتم فاطفؤها عنكم . وفي سنن أبي داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاءت فارة فأخذت تجر الفتيلة فجاءت بها فألقتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخمرة التي كان قاعدا عليها فأحرقت منها قدر موضع درهم الخمرة السجادة التي يسجد عليها المصلى سميت بذلك لانها تخمر الوجه أي تغطيه ورواه الحاكم عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاءت فارة فأخذت تجر الفتيلة فذهبت الجارية تزجرها فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعيها فجاءت بها فألقتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخمرة التي كان قاعدا عليها فأحرقت منها موضع درهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نمتم فاطفؤا سرجكم فان الشيطان يدل مثل هذه على هذا فتحرقكم قال الحاكم صحيح الاسناد وفي صحيح مسلم وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر باطفاء النار عند النوم وعلل ذلك بأن الفويسقة تضرم على أهل البيت بيتهم . قال صدر الوزراء عون الدين بن هبيرة طيب

روحه. النار يستحب اطفاؤها عند النوم لانها عدو فاما ان جعل المصباح في شيء
معلق أو على مكان عال لا تصل الفويسقة اليه فلا بأس انتهى وذلك لان النبي
صلى الله عليه وسلم علل اطفاء المصباح من أجل فعل الفويسقة فاذا انتفت العلة
التي علل بها النبي صلى الله عليه وسلم زال المنع والله أعلم (تنبيهات الاول) ذكرنا
في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أوك سقاك واذكر اسم الله
الخ وذكر اسمه جل شأنه تبركا وتيمنا لتكون حركات المكلف مصحوبة بذكره
سبحانه وتعالى . وذكر بعض الاشياخ عن ابنة الحجاوي رحمه الله تعالى ان والدها
أفادها انها اذا لم تجد ماتغطي به الاناء تضع يدها عليه فتقول بسم الله هذا غطاؤك
يعني انها غطته بفضل البسملة وذلك منه اما لتعتاد التغطية فلا تهملها كما قال ابن
مفلح في تعريض العود واما لحصول المقصود ببركة اسم المعبود جل شأنه وتعالى
سلطانه (الثاني) اطلاق نظمه رحمه الله تعالى يتناول فعل ذلك مساء ونهارا فلا يتقيد
بكونه انما يندب عند ارادة النوم وقيده في الاقناع وغيره بالمساء وهو صريح الاخبار التي
ذكرناها عن حضرة الرسالة قال الشيخ شمس الدين اليونيني في مختصر الآداب كاصله
وسياق ماسبق من كلام الاصحاب رحمهم الله ان ذلك يخص الليل وهو ظاهر الخبر قال
والمراد الا فى بقاء النار فانه لافرق بين الليل والنهار والمراد الغفلة عنها بنوم أو غيره والله
أعلم (الثالث) اذا نام ولم يطف النار وخالف سنة النبي المختار فهل يضمن ماتلف بها لغيره
قال في الآداب الكبرى لم أجد تصريحا بها والاجود أن يضمن لتعديه بارتكاب المنهى عنه
ويتوجه احتمال لا يضمن لانها في ملكه وعادة اكثر الناس أو كثير منهم بقاؤها والغالب
السلامة قال ولهذا لا يحرم استعمال الماء الذى في اناء لم يغط مع احتمال الضرر
بالوباء الواقع فيه لندرة ذلك وقلته كما في صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال
كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فاستسقى فقال رجل يارسول الله ألا نسقيك نبيذا
فقال بلى فخرج الرجل يسعى فجاء بقدح نبيذ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ألا خمرته ولو تعرض عليه عودا قال فشرب وظاهر كلامهم انه لا يكره وذكر ابن
عقيل ان المذهب لا يكره الوضوء منه ثم ذكر خبر نزول الوباء فيه وهو ما في
صحيح مسلم ومسند الامام أحمد انه صلى الله عليه وسلم قال غطوا الاناء وأوكوا

السقاء فان في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر باناء ليس عليه غطاء الا نزل فيه من ذلك الوباء زاد مسلم في رواية قال الليث فالأعاجم عندنا يتقون ذلك فى كانون الاول قال فأخبر انه ينزل فيه الوباء ولا نعلم هل يختص بالشرب أو يعم الاستعمال والشرب فكان تجنبه أولى فهذا من ابن عقيل يدل على كراهة شربه أو تحريمه وقال ابن حزم من أوقد ناراً يصطلي أو يطبخ أو ترك سراجاً فنام فوقع حريق فأتلف ناساً وأموالا لم يضمن واحتج بما رواه عبد الرزاق وعبد الملك الصغاني عن معمر عن همام عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً النار جبار رواه أبو داود والنسائي قال فوجب ان كل ما تلف بالنار هدر الا نار اتفق الجميع على تضمين صاحبها اذا تعمد الاتلاف فان تعمد طرحها للاتلاف فعمد والا فخطأ والله أعلم .

وَتَقْلِيمُ أَظْفَارٍ وَنَتْفُ آبَاطِهِ وَحَلْقًا وَلِلتَّنْوِيرِ فِي الْعَانَةِ اقْصِدِ

(و) يشرع (تعليم) أي أخذ ما طال من (اظفار) جمع ظفر بضم الفاء وسكونها يقال قلمت الظفر اذا أخذت ما طال منه فالقلم أخذ الظفر من باب ضرب وقلم أظفاره شدد للكثرة والقلامة بالضم ما سقط منها ومن تعود القص وفي القلم مشقة عليه كان القص في حقه كالقلم قال في الفروع وغيره ويقلم ظفره مخالفاً يعني يبدأ بخنصر اليمنى فالوسطى فالابهام فالبنصر فالسباحة ويقال لها السبابة فابهام اليسرى فالوسطى فالخنصر فالسباحة فالبنصر اختاره ابن بطة من أئمة المذهب وغيره وجزم به في المستوعب والخلاصة وغيرهما وجمع بعضهم ترتيب ذلك في لفظتي خوابس أوخسب ذكر سيدنا الشيخ عبد القادر في الغنية. وغيره يروى ان من قص أظفاره مخالفاً لم ير في عينيه رمداً ورواه ابن عقيل رحمه الله تعالى وهذا الخبر غير ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال السخاوي لم أجده وقال تلميذه ابن الديبع في التمييز لم يثبت في كيفيته ولا في تعيين يوم له عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء قال وقال شيخنا وما يعزى من النظم في ذلك لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم لشيخنا يعني الحافظ ابن حجر فباطل عنهما والنظم المشار اليه

استبد من يمناك بالخنصر في قص أظفارك واستبصر

وثن بالوسطى وثلث كما　　قد قيل بالابهام فالبنصر
واختم بسبابتها هكـذا　　باليد والرجـل ولا تنكر
وابدأ بابهامك من بعدها　　فالأصبع الوسطى و بالخنصر
وأتبـع الخنصر سـبابة　　بنصرها خاتمـة الايسر
فذاك أمن لك قد حزته　　من رمد العين فلا تمتر

وقال في الانصاف ويقلم أظفاره مخالفاً على الصحيح من المذهب انتهى وأما رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يصح وللحافظ السيوطي في ذلك مؤلف سماه الاسفار فى قص الاظفار والاصل في مشروعيته قول ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم الفطرة خمس الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الاظفار ونتف الابط رواه البخاري ومسلم قال في الانصاف و يستحب غسل الاصابع بعد قصها تكميلا للنظافة وقيل ان حك الجسد بها قبل غسلها يضره (و) يشرع أن يكون تقليم اظفاره و (نتف) شعر (آباطه) والنتف نزع الشعر ونحوه والنتفة بالضم مانزعته بأصبعك من النبت والحكمة فيه انه محل الرائحة الكريهة وانما ينشأ ذلك من الوسخ الذي يجتمع و يتلبد مع العرق فيهيج فشرع فيه النتف الذي يضعفه فتخف الرائحة به بخلاف الحلق فانه يقوي الشعر ويهيجه فتكثر الرائحة لذلك فان شق النتف حلقه أو تنور كما في الآداب الكبرى يوم الجمعة قبل الصلاة وقيل يوم الخميس وقيل يخير كما في الفروع وغيره لما جاء في حديث ان من قص أظفاره يوم الجمعة دخل فيه شفاء وخرج منه داء رواه ابن بطة باسناده . قال في المستوعب وقد رأيت هذه الفضيلة والاستحباب في يوم الخميس بعد العصر وهو قول في الرعاية والذي في الشرح انه يستحب أن يقلمها يوم الخميس لفعل النبي صلى الله عليه وسلم وأمره عليا بذلك والاولى من ذلك يوم الجمعة قبل الصلاة أو يوم الخميس بعد العصر (و) اقصد (حلقا) أي الحلق للعانة (وللتنوير في العانة) وهو الاستحداد المذكور في حديث أبي هريرة المتفق عليه (اقصد) فعل أمر قصد وحرك بالكسر كما في نظائره القافية قال في الفروع و يحلق عانته وله قصه وازالته بما شاء والتنوير في العورة وغيرها فعله الامام أحمد رضي الله عنه وكذا النبي صلى الله عليه وسلم رواه ابن ماجه من حديث أم سلمة

واسناده ثقات وقد أعل بالارسال وقال الامام أحمد ليس بصحيح لان قتادة
قال ما أطلى النبي صلى الله عليه وسلم كذا قاله الامام رضى الله عنه وفي الغنية ويجوز
حلقه لانه يستحب ازالته كالنورة وان ذكر خبر بالمنع عمل على التشبه بالنساء وكره
الآمدي كثرة التنوير لانه يضعف الشهوة وربما أشعر نظامه بأن الحلق أفضل من
التنوير لتقديمه له وهو المذهب (فائدتان الاولى) يسن أن لا يحيف على الاظفار
في التقليم في الغزو والسفر لانه قد يحتاج الى نحو حل حبل قال الامام أحمد قال
الامام عمر رضي الله عنه وفروا الاظفار في أرض العدو فانه سلاح وقال عن الحكم
ابن عمرو أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نحفي الاظفار في الجهاد وفي
معناه السفر وان يفعل ذلك كل أسبوع ندبا وروي عن الامام أحمد رضي الله عنه
في رواية سندي حلق العانة وتقليم الاظفار كم يترك قال أربعين للحديث فأما
الشارب ففي كل جمعة لانه يصير وحشا وقيل عشرين وقيل للمقيم . وروى البغوى
بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يأخذ أظفاره وشاربه كل جمعة نعم انما يكره تركه فوق أربعين لحديث
أنس عند مسلم قال وقت لنا في قص الشارب وتقليم الاظفار ونتف الابط وحلق
العانة أن لا يترك أكثر من أربعين و يندب دفن ذلك كله نص عليه . وفي الاقناع
يدفن الدم والشعر والظفر لما روي الخلال باسناده عن مثل بنت بشرح الاشعرية
قالت رأيت أبي يقلم أظفاره و يدفنها و يقول رأيت النبى صلى الله عليه وسلم
يفعل ذلك وعن ابن جريج عن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعجبه دفن الدم
وقال مهنا سألت أحمد عن الرجل يأخذ من شعره وأظفاره أيدفنه أم يلقيه قال
يدفنه قلت بلغك فيه شيء قال كان ابن عمر يفعله وقال الامام في قوله تعالى ألم
نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا قال يلقون فيها الدم والشعر والاظافر وهم أحياء
وتدفنون فيها موتا كم (الثانية) لا بأس بقص ظفره ونحوه وهو جنب وقد
سئل عن ذلك شيخ الاسلام كما في الفتاوي المصرية . بما صورته اذا
كان الرجل جنبا وقص ظفره أو شاربه أو مشط رأسه هل عليه شيء في ذلك
فقد أشار بعضهم الى هذا وقال اذا قص الجنب شعره أو ظفره فأنه تعود اليه

أجزاؤه في الآخرة فيقوم يوم القيامة وعليه كشط من الجنابة بحسب مانقص من ذلك أو على كل شعرة قشطا من الجنابة فهل ذلك كذلك . فأجاب رضي الله عنه بقوله قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث حذيفة ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنها انه لما ذكر له الجنب فقال صلي الله وسلم ان المؤمن لا ينجس وفي صحيح الحاكم حيا ولا ميتا قال وما أعلم على كراهة ازالة شعر الجنب وظفره دليلا شرعيا بل قد قال النبي صلى الله عليه وسلم للذى أسلم الق عنك شعر الكفر واختتن فأمر الذى أسلم ولم يأمره بتأخير الاختتان وازالة الشعر عن الاغتسال فأطلاق كلامه يقتضى جواز الامرين وكذلك تؤمر الحائض بالامتشاط في غسلها مع ان الامتشاط يذهب ببعض الشعر والله أعلم فعلمنا عدم كراهة ذلك وان ما يقال فيه مما ذكر لا أصل له والله الموفق .

وَيَحْسُنُ خَفْضُ الصَّوْتِ مِنْ عَاطِسٍ وَأَن يُغَطِّيَ وَجْهًا لِاسْتِتَارٍ مِنَ الرَّدِي

(ويحسن) يعنى يسن و يندب (خفض) ضد الرفع الصوت الخارج (من عاطس) فى حال عطاسه الا بقدر مايسمع جليسه وهذا معنى كلام الامام أحمد رضي الله عنه في رواية أبى طالب وأحمد بن أصرم (و) يحسن بمعنى يسن من العاطس (أن يغطي) أى يخمر (وجها) منه (ا) أجل (استتار) ه (من) ايصال (الردى) يعني الاذى الذى يخرج منه بسبب العطاس الى غيره فيؤذيه قال ابن عقيل و يبعد من الناس واستغرب ذلك شيخ الاسلام وقال الشيخ عبد القادر قدس الله سره ولا يلتفت يمينا ولا شمالا انتهى وصح عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا عطس غطى وجهه بثوبه و يده ثم غض لها صوته . قال الحجاوى في تغطية وجه العاطس لئلا يخرج من فمه شيء يؤذي جلساءه من بصاق وغيره أو يخرج شيء يفحش منظره انتهى قال ابن هبيرة رحمه الله و رضي عنه قال بعض الاطباء العطاس لا يكون أول مرض أبدا الا أن يكون زكمة قال ابن هبيرة فاذا عطس الانسان استدل بذلك من نفسه على صحة بدنه وجودة هضمه واستقامة قوته (و) حينئذ ينبغى له أن (يحمد) الله سبحانه وتعالى على صحته واستقامة

مطلب اذا عطس خفض صوته وغطى وجهه

قوله (جهرا) ليسمع تحميده من عنده (وليشمته) أي العاطس (سامع لتحميده) الصادر منه وجوبا فاللام للأمر ويشمت مجزوم بها وهو قوله الحمد لله ومعنى شمته بالمعجمة والمهملة دعا له بقوله يرحمك الله أو يرحمكم الله . قال في القاموس والتسميت بالمهملة ذكر الله تعالى على الشيء والدعاء للعاطس ولزوم السمت وقال والتشميت بالمعجمة التسميت والجمع والتحنين انتهى . قال في الآداب التشميت بالمعجمة هي الفصحى ومعناها أبعدك الله عن الشماتة قال ابن الانباري كل داع بخير فهو مشمت قال في النهاية هما الدعاء بالخير والبركة والمعجمة أعلاهما والشوامت قوائم الدابة وقاله في القاموس يقال لا ترك الله لها شامتة أي قائمة انتهى وبها جاء الحديث . قال في مفتاح دار السعادة التسميت بالمهملة تفعيل من السمت الذي يراد به حسن الهيئة والوقاية فيقال لفلان سمت حسن فمعنى سمت العاطس وقرته وأكرمته وتأدبت معه باذن الله ورسوله في الدعاء له وقيل سمته دعاله أن يعيده الله الى سمته قبل العطاس من السكون والوقار وطمأنينة الاعضاء فان في العطاس من انزعاج الاعضاء واضطرابها مايخرج العاطس عن سمته فاذا قال له السامع يرحمك الله فقد دعا له أن يعيده الله الى سمته وهيئته . وأما التشميت بالمعجمة فقال ابن السكيت وجمع انه بمعنى التسميت وأنهما لغتان ذكره في كتاب القلب والابدال ولم يذكر أيهما الاصل ولا أيهما البدل وقال أبو علي الفارسي المهملة الاصل في الكلمة وعكس تلميذه ابن جني لان الشوامت التي هي القوائم هي التي تحمل الفرس ونحوه وبها عصمته وهي قوامه فكأنه اذا دعاله فقد نهضه وثبت أمره وأحكم دعائمه وأنشد النابغة * طوع الشوامت من خوف ومن صرد * وقالت طائفة منهم ابن الاعرابي هو من قولهم أشمت الابل اذا حنت وسمنت وقالت فرقة أخرى معنى شمت العاطس أزلت عنه الشماتة انتهى ملخصاً والله أعلم قال في الاقناع والمنتهى وغيرهما وتشميت العاطس اذا حمد فرض كفاية كرد السلام ان كانوا جماعة والا ففرض عين وفي صحيح البخاري ان الله يحب العطاس ويكره التثاؤب وذلك لان العطاس يدل على خفة بدن ونشاط والتثاؤب غالباً لثقل البدن وامتلائه واسترخائه فيميل الى الكسل فأضافه الى الشيطان لانه يرضيه

مطلب ان الله يحب العطاس ويكره التثاؤب

ومن تسبيبه لدعائه الى الشهوات يعني يشير الى ما رواه الامام أحمدومسلم وأبو داود والترمذي وغيرهم انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله يحب العطاس و يكره التثاؤب فاذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع ولا يقل هاه هاه فان ذلك من الشيطان يضحك منه ورواه البخاري بلفظ اذا تثاءب أحدكم في الصلاة وروى النسائي وهو حسن كما في الآداب لابن مفلح العطاس من الله والتثاؤب من الشيطان فان لم يحمد الله لم يشمته وهـذا مفهوم من قول الناظم لتحميده فانه جعل علة التشميت الحمد فاذا لم يحمد لم يشمت (وفي الصحيحين) عن أنس رضي الله عنه قال عطس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان فشمت أحدهما ولم يشمت الآخر فقال له الرجل يا رسول الله شمت فلاناً ولم تشمتني فقال ان هـذا حمد الله تبارك وتعالى وانك لم تحمد وقال عليه الصلاة والسلام اذا عطس أحدكم فحمد الله تعالى فشمتوه فان لم يحمد الله تعالى فلا تشمتوه رواه مسلم وقال يحيى بن أبي كثير عن بعضهم حق على الرجل اذا عطس أن يحمد الله تعالى وان يرفع صوته وان يسمع من عنده وحق عليهم أن يشمتوه انتهى فان شمت من لم يحمد كره فان عطس وهو بعيد عنه فسمع العطاس ولم يسمع قوله الحمد لله ولم يعلم أحمد الله أم لا قال يرحمك الله ان كنت حمدت الله قال مكحول كنت الى جنب ابن عمر فعطس رجل من ناحية المسجد فقال يرحمك الله ان كنت حمدت الله فان عطس فحمد ولم يشمته أحد فسمعه من بعد عنه شرع له أن يشمته حتى يسمعه • وقد أخرج ابن عبد البر بسند جيد عن أبي داود صاحب السنن انه كان في سفينة فسمع عاطسا على الشط حمد فاكترى قارباً بدرهم حتى جاء الى العاطس فشمته ثم رجع فسئل عن ذلك فقال لعله يكون مجاب الدعوة فلما رقدوا سمعوا قائلا يقول يا أهل السفينة ان أبا داود اشترى الجنة من الله بدرهم ذكر ذلك ابن حجر في شرح البخاري (وليبد) العاطس (رد المعود) أي المعتاد الوارد في سنة خير العباد فيجب على العاطس بعد أن يحمد الله سبحانه و يشمت أن يقول مجيبا لمن شمته يهديكم الله و يصلح بالكم لقول النبي صلى الله عليه وسلم اذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله وليقل له أخوه أو صاحبه يرحمك الله فاذا قال له يرحمك الله فليقل يهديكم الله

مطلب فيما يقول العاطس وما يقول له المشمت

ويصلح بالكم رواه البخاري وان زاد ويدخلكم الجنة عرفها لكم فلا بأس به لانه روى عن الحسن انه قاله وذكره في الرعاية والآداب وغيرهما أو يقول يغفر الله لنا ولكم وقيل يقول مثل ماله وكان ابن عمر اذا عطس فقيل له يرحمك الله قال يرحمنا الله واياكم يغفر ولنا ولكم رواه الامام مالك وقال الامام أحمد التشميت يهديكم الله ويصلح بالكم وهذا معنى ماتقل غيره وقال في رواية حرب هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه وذكر القاضي انه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم لفظان أحدهما يهديكم الله والثاني يرحمكم الله كذا قال وصوب الشيخ رضي الله عنه يغفر الله لكم قال القاضي ويختار أصحابنا يهديكم الله لان معناه يديم الله هداكم واختار بعض العلماء يغفر الله لنا ولكم وقال مالك والشافعي يخير بين هذا وبين يهديكم الله ويصلح بالكم • والحاصل ان الانسان اذا عطس سن له ان يقول الحمد لله أو الحمد لله على كل حال أو الحمد لله رب العالمين كل ذلك ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وأن يقول له جليسه يرحمك الله وجاز الاتيان بميم الجمع وأن يقول العاطس مجيباً لمن شمته يهديكم الله الى آخره كما مر وهو الافضل أو يقول يغفر الله لنا ولكم وقيل يقول مثل ما قيل له كما ذكرنا عن ابن عمر قال ولا أصل لما اعتاده كثير من الناس من استكمال قراءة الفاتحة بعد قوله الحمد لله رب العالمين وكذا العدول عن الحمد الى أشهد أن لا اله الا الله أو تقديمها على الحمد فمكروه • وقد أخرج البخارى في الادب المفرد بسند صحيح عن مجاهد ان ابن عمر سمع ابنه عطس فقال أب فقال وما أب ان الشيطان جعلها بين العطسة والحمد واخرجه ابن أبي شيبة بلفظ أش بدل أب قال الحافظ ابن حجر يخير بين الحمد لله أو يزيد رب العالمين أو على كل حال وما كان أكثر ثناء كان أفضل بشرط أن يكون مأثورا وان حمده اذا عطس سنة وتشميته فرض كفاية واجابة المشمت فرض عين من الواحد ومن الجماعة بأن عطس جماعة فشمتوا فرض كفاية كما صرحوا بذلك خلافا لظاهر الدليل فانه يقتضي انه فرض عين • وذكر بعض العلماء ان تشميت العاطس فرض عين قال الامام ابن القيم ولا دافع له انتهى لقول النبي صلى الله عليه وسلم اذا عطس احدكم وحمد الله تعالى كان حقا على كل مسلم سمعه

أن يقول يرحمك الله رواه الشيخان ولفظ البخاري من حديث ابي هريرة رضى الله عنه مرفوعا فاذا عطس احدكم فحمد الله فحق على كل مسلم سمعه ان يقول يرحمك الله (فوائد) الاولى قال الامام ابن القيم في كتابه مفتاح دار السعادة ومما كان الجاهلية يتطيرون به ويتشاءمون منه العطاس كما يتشاءمون بالبوارح والسوانح قال روبة بن العجاج يصف فلاة . قطعتها ولا اهاب العطاسا . وقال امرؤ القيس

وقد اغتدى قبل العطاس بهيكل　　شديد مسد الجيب نعم المنطق

اراد انه كان ننبه للصيد قبل ان يتنبه الناس من نومهم لئلا يسمع عطاسا فيتشاءم به وكانوا اذا عطس من يحبونه قالوا له عمرا وشبابا واذا عطس من يكرهونه قالوا له وريا وقحابا والوري كالرمي داء يصيب الكبد فيفسدها والقحاب كالسعال وزنا ومعنى فكأن الرجل اذا سمع عطاسا فتشاءم به يقول بك لابي اي اسأل الله ان يجعل شؤم عطاسك بك لابي وكان تشاؤمهم بالعطسة الشديدة اشد كما يحكى عن بعض الملوك ان مسامرا له عطس عطسة شديدة راعته فغضب الملك فقال سميره والله ما تعمدت ذلك ولكن هذا عطاسي فقال والله لئن لم تأتني بمن يشهد لك بذلك لاقتلنك فقال اخرجني الى الناس لعلي اجد من يشهد لي فأخرج وقد وكل به الاعوان فوجد رجلا فقال نشدتك بالله ان كنت سمعت عطاسي يوما فلعلك تشهد لي به عند الملك فقال نعم انا اشهد لك فنهض معه فقال ايها الملك انا أشهد ان هذا الرجل يوما عطس فطار ضرس من اضراسه فقال له الملك عد الي حديثك ومجلسك فلما جاء الله بالاسلام . وابطل برسوله ما كان عليه الجاهلية الطغام . من الضلال والآثام . نهى امته عن التشاؤم والتطير وشرع لهم ان يجعلوا مكان الدعاء على العاطس بالمكروه دعاء له بالرحمة . ولما كان الدعاء على العاطس نوعا من الظلم والبغي جعل الدعاء له بلفظ الرحمة المنافي للظلم وامر العاطس ان يدعو لسامعه ومشمته بالمغفرة والهداية واصلاح البال فيقول يغفر الله لنا ولكم او يهديكم الله ويصلح بالكم فأما الدعاء بالهداية فلما انه اهتدى الى طاعة الرسول ورغب عما كان عليه الجاهلية فدعا له ان يثبته الله عليها ويهديه اليها وكذلك الدعاء باصلاح

مطلب لا يستحب تشميت الذمي

البال وهي كلمة جامعة له صلاح شأنه كله وهي من باب الخيرات ولما دعا لاخيه بالرحمة فناسب ان يجازيه بالدعاء له باصلاح البال واما الدعاء المغفرة فجاء بلفظ يشمل العاطس والمشمت فيقول يغفر الله لنا ولكم ليتحصل من مجموع دعوى العاطس والمشمت لهما المغفرة والرحمة معاً فصلوات الله وسلامه على المبعوث بصلاح الدنيا والآخرة قال ولأجل هذا والله أعلم لم يؤمر بتشميت من لم يحمد الله فالدعاء له بالرحمة نعمة فلا يستحقها من لم يحمد الله ولم يشكره على هـذه النعمة ويتأسى بأبيه آدم فانه لما نفخت فيه الروح و بلغت الى خياشيمه عطس فألهمه ربه تبارك وتعالى أن نطق بحمده فقال الحمد لله فقال الله سبحانه يرحمك الله يا آدم فصارت تلك سنة العاطس فمن لم يحمد الله لم يستحق هـذه الدعوة ولما سبقت هذه الكلمة لآدم عليه السلام قبل أن يصيبه ما أصابه كان مآله الى الرحمة وكان ما جرى عارضا وزال فان الرحمة سبقت العقوبة وغلبت الغضب انتهى ملخصا والله أعلم . وقد علمنا أن أول نفس خرج من أبينا آدم العطاس وأول كلمة جرت على لسانه الشريف حمد الله جل شأنه .

(الثانية) لا يستحب تشميت الذمي نص عليه وهل يباح أو يكره أو يحرم أقوال : قال الامام ابن عقيل ولا يستحب تشميت الكافر فان شمته أجابه بآمين يهديكم الله فانها دعوة تصلح للمسلم والكافر . وروى الامام أحمد أن أبا مسلم قال كان اليهود يتعاطسون عند النبي صلى الله عليه وسلم رجاء أن يقول لهم يرحمكم الله فكان يقول يهديكم الله و يصلح بالكم قال شيخ الاسلام نص احمد أنه لا يستحب تشميت الذمي قال القاضي عدم التشميت ظاهر كلام أحمد لأنه تحية له فهو كالسلام يدل عليه ما رواه أبو حفص باسناده عن النبي صلي الله عليه وسلم قال للمسلم على المسلم ست خصال ان ترك منهن شيئاً ترك حقا واجبا عليه اذا دعاه أن يجيبه واذا مرض أن يعوده واذا مات أن يشيعه واذا لقيه أن يسلم عليه واذا استنصحه أن ينصحه واذا عطس أن يشمته فلما خص المسلم بذلك دل على أن الكافر بخلافه ورواه أهل السنن الا قوله حقا واجبا عليه ولأحمد ومسلم من حديث أبي هريرة حق على المسلم ست فذكره قال شيخ الاسلام التخصيص بالوجوب أو الاستحباب انما ينفي ذلك في حق الذمي كما ذكره الامام أحمد في النصيحة واجابة الدعوة لا ينفي

جواز ذلك في حق الذمي من استحباب ولا كراهة كاجابة دعوته وظاهر كلام أحمد يكره قال وكلام ابن عقيل انما ينفي الاستحباب فاذا كان في التهنئة والتعزية والعيادة روايتان فالتشميت كذلك انتهى والله أعلم . (الثالثة) روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من سبق العاطس بالحمد أمن من الشوص واللوص والعلوص وهذه أوجاع اختلف في بعضها ذكره ابن الأثير وغيره قال في التمييز وغيره والحديث ضعيف وقد نظمه بعضهم فقال

من يستبق عاطسا بالحمد يأمن من ... شوص ولوص وعلوص كذا وردا

عنيت بالشوص داء الرأس ثم بما ... يليه داء البطن والضرس اتبع رشدا

وفي بعض الكتب وهو أولى

فالداء في الضرس شوص ثم في أذن ... لوص وفي البطن علوص كذا وجدا

يعني في اللغة . قال في القاموس الشوص وجع الضرس والبطن وقال في العلوص كسنور التخمة ووجع في البطن وقال في اللوص وجع الأذن أو النحر ومثل ذلك في النهاية فظهر بما قلنا أولوية الشعر الثاني والله الموفق . قال في الآداب الكبرى وكان غير واحد من أصحابنا المتأخرين يذكر هذا الخبر يعني من سبق العاطس الى آخره ويعلمه الناس (الرابعة) ذكر سيدنا الشيخ عبد القادر في الغنية روي في بعض الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم أن العبد اذا قال الحمد لله قال الملك رب العالمين فاذا قال العبد رب العالمين بعد الحمد قال الملك يرحمك ربك فيتوجه على هذا أن يرد عليه ذكره في الآداب والخبر الذي أشار اليه الشيخ عبد القادر قدس الله سره رواه الطبراني والحافظ الضياء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما

وَقُلْ لِلْفَتَى عُوفِيتَ بَعْدَ ثَلَاثَةٍ ... وَلِلطِّفْلِ بُورِكَ فِيكَ وَأْمُرْهُ يَحْمَدِ

(وقل) أيها المسلم المتشرع الذى لنيل الفضائل متشوق ومتطلع (للفتى) المسلم وأصله لغة الشاب والمراد به كل مسلم لا يجب هجره ولا يسن وليس بأجنبية على ماتقدم في السلام وتشمت المرأة المرأة والرجل الرجل والمرأة العجوز البرزة لأمن الفتنة

وأما الشابة فلا يشمتها ولا تشمته كما في الاقناع وغيره (عوفيت) دعاء له بالعافية وهي كلمة جامعة لخيري الدنيا والآخرة ٠ وفي المسند من حديث أبي بكر الصديق رضى الله عنه مرفوعاً وسلوا الله المعافاة فانه لم يؤت رجل بعد اليقين خيرا من المعافاة (وفي صحيح) الحاكم عن ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعاً ماسئل الله عز وجل شيأ أحب له من ان يسأل العافية. وفي العافية عدة أخبار مأثورة عن النبي المختار صلى الله عليه وسلم (بعد ثلاثة) أي بعد تشميتك له ثلاث مرات بقولك له يرحمك الله أو يرحمكم الله فاذا عطس رابعة لا يشمت بل يقال له عوفيت وهذا الذي ذكره السامري وسيدنا الشيخ عبد القادر وقال شيخ الاسلام وهو منصوص الامام أحمد وقيل أو ثالثة وهو الذي ذكره ابن تميم وقال شيخ الاسلام هو الذي اتفق عليه كلام القاضي وابن عقيل وقيل أو مرتين والمذهب المعتمد الاول قال في الاقناع وشرحه كغيره فان عطس ثانياً وحمد شمته وثالثا شمته ورابعا دعا له بالعافية ولا يشمت للرابعة الا اذا لم يكن شمته قبلها ثلاثا فالاعتبار بفعل التشميت لا بعدد العطسات فلو عطس أكثر من ثلاث متواليات شمته بعدها اذا لم يتقدم تشميت قال صاحب المنتهى فى شرحه والحجاوي في شرح المنظومة قولا واحدا وقاله الامام ابن مفلح في الآداب الكبرى ولفظ الآداب ويقال له عافاك الله لانه ريح قال صالح لابيه يشمت العاطس في مجلسه ثلاثا قال أكثر ماقيل فيه ثلاث قال وهذا مع كلام الاصحاب يدل على ان الاعتبار بفعل التشميت لا بعدد العطسات فلو عطس أكثر من ثلاث متواليات شمته بعدها اذا لم يتقدم تشميت قولا واحداً قال والادلة توافق هذا وهو واضح قال مهنا للامام أحمد أي شئ مذهبك في العاطس يشمت الى ثلاث مرار فقال الى قول عمرو بن العاص قال العاطس بمنزلة الخاطب يشمت الى ثلاث فما زاد فهو داء في الرأس وقال أبو الحارث عنه يشمت الى ثلاث وروى ابن ماجه واسناده جيد ثقات عن سلمة بن الاكوع مرفوعاً يشمت العاطس ثلاثاً فما زاد فهو مزكوم ولابي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفاً ومرفوعاً مثله ولمسلم وأبي داود عن سلمة رضي الله عنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعطس رجل فقال له يرحمك الله ثم عطس أخرى فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل مزكوم وعند الترمذي قال له في الثالثة أنت مزكوم قال وهو أصح من الاول وقد علمت ان المذهب المعتمد ان يشمت الى ثلاث ويدعى له في الرابعة والله أعلم (تنبيهات الاول) قوله • وقل للفتى عوفيت بعد ثلاثة• لعله على سبيل الاستحباب ولعل مراده كغيره اذا حمد الله ولم أر من تعرض لكل منهما وهو مرادهم في الاول بلا ريب وفي الثاني فيما يظهر لكراهة تشميت من لم يحمد الله (الثاني) لم أر لاحد من الاصحاب ولا غيرهم في أن الداعي للعاطس بالعافية هل يستحق جواباً أم لا ولعله يجيب بقوله عافانا الله واياك وهو مأخوذ من قول ابن عمر رضي الله عنهما وهل يكون مستحباً أو واجباً او مباحاً لم ار من تعرض لشيء من ذلك والذى يظهر ان قلنا الدعاء له بالعافية مستحب فالاجابة كذلك وان قلنا واجب فكذلك الاجابة والله ولي الانابة (الثالث) قال في الآداب الكبرى وغاية الشيخ مرعى كالاقناع وغيرهم ولا يجيب المتجشي بشيء فان حمد الله قال له سامعه هنيئاً مريئاً أو هناك الله وأمراك قاله في الرعاية الكبرى وكذا الامام ابن عقيل قال ولا يعرف فيه سنة بل هو عادة موضوعة (واخرج) الترمذي وقال حسن غريب عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رجلا تجشى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كف عنا جشاءك فان اكثرهم شبعا اكثرهم جوعا يوم القيامة • قال الامام احمد في رواية ابي طالب اذا تجشى الرجل وهو في الصلاة فليرفع رأسه الى السماء حتى يذهب الريح فاذا لم يرفع رأسه آذى من حوله من ريحه قال وهذا من الادب وقال في رواية مهنا اذا تجشي الرجل ينبغي ان يرفع وجهه الى فوق لكي لايخرج من فيه رائحة يؤذي بها الناس فقيد في الاولى بكونه في الصلاة واطلق في الثانية وظاهر العلة يقتضي حيث كان ثم ناس والا فلا يطلب منه رفع وهذا ظاهر والله أعلم (وقل) ايها الجليس السامع (للطفل) المراد به هنا من لم يبلغ الحلم قال في النهاية والطفل الصبي ويقع على الذكر والأنثى والجماعة ويقال طفلة واطفال وفي القاموس والطفل بالكسر الصغير من كل شيء أو المولود اذا عطس (بورك) أي بارك الله (فيك) ايها الغلام وقال الشيخ عبد القادر قدس الله روحه يقال له بورك فيك وجبرك الله وقد روي انه

عطس عند النبي صلى الله عليه وسلم غلام لم يبلغ الحلم فقال الحمد لله رب العالمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم بارك الله فيك ياغلام رواه الحافظ السلفي في انتخابه (وأمره) ايها الجليس يعني انه ينبغي للجليس ان يأمر الطفل اذا عطس (يحمد) مجزوم في جواب الامر وحرك بالكسر كنظائره للقافية أي يحمد الله بان يقول له قل الحمد لله رب العالمين قال في الآداب الكبرى ويقال للصبي قبل الثلاث يريد قبل تشميته ثلاثا بورك فيك وكذا قال الشيخ عبد القادر وزاد وجبرك الله وقال عن الناظم وان عطس صبي يعني علم الحمد لله ثم قيل له يرحمك الله او بورك فيك ويعلم الرد وان كان طفلا حمد الله وليه او من حضر وقيل له نحو ذلك انتهى . قال في الآداب اما كونه يعلم الحمد فواضح واما تعليمه الرد فيتوجه فيه ما سبق في رد السلام وتقدم انه لا يجب على الصبي رد السلام ولا يسقط ان كان مع بالغين به فرض الكفاية والله أعلم . واستظهر في الآداب انه يدعى له وان لم يحمد الله واستظهر ايضا انه لا حكم لعطاس المجنون وانه يشرع له الدعاء في الجملة والله أعلم (تنبيه) ظاهر النظم ان العاطس اذا نسي أن يحمد الله لم يذكر وبه جزم في الاقناع وفي الغاية ولا يذكر ناس ولا بأس بتذكيره واحتمال ارادة الناظم بقوله وأمرة يحمد الصبي والكبير اذا لم يحمد الله تعالى اما لنسيان اوغيره كما قال الحجاوي رحمه الله بعيد لان الضمير يعود للطفل كما لا يخفى نعم يعلم قريب عهد بالاسلام ونحوه الحمد كصغير . وقال الامام ابن القيم قدس الله روحه اختلف الناس في مسئلتين (الاولى) اذا ترك العاطس الحمد هل يستحب لمن حضره ان يذكره الحمد قال ابن العربي لا يذكره وهذا جهل من فاعله وقال النووي أخطأ من زعم ذلك بل يذكره لانه مروي عن النخعي وهو من التعاون على البر والتقوى قال ابن القيم وظاهر السنة تقوي قول ابن العربي لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشمت الذي لم يحمد الله ولم يذكره وهذا تعزير له وحرمان لبركة الدعاء لما حرم نفسه بتركه الحمد فنسي الله تعالى فصرف قلوب المؤمنين والسنتهم عن تشميته والدعاء له ولو كان تذكيره سنة لكان النبي صلى الله عليه وسلم اولى بفعلها وتعليمها والاعانة عليها . (الثانية) ان العاطس اذا حمد الله فسمعه بعض الحاضرين دون بعض هل يسن لمن لم يسمعه تسميته

مطلب اذا ترك العاطس الحمد هل يستحب تذكيره أم لا

فيه قولان والاظهر انه يشمته انتهي قلت والمذهب في هذه المسئلة أن تشميته على من سمع فرض كفاية ان كانوا اثنين فصاعدا والافرض عين والله أعلم. وذكر في شرح الاقناع كالاداب الكبرى في المسئلة الاولى ما يؤيد انه ينبغي تذكير من نسي حمد الله قال المروذي ان رجلا عطس عند أبي عبد الله رضي الله عنه فلم يحمد الله فانتظره أبو عبد الله أن يحمد الله فيشمته فلما أراد أن يقوم قال له أبو عبد الله رضي الله عنه كيف تقول اذا عطست قال أقول الحمد لله فقال له أبو عبد الله يرحمك الله قال في الآداب وهذا يؤيد ما سبق يعني من كون بعض الاصحاب كان يذكر خبر من سبق العاطس بالحمد أمن من الشوص الخ و يعلمه الناس قال وهو متجه والله أعلم

وَغطِّ فَماً وَاكْظِمْ تُصِبْ فِي تَثَاؤُبٍ ‍ ‍ ‍ فَذَلِكَ مَسْنُونٌ لِأَمْرِ الْمُرْشِدِ

(وغط) أيها المتثاوب (فما) حيث غلبك ولم تستطع كظمه (وا كظم)ه ان استطعت فان المسنون لك اذا تثاوبت أن تكظم والكظم مسك فمه وانطباقه لئلا ينفتح مهما استطاع فان غلب التثاؤب غطى الفم بكم أو غيره كيده لقوله صلى الله عليه وسلم اذا تثاوب أحدكم فليكظم ما استطاع وفي رواية فليضع يده على فمه فان الشيطان يدخل مع التثاؤب وقال لي شيخنا التغلبي فسح الله له في قبره. وأغدق عليه سحائب عفوه و بره. ان غطيت فمك في التثاؤب بيدك اليسرى فبظاهرها وان كان بيدك اليمنى فبباطنها قال والحكمة في ذلك لان اليسري لما خبث ولا أخبث من الشيطان فاذا وضع اليمنى فبطنها لانه أبلغ في الغطا واليسرى معدة لدفع الشيطان واذا غطى بظهر اليسري فبطنها معد للدفع انتهى فانك ان فعلت ما أمرت به من الكظم حسب الطاقة ثم تغطية الفم اذا لم نطق الكظم (تصب) من الاصابة وهي ضد الخطأ (في) فعلك الذى فعلته من الكظم والتغطية في (تثاؤب) بالهمز تثاؤبا وزان تفاعل تفاعلا قيل هي فترة تعترى الشخص فيفتح عندها فاه وتثاوب بالواو عامي قاله الحجاوي في لغة اقناعه وفي القاموس تثاءب وتثاوب أصابه كسل وفترة كفترة النعاس وهي الثأبا والثأب محركة انتهى وفي

مطلب في تغطية الفم و كظمه عند التثاؤب

مطالع الانوار اذا تثاءب والاسم الثوباء و يسهل فيقال تثاوب قال ابن در يد أصله من ثئب فهو مثيب إذا كسل واسترخا فظهر بما قلنا ان الواو لغة لا كما قال الحجاوى . قال في الآداب الكبرى من تثاءب كظم ما استطاع للخبر وأمسك يده على فمه أو غطاه بكمه أوغيره ان غلب عليه التثاوب لقوله عليه الصلاة والسلام التثاوب من الشيطان فاذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع فإن أحدكم اذا تثاءب ضحك منه الشيطان وفيه ان الله يحب العطاس و يكره التثاوب فاذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع ولا يقل هاه هاه فان ذلك من الشيطان يضحك منه رواه الامام أحمد ومسلم وأبوداود والترمذي وغيرهم والبخاري ولفظه اذا تثاءب أحدكم في الصلاة وقدمنا حديث العطاس من الله والتثاوب من الشيطان قال في النهاية انما أحب العطاس لانه انما يكون مع خفة البدن وانفتاح المسام وتيسر الحركات والتثاوب بخلافه ولا يزيل يده عن فمه حتى يفرغ تثاوبه و يكره اظهاره بين الناس مع القدرة على كفه وان احتاجه تأخر عن الناس وفعله وعنه يكره التثاوب مطلقا (فذلك) الذي ذكرناه لك من الكظم والتغطية وادامة التغطية الى فراغ التثاوب وعدم اظهار صوت بنحو هاه وأخ وماله هجاء وان كان ذلك في صلاة يعني اظهار ماله حروف هجاء أبطلها لانه كالكلام (مسنون) يثاب على فعله لاقتدائه (بأمر المرشد) بضم الميم وشد الشين رحمه الله ضرورة والمراد به النبي صلى الله وسلم مأخوذ من الرشد يقال رشد كنصر وفرح رشدا ورشدا ورشادا اهتدى والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه والرشيد في أسمائه تعالى الهادي الى سواء الصرط والذي حسن تقديره فيما قدر ولا شك ان نبينا صلى الله عليه وسلم أرشد الناس الى الطريق المستقيم والدين المتين القويم . فهو المرشد الحكيم عليه أفضل الصلاة والتسليم (تتمة) روى عن سيدنا علي ابن ابي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال سبع من الشيطان شدة الغضب وشدة العطاس وشدة التثاوب والقيء والرعاف والنجو والنوم عند الذكر والله أعلم .

وَلاَ بَأْسَ شَرْعًا أَنْ يَطِبَّكَ مُسْلِمٌ وَتَشْكُو الَّذِي تَلْقَى وَبِالْحَمْدِ فَابْتَدِي

(ولا بأس)أي لا حرج (شرعا)أى في الشرع (أن يطبك) أى أن يداويك

طبيب (مسلم) ثقة قال في الآداب الكبرى يباح التداوى وتركه أفضل نصا قال في رواية المروذى العلاج رخصة وتركه درجة أعلى منه ويأتي في النظم محترز قوله مسلم أنه يكره استطبابه ذميا (وتشكو) الواو ابتدائية وليست عاطفة على أن يطبك لان الفعل مرفوع لامنصوب أوعاطفة وعدم فتحة الواوضرورة (الذى تلقاه) من النصب والوجع والوصب والعي واللغب (و) اذا فعلت ذلك من الشكاية فليكن على سبيل الاخبار والحكاية لاعلى سبيل التضجر والتبرم والتسخط والتألم و(بالحمد) لله جل شأنه الذي خلقك من الماء المهين وخصك بالعقل واليقين (فابتدى) قبل أن تفوه بالشكاية والاخبار عما تجد من الالم والشكاية بأن تقول الحمد لله أجد كذا وكذا والحمد لله بي الشيء الفلاني من الاذي قال الامام ابن مفلح في فروعه ويخبر بما يجده بلاشكوي وكان أحمد رضي الله عنه يحمد الله أولا لخبر ابن مسعود اذا كان الشكر قبل الشكوى فليس بشاك متفق عليه وقال صاحب المحرر يخبر بما يجده لغرض صحيح لا لقصد شكوي واحتج الامام أحمد رضي الله عنه بقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة لما قالت وارأساه قال بل انا وارأساه واحتج ابن المبارك رضى الله عنه بقول ابن مسعود رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم انك لتوعك وعكا شديدا قال أجل كما يوعك رجلان منكم متفق عليه . وفي فنون الامام ابن عقيل قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا . يدل على جواز الاستراحة الى نوع من الشكوى عند أمساس البلوى . قال ونظيره ياأسفي على يوسف مسني الضر مازالت أكلة خيبر تعاودني . وفي تفسير ابن الجوزي في الآية الاولى هذا يدل على اباحة أظهار مثل هذا القول عند مايلحق لانسان من الاذى والتعب ولا يكون ذلك شكوى وقال ابن الجوزي أيضا شكوى المريض مخرجة من التوكل وقد كانوا يكرهون انين المريض لانه يترجم عن الشكوى ثم احتج بقول رجل للامام أحمد رضي الله عنه كيف تجدك ياأبا عبد الله قال بخير في عافية فقال له حممت البارحة قال اذا قلت لك أنا في عافية فحسبك لاتخرجني الى ما أكره ووصف المريض ما يجده للطبيب لا يضره والنص المذكور لاحجة له فيه انما يدل لما قاله هو وغيره اذا كانت المصيبة مما يمكن كتمها فكتمانها من اعمال الله الخفية قال في الفروع ولهذا ذكر شيخنا يعني شيخ الاسلام ابن يتمية رضي الله عنه ان عمل

مطلب في شكاية المريض ما يجده من الوجع

القلب من التوكل وغيره واجب باتفاق الائمة وان الصبر واجب بالاتفاق قال والصبر لاتنافيه الشكوى قال والصبر الجميل صبر بغير شكوى الى المخلوق والشكوى الى الخالق لاتنافيه بل شكواه الى الخالق مطلوبة وقد نقل عبد الله في انين المريض أرجو انه لا يكون شكوى لكنه اشتكى الى الله قلت انين المريض تارة يكون عن تبرم وتضجر فيكره وتارة يكون عن تسخط بالمقدور فيحرم فيما يظهر وتارة يكون لاجل مايجد ويجد به نوع استراحة بقطع النظر عن التضجر والتبرم فيباح وتارة يكون عن ذل بين يدي رب العالمين وانكسار وخضوع وافتقار ومسكنة واحتقار مع حسم مادة العون الا من بابه، والشفاء الا من عنده. والعافية الا من كرمه. فهذا لا يكره فيما يظهر بل يندب اليه واليه الاشارة في حديث وان لم يثبت المريض انينه تسبيح وصياحه تكبير ونفسه صدقة ونومه عبادة ونقله من جنب الي جنب جهاد في سبيل الله. قال الحافظ ابن حجر ليس بثابت والله أعلم. واقتصر الامام الحافظ ابن الجوزي على قول الزجاج ان الصبر الجميل لا جزع فيه ولا شكوى الى الناس وأجاب عن قوله يا أسفى على يوسف بوجهين أحدهما انه شكا الى الله لا منه واختاره ابن الانباري وهو من أصحابنا والثاني انه أراد به الدعاء فالمعنى يارب ارحم أسفي على يوسف وقال في قوله رب مسني الضر وانت أرحم الراحمين ان قيل ابن الصبر وهذا لفظ الشكوى فالجواب ان الشكوى الى الله لا تنافي الصبر وانما المذموم الشكوى الى الخلق ألم تسمع قول يعقوب عليه السلام انما أشكو بثي وحزني الى الله قال سفيان ابن عيينة وكذلك من شكا الى الناس وهو في شكواه راض بقضاء الله لم يكن ذلك جزعا ألم تسمع قول النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه اجدني مغموما واجدني مكروبا وقوله بل انا وارأساه هذا سياق ماذكره ابن الجوزي وذكره عنه في الفروع. وقال الامام المحقق ابن القيم في كتابه شرح منازل السائرين وقد أمر الله سبحانه في كتابه بالصبر الجميل الذي لا شكوى معه وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم قال وفي أثر اسرائيلي أوحى الله الى نبي من أنبيائه انزلت بعبدي بلائي فدعاني فما طلته بالاجابة فشكاني فقلت عبدي كيف ارحمك من شئ به ارحمك ثم قال والشكوى الى الله عز وجل لا تنافي الصبر فان يعقوب عليه السلام وعد بالصبر

الجميل والنبي اذا وعد لا يخلف ثم قال انما اشكوا بثي وحزني الى الله وكذلك أيوب اخبر الله عنه انه وجده صابرا مع قوله مسني الضر وانت أرحم الراحمين ، وانما ينافي الصبر شكوى الله لا الشكوى اليه كما رأى بعضهم رجلا يشكو الى آخر فاقة وضرورة فقال ياهذا تشكو من يرحمك الي من لا يرحمك ثم انشده

واذا عراك بلية فاصبر لها ... صبر الكريم فانه بك أعلم

واذا شكوت الى ابن آدم انما ... تشكو الرحيم الى الذي لا يرحم

(تنبيه) قال في الاداب الكبرى ينبغي أن يقال طبيب لا حكيم لاستعمال الشارع قال الجوهري الحكيم العالم وصاحب الحكمة والحكيم المتقن للامور وقد حكم أي صار حكيما قال في الآداب والطبيب يتناول لغة من يطب الآدمي والحيوان وغيرهما كما يتناول الطبايعي والكحال والجرائحي وأنواعه والطبيب الحاذق من يراعي نوع المرض وسببه وقوة المريض هل تقاوم المرض فان قاومته تركه ومزاج البدن الطبيعي ماهو والمزاج الحادث على غير المجرى الطبيعي وسن المريض وبلده وعادته وما يليق بالوقت الحاضر من فصول السنة وحال الهواء وقت المرض والدواء وقوته وقوة المريض وازالة العلة مع امن حدوث اصعب منها انتهى

وَتَرْكُ الدَّوَا أَوْلَى وَفِعْلُكَ جَائِزٌ ... وَلَمْ تَتَيَقَّنْ فِيهِ حُرْمَةَ مُفْرَدِ

(وترك الدوا) وهو كما في القاموس مثلثة ماداويت به وقال الحجاوي في لغة اقناعه الدواء ما يداوى به مثلث الدال ممدود وفتحها أفصح والجمع أدوية وداويته مداواة والاسم الدواء والداء المرض وجمعه ادواء (أولى) أي أفضل من الدواء بمعني التداوى نص عليه قال في رواية المروذي العلاج رخصة وتركه أعلى درجة منه وكان يكون به يعني الامام علل ولا يخبر الطبيب بها اذا سأله لما في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون . وفي رواية الذين لا يرقون ولا يسترقون وذكره بعضهم من رواية مسلم وقال عليه الصلاة والسلام من اكتوى أو استرقى

فقد بريء من التوكل رواه الامام أحمد وغيره ورواته ثقات وصححه الترمذي وفي حديث جيد لم يتوكل من استرقى وجزم في الاقناع والمنتهى وغيرهما بأن ترك الدواء أفضل وانه لايجب ولو ظن نفعه (وفعلك) أيها المريض ونحوه للتداوي (جائز) أي مباح لاحرام ولا مكروه. وقد روى ابن ماجه والترمذي وصححه عن خباب رضي الله عنه انه قال وقد اكتوى في بطنه سبع كيات ما أعلم احدا من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لقي من البلاء مالقيت وهذا والله أعلم قال خباب رضي الله عنه تسلية للمؤمن المصاب لا على وجه الشكاية فلولا المداواة جائزة لما اكتوي خباب رضي الله عنه وقيل فعل التداوي أفضل من تركه وبه قال بعض الشافعية وذكر الامام النووي في شرح مسلم انه مذهب الشافعية وجمهور السلف وعامة الخلف وقطع به ابن الجوزى من أئمتنا فى المنهاج والقاضي وابن عقيل وغيرهم واختاره الوزير ابن هبيرة في الافصاح قال ومذهب أبي حنيفة انه مؤكد حتى يداني به الوجوب ومذهب مالك انه يستوى فعله وتركه فانه قال لابأس بالتداوي ولا بأس بتركه وذكر ابن هبيرة ان علم الطب والحساب والفلاحة فرض كفاية وأجاب عن قوله صلى الله عليه وسلم لايكتوون ولا يسترقون بأنهم كانوا في الجاهلية يسترقى الرجل بالكلمات الخبيثة فيوهمه الراقي في ذلك وفي الكي أنهما يمنعانه من المرض أبدا فذلك الذى منع منه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والحجامة سنة وهى أقوى دليل على فعل التداوي وذكر أشياء كثيرة تدل علي ان فعل التداوي أولي من تركه وقد قال صلى الله عليه وسلم عباد الله تداووا فان الله لم يضع داء الا وضع له شفاء أو دواء الا داء واحدا قالوا يا رسول الله وما هو قال الهرم رواه أبو داود والترمذي وصححه. وفي مسند الامام أحمد عن عروة بن الزبير عن خالته عائشة الصديقة رضى الله عنها قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثرت أسقامه فكان يقدم عليه أطباء العرب والعجم فيصفون له فنعالجه وفي المسند أيضا عن أنس مرفوعا ان الله حيث خلق الداء خلق الدواء فتداووا وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات

فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت أنفث عليه وأمسحه بيد نفسه لأنها أعظم بركة من يدي وفي رواية فيها فلما اشتكى كان يأمرني أن أفعل ذلك به وفيهما كان اذا اشتكي يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح منه بيده رجاء بركتها وفيهما عنها رضي الله عنها أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن استرقي من العين وفيهما عن أم سلمة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجارية في بيتها رأى في وجهها سفعة يعني صفرة فقال بها نظرة استرقوا لها قوله بها نظرة أي عين وقيل عين من نظرة الجن وقيل فعل التداوي واجب زاد بعضهم ان ظن نفعه قال شيخ الاسلام قدس الله روحه ليس بواجب عند جماهير الائمة انما أوجبه طائفة قليلة من أصحاب الشافعي وأحمد انتهى وأحاديث الامر بالتداوي للاباحة والارشاد دون الوجوب كما نبه عليه غير واحد (و) انما يباح الدواء حيث (لم تتيقن) واليقين المراد به العلم هنا وهو في الاصل ازاحة الشك وعرفوه بأنه حكم الذهن الجازم المطابق للواقع (فيه) أي الدواء الذي تداوى به (حرمة مفرد) من مفرداته فان كان الدواء بمحرم أو في مفرداته شيء محرم حرم وفاقا لابي حنيفة ومالك رضي الله عنهما وكذا الشافعي في المسكر ولا فرق في المحرم بين كونه مأكولا وغيره من صوت ملهاة وغيره نقله الجماعة في البان الآتن وفي الترياق والخمر ونقله المروذي في مداواة الدبر بالخمر ولو أمره أبوه بشرب دواء بخمر وقال أمك طالق ثلاثا ان لم تشرب به حرم شربه نعم يجوز التداوي ببول ابل فقط ذكره جماعة (تنبيه) الذي جزم به في الاقناع والغاية أنه يحرم بمحرم أكلا وشربا وسماعا وبسم وتميمة وهي خرزة أو خيط ونحوه يتعلقها وقال في الغاية ترك التداوي في حق نفسه أفضل فعلى هذا ترك تداوي عبده وأمته وزوجته ليس بأفضل والله أعلم . وروى أبو داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تداووا بحرام ورواه البيهقي وهو حسن كما قال في الآداب وفي الفروع عن البلغة لا يجوز التداوي بخمر في مرض وكذا بنجاسة أكلا وشربا وظاهره يجوز بغير أكل وشرب وأنه يجوز بطاهر . وفي الغنية لسيدنا الشيخ عبد

مطلب فيما يجوز به التداوي وما لا يجوز

القادر رضي الله عنه يحرم بمحرم كخمر وشيء نجس وذكر أبو المعالي يجوز اكتحاله بميل ذهب وفضة وذكره شيخ الاسلام لأنها حاجة ويباحان لها ولا بأس بالحية نقله حنبل والله أعلم

وَرَجِّحْ عَلَى الْخَوْفِ الرَّجَا عِنْدَ يَأْسِهِ ... وَلَاقِ بِحُسْنِ الظَّنِّ رَبَّكَ تَسْعَدِ

(ورجح) أي غلب وميز من رجح الميزان يرجح مثلثة رجوحا ورجحانا مال (على الخوف) ضد الأمن وهو في اللغة الفزع قال الامام المحقق في شرح منازل السائرين الوجل والخوف والخشية والرهبة ألفاظ متقاربة غير مترادفة قال أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه الخوف توقع العقوبة على مجاري الانفاس وقيل الخوف اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف وقيل الخوف قوة العلم بمجارى الأحكام قال ابن القيم وهذا سبب الخوف لا نفسه وقيل الخوف هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره . وفي متن منازل السائرين الخوف الانخلاع عن طمأنينة الأمن بمطالعة الجزاء قال المحقق والخشية أخص من الخوف فانها للعلماء بالله . قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فهي خوف مقرون بمعرفة وقال النبي صلى الله عليه وسلم اني أتقاكم لله وأشدكم له خشية فالخوف حركة والخشية انجماع وانقباض وسكون فان الذي يرى العدو والسيل ونحو ذلك له حالتان احداهما حركته للهرب منه وهي حالة الخوف والثانية سكونه وقراره في مكان لا يصل اليه وهي الخشية قال وأما الرهبة فهي الامعان في الهرب من المكروه وهي ضد الرغبة التي هي سفر القلب في طلب المرغوب فيه وبين الرهب والهرب تناسب في اللفظ والمعنى يجمعهما الاشتقاق الأوسط الذي هو عقد تقاليب الكلمة على معنى جامع وأما الوجل فرجفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته أو لرؤيته وأما الهيبة فخوف مقارن للتعظيم والاجلال وأكثرها تكون مع المعرفة والمحبة والاجلال تعظيم مقرون بالحب فالخوف لعامة المؤمنين والخشية للعلماء العارفين والهيبة للمحبين والاجلال للمقربين وعلى قدر العلم يكون الخوف والخشية كما قال صلى الله عليه وسلم اني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية . وقال لو تعلمون ما أعلم

مطلب في معنى الخوف وما يرادفه

لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى انتهى فالخوف سوط يسوق المتمادي ويقوم الأعوج ويلين القاسي ويطيع المستصعب وليس هومقصودا لذاته بخلاف الرجاء فمن ثم ينبغي أن يرجح على الخوف . (الرجا) بالمد وقصره لضرورة الوزن ضد اليأس . قال في المطالع والجمهرة فعلت رجاء كذا ورجاء كذا بمعنى طمعي فيه وأملي قال ويكون أيضا الرجاء كذلك ممدودا بمعنى الخوف ومنه الحديث انا لنرجو ونخاف أن نلقى العدو غدا قال الله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا أي لا تخافون له عظمة ومن كان يرجو لقاء ربه أي يخاف يقال في الأمل رجوت ورجيت وفي الخوف بالواو لا غير قال بعضهم اذا استعملته العرب في الخوف ألزمته لأحرف النفي ولم تستعمله مفردا الا في الأمل والطمع وفي ضمنه الخوف الا أن يكون ما يؤمله قال في المطالع وهذا الحديث يرد قول هذا فقد استعملته بغير لا انتهى . وقال الامام المحقق في شرح منازل السائرين الخوف مستلزم للرجاء والرجاء مستلزم للخوف فكل راج خائف وكل خائف راج ولأجل هذا حسن وقوع الرجاء في موضع يحسن فيه وقوع الخوف قال تعالى مالكم لا ترجون لله وقارا . قال كثير من المفسرين المعنى مالكم لا تخافون لله عظمة قالوا والرجاء بمعنى الخوف قال والتحقيق انه ملازم له فكل راج خائف من فوات مرجوه والخوف بلارجاء يأس وقنوط وقال تعالى قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله قالوا في تفسيرها لا يخافون وقائع الله بهم كوقائعه بمن قبلهم من الامم انتهى . واعلم ان العبد المؤمن لا بد ان يجمع بين الرجاء والخوف وينبغي ان يكونا متعادلين كجناحي الطائر وذكر جماعة انه يغلب الخوف مطلقا وقيل يغلب الرجاء مطلقا وقيل يغلب الخوف في الصحة والرجاء في المرض واختاره الناظم واليه اشار بقوله (عند بأسه) أى سقمه ومرضه والبأس العذاب والشدة في الحرب وبئس كسمع بؤسا اشتدت حاجته والبأساء الداهية والمراد هنا عند ضعفه وعند الحنفية يغلب الشاب الرجاء والشيخ الخوف . قال في الفروع ويغلب يعني المريض رجاءه وفي الصحة يغلب الخوف لحمله على العمل وفاقا للشافعية وقاله الفضيل بن عياض رضى الله عنه وغيره

مطلب في فضائل الخوف والرجاء

ونص الامام رضي الله عنه ينبغي للمؤمن ان يكون رجاؤه وخوفه واحدا زاد في رواية فأيهما غلب صاحبه هلك قال شيخنا وهـذا هو العدل ولهذا من غلب عليه حال الخوف اوقعه في نوع من اليأس والقنوط اما في نفسـه واما في أمور الناس ومن غلب عليه حال الرجاء بلا خوف أوقعه في نوع من الامن لمكر الله اما في نفسه واما في الناس قال والرجاء بحسب رحمة الله التي سبقت غضبه يجب ترجيحه كما قال تعالى انا عند حسن ظن عبدى بي فليظن بي خيرا وأما الخوف فيكون بالنظر الى تفريط العبد و تعديه .فان الله عدل لا يأخذ الا بالذنب انتهى كلامه في الفروع

واعلم أن لكل من الخوف والرجاء فضائل جمة . وردت عن نبي الرحمة . فما ورد عنه في فضائل الخوف ما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله الامام العادل وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال اني أخاف الله ورجل تصدق بصـدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه . وفيهما عن أبي هريرة ايضا ان النبي صلى الله عليه وسـلم قال كان رجل يسرف على نفسه لما حضره الموت قال لبنيه اذا انا مت فاحرقوني ثم اطحنوني ثم ذروني في الريح . والله لئن قـدر الله علي ليعذبني عذابا ما عـذبه احدا فلما مات فعل به ذلك فأمر الله الارض فقال اجمعي ما فيك ففعلت فاذا هو قائم فقال ما حملك على ما صنعت قال خشيتك يارب اوقال مخافتك فغفر له . وفي رواية لهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال رجل لم يعمل حسنة قط لاهله اذا انا مت فحرقوه ثم ذروه نصفه في البر ونصفه في البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبه عذابا لا يعذبه احدا من العالمين فلما مات الرجل فعلوا به ما امرهم فأمر الله البر فجمع ما فيه وامر البحر ان يجمع ما فيه ثم قال لم فعلت هذا قال من خشيتك يارب وانت أعلم فغفر الله تعالى له وفي رواية لهما عن أبي سعيد مرفوعا ان رجلا كان قبلكم رغسه الله مالا فقال لبنيه لما حضر أى أب كنت لكم قالوا خير اب قال اني لم اعمل خيرا قط فاذا مت فاحرقوني ثم اسحقوني ثم

ذروني في يوم عاصف ففعلوا فجمعه الله فقال ما حملك فقال مخافتك فتلقاه برحمته . قوله رغشه بفتح الراء والغين المعجمة بعدهما شين معجمة قال ابو عبيدة معناه اكثر له منه و بارك له فيه . (واخرج) البيهقي والترمذي وحسنه عن انس رضي الله عنه مرفوعاً يقول الله عز وجل أخرجوا من النار من ذكرني يوما او خافني في مقام . وابن حبان في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه جل وعلا انه قال وعزتي وجلالي لا اجمع على عبدي خوفين وأمنين اذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة واذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة . والترمذي وحسنه عن أبي هريرة أيضاً رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل الا أن سلعة الله غالية الا ان سلعة الله الجنة . قوله أدلج بسكون الدال المهملة اذا سار من أول الليل ومعنى الحديث ان من خاف الزمه الخوف السلوك الى الآخرة والمبادرة بالاعمال الصالحة خوفاً من القواطع والعوائق . وأخرج الحاكم والبيهقي وقال الحاكم صحيح الاسناد عن سهل بن سعد رضي الله عنه ان فتى من الانصار دخلته خشية الله فكان يبكي عند ذكر النار حتى حبسه ذلك في البيت فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه في البيت فلما دخل عليه اعتنقه النبي صلى الله عليه وسلم وخر ميتاً فقال النبي صلى الله عليه وسلم جهزوا صاحبكم فان الفرق فلذ كبده قوله فان الفرق الخ الفرق بفتح الفاء والراء هو الخوف وفلذ كبده بفتح الفاء واللام و بالذال المعجمة قطعه . وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من رحمته أحد . وأخرج الحاكم وقال صحيح الاسناد عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلا ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله لا تدرون تنجون أولا تنجون . قوله تجأرون بفتح المثناة فوق واسكان الجيم بعدها همزة مفتوحة أي تضجون وتستغيثون . وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها

قط فقال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين وفي رواية بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحابه شيء فخطب فقال عرضت على الجنة والنار فلم أر كاليوم فى الخير والشر ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً فما أتى على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أشد منه غطوا رؤسهم ولهم خنين . قوله ولهم خنين هو بفتح الخاء المعجمة بعدها نون البكاء مع غنة باستنشاق الصوت من الانف قال الامام الحافظ ابن الجوزي في تبصرته في قوله تعالى وخافون ان كنتم مؤمنين الخوف واجب على كل مؤمن وهو واقع بأسباب فمنها الخوف بسابق الذنب ومنها حذر التقصير في الواجبات ومنها الخوف من السابقة ان تكون على ما يكره ومنها خوف الاجلال والتعظيم كما قال تعالى يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون • ومن تفكر فيما قضى عليه في السابق لم يزل منزعجا خائفا خوفا لا يملك رده • واعلم أن الخوف اذا أفرط قتل والمحمود منه المتوسط وهو الذى يقمع الشهوات ويكدر اللذات ويكف الجوارح عن المعاصي ويلزمها الطاعة وقد ينحل البدن • ويذهب الوسن . ويزيد به البكاء ولذلك قيل ليس الخائف من بكى وعصر عينيه. وانما الخائف من ترك ما يعذب عليه . وأخرج أبو الشيخ في كتاب الثواب والبيهقي عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها . وأخرج الحاكم وقال صحيح الاسناد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما أنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم هذه الآية يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة تلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فخر فتى مغشيا عليه فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على فؤاده فاذا هو يتحرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا فتى قل لا اله الا الله فقالها فبشره بالجنة فقال أصحابه يا رسول الله أمن بيننا فقال أو ما سمعتم قوله تعالى ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد . وللخوف مناقب ومآثر كثيرة جدا وهو سوط يسوق المتوانى ويقوم الاعوج ويرد الشارد والله الموفق •

مطلب في ان الخوف أسبابا وانه واجب على كل مؤمن

ومما ورد في الرجاء ما رواه الترمذي وقال حسن عن أنس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى يابن آدم انك مادعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك . وأخرج الترمذي أيضاً وابن ماجه وابن أبي الدنيا عن أنس أيضاً رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال كيف تجدك قال أرجو الله يا رسول الله واني أخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا أعطاه الله مايرجو وأمنه مما يخاف . قلت الحديث حسنه الحافظ المنذري والله أعلم . واخرج الامام أحمد عن معاذ رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئتم أنبأتكم ما أول مايقول الله عزوجل للمؤمنين يوم القيامة وما أول مايقولون له قلنا نعم يارسول الله قال ان الله عزوجل يقول للمؤمنين هل أحببتم لقائي فيقولون نعم يا ربنا فيقول لم فيقولون رجونا عفوك ومغفرتك فيقول قد وجبت لكم مغفرتي . قال الامام الحافظ ابن الجوزي في تبصرته أسباب الرجاء قوية فمن خفنا عليه من غلبة الخوف قلنا له عدل ماعندك بالرجاء الا انه ينبغي أن يتوب ويرجو القبول ويبذر ويرجو الحصاد فأما الرجا مع العصيان فحماقة والله أعلم . ولما حضرت الامام أحمد رضي الله عنه الوفاة قال لولده عبدالله اذكر لي أحاديث الرجاء ولما احتضر الامام الشافعي رضي الله عنه دخل عليه المزني فقال له كيف أصبحت فقال أصبحت من الدنيا راحلا وللاخوان مفارقا ولعملي ملاقيا وبكاس المنية شاربا وعلى واردا فلا أدري روحي تصير الى الجنة فأهنيها أم الى النار فأعزيها ثم أنشأ يقول

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي جعلت الرجا مني لعفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما
وما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منة وتكرما

فهذا حال السلف رجاء بلا اهمال وخوف بلا قنوط ولا بد من حسن الظن بالله تعالى فمن ثم قال الناظم (ولا ق) أيها العبد المؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله (بحسن الظن) بالله تعالى (ربك) جل شأنه وتعالى سلطانه فانه عند ظن

مطلب في حسن الظن

عبده به فان لقيته وأنت حسن الظن به (تسعد) السعادة الابدية وتسلم السلامة السرمدية ومفهومه انك ان لم تلاقه بحسن الظن تشق شقاوة الابد وتعطب عطبا ماعطبه غيرك أنت وأمثالك فقد قال عليه الصلاة والسلام قال الله عز وجل أنا عند ظن عبدى بي وأنا معه حيث ذكرني الحديث رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة وأخرج أبو داود وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حسن الظن حسن العبادة ورواه الترمذي والحاكم بلفظ ان حسن الظن بالله من حسن عبادة الله . واخرج مسلم وأبوداود وابن ماجه عن جابر رضي الله عنه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول لايموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله عز وجل . وأخرج الامام أحمد وابن حبان في صحيحه والبيهقي عن حيان أبي النضر قال خرجت عائدا ليزيد بن الاسود فلقيت واثلة بن الاسقع وهو يريد عيادته فدخلنا عليه فلما رأى واثلة بسط يده وجعل يشير اليه فأقبل واثلة حتى جلس فأخذ يزيد بكفي واثلة فجعلهما على وجهه فقال له واثلة كيف ظنك بالله قال ظني بالله والله حسن قال فأبشر فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي ان ظن خيرا فله وان ظن شرا فله . وروى الطبراني عن ابن مسعود رضى الله عنه قال والذي لااله غيره لا يحسن عبد بالله الظن الا أعطاه ظنه وذلك بأن الخير في يده . وروى البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا أمر الله عز وجل بعبد الى النار فلما وقف على شفتها التفت فقال أما والله يا رب ان كان ظني بك لحسن فقال الله عز وجل ردوه أنا عند حسن ظن عبدي بي . (تنبيهات الاول) روى ابن أبي الدنيا عن علي بن بكار رحمه الله تعالى انه سئل عن حسن الظن بالله تعالى قال أن لا يجمعك والفجار دار واحدة . ودعا رجل بعرفات فقال لاتعذبنا بالنار بعد ان أسكنت توحيدك قلوبنا ثم بكي وقال ما أخالك تفعل بعفوك ثم بكي وقال ولئن عذبتنا بذنوبنا لتجمعن بيننا وبين أقوام طال ما عاديناهم فيك . وقال سيدنا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام اللهم لا تشمت من كان يشرك بك بمن كان لا يشرك بك . وأخرج ابن أبي الدنيا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي

الله عنه أنه كان اذا تلا هذه الآية وأقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت قال ونحن نقسم بالله جهدا يمانا ليبعثن الله من يموت أتراك تجمع بين أهل القسمين في دار واحدة ثم بكى أبو حفص الصيرفي بكاء شديدا (الثاني) ظن كثير من الجهال أن حسن الظن بالله والاعتماد على سعة عفوه ورحمته مع تعطيل الأوامر والنواهي كاف وهذا خطأ قبيح وجهل فضيح فان رجاءك لرحمة من لا تطيعه من الخزلان والحمق كما قاله معروف رحمه الله ورضى عنه وقال بعض العلماء من قطع عضوا منك في الدنيا بسرقة ربع دينار لا تأمن ان تكون عقوبته في الآخرة على نحو هذا ولم يفرق كثير من الناس بين الرجاء والتمني والفرق أن الرجا يكون مع بذل الجهد واستفراغ الوسع والطاقة في الاتيان باسباب الظفر والفوز والتمني حديث النفس بحصول ذلك مع تعطيل الاسباب الموصلة اليه قال تعالى ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله • فطوى سبحانه بساط الرجاء الاعن هؤلاء وأمثالهم قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه الروح الكبرى الرجاء لعبد قد امتلأ قلبه من الايمان بالله واليوم الآخر فمثل بين عينيه ما وعده الله من كرامته وجنته فامتد القلب مائلا الى ذلك شوقا اليه وحرصا عليه فهو شبيه بالماد عنقه الى مطلوب قد صار نصب عينيه قال وعلامة الرجاء الصحيح ان الراجي لخوف فوت الجنة وذهاب حظه منها يترك ما يخاف أن يحول بينه و بين دخولها • وأما الامانى فانها رؤس أموال المفاليس أخرجوها في قالب الرجاء وتلك أمانيهم وهي تصدر من قلب تزاحمت عليه وساوس النفس فأظلم من دخانها فهو يستعمل قلبه في شهواتها وكلما فعل ذلك منته حسن العاقبة والنجاة وأحالته على العفو والمغفرة والفضل وان الكريم لا يستوفي حقه ولا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة ويسمى ذلك رجاء وانما هو وساوس وأماني باطلة تقذف بها النفس الى القلب الجاهل فيستروح اليها قال تعالى ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوأ يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا فاذا قالت لك النفس أنا في مقام الرجاء فطالبها بالبرهان وقل هذه أمنية فهاتوا برهانكم ان كنتم صادقين فالكيس يعمل أعمال البر على الطمع والرجاء • والاحمق العاجز يعطل أعمال البر و يتكل على الاماني التي يسميها رجاء والحاصل أن

حسن الظن والرجاء ان حمل على العمل وحث عليه وساق اليه فهو صحيح ونافع وهو من أجل المقامات وروس المعاملات وان دعا الى البطالة والتواني والانهماك في المعاصي والاماني والانكباب على الضلالة والاغاني فهو غرور ضار مهلك لصاحبه وقاطع له عن ربه وقامع لهمته عن حبه وحسن الظن هو الرجاء فمن كان رجاؤه حاديا له على الطاعة زاجرا له عن المعصية فهو رجاء صحيح ومن كانت بطالته رجاء ورجاؤه بطالة وتفريطا فهو المغرور والله ولي الامور ولو أن رجلا له أرض يؤمل أن يعود عليه من مغلها ما ينفعه فأهملها بلا حرث ولم يبذرها وحسن ظنه بأنه يأتي من مغلها مثل ماأتى من حرث و بذر وسقي وتعاهد الارض لعده الناس من أسفه السفهاء وكذا لو حسن ظنه وقوي رجاءه بأن يأتيه ولد من غير جماع أو يصير أعلم زمانه من غير طلب للعلم و بذل مجهوده في تحصيله وتقييد شوارده وتحقيق فوائده وأمثال ذلك . وكذا من حسن ظنه وقوي رجاءه في الفوز بالدرجات العلى والنعيم المقيم من غير عمل ولا طاعة ولا امتثال لما أمر تعالى به واجتناب ما نهى عنه فانه يكون من أسفه السفهاء ويعد من أحمق الحمقاء . ومما ينبغي ان يعلم ان من رجا شيئا استلزم رجاؤه أمورا . أحدها محبة مايرجوه . الثاني خوفه من فواته . الثالث سعيه في تحصيله بحسب الامكان وأما رجاء لا يقارنه شيء من ذلك فهو من باب الأماني والرجاء شيء والاماني شيء فكل راج خائف والسائر على الطريق اذا خاف اسرع مخافة الفوات كما ذكر المصطفى صلى الله عليه وسلم من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل وهو جل شأنه انما جعل الرجاء لأهل الاعمال فعلم ان الرجاء انما ينفع اذا حث صاحبه على طاعة مولاه والمقصود ان من زعم انه حسن ظنه بالله مع انهماكه في اللذات وانكبابه علي المعاصي والشبهات واعراضه عن الاوامر والطاعات فهو من الحمق على جانب عظيم . وانما الذي عليه أماني وغرور والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم . وقد ذكرت في كتابي البحور الزاخرة من ذلك طرفاً صالحاً فان راجعته ظفرت بمرادك والله أعلم.

(الثالث) الفرق بين الرجاء والرغبة ان الرجاء طمع والرغبة طلب فهي ثمرة الرجاء فانه اذا رجا الشيء طلبه والرغبة من الرجا كالهرب من الخوف فمن رجا شيئاً طلبه ورغب فيه ومن خاف شيئاً هرب منه قال تعالى يدعوننا رغباً ورهباً والله أعلم .

تم الجزء الاول و يليه الجزء الثاني وأوله قول الناظم وتشرع للمرضي العيادة

﴿فهرست الجزء الاول من كتاب غذاء الالباب بشرح منظومة الآداب﴾

صحيفه

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

﴿ تمت الفهرست ﴾

﴿ بيان الخطأ والصواب الواقع فى الجزء الاول من كتاب غذاء الالباب ﴾

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١٨	٦	الرحم	الرجل
١٩	١	وأصحاحيب	وأصاحيب
١٩	١٤	فتهدى	فهدى
١٩	١٩	ماخلقه	لماخلقه
٢٠	٢٠	أو اياها	واياها
٢٨	٩	ان فى ما	ان مافى
٣٠	٢١	تثيب	تبيت
٣٤	٢٣	الفتهم	والفتهم
٣٩	٢	معمول	أو معمول
٤١	١	وخلى	وخل
٥٤	١	قمية	قميه
٥٨	١٣	ليغبيه	ليعييه
٥٨	١٤	قال	قال سمعت
٦٠	١	الطهران	الطهر
٦٤	٢٠	أحسبه	أحبسه
٦٦	١٠	الاعينَ	الأعينا
٦٦	١١	وعين	وعينا
٦٧	١٩	ويكذبه	أو يكذبه
٧٠	١١	الامل	الالم
٧٦	١١	يجر	تجر
٧٩	١٩	الذى له	والذى له
٨٣	٢	بجحوده	بجموده
٨٤	١٢	أبى بكر	أبى بكرة
٨٧	٢	فهل	فسهل
٩٠	١٧	ذكراه	ذكرماذكرناه
٩٤	١٠	عسي أ	أوعس أى
٩٤	١٨	والإمساك	الامساك
٩٥	٤	الا ثلاث	الا ثلاثة
٩٥	١٤	لم يمنع	لم يمنعنى
٩٧	٢٥	وكان	وكانه
٩٩	١٩	الرافعى	اليافعي
٩٩	٢٢	انتقاء	انتفاء
١٠٠	١٧	كالواصمة	كالوامصة
١٠٠	٢٣	فقال	وقال
١٠٢	٩	قتل	انه قتل
١٠٤	٢٥	ضار ضار	ضار ضر
١٠٨	٧	سيئة مثلها	سيئة سيئة مثلها
١١١	١١	لالكفران	والكفران
١١٥	٢٣	الارجل	رجل
١١٦	١٨	وفى شهر	وفيه شهر
١١٨	١١	ونهى	وهى
١٢٠	٢	أوعد	وعد
١٢٣	١٣	يغنيان	تغنيان
١٣٣	١٤	بالذنب	بالذين

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١٣٦	١٤	ذكره	ذلك
١٤٠	١٢	ويكره	ويسكره
١٤٤	٢٥	النقير	القنين
١٤٥	٢	والمغبير	والغبيراء
١٤٥	٥	والنقير	والقنين
١٤٦	١١	امتنعنا	أمتعتنا
١٥٢	١	المحبب	المحب
١٥٢	١٨	يمتها	يفنها
١٦٢	١٨	فأغض	فأغضى
١٦٥	٢٣	بدت	يدب
١٥٨	٧	قد	قدوريني
١٧٠	٨	في الحصى	في الحص
١٨٢	٢٣	وتعزيزاً	وتعزيراً
١٩١	١	يفعل	..
٢٠١	١٣	ممن	بمن
٢٠٣	٢٢	لان	لا أن
٢٠٧	١٦	لايجور	لايجوز
٢١٣	١٨	نحو	نحوه
٢١٥	١٦	والالم يكن	والايكن
٢٢٠	١٤	فكلام	فلكلام
٢٣٦	٢١	ومتطوع	ومتطلع
٢٤٢	٤	السلام	السلامة
٢٤٧	٧	أجراء	أجزاء
٢٤٨	٦	وان	وأنه
٢٥٢	٣	والسيئات	أوالسيئات
٢٦٨	١٣	لئلا	ليلا
٢٦٨	١٦	تمشط	تمتشط
٢٦٨	١٦	المعينه	المغيه
٢٨٢	١٨	أحبها	أحبهما
٢٨٤	٦	العبادة	العباد
٢٨٧	١٦	أبا البادية	أبا لبابة
٢٩٠	٢٤	عتاق	عنلق
٢٩٠	٢٥	أوقيد	وقيد
٢٩١	٨	الله	لله
٢٩٦	٢٢	ينفح الروح	ينفخ فيه الروح
٢٩٧	١٢	بغيره	لغيره
٢٩٧	١٧	ومرأى	ومرأى عجوز
٣٠٥	٣	حظر	خطر
٣٠٥	٦	استغر	استخر
٣١٣	٤	فقال	فقالت
٣١٨	٩	الاحسان	الانسان
٣٢٠	٢٢	فأتبعتهم	فأتبعتهم
٣٢١	٤	يلاقى	يلاق
٣٢١	١٦	مثلا	مثل
٣٢١	١٧	بعدما	بعدها
٣٢١	٢٠	بمضمر	لمضمر
٣٢٢	٢	كما	مما
٣٢٢	٣	منقطع	منقطعاً

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٣٢٥	١٥	بحق	بحقه
٣٢٨	٨	ويسب أمه	ويسب أمه فيسب أمه
٣٣١	٤	ولا يضرهما	ولا يضره
٣٣٣	١٤	تقوله	تقوله
٣٤٢	٢٤	والانتفاع	والانتقاع
٣٤٤	٩	وفي	في
٣٥٠	٤	بالكلام	الكلام
٣٥٠	١١	بالايعلم	بالم يعلم
٣٥٣	٤	والاختلاف	والاختلاق
٣٥٣	١١	قيل	ماقيل
٣٥٤	٤	من عرف	من عرفه بها
٣٥٩	٣	بواسطة	بواسط
٣٥٩	٤	العرق	العراق
٣٥٩	٥ و ٦	القرآن	القراآت
٣٦٥	٤	الكرهة	الكراهة

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٣٧٠	١١	تنحي	تنجي
٣٨٠	٨	الأثار	الاثاراً
٣٨٢	٣	عمل	حمل
٣٨٦	٣	مثل ماله	مثل ماقيل له
٣٨٦	٤	يغفروا لنا	ويغفر لنا
٣٩٢	٩	فواضع	فواضح
٣٩٢	٢٥	تسميته	تشميته
٣٩٣	١٢	اذاتثاوبت	اذاتثاءبت
٣٩٣	١٤	اذا تثاوب	اذا تثاءب
٣٩٣	٢٥	وتثاوب	وتثاءب
٣٩٣	٢٥	وهي الثأبا	وهي الثؤباء
٣٩٤	٢٢	والنجو	والنجوى
٣٩٨	٧	قال	قاله
٤٠٢	٢٤	رغسه	رغشه
٤٠٥	١٨	وعلى	وعلى الله
٤٠٦	٦	حسن	من حسن

